

البَيَّانُ الْمَغْرِبِيُّ

فِي اخْبَارِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ

لأبن عذاري المراكشي

الجزء الثاني

تحقيق ومراجعة

ج. س. كولان

إ. ليفي بروفسال

دار الشهابية

بيروت - لبنان

الطبعة الثانية

١٤٠٠ هـ. — ١٩٨٠ م.

فهرس الأبواب والفصول

١	ذكر سيرة الأندلس وأوليتها
٤	ذكر دخول المسلمين إلى الأندلس وانقراضها من أيدي الكفار
٩	ذكر ما افتتح طارق بن زياد من بلاد الأندلس سنة ٩٢ من الهجرة
٩	فتح قرطبة
١١	فتح مالقة
١١	فتح إشبيلية قاعدة الجزيرة
١١	فتح مرسية
١٢	فتح طليطلة
١٣	فتح قرمونة
١٤	فتح إشبيلية ثانية
١٤	فتح ماردة
١٥	فتح إشبيلية ثالثة
١٥	ذكر اجتماع الأمير أبي عبد الرحمن موسى بن نصير مع مؤلاء طارق بن زياد على طليطلة
١٦	ذكر ما آفاه الله على فاتحي الأندلس
١٧	أخبار الأمير أبي عبد الرحمن موسى بن نصير
٢٣	ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير
٢٥	ذكر ولاية أيوب بن حبيب الأندلس
٢٥	ولاية المحرر بن عبد الرحمن الفقيه
٢٦	ولاية السخ بن مالك العملاي
٢٦	ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغانيق الأندلس
٢٧	ولاية عتبة بن سعيد الكلبي

٢٧	ولاية يحيى بن سلمة الكلبي
٢٧	ولاية حذيفة بن الاعمس
٢٨	ولاية عثمان بن أبي شيعة
٢٨	ولاية الهيثم بن عبيد الكنانى
٢٨	ولاية محمد بن عبد الله الأشجى
٢٨	ولاية عبد الرحمن بن عبد الله العافى ثانية
٢٨	ولاية عبد الملك بن قطن
٢٩	ولاية عتبة بن الحجاج السلولي
٣٠	ولاية عبد الملك بن قطن النهدي ثابة
٣١	ذكر ولاية بلج بن بشر النهدي الأندلس
٣٢	مثل عبد الملك بن قطن النهدي
٣٢	ولاية ثعلبة بن سلامة العاملي الأندلس
٣٣	ذكر ولاية أبي الخطار الحسام بن خيرار الكلبي الأندلس
٣٤	ذكر انضمام بن حازم وسب النخعة
٣٥	ولاية يوسف بن عبد الرحمن النهدي الأندلس
٣٦	مثل أبي الخطار
٣٨	نسبة من ثار على يوسف بن عبد الرحمن النهدي بالأندلس
٣٨	جامع أخبار بني أمية بالشرق
٤٠	ذكر دخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام إلى الأندلس ومرويه من الشام
٤٢	خلافة عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك
٥٨	ذكر بعض أخباره على الجبهة
٦١	خلافة هشام الرضوي بن عبد الرحمن الداخل
٦٥	ذكر بعض أخباره على الجبهة
٦٧	بنت الكنانى مع هشام بن عبد الرحمن
٦٨	خلافة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن
٧١	مغل أهل الرض أولاً قبل هجوه ثانية
٧٤	ذكر دخول الحكم منقطعاً حين خالفت عليه
٧٥	ذكر هج أهل الرض ثابة في سنة ٢٠٢

٧٨	بعض أخبار وسيرة
٨٠	خلافة عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
٨٧	دُخُول الجُوسِ لِشِيبَةَ فِي سَنَةِ ٢٣٠
٩٠	ذَكَرَ بَعْضُ أَخْبَارِهِ عَلَى الْجُمْلَةِ وَسِيرِهِ
٩٣	خِلاَفَةُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ
١٠٧	بَعْضُ أَخْبَارِهِ وَسِيرِهِ
١١٣	خِلاَفَةُ الْمُنْذِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ
١١٧	شَأْنُ عُمَرَ بْنِ حَقْصُونَ فِي أَيَّامِ الْمُنْذِرِ - رَحِمَهُ اللَّهُ
١٢٠	بَعْضُ سِيرِهِ وَأَخْبَارِهِ
١٢٠	خِلاَفَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ
١٢٥	ذَكَرَ ثَوْرَةُ بْنُ حَبَّاجٍ بِإِشْبِيلَةَ
١٣١	أَخْبَارُ عُمَرَ بْنِ حَقْصُونَ فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ
	جُمْلَةُ الثَّوَارِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ، الْخَارِجِينَ عَنِ الْجَمَاعَةِ،
١٣٤	الْمُضِيرِينَ لِنَارِ الْفِتْنَةِ
١٥٠	شَأْنُ أَبِي الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدٍ وَمُطَرِّفٍ
١٥٠	شَأْنُ الْقَاسِمِ، أَخِي الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ
١٥٢	بَعْضُ أَخْبَارِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَى الْجُمْلَةِ
١٥٦	خِلاَفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ
١٧١	ذَكَرَ مَوْتَ عُمَرَ بْنِ حَقْصُونَ
١٧٢	غُرُوقُ مَطُوبَةِ
١٧٣	غُرُوقُ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ إِلَى بَلَدِهِ
١٧٥	غُرُوقُ مُرُوشِ
١٨٥	غُرُوقُ النَّاصِرِ إِلَى بَسْطُونَةِ
١٩٢	ذَكَرَ قَتْلَ سُلَيْمَانَ بْنِ حَقْصُونَ
١٩٥	ذَكَرَ انْصَاحَ مَدِينَةِ بَسْطَرِ
٢٠١	مُطَالَعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ لِبَسْطَرِ فِي ١١٠٥ هـ

- ٢٢٣ بعض أخبار الناصر على الحملة
- ٢٢٩ ذكر منجد قُرطبة الأندلس
- ٢٣١ ذكر بناء مدينة الرُّمَّة بقرطبة
- ٢٣٣ خلافة المحكم بن عبد الرحمن المستنير بالله
- ٢٥١ ذكر أحوال محمد بن أبي عامر بفتح المحكم المستنير
- ٢٥٣ خلافة هشام بن المحكم بن عبد الرحمن الناصر والدولة العائدية
- ٢٥٦ بعض أخبار المنصور محمد بن أبي عامر في ابتدائه
- ٢٦١ مقتل الخيرة بن عبد الرحمن الناصر
- ٢٦٢ بعض أخبار الصَّالِب مع ابن أبي عامر
- ٢٦٤ غزوة محمد بن أبي عامر الأولى
- ٢٦٥ ذكر تكملة الحاجب جعفر بن عثمان
- ٢٦٥ غزوة ابن أبي عامر الثانية
- ٢٦٧ غزوة ابن أبي عامر الثالثة
- ٢٧٢ استبداد ابن أبي عامر بالملك وتخلُّب عليه
- ٢٨٣ ذكر تدبير عبد الرحمن بن مطيرف مع عبد الله بن المنصور في القيام عليه
- ٢٨٤ ذكر مقتل عبد الله بن المنصور
- ٢٩٤ غزوة شنت ياقوب على سبيل الاختصار

الجزء الثاني من الكتاب، في أخبار الأندلس

ذكر صفة الأندلس وأوليتها

٢٠. أما صفة الأندلس، فإنها جزيرة مربعة، ذات ثلاثة أركان، قريبة من P. ٢ شكل السكك: الركن الواحد منها عند صم قايص، والركن الثاني في بلاد جنيّة، وهو مقابل لجزيرة برطانية^(١) حيث الصم المشي بصم قايص، والركن الثالث ناحية الشرق، بين مدينة أرونة ومدينة برزديل حيث هو قرب البحر المحيط الفرق من البحر المتوسط الشامي. وكاد البحران هناك أن يجتمعا في ذلك الموضع. فتصير الأندلس في جزيرة لولا يسير ما بقي منها، وهو مسيرة يوم كامل. وفيه مدخل ينال له الأبواب، وفيه تنصل الأندلس بالأرض الكبيرة. والأندلس كلها محاذة بالبحر: البحر المحيط الفرق، والبحر المتوسط القلبي، ويصعد منه قيل إلى ناحية الشرق؛ فعد الأندلس في الشرق والغرب وبعض الخوف البحر المحيط. وحدها في بعض النبل والشرق البحر المتوسط؛ إلا أنه^(٢) شوط الأرض كلها. وقيل^(٣) إنه في^(٤) آخر الأقاليم^(٥) السبعة.

وقيل إن أول من نزل الأندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بالأندلس (بشبن * معجبة)؛ فسببت بهم الأندلس (بالسين غير معجبة). وقيل إنهم كانوا قجوماً؛ فأراد الله قلعهم^(٦) منها؛ فحبس المطر عنهم حتى غاضت مياههم وعيونهم وأنهارهم، وخرجوا منها، واقتربوا في البلاد؛ وأقامت خالية مائة سنة، من حد إفرجة إلى البحر؛ ثم دخلها بعد ذلك قوم من الأفارقة، أجلام صاحب

(١) فرطاجة B.

(٢) A. et B. لآة.

(٣-٤) Manque dans A.

(٥) الإقليم A.

(٦) B. قلعهم.

إفريقية من الجوع؛ فلما نزلوا الأندلس، وجدوا أنهارها قد جرت، فسكوها نحو مائة وخمسين سنة. وعَدَّ ملوكهم أحد عشر ملكاً. ودارُ ملكهم مدنة طالقة. ثم غلبت عليهم الإشبانية، حتى أخرجهم عن الملك. وصار الملك إليهم؛ وهم سبَّت إشبيلية؛ فبنوها وسكنوها؛ وخرت طالقة. ولهم عجم رومة، فكانوا ملوكاً، حتى دخل البشترقات على الرومانيين، وقد بعث الله المسيح - عليه السلام - فبعث الحواريين إلى البلدان كلها. وظهر دين النصرانية وغلب. ثم كان دخول البشترقات من رومة. وكانوا يملكون إفريقية. ويبعثون عمَّالهم إليها. ودارُ ملكهم ماردة؛ فكانت عدة ملوكهم سبعة وعشرين ملكاً^١.

ثم ظهر بإشبيلية إشباني؛ وكان رجلاً ضعيفاً حريئاً؛ فوقف به الخضر - عليه السلام - وهو يجرت؛ فقال له: «إذا غلبت على إيلياء، فأزق بأولاد الأنبياء!» فقال له: «كيف يكون هذا، وأنا ضعيف؛ من غير بيت ملك؟». فقال له: «تقدر ذلك من قدر في عصاك ما قدر؟». فلما نظر إلى عصاه، إذا بها قد أوردت؛ ففرع. وغاب عنه الخضر. ووقع ذلك نفس إشباني؛ فلم يزل يصطليح الرجال حتى علأ^٢ اسمه، وشاع^٣ ذكره؛ ونقلب على الأندلس؛ فخرج في السفن إلى إيلياء؛ فغنىها وهدمها^٤، وقتل فيها مائة ألف من اليهود، وبيع منهم مائة ألف؛ وانتقل رخامها إلى الأندلس. وكان ملكه نحو عشرين سنة؛ وبعد ستين من ملكه، غزا إيلياء. ويقال إن إشباني اسمه إشباني، لأنه ولد بإشباني؛ فسبى بها، والله أعلم. فعدَّ ملوكهم خمسة وخمسون ملكاً.

ثم دخل القوط الأندلس، وقطع الله ملك رومة منها. وعدَّ ملوك القوطيين سنة عشر ملكاً، آخرهم لذريق، الذي دخل عليه المسلمون. وجعلوا دار ملكهم طابطة. ووجئت في بعض كتب العجم أن آخر ملوك الأندلس كان يسمى وخشش^٥. ولم يكن في النصرانية أحكم منه ولا أحسن^٦. إصابة

وملكه D. ١) A. ajoute منهم. ٢) B. غلظ. ٣) Manque dans A.

٤) B. أشد. ٥) Vocalisation fournie par B.

لِسُتْمِهِ؛ وَعَلَى سُنَّةِ أَمَضَت^١، النَّصْرَانِيَّةِ أَحْكَامُهَا، وَهِيَ الْأَرْبَعَةُ إِلَّا نَاجِيلٌ، الَّتِي
يَحْتَنُونَ بِهَا وَيَنْتَهُونَ إِلَى مَا فِيهَا. وَقَالُوا إِنَّ رُذْرِيْقَ، الَّذِي دَخَلَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ
وَالْبَربر، وَتَبَّ عَلَى وَخْشَتْنَشْ هَذَا وَقْتَهُ، وَغَابَ عَلَى مُلْكِ الْأَنْدَلُسِ، وَدَانَتْ لَهُ
طَلَبُطَّةٌ وَغَيْرُهَا.

وَفِي كُتُبِ الْعَجَمِ: إِنَّ رُذْرِيْقَ هَذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ، وَإِنَّمَا كَانَ
زَيْبًا، وَكَانَ مِنْ عَمَالِ الْمَلِكِ بَقْرُطِيَّةٍ؛ وَقَتْلَ وَخْشَتْنَشْ بَعْدَ مَا خَالَفَ^٢
عَلَيْهِ، فَغَيَّرَ الْحُكْمَ، وَأَفْسَدَ سُنَنَ الْمَلِكِ. وَفَتَحَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ فِيهِ الْبَابُوتُ،
وَكَانَ^٣ إِذَا مَاتَ الْمَلِكُ مِنْهُمْ، تُكْتَبُ اسْمُهُ، وَكَمْ وَلِيٍّ، وَيُوضَعُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ
مَعَ نَاجِيٍّ، وَلَا سِيلَ بَعْدَ عَنَدِهِ لِنَفْسِهِ، فَلَمَّا فَتَحَهُ رُذْرِيْقُ، أَنْكَرَتِ النَّصْرَانِيَّةُ
ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَجَعَلُوا لَهُ مِثْلَهُ ذَهَبًا وَفِضَّةً، وَلَا يَفْتَحُهُ؛ فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ،
وَعَزَمَ عَلَى فَتْحِهِ؛ فَفَتَحَهُ، وَوَجَدَ فِي الْبَيْتِ تَبَاجَانَ الْمَلُوكِ وَنَابُوتًا فِيهِ صُورُ الْعَرَبِ
مَنْشُكَةً نَفْسِيًّا. وَفِي رُؤُوسِهَا عِمَامَتُهَا، وَعَلَيْهَا مَكْتُوبٌ: «إِذَا فُتِحَ هَذَا الْبَيْتُ،
وُأُخْرِجَتْ هَذِهِ الصُّوَرُ، دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ قَوْمٌ فِي صُورِهِمْ، فَعَلِمُوا^٤ عَلَيْهَا!» فَلَمَّا
دَخَلَتِ الْعَرَبُ وَالْبَرْبَرُ مَعَ طَارِقٍ، وَالتَّفَقُّوا بِرُذْرِيْقٍ^٥، أَسْلَمَتْهُ النَّصْرَانِيَّةُ،
وَانْهَزَمَتْ عَنْهُ حَتَّى قُتِلَ. وَكَانَ دُخُولُ طَارِقٍ بَعْدَ سَنَةٍ مِنْ وِلَايَةِ رُذْرِيْقٍ؛ فَفَتَحَهُ
طَارِقُ بَقْرُطَاجَةَ مِنْ كُورِ الْحَزْمَةِ؛ وَافْتَتَحَ الْبِلَادَ حَتَّى أَتَى طَارِقُ إِلَى طَلَبُطَّةٍ؛
فَوَجَدَ بِهَا مَائِدَةً مُسَبَّحًا - عَلَى نَيْبَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ! - وَوَجَدَ فِيهَا^٥
صُورَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ عَلَى خِيُولِهِمْ، وَهِيَ الصُّوَرُ الَّتِي وَضِعَتْ عَلَى الْقَصْرِ بِقُرْطِيَّةٍ.
وَقَبْلَ ذَلِكَ أَيْضًا إِنَّهَا طَلَسَاتٌ، كَانَتْ الْعَرَبُ قَدْ نَصَبَتْهَا عَلَى مَسَاجِدِ الْأَنْدَلُسِ؛
فَنَفَسَتْهَا عِنْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْقَصْرِ بِقُرْطِيَّةٍ.

وَهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ هُنَا مِنْ صِفَةِ الْأَنْدَلُسِ وَذِكْرِ مُلُوكِهَا الْأَوَّلِينَ.

1) Manque dans A. 2) B. رار.

3) Tout le passage qui suit est corrompu dans A.

4) Manque dans A. 5) A. بالجزيرة.

ذكر دخول المسلمين إلى الأندلس وانتزاعها من أيدي الكفار

أما دخول المسلمين لها، فذكر فيه أربعة أقوال:
أحدها أن الأندلس، (أول من) دخلها عبد الله بن نافع بن عبد القيس،
وعبد الله بن الحُصَيْن الفهريَّان. من جهة البحر، في زمن عثمان - رضي -
قال الطبري: أتوها من برّها وبحرهما؛ فتتبعها الله تعالى على المسلمين هي
وإثرتة، وزداد في سلطان المسلمين مثل إفريقية؛ ولم يزل أمر الأندلس
لإفريقية، حتى كان زمن هشام بن عبد الملك؛ فمنع العرب أرضهم، وبقي من
في الأندلس على حالهم، هذا نصّه. وإن ذلك كان سنة ٢٧ من الهجرة الكريمة.
وثانيها أن موسى بن نصير اقتحمها عام ٩١. وهو قول الطبري أيضاً.
فيظهر من أنه جاز نفسه، وتولى هذه الغزوة والفتح.

وثالثها أن طريفاً دخلها وفتحها في عام ٩١.

ورابعها أن طارقاً أول من دخلها، سنة ٩١، ودخل موسى بعده سنة ٩٢.
فهذا الخلاف واقع في هؤلاء الأربعة مواضع؛ قيل إن أول من دخلها
الفهريَّان؛ ثم ابن نصير؛ ثم طريف؛ ثم طارق؛ فظهر من هذا أن الفهريَّين
أتوا فيها في زمن عثمان - رضي - وغنما من جهة البحر، وطريفاً دخلها سنة
٩١ مغيراً ومضراً، ونُسب فعله إلى موسى بن نصير، نسبةً بفعل المأمور إلى
الأمير؛ فصنق عليه إضافته لموسى، فيكون قول الطبري صادفاً، وصدق عليه
أيضاً قول الرازي بأخرى وأولى، وطارق دخلها دخول المستنقع لها، المكناف،
سنة ٩٢، وموسى دخلها بعد ذلك متبهماً للفتح.^١

وقال عريب: إن الملح بلّان، صاحب الجزيرة الخضراء، داخل موسى
ابن نصير، صاحب إفريقية، عام ٩١، على يد طارق بن زياد عامل موسى على
طنجة وما والاها؛ فراسل بلّان موسى، يزيّن عند دخول الأندلس، ويقرب

1-2) Manque dans A.

٢) A. نعم

3-3) Manque dans A.

له أمرها. وقيل: بل، سار إليه بنفسه في البحر، حتى اجتمع به في ذلك؛ فاستشار موسى الوليد من عبد الملك، إماماً مراسلة (وهو الأكثر الظهور¹) وإماماً بأن² نهض بنفسه إليه³؛ فأشار الوليد بأن يخبئها بالسرايا، ولا يفرق بالمسلمين؛ فبعث موسى بن نصير عند ذلك رجلاً من البربر، يسمى طريفاً ويكنى أبا زُرعة، في مائة فارس وأربعمائة راجل؛ فجاز في أربعة مراكب، حتى نزل في ساحل البحر بالأندلس، فبنا بُحايى طنجة، وهو المعروف اليوم بجزيرة طريف، سُميت باسمه لتروله هناك؛ فأغار منها على ما يلها إلى جهة الجزيرة المنصورة؛ وأصاب سباً ومالاً كثيراً، ورجع سالماً. وكانت إجازته في شهر رمضان من سنة ٩١.

وقد اتفق الجميع فيما يظهر على أن مولى بكر فتح الأندلس وجعله وُسْطُي طاريق بن زياد. وقد اختلف في لُقبه؛ فالأكثرون على أنه بربري من نفزة، وأنه مولى لموسى بن نصير، من سبي البربر. وقال آخرون إنه فارسي. قال صالح بن أبي صالح: هو طاريق بن زياد بن عبد الله بن رُفْعُو بن وَرْقُوم بن يترغاس بن ولهاص بن بطون بن نزار؛ وكأهم أيضاً اتفقوا على أن طارقاً كان تابعاً لموسى، قبل محاولة الأندلس، على المغرب الأقصى، وتركه عند رهائن برابر المغرب في سنة ٨٦ من الهجرة. وقيل أيضاً إن طارقاً جاز إلى الأندلس. برهائن البربر سنة ٩٢.

قال ابن القطان: فالأكثرون يقولون: كان مستقر بطنجة، ومنهم من يقول بجلمانة، وإن سلاً وما وراءها من فاس وطلنجة وسنفة كانت للنصارى؛ وكانت طنجة لبيكان منهم؛ فكان طاريق إذا نائماً عن موسى بن نصير، واختلفوا أيضاً هنا مَلْ إنما سار إلى الأندلس عن أمر موسى، أو سار إليها لأمر دهره، لم يمكنه إلا إنفاذه. والقول الأول هو المشهور المنفق عليه.

1) Le membre de phrase entre parenthèses manque dans A.

2) Manque dans A. 3) A. ajoute في ذلك على خلاف

قال الرازي عن الواقدي: إن الوليد بن عبد الملك استعمل موسى بن نصير على إفريقية، واستعمل موسى بن نصير طارق بن زياد على طنجة. وكان يتيان مجاوراً له بالجزيرة الخضراء التي تلي طنجة؛ فدخله طارق حتى صار معه إلى الرضى، ووعد يتيان بإدخاله الأندلس هو وجنوده. وكان اجتمع لطارق اثنا عشر ألفاً من البربر؛ فأجمع طارق على غزو الأندلس، بعد أن أخذ إذن ابن نصير مولاه في ذلك؛ فكان يتيان يحمل أصحاب طارق في مراكب التجار التي تختلف إلى الأندلس. ولا يشعر أهل الأندلس بذلك. ويظنون أن المراكب تختلف بالتجارة. فحمل الناس فوجاً بعد فوج إلى الأندلس. فلما لم يبق إلا فوج واحد، ركب طارق ومن معه. حتى أجاز البحر إلى أصحابه وتختلف يتيان بالجزيرة الخضراء، ليكون أطيب لنفسه ونفوس أصحابه. فنزل طارق حلاً من جبال الأندلس، يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ٩٢، كما تقدم ذكر ذلك. فسبى ذلك الحبل باسمه إلى اليوم.

وذكر عيسى بن محمد، «من ولد أبي المهاجرين»، في كتابه السب في دخول طارق الأندلس. وهو أن طارقاً كان والياً لموسى على طنجة؛ وكان يوماً جالساً. إذ نظر إلى مراكب قد طلعت في البحر؛ فلما أرست، خرجوا إليها. فترسوا أرجلها. وأرسلوا أهلها؛ فقالوا: «اليكم جننا عامدين!» وعظيهم معهم. يقال له يتيان، فقال طارق: «ما جاء بك؟» فقال له: «إن آي مات، فوسب على مكنتنا بطريق يقال له لدريني؛ فأهانتني، وأذلتني؛ وبلغني أمركم؛ فحننت اليكم أدعوكم إلى الأندلس، وأكون دليلاً لكم!» فأجابه طارق إلى ذلك، واستمر اثني عشر ألفاً من البربر. فجمعهم يتيان في المراكب فوجاً بعد فوج، كما تقدم ذكره.

وذكر غير هؤلاء أن السب في ذلك أن طنجة وسنة والخضراء وتلك السواحي كانت في ملكة صاحب الأندلس، على نحو ما كانت السواحل كلها

بالعدوة وما قرب منها للزوم. يسكنونها، إذ كان الدرير يرغبون عن سكنى
 المَدَن والفَرَى، وإِنَّمَا نُفِتَهُمُ سَكْنَى الْجِبَالِ وَالصَّحَارَى، إِذْ كَانُوا أَصْحَابَ إِبِلٍ
 وَسَوَانِمٍ. وَكَانَ النَّصَارَى فِي مَلُوحِهِمْ. وَكَانَتِ السُّنَّةُ فِي الْأَنْدَلُسِ فِي مَلُوكِ النَّصَارَى
 أَنْ يَسْتَعْدِمُوا بَنِي طَارِقَتِهِمْ وَكِبَارَ رَجَالِهِمْ؛ فَالرَّجَالُ مِنْهُمْ يَخْدُمُونَ خَارِجًا، وَالنِّسَاءُ
 جَوَارٍ يَخْدُمْنَ دَاخِلًا. وَهَذَا كَمَا سُنَّتَهُمْ إِلَى الْيَوْمِ فِي الرِّجَالِ خَاصَّةً، يَخْدُمُونَ صَيَانًا
 بِأَذْيَمٍ بَأَدِيمٍ. وَيَتَعَلَّمُونَ سُنَّتَهُمْ؛ فَإِذَا أُدْرِكُوا وَكَبُرُوا، انْحَنَوْا بِرَجَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ.
 وَكَانَ مَلِكُ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْقَوَاطِينِ يُسَمَّى رُذْرِيْقَ، نَدَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى ابْنَةِ بُلْيَانَ،
 وَكَانَتْ عِنْدَهُ؛ فَانْتَصَبَهَا نَفْسَهَا؛ فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَبِيهَا، وَدَسَّتْ إِلَيْهِ. فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ،
 أَحْفَظَهُ، وَكَنَّهُ، وَارْتَصَدَّ بِهِ الْأَيَّامَ، وَنَصَبَ لَهُ الْقَوَائِلَ، حَتَّى كَانَ مِنْ دُخُولِ
 الْعَرَبِ السَّغَرِ مَا كَانَ. وَأَرْسَلَ رُذْرِيْقَ إِلَى بُلْيَانَ فِي بُرَاءَةٍ وَطُيُورٍ وَغَيْرِهَا؛
 فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: «لَا تُؤَدِّرَنَّ عَلَيْكَ طَرَفًا لَمْ تَسْمَعْ قَطُّ بِهَا»، وَهُوَ سَيُؤَيِّدُ الْقَدْرَ بِهِ؛
 فَيَجْتَزِي دَعَا طَارِقًا إِلَى مَا كَانَ مِنْ جَوَارِ الْبَحْرِ.

وَاخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ فِي قِتَالِ طَارِقِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ. فَقِيلَ إِنَّ رُذْرِيْقَ
 رَحَفَ إِلَى طَارِقٍ بِجَمِيعِ أَهْلِ الْقُوَّةِ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ نَفْسَهُ، وَهُوَ عَلَى سَرِيرِ
 مَنَكَةٍ عَلَى بَعْتَيْنِ بِحِمْلَانِيٍّ. وَعَلَيْهِ نَاحِي وَجَمِيعُ الْحَلِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ الْمَمْلُوكُ.
 حَتَّى انْهَبُوا إِلَى الْحِجْلِ الَّذِي فِيهِ طَارِقٌ. فَمَرَجَ إِلَيْهِمْ طَارِقٌ بِجَمِيعِ أَصْحَابِهِ رَجَالًا،
 لَيْسَ فِيهِمْ رَاكِبٌ إِلَّا الثَّقِيلُ؛ فَانْتَشَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ النَّهَارُ. ثُمَّ
 صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَعْدَانَهُ؛ فَانْهَرَمُوا؛ وَأُدْرِكَ رُذْرِيْقُ؛ فَقُتِلَ فِي وَادِي الْعَطِينِ.
 وَمَضَى حَتَّى دَخَلَ قُرْصَبَةَ. وَفَتَحَ اللَّهُ الْأَنْدَلُسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. فَهَذَا ذِكْرُ عَيْسَى
 فِي كِتَابِهِ.

وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّهُمْ اقْتَتَلُوا مِنْ حِينَ طَلَعَتِ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ غَرَبَتْ؛
 فَلَمْ يَكُنْ قَطُّ بِالْمَقَرِّبِ مِثْلَةُ أَعْظَمِهَا، بَنِيَتْ عِظَامُهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ دَهْرًا طَوِيلًا
 لَمْ تَذْهَبْ.

وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَيْضًا، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ

رجالاً من أهل الأندلس يُعَدِّثُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَيَذْكُرُ لَهُ رِقَصَتَهُمْ. فَقَالَ: «لَمْ يَرْفَعْ الْمُسْلِمُونَ السِّيفَ عَنْهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، حَتَّى أَوْطَنُوهُمْ غَلِيَّةً.» ثُمَّ ارْتَحَلَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قُرْطُبَةَ، وَهِيَ مَدِينَةُ الْأَنْدَلُسِ الَّتِي كَانَ بِهَا رُذْرِيْقُ بْنُ وَبَيْتَا وَبَيْنَ السَّاحِلِ مَسِيرَةُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ. وَكَانَ سُلْطَانُ رُذْرِيْقِ إِلَى أَرْبَعِينَ ثَغْرِ الْأَنْدَلُسِ، وَهِيَ إِذْ ذَاكَ أَقْصَى مَمْلَكَةِ الْأَنْدَلُسِ. مِمَّا يَلِي إِفْرَنْجَةَ؛ وَمِنْ أَرْبَعِينَ إِلَى قُرْطُبَةَ أَلْفٌ مِيلٍ. وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ طَارِيقُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ السَّيِّئِ فِي أَوَّلِ فَتْحِهِ لَهُمْ، عَشْرَةُ أَلْفٍ رَأْسٍ؛ وَكَانَ سَهْمَانُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الرِّجَالِ مِائَتَا دِينَارٍ وَخَمْسُونَ دِينَاراً.

وَذَكَرَ الرَّازِيُّ أَنَّهُ، لَمَّا بَلَغَ رُذْرِيْقُ خَبَرَ طَارِيقَ وَمَنْ مَعَهُ، وَمَكَانَهُمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، بَعَثَ إِلَيْهِمُ الْجَيْشَ جَيْشاً بَعْدَ جَيْشٍ؛ وَكَانَ قَدْ قُوِّدَ عَلَى أَحَدِهِمْ^١ ابْنُ أُخْتٍ^٢ لَهُ يُسَمَّى بَنَجَ، وَكَانَ أَكْبَرَ رِجَالِهِ؛ فَكَانُوا عِنْدَ كُلِّ لِقَاءٍ يَهْزَمُونَ وَيَقْتُلُونَ؛ وَقُتِلَ بَنَجٌ، وَهُزِمَ عَسَاكِرُهُ؛ فَتَوَيَّْ الْمُسْلِمُونَ، وَرَكِبَ الرِّجَالُ الْخَيْلَ، وَانْتَشَرُوا بِبَاحِيَتِهِمُ الَّتِي جَارَتْ بِهَا؛ ثُمَّ زَحَفَ رُذْرِيْقُ إِلَيْهِمْ بِمَجْمُوعِ عَسَاكِرِهِ وَرِجَالِهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ، وَهُوَ عَلَى مَرِيرٍ مَلِكِهِ كَمَا تَقَدَّمَ. فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي فِيهِ طَارِيقُ، خَرَجَ إِلَيْهِ؛ فَاقْتَتَلُوا عَلَى وَادِي لَكَّةَ^٣ مِنْ كَوْرَةِ شَدُونَةَ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَوْمُ الْاِحْدِ لِلْبَلْتَيْنِ بَقِيْنَا مِنْ رَمَضَانَ، مِنْ حِينَ يَرْغَبُ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ؛ ثُمَّ أَصْبَحُوا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ عَلَى الْحَرْبِ، حَتَّى إِلَى الْمَسَاءِ. وَتَمَادَتْ أَيَّامُهُمْ كَذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْاِحْدِ الثَّانِي؛ فَتَمَّتْ ثَابِتَةً أَيَّامٌ. وَقُتِلَ اللَّهُ رُذْرِيْقُ وَمَنْ مَعَهُ، وَفُتِحَ لِلْمُسْلِمِينَ الْأَنْدَلُسُ، وَلَمْ يُعْرِفْ لِرُذْرِيْقِ مَوْضِعٌ، وَلَا وُجِدَتْ لَهُ جَنَّةٌ، وَإِنَّمَا وُجِدَ لَهُ خُفٌّ مَقْضُصٌ؛ فَقَالُوا إِنَّهُ غَرِقَ، وَقَالُوا إِنَّهُ قُتِلَ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ تَحَرَّكَ طَارِيقُ إِلَى مَضِيْقِ الْجَزِيرَةِ؛ ثُمَّ نَهَضَ إِلَى مَدِينَةِ إِسْتِجَةَ؛ فَوُجِدَ فِيهَا خَلٌّ الْعَسَاكِرِ؛ فَقَاتَلُوهُ قِتَالاً شَدِيداً، حَتَّى كَثُرَ الْقَتْلُ وَالْجِرَاحُ فِي الْمُسْلِمِينَ؛ ثُمَّ نَصَرَهُمُ اللَّهُ، وَقَطَعَ دَعْوَةَ السُّجْنَةِ، وَقَذَفَ اللَّهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ، إِذْ

١) لك. ٢) آخ. ٣) عليه. ٤) آخ.

فَحَمَّ عَلَيْهِمُ الْبِلَادُ؛ فَهَرَبَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى مَدِينَةِ طَلَبُطْلَةَ، وَتَرَكَوا مَدَائِنَ الْأَنْدَلُسِ وَرَاءَهُمْ قَلِيلَةً الْأَهْلَ.

وَقَدِمَ بُلْبَانَ عَلَى طَارِقٍ مِنْ الْخَضِرَاءِ مُسْتَفْرِّهٍ؛ فَقَالَ لَهُ: «قَدْ تَحَتَّ الْأَنْدَلُسُ؛ فَخُذْ مِنْ أَصْحَابِي أُدْلَاءً، فَتَرِّقْ مَعَهُمْ جَبُوشَكَ وَبِزْرَ أُنْتَ إِلَى مَدِينَةِ طَلَبُطْلَةَ!» فَتَرَّقَى جَبُوشَةُ مِنْ إِسْنِجَةَ.

ذكر ما افتتح طارق بن زياد من بلاد الأندلس
سنة ٦٢ من الهجرة

أَوَّلُ فُرُوحَانِهِ حَيْلُ التَّنَحُّحِ الْمَسِيِّ بِجَلِّ طَارِقٍ، وَفَكَ لَمَّا جَازَ الْمُسْلِمُونَ وَتَزَلُّوا فِي الْمَرَسِيِّ، وَمِمْ عَرَبٌ وَبَرْبَرٌ، حَاطُوا الطَّلُوعَ فِي الْجَبَلِ، وَهُوَ حِمَارَةٌ حَرَشٍ؛ فَوَطَّوْا لِلدَّوَابِّ بِالْبَرَادِيعِ وَطَلَعُوا عَلَيْهَا؛ فَلَمَّا حَصَلُوا فِي الْجَبَلِ، بَنَوْا سُوْرًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِسَمَى سَوْرِ الْعَرَبِ. وَقِيلَ لَهُمْ فَتَحُوا مِنْ حَيْبِهِمْ حِصْنَ قَرْطَاجَةَ، وَكَانَ فِي سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ مِنْ أَنْظَرِ الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ مَلُوكَ الْأَنْدَلُسِ، نَفَرُوا إِلَى رُذْرِيْقٍ، وَكَانَ جَبَّارًا طَاقِيَةً؛ فَاسْتَنْفَرُوا النَّصْرَانِيَّةَ. فَقِيلَ إِنَّهُ بَعَثَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ الْجَيْشَ بَعْدَ بَعْدٍ؛ فَكَانُوا عِنْدَ كُلِّ لِقَاءٍ يَهْزَمُونَ وَيُقْتَلُونَ. فَقَوَّى الْمُسْلِمُونَ، وَرَكِبَ رَحَالَهُمْ، وَانْتَشَرُوا فِي الْبِلَادِ. وَبَعْدَ هَذَا زَاحَفَهُمْ رُذْرِيْقٌ بِنَفْسِهِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ زَاحَفَهُمْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بِنَفْسِهِ. ثُمَّ اخْتَلَفُوا أَيْضًا كَمَا أَيْامُ الْمَرَاخِنَةِ الَّتِي أَعْنَبَهَا النَّسَجُ وَانْهَزَمَ آخَرُهَا رُذْرِيْقٌ؛ فَقِيلَ: يَوْمٌ كَامِلٌ، وَقِيلَ: يَوْمَانِ، وَقِيلَ: ثَلَاثَةٌ، وَقِيلَ: ثَمَانِيَةٌ؛ وَاخْتَلَفُوا هَلْ ظَفِرَ بِرَأْسِ رُذْرِيْقٍ أَمْ لَا؛ فَقِيلَ: ظَفِرَ بِهِ، وَقِيلَ: مَاتَ غَرِيْقًا.

فَتْحُ قَرْطَبَةِ

بَعَثَ طَارِقٌ مَنِشَاءً، مَوَّلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، مِنْ إِسْنِجَةَ إِلَى قَرْطَبَةِ فِي سَبْعِمِائَةِ فَارَسٍ؛ وَهِيَ مِنْ مَنَئِمِ الْعِظَامِ؛ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ رَايِلٌ إِذْ كَانَ الرِّجَالُ

قد رَكِبُوا. فلما بلغ مُبَيْث شَقْنَدَةَ وَقَرْبَةَ طَرَسِيلَ، وَهِيَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ قَرْطَبَةَ، بَعَثَ الْأَدِلَاءَ كَثِيرًا يَلْقَوْنَ مَنْ عَنْدهُ خَبَرٌ؛ فَالْتَفُوا رَاغِي عَتَمَ؛ فَاتُوا بِهِ إِلَى مُبَيْثَ، وَهُوَ فِي الْغَبْصَةِ؛ فَسَأَلَهُ عَنْ قَرْطَبَةَ؛ فَقَالَ لَهُ: «اتَّقِلْ عِهَا عِظَاهُ أَهْلِهَا، وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا إِلَّا بَطْرِيْقُهَا فِي أَرْبَعَانَةِ فَارِسٍ مِنْ حُصَانِهِمْ مَعَ ضِعْفِ أَهْلِهَا.» ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ حَصَانَةِ سُورْمَا؛ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ حَصِينٌ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ ثَغْرَةً فَوْقَ بَابِ «الصُّورَةِ»، وَهُوَ بَابُ الْقَنْطَرَةِ؛ وَوَصَفَ لَهَا الثَّغْرَةَ^١.

فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ، تَحَرَّكَ مُبَيْثُ مَعَهُ، وَعَبَرُوا النَّهْرَ، وَقَابَلُوا السُّورَ، وَرَامُوا التَّعْلُقَ بِهِ؛ فَتَعَذَّرَ عَلَيْهِمْ؛ فَارْجَعُوا إِلَى الرَّاعِي، وَأَتُوا بِهِ مَعَهُمْ؛ فَدَلَّهُمْ عَلَى الثَّغْرَةِ؛ فَارَامُوا التَّعْلُقَ بِهَا؛ فَصَعَّبَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى صَعِدَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِزْوَنِهَا. وَرَجَعَ مُبَيْثُ عَمَاتَهُ، فَتَنَاوَلَهُ طَرَفُهَا، وَارْتَفَلَ بِهَا حَتَّى كَثُرُوا بِالسُّورِ؛ ثُمَّ جَاءَ مُبَيْثُ إِلَى بَابِ الْقَنْطَرَةِ، وَهُوَ يَوْمُهُ مَهْدُومَةٌ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْحَوْمِ عَلَى أَحْرَاسِ السُّورِ؛ فَكَسَرُوا الْأَقْفَالَ، وَدَخَلَ مُبَيْثُ مَعَهُ. فَلَمَّا بَلَغَ السِّلْكَ الَّذِي فِيهَا دَخَلُوكَ. خَرَجَ فِي كِبَادَةِ أَصْحَابِهِ، وَمِنْ نَحْوِ الْأَرْبَعَانَةِ؛ فَدَخَلُوا كِبِسَةَ بَغْرَةِ الْمَدِينَةِ؛ فَتَحَصَّنُوا فِيهَا؛ فَحَاصَرَهُمْ مُبَيْثُ، وَكَنَسَ إِلَى طَارِقٍ بِالْفَتْحِ. وَتَنَادَى عَلَى حِصَارِ الْعُلُوجِ فِي الْكِبِسَةِ الْمَذْكُورَةِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ. إِذْ قِيلَ لَهُ: «خَرَجَ الْعُلُجُ (يَعْنِي السِّلْكَ) هَارِبًا وَخَذَهُ، وَهُوَ يَتَوَى التَّحَصُّنَ فِي جَبَلِ قَرْطَبَةَ، لِيَلْحَقَ بِهِ أَصْحَابُهُ!» فَأَتْبَعَهُ مُبَيْثُ، وَحَدَّهُ دُونَ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَلَمَّا بَرَّرَ لَهُ وَأَبْصَرَهُ هَارِبًا. وَتَحَنَّنَ فَرَسٌ أَصْفَرٌ، وَهُوَ يَتْبَعُهُ، خَرَجَ مِنْ طَرِيقِهِ؛ فَأَتَى خَدَفًا؛ فَوَسَّ بِهَ الْفَرَسَ، وَسَقَطَ فِي الْخَنْدَقِ؛ وَانْدَقَّتْ عُنُقُهُ؛ فَأَقْبَلَ مُبَيْثُ، وَالْعُلُجُ جَالِسٌ عَلَى نَرَسِهِ مَسْتَأْسَرًا؛ فَأَسْرَهُ. وَلَمْ يَوْسُرْ مِنْ مَلُوكِ الْأَنْدَلُسِ غَيْرُهُ، لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ عَقَدَ لِنَفْسِهِ أَمَانًا، وَمِنْهُمْ مَنْ هَرَبَ إِلَى أَقْصَى الْبِلَادِ مِثْلَ جَبَلِئَةَ وَغَيْرِهَا. وَرَجَعَ مُبَيْثُ إِلَى بَغَةِ الْعُلُوجِ؛ فَامْتَسَزَلَهُمْ أَسْرًا، وَضَرَبَتْ أَعْنَاقَهُمْ صَدْرًا؛ وَسَيَّتْ كِبِسَةَ الْأَسْرَى. وَأَبْقَى الْعُلُجُ صَاحِبَ قَرْطَبَةَ، لِيَقْدِمَ بِهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

^١ القنطرة ووصفها لم B. 1-1

فَتْح مَالَقَه

بعث اليها طارق من إِيْنَجَة جيشاً، وقَوَّد عليه قائداً، وجعل معه ودليلاً من رجال يُلَيِّنَانِ؛ فاستنصحا وجميع أعمال ربه. ولجأ علوجها الى جبال ربه الشاخنة المنبئة.

فَتْح إِغْرَنَاطَة فَأَعْدَة الْبِيرَة

بعث اليها طارق الجيش من إِيْنَجَة؛ فحاصرها حتى افتتحتها.

فَتْح مَرْسِيَة

ثم تقدم هذا الجيش بعد فتح إِغْرَنَاطَة الى تَدْمِير، وهي مَرْسِيَة، وإِنَّمَا سُمِّيَتْ تَدْمِير بِاسْمِ الْعِلْجِ صَاحِبِهَا؛ وَكَانَ اسْمُهَا أُوزَيْوَلَة، وهي كانت مدينتها القديمة. فقاتل الْعِلْجُ تَدْمِيرَ الْمُسْلِمِينَ قِتَالاً شَدِيداً؛ وَكَانَ فِي قُوَّة. ثُمَّ انْهَزَمَ فِي فَحْصٍ لَا يَسْتَرْكُمُ شَيْءٌ؛ فَوَضَعَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِمُ السِّلَاحَ حَتَّى أَفْتَوْهُمْ؛ وَلَجَأَ مِنْ بَنِي مَنِمٍ إِلَى مَدِينَةِ أُوزَيْوَلَة. وَكَانَ تَدْمِيرُ بِصِرَافٍ أَبْوَابَ الْحَرْبِ؛ فَلَمَّا رَأَى قِلَّةَ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَمَرَ النِّسَاءَ؛ فَتَشَرَّنَ شَعُورَهُنَّ، وَأَعْطَاهُنَّ الْقَصَبَ، وَوَقَفْنَ عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ، وَوَضَعْنَ مَعَهُنَّ بَقِيَّةَ الرِّجَالِ. ثُمَّ قَصَدَ بِنَفْسِهِ إِلَى جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ كَهَيْئَةِ الرِّسُولِ، وَاسْتَأْذَنَ؛ فَأُذِنَ وَاتَّفَقَ لَهُ الصَّلَاحُ وَلَأْمَلُ بَلَدٍ؛ فَانْفَتَحَتِ مَدِينَةُ تَدْمِيرَ صُلْحاً. فَلَمَّا اتَّفَقَ الصَّلَاحُ وَتَمَّ، أُبْرِزَ لَمْ نَفْسِهِ وَقَالَ: «أَنَا تَدْمِيرُ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ.» ثُمَّ أَدْخَلَهُمُ الْبَلَدَ؛ فَلَمْ يَرَوْا فِيهِ أَحَدًا عِنْدَ مَذْقَعٍ؛ فَتَلَيْمَ الْمُسْلِمُونَ وَأَمْضَوْا عَلَى مَا أَعْطَوْهُ مِنَ الْأَمَانِ؛ وَكَتَبُوا بِالْفَتْحِ إِلَى الْأَمِيرِ طَارِقٍ؛ وَأَقَامَ تَدْمِيرُ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الْعَسْكَرِ، وَصَارُوا مَعَ أَهْلِهَا؛ وَتَنَدَّمَ مُعْظَمُ الْجَيْشِ إِلَى طَلَبِطَلَّةٍ؛ فَلَحِقَ بِطَارِقٍ، وَهُوَ عَلَيْهَا.

فَتَحَ طَلَبُطْلَةَ

وَأَلْفَى طَارِقَ طَلَبُطْلَةَ خَالَةً، لَيْسَ فِيهَا إِلَّا الْيَهُودُ فِي قَوْمِ قَلَّةٍ، وَفَرَّ غَلْبُهَا
مَعَ أَصْحَابِهِ، وَلَحِقَ بِمَدِينَةِ خَلْفَ الْجَبَلِ. وَتَبِعَهُمْ طَارِقٌ، بَعْدَ أَنْ ضَمَّ الْيَهُودَ،
وَوَلَّى مَعَهُمْ بَعْضَ رِجَالِهِ وَأَصْحَابِهِ بِطَلَبُطْلَةَ؛ فَسَلَكَ إِلَى وَادِي الْحِجَابَةِ؛ ثُمَّ
اسْتَنْبَلَ الْجَبَلَ؛ فَفَطَعَهُ مِنْ فُجْعٍ يُسَمَّى بِهِ إِلَى الْيَوْمِ؛ فَبَلَغَ مَدِينَةَ خَلْفَ الْجَبَلِ،
تُسَمَّى مَدِينَةَ الْمَائِدَةِ.

ثُمَّ فَتَحَ مَدِينَةَ الْمَائِدَةِ؛ فَوُجِدَ فِيهَا مَائِدَةُ سَلْجَانِ بْنِ دَاوُدَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ -
وَكَانَتْ مِنْ زَبَرْجَدَةٍ خَضِرَاءَ، حَافَاتُهَا وَأَرْجُلُهَا مِنْهَا؛ وَأَصَابَ بِهَا مَالًا وَحَلِيًّا
كَثِيرًا؛ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى طَلَبُطْلَةَ. هَاكَذَا آثَرُ النَّاسِ هَذَا كُلَّهُ، عَلَى أَنَّ طَارِقًا
صَنَعَهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلَى، أَقَامَ طَارِقٌ حَيْثُ كَانَتْ الْوَقْعَةُ، وَجَازَ إِلَيْهِ مُوسَى.
وَقِيلَ: بَلَى، وَجَدَهُ بِقَرْطَبَةِ.

وَفِي سَنَةِ ٩٢ مِنَ الْهَجْرَةِ، دَخَلَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ الْأَنْدَلُسَ فِي رَمَضَانَ، بَعْدَ
دُخُولِ طَارِقٍ بَسْنَةَ، وَمَضَى غَازِيًا فِيهَا، مُنْتَضِعًا لِحَصُونِهَا هَذِهِ السَّنَةَ وَسَنَةَ أَرْبَعٍ
وَبَعْضَ سَنَةِ خَمْسٍ؛ فَانْتَضَعَ جَمِيعَ حَصُونِهَا، وَهَزَمَ جَمِيعَ مَنْ لَقِيَ مِنْ أَسْرَائِهَا؛ فَلَمْ
يَبْقَ كَيْدًا مِنْ أَحَدٍ، وَلَا انْهَزَمَتْ لَهُ رَايَةٌ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَدِينَةٍ مِنْ مَدُنِ الْفَرَنْجَةِ،
يُقَالُ لَهَا لَوْطُونٌ^١، وَقَدْ مَلَكَ مَا يَسُومُهَا وَدُونَهَا إِلَى أَقْصَى بَرْشَلُونَةَ. فَلَمَّا انْتَهَى
إِلَى مَدِينَةِ لَوْطُونٍ، ضَاقَ الْمُسْلِمُونَ، وَخَافُوا أَنْ يُعَاطَلُوا^٢ بِهِمْ؛ فَكَلِمُوا فِي ذَلِكَ؛
فَقَتَلَ بِهِمْ رَاجِعًا. قَالَ مُؤَلِّفُ «كِتَابِ بَهْجَةِ النَّفْسِ»: وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ
الْعَجَمِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ انْتَهَوْا إِلَى مَدِينَةِ لَوْطُونٍ قَاعِدَةَ الْإِفْرَنْجِ، وَلَمْ يَبْقَ لِأَهْلِ
الْإِسْلَامِ شَيْءٌ لَمْ يَتَغَلَّبُوا عَلَيْهِ مِمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ، إِلَّا جِبَالَ قَرْقُوشَةَ^٣ وَجِبَالَ بَنْبَكُونَةَ
وَصَخْرَةَ جِلْبَنِيَّةٍ؛ نَاقِمًا الصَّخْرَةَ، فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا مَعَ مَلِكِ جِلْبَنِيَّةٍ سِوَى ثَلَاثَةِ رِجَالٍ،

١) Vocalisation fournie par B. 2) مجاطر A.

3) Vocalisation dans B.: peut-être قَرْقُوشَةَ (Circassienne).

تلفوا بالموت والمجوع والمحصار؛ فلما لم يبق منهم إلا ثلاثمائة رجل، ورأى ذلك المرتبون معهم على حصارهم، استسلموا؛ فتركهم؛ فلم يزالوا يزدادون حتى كانوا سبب إخراج المسلمين من جليلية، وهي قشتالة. وأما قرطبة، فذكر عبد الملك ابن حبيب أنها افتتحت في زمن هشام بن عبد الملك صلحاً. وكان الافتتاح P. ١٥ كما ذكرته في بقية سنة ٩٢ وبعض سنة ٩٣ من الهجرة.

وكان السبب في جوار موسى بن نصير إلى الأندلس أنه أغرى بطريق عبه. وذكر له ما آفاه الله عليه؛ فكتب له موسى بأفتح السب، وأمره ألا يتجاوز قرطبة، حتى يقدم عليه. قال ابن النطآن: قيل: إنما حمله على الجوار للأندلس تعدي طارق ما أمره به إلا بتعدي قرطبة، على قول، أو موضع هزيمة لنيسين، على قول. وقيل أيضاً: إنما حمله على ذلك الحمد لطريق على ما أصاب من الفتح والغنائم. وقيل أيضاً: إنما جاز باستدعاء طارق أبيه؛ فكان جواره في رمضان، كما تقدم.

قال الرازي: وحدث الواقدي عن موسى بن علي بن رباح، عن أبيه، قال: خرج موسى بن نصير في عشرة آلاف من إفريقية، مفضياً على طارق، وتقدم يريد الأندلس؛ فدخلها، ونزل الجزيرة. فقيل له: «اسلك طريق طارق» فقال: «لا، والله، أسلك طريقه» فقال له الأدلاء من الأعلاج: «نحن ندلك على طريق هي أشرف من طريقه، وعلى مدائن هي أعظم خطراً من مدائنه، لم تفتح، يفتحها الله على يديك إن شاء الله» فامتلاً موسى سروراً؛ فساروا به إلى مدينة شتونة؛ فافتتحها عنوة؛ وهي أول فتوحاته.

فتح قرمونة

وبعض موسى مع أدلائه من شتونة إلى قرمونة؛ ولم يكن بالأندلس أحسن منها ولا أبعد من أن تنال بحصار أو قتال. فسأل موسى عن أمرها؛ فقيل له: «لا تؤخذ إلا باللفظ والجمل» فقدم إليها علجاً كانط من أصحاب بنيان

وغيرهم، فأتوا في قَيْتِ المهزمين، ومعهم السلاح؛ فأدخلهم المدينة؛ فلما علم موسى بدخولهم، بعث الخيل اليهم ليلاً؛ ففتحوا لهم باب المدينة، وهو الباب المعروف باب قَرْطَةَ؛ فوثقوا على الأحرار؛ فقتلهم. ودخل المسلمون المدينة عتوة.

فَتَحَ إِسْبِيلَةَ

١١١٦ لما فتح موسى قَرْمُونَةَ، تقدّم إلى إِسْبِيلَةَ، وهي من أعظم قواعد الأندلس ثائناً، وأمنها بياناً، وأكثرها آثراً. وكانت دار مُلْك رُومِ رُومَةَ قبل غلبة القوطيين على الأندلس؛ فلما غلب القوطيون عليها، استوطنوا طَلَيْطَلَةَ، وأقروا بها مُلْكهم؛ وفي مدينة إِسْبِيلَةَ علماء أهل رُومَةَ وكتّابهم وروساؤهم. فاحتل بها موسى بن نُصَيْرٍ، وحاصرها أشهراً؛ ففتحها الله عليه، وهرب منها علوجها إلى مدينة بَلَخَة.

فَتَحَ مَارِدَةَ

وتقدّم موسى إلى مدينة مَارِدَةَ؛ وكانت دار مُلْك في سائف الأثام. وكانت فيها آثار عجيبية، وقنطرة، وقصور، وكنائس، تنبثق وصف الذاخرين؛ وهي إحدى القواعد الأربع بالأندلس التي ابتناها أكتيان قَبْصَر. وهي قَرْطَةَ وإسبيلية، وماردة، وطلَيْطَلَةَ. فخرج أهلها إلى حربه نحو الليل منها؛ فحاربهم حتى صرقيهم إلى المدينة. فلما انحلت الحرب، وكفّ عن القتال، طاف موسى بالمدينة؛ فرأى نسياً كان لمقاطع الصخر؛ فكن فيه الرجال ليلاً. فلما أصبح، رحف اليهم؛ فخرجوا كخروجهم في اليوم قبله؛ فخرج عليهم الكمين وزحف اليهم المسلمون؛ فركبهم؛ فقتلوا أبرج قتل، ولجأ من بقى منهم إلى المدينة؛ فحاصروهم أشهراً. حتى عمل دابة؛ فشدّ المسلمون تحتها إلى بُرْج من أبراجها؛ فقبضوا صخرة؛ فلما زرعوها، أقضوا إلى صخرة صماء نبت المغاول عنها وشقوا منها؛ فبناهم يضربون عليها؛ إذ استثار العلوج عليهم؛ فاستشهد المسلمون تحت الدابة. فسعى ذلك النرج

بُرْجُ الشَّهْدَاءِ، وَبِهِ يُعْرَفُ إِلَى الْيَوْمِ؛ فَحَبِثَ عِنْدَ ذَلِكَ نَفُوسُ الْعُلُوجِ، وَثَابَتَ
 إِلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ. ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَيْهِمْ رُسُلٌ، وَتَعَرَّضَتْ لِلصَّلَاحِ؛ فَمَارَوْا إِلَى مُوسَى؛
 فَرَأَوْا رَجُلًا أَيْضَ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ؛ فَكَلَّمُوهُ بِمَا لَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَرْضَهُ؛
 فَرَجَعُوا عَنْهُ، وَلَمْ يَعْدُوا شَيْئًا؛ ثُمَّ عَادُوا يَوْمًا آخَرَ؛ فَالْتَمَسُوا قَدْ حَمَّرَ رَأْسَهُ ١٧
 وَلَحِيتَهُ بِالْحِنَاءِ؛ فَعَجِبُوا مِنْهُ، وَرَاعَهُمْ مَا رَأَوْا؛ وَلَمْ يَقُمْ لَهُمْ أَمْرٌ؛ ثُمَّ عَادُوا إِلَيْهِ
 فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَذَلِكَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ؛ فَالْتَمَسُوا قَدْ سَوَّدَ رَأْسَهُ وَلَحِيتَهُ؛ فَرَجَعُوا
 إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَالُوا لِمَنْ فِيهَا: «وَبَحْكُمُ! إِنَّمَا تَقَاتِلُونَ أَنْبِيَاءَ يَتَشَبَّهُونَ بِعَدُوِّ
 الْبَشَرِ! قَدْ عَادَ مَلِكُكُمْ حَدَثًا بَعْدَ أَنْ كَانَ شَيْخًا!»، فَقَالُوا: «ادْعُوا إِلَيْهِ
 وَأَعْطُوهُ مَا سَأَلَكُمْ!»، فَوَصَلُوا إِلَيْهِ، وَصَالَعُوهُ؛ وَانْعَمَدَ أَمْرُهُمْ عَلَى أَنْتِ جَمِيعِ
 أَمْوَالِ الْفَتَى يَوْمَ الْكَيْبِ وَأَمْوَالِ الْغَائِبِينَ بِحَقِيقَةٍ وَأَمْوَالِ الْكُنَاسِ، ذَلِكَ كُلُّهُ
 لِلْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ فَتَحُوا لَهُ الْبَابَ مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ، وَهُوَ مُسْتَهْلَقُ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٢٤
 مِنَ الْهَجْرَةِ.

فَتْحُ إِشِيلِيَّةٍ ثَانِيَةٍ

وَذَلِكَ، لَمَّا اشْتَغَلَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ بِحَصَارِ مَارِدَةَ، نَارَ عَجَمٍ إِشِيلِيَّةٍ،
 وَارْتَدَّوْا، وَقَامُوا عَلَى مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَنَحَالِبَ فَلَهُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ مَدِينَتِي
 لَبْلَةٌ وَبَاجَةٌ؛ فَفَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوَ ثَمَانِينَ رَجُلًا. وَبَلَغَ الْخَبْرَ بِذَلِكَ إِلَى مُوسَى بْنِ
 نُصَيْرٍ؛ فَلَمَّا اسْتَمَّ فَتَحَ مَارِدَةَ، بَعَثَ ابْنَهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِحَيْثُ إِلَى إِشِيلِيَّةٍ؛
 فَافْتَتَحَهَا، وَقَتَلَ أَهْلَهَا.

فَتْحُ لَبْلَةٍ

لَمَّا اسْتَمَّ فَتَحَ إِشِيلِيَّةً، تَقَدَّمَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُوسَى بِحَيْثُ إِلَى لَبْلَةٍ؛ فَافْتَتَحَهَا،
 وَانْصَرَفَ إِلَى إِشِيلِيَّةٍ؛ فَدَخَلَهَا أَيْضًا.

ذكر اجتماع الأمير أبي عبد الرحمن موسى
ابن نصير مع مولا طارق بن زياد على طليطلة

«أنفق الأكثرون على أن التفاء ما كان على طليطلة^١، وذكر الطبري أنه كان على قرطبة. وذكر الرازي أن طارقاً خرج من طليطلة لما بلغه مسيره إليه؛ فلقبه بقرية من طليطلة، وكان موسى، لما فرغ من أمر ماردة، نهض يريد طليطلة؛ فخرج إليه طارق معظماً له، ومبادراً بطاعته؛ فوبخه موسى، وغضب عليه. وقيل إنه وضع السوط على رأسه؛ وقيل إنه ضربه أسواطاً كثيرة وحلقت رأسه. ثم سار به إلى طليطلة، وقال له: «إني» بما أصبت وبالمائدة؛ فأنابه بها، وقد اقتلع رجلاً من أرجلها؛ فقال له: «أين الرجل؟» فقال له: «هاكذا وجدتها!» فأمر موسى؛ فعُيِّل لها رجل من ذهب، وأدخلها في سبط. واختلفت الروايات لِمَ فعل موسى مع طارق ما فعل من السخط عليه؛ فقيل: إنما فعل ذلك بغياً ونفاة عليه؛ واستدلوا على ذلك بأدعائه يحصل طارق وأخذ المائدة عند الخليفة. ومنهم من عذره وقال: إنما فعل ذلك لتفديمه دون رأيه، وهو مولا، وعلى توغله بالمسلمين، وتغريه بهم. واتصل بهذا في كتاب الرازي أن الوليد بعث إلى موسى رسولا؛ يأخذ بعتان دابته، وأخرجه من الأندلس، ومعه طارق ومقيث. وخلف ابنه على الأندلس، وأبى معه وزيراً حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع.

ولما التقى موسى بطارق، وجرى له معه ما جرى، تقدم من طليطلة إلى سرقطة؛ فافتتحها، وافتتح ما حولها من الحصون والمعاقل. وذكروا أن موسى خرج من طليطلة غارياً، يفتح المدائن، حتى دانت له الأندلس. وجاءه أهل جليقية يطلبون الصلح؛ فصالحهم. وفتح بلاد البشكنش، وأوغل في بلادهم حتى أتى قوماً كالبهايم. وغزا بلاد الإفرنج. ثم مال حتى انتهى إلى سرقطة؛

فَأَصَابَ فِيهَا مَا لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ. وَبَيْنَ سَرَقُشْطَةَ وَفَرْطَةَ مَسِيرَةُ نَحْوِ شَهْرٍ. وَافْتَنَحَ
 هُنَالِكَ حَصُونًا كَثِيرَةً. ^(١) وَكَانَتْ أَسَافَةُ الرُّومِ تَجِدُ صَنْعَةَ مُوسَى فِي كُنْهِمُ؛ فَإِذَا
 رَأَوْهُ، قَالُوا: «هُوَ، وَاللَّهِ!» فَأَعْطَوْهُ الْمَغْفَلَ ^(٢). وَلَمْ يُهْزَمْ لَهُ جَمْعٌ قَطُّ.
 وَقَالَ يَوْسُفُ بْنُ هِشَامٍ: انْتَهَى مُوسَى إِلَى صَتَمٍ؛ فَوَجَدَ فِي صَدْرِهِ مَكْتُوبًا:
 «يَا بَنِي إِسْمَاعِيلَ! فَإِلَى هُنَا مَنَّتْكُمْ! وَإِنْ سَأَلْتُمْ إِلَى مَاذَا تَرْجِعُونَ، أَخْبَرْنَاكُمْ:
 تَرْجِعُونَ إِلَى اخْتِلَافٍ * ذَاتِ سَيْنِكُمْ، حَتَّى يَضْرِبَ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، ^{P. 14}
^(٣) وَقَدْ فَعَلْتُمْ ^(٤)».

قَالَ اللَّيْثُ: وَلَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ؛ فَقَالَ لَهُ: «أَبْعَثْ مَعِيَ
 أَذْلَكَ عَلَى كَنْزٍ!» فَبِعَتْ مَعَهُ رَجَالًا؛ فَوَقَفَ بِهِمْ عَلَى مَوْضِعٍ؛ فَقَالَ: «اكْنُفُوا
 عَنْ هَذَا!» فَكَنُفُوا؛ فَإِذَا: حَوْضٌ مَتَرٌ مِنَ الْيَافُوتِ وَالْجَوْهَرِ وَالزَّبَرْجَدِ مَا لَمْ
 تَرَ عَيْنٌ مِثْلَهُ قَطُّ؛ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ، يَهْتَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى مُوسَى لِيَحْضُرَ.

ذَكَرَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى فَاتِحِي الْأَنْدَلُسِ

مِنْ ذَلِكَ مَائِدَةُ سُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ! - قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ وَفُضَّةٍ
 خَلِيطَتَيْنِ، مَطْوُوفَةٌ بِثَلَاثَةِ أَطْوَاقٍ: طَوْقٌ لَوْلُؤٍ، وَطَوْقٌ يَاقُوتٍ، وَطَوْقٌ زَبَرْجَدٍ،
 وَإِنَّمَا حُمِلَتْ عَلَى بَقْلٍ عَظِيمٍ لَا يَفْلُ أَقْوَى مِنْهُ؛ فَمَا بَلَغَ بِهَا مَرَحَلَةً حَتَّى تَفْتَحَتْ
 قَوَائِمُهَا؛ وَمِنْهَا يَاقُوتَةُ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَجَدَهَا بَارِدَةً؛ وَمِنْهَا الْيَتَانِ الثَّانِ فَتَحَ فِي
 طَلْبِطَلَةٍ، وَجَدَ فِي إِحْدَاهَا أَرْبَعَةَ وَعِشْرُونَ تَاجًا عَدَدَ سُلُوكِهِمْ، لَا يُدْرِي مَا قِيَمَةُ
 تَاجٍ مِنْهَا، وَعَلَى كُلِّ تَاجٍ اسْمُ صَاحِبِهِ وَمَبْلَغُ سِنِّهِ؛ وَفِيهِ وَجِدَتْ الْمَائِدَةُ؛ وَكَانَ
 السَّبَبُ فِي حَصُولِهَا بِطَلْبِطَلَةٍ أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ، لَمَّا زَحَفَ إِلَى بَيْتِ الْقَيْسِ لِيُقَاتِلَ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَخَذَ بِلَادَهُمْ وَسَمَّى مَا فِيهَا، وَوَجَدَ فِيهَا مَكَارِمَ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ

1-1) A. dit simplement: وكان موسى تجده الأسافنة في كنهم

2-2) Manque dans A.

3) Début d'une lacune de deux feuillets dans le ms. A.

السلام! - منها عصا آدم، والتابوت الذي فيه بقية ما ترك آل موسى وآل هارون، وعصا موسى وقلاؤه، ومائدة سليمان، وهي من ذهب، قد كُتِلَ أعلامها وأسفلها بالذَّز والياقوت. فحمل جميع ذلك إلى رومة. فلما مرَّ ملك الروم ببصرى، رغب إليه أهلها أن يجعلها عندهم يتبركون بها، وقالوا له: «رومة تبعد عنا» وكانوا قد أمشوه، وقاتلوا معه بني إسرائيل؛ فطلبوا منه شيئاً من تلك المكارم؛ فدفع لهم المائدة؛ فحملتها الأساقفة إلى الإسكندرية. فلما غزا عمرو بن العاصي ببصرى، هربوا بها إلى مدينة إطرأس. فلما نزل عمرو بن العاصي بركة، هربوا بها إلى مدينة قرطاجنة. فلما دخل المسلمون طنجة، هربوا بها إلى مدينة طليطلة، ولم يكن لهم أمانع منها؛ ولا وجدوا حيث يهربون بها بقعها.

قال أبو شبة الصدقي: لقد نظرتُ إلى رجلين يحملان طنفسةً منسوجةً بالذهب والنفضة واللؤلؤ؛ فلما ثقلت عليهما، أنزلاهما؛ ثم حملا عليها القاس؛ فقطعاها بنصفين؛ فأخذا نصفاً، وتركنا نصفاً. فلقد رأيتُ الناس يهرون على نصفها؛ فلا يلتفتون إليه اشتغالاتها في أيديهم مما هو أرفع منها.

وحدث عبد الحميد عن أبيه، قال: قدمت الأندلس امرأة عطارة؛ فخرجت منها خمسمائة رأس من السي؛ فأما ما خرجت به من الذهب والنفضة والجوهر والآنية، فذلك ما لا يحاط بعلمه. قال: وقدم علينا شيخ من المدينة، جيد التجربة واللسان؛ فجعل يحدثنا عن الأندلس؛ فقلْتُ له: «كيف علت هذا؟» قال: «لأني، والله! كنت ممن اشترى بها بحبات قلقل أقل من النفضة ما يساوي عدداً.»

وأقام موسى بالأندلس سنتين وشهراً؛ ثم رجع إلى إفريقية، ونعت بقل أشهب يسمى الكوكب. ولما انصرف عن قرطبة متوجهاً نحو إفريقية، حوّل وجهه إلى قرطبة؛ فقال: «وها لك! يا قرطبة! ما أطيب ترسك، وأشرقت بقمك، وأعجب أمرك! ولعمرك الله! بعد الثلاثمائة سنة!» ثم مضى حتى وصل الخضراء، وأمر بالعجل؛ فحملت الذهب والنفضة والجوهر والمتاع وأصناف متاع

الأندلس. وكان دخول موسى الأندلس سنة ١٢٢، وهو ابن ستين سنة؛ وأقام
 وإلياً بإفريقية ست عشرة سنة، وقفل منها سنة ١٢٥.

ومن أخبار الأمير أبي عبد الرحمن موسى بن نصير
 - رحمه الله تعالى!

لما دخل موسى إفريقية، وجدها قد فحطت قحطاً شديداً؛ فأمر الناس
 بالصيام والمخروج إلى المصلى، الرجال على رحل، والنساء على رحل، والصبيان
 على رحل، وكذلك جميع البهائم مع أصنافها. فاجتمعوا في موضع واحد، ودعا
 الله تعالى، ودعا الناس معه، وبكى، وبكوا، وبكى الصبيان والنساء، وصاحت
 البقر والعجل والغنم والحرفان وأهل الذمة. فأفاسوا كذلك حتى انتصف النهار.
 ثم خطب الناس؛ فلم يلبث أن سقوا سقاً شافياً.

وخرج موسى من إفريقية، واستغلف عليها عبد الله ابنه. وحمل موسى معه
 من إفريقية من وجوه البزير مائة رجل وعشرين ملكاً من ملوك الروم؛ فخرجوا
 معه بأصناف ما كان في كل بلد من طرائفها وذهبها وفضتها وجوهرها وبافوتها،
 ما لا يحصى ولا سيع مثله، حتى انتهى إلى مصر؛ فلم يبق بها شريف، ولا فقيه،
 ولا عظيم، إلا ودفع إلى سليمان بن عبد الملك عشرة آلاف دينار. ثم خرج من
 مصر؛ فتوجه إلى فلسطين؛ فلقاه آل رُوح بن زُبَاع الجذافي؛ فقتلهم؛ ففعلوا
 خبثين جملًا. ثم خرج من عندهم، وترك بعض أصحابه وصغار ولد عندهم،
 وأفرغ على آل رُوح بن زُبَاع كثيراً من الكسب والوصائف والوصفان، وغير
 ذلك من الأموال.

وكان موسى، قبل خروجه من المغرب، قدم عليه ولده مروان من السوس
 الأنصبي، وهو يجر الدنيا جرّاً. ولما وصل رسوله إلى أبيه، بعلمه به وبما يأتي به
 من السبي، خرج إليه في وجوه الناس يتلقاه؛ فلما التقيا، قال مروان بن موسى:
 «مروا لكل من يلقاني مع أبي بوصفة وصيفة!» فلما أمر بذلك، سمع موسى

صباح الناس وصيحتهم، ورأى حركاتهم؛ فقال: «ما هذا؟» فقالوا: «ابنك مروان أمر الناس بوصيفة وصيفة!» فقال لهم: «مروا لهم انتم بوصيف وصيف!» فانصرفوا الناس كلهم، ومع كل واحد منهم وصيف ووصيفة.

وكان الوليد بن عبد الملك مريض مرضاً الذي مات منه. وكتب الى موسى بأمره بشد السبر اليه ليذكره قبل الموت. وكتب اليه سليمان أن يبطو في سيره. فعمل موسى بكتاب الوليد، ولم يعمل بكتاب سليمان، وجد في سيره. فغضب عليه سليمان، وقال: «والله! لئن ظفرت به، لأصلبته!» وكان سبب أمر الوليد لموسى بالعجلة ليحرم سليمان ما جاء به؛ وكان أمر سليمان له بترك الاستعجال ليحرم الوليد وولده ما جاء به. فقدم موسى قبل موت الوليد وآباء بالطرائف من الدر والياقوت والزرجد، والوصفاء والوصائف، ومائدة سليمان، والتيجان السكتة لدر والياقوت. فاستغرب الوليد ذلك، وأمر بمائدة سليمان؛ فكرت، وعهد الى أرفع ما كان فيها من الجوهر وكل ما كان في التيجان وغيرها؛ فجعله في بيت المال. ثم لم يلبث أن مات وأفضت الخلافة الى سليمان أخيه؛ فبعث في موسى؛ فعنته بلسانه، وقال: «والله! لأقلن غررك! ولا فترقن جمعك! ولا صفرن من قدرك!» فقال موسى: «أما قولك تفعل من غري وتحنض² من قدرى؛ فإن ذلك بيد الله، وإلى الله لا إليك! وبه أستعين عليك!» فأمر به سليمان؛ فوقف في يوم صائف شديد الحر؛ وكان موسى رجلاً مخفياً³، بادناً، ذا نسيه؛ فوقف حتى سقط مقيماً عليه؛ فنظر سليمان الى عمر ابن عبد العزيز - ربه -؛ فقال له: «يا أبا حفص! ما أراي إلا وقد برزت في يبي وخرجت عنه!» فقال عمر: «أجل! يا أمير المؤمنين!» فقال سليمان: «من بضه اليه؟» فقام يزيد بن المهلب؛ فقال «أنا يا أمير المؤمنين أضه إلى⁴!» قال: «نضه إليك ولا تضيق عليه!» فانصرف يزيد، وقدم

1) Ici reprise du ms. A.

2) ونحط.

3) عظياً.

4-4) Manque dans B.

إليه دابةً في فركبها موسى، وأقام عنده أياماً حتى حسن ما بينه وبين سليمان.
وافندي منه موسى بمال كثير، قيل: ألف ألف دينار، وقيل غير ذلك. ثم إن
يزيد بن المهلب سهر ليلة عند موسى؛ فقال له: «يا أبا عبد الرحمن! في كم
كنت تعدُّ من مواليك وأهل بيتك؟» فقال له موسى: «في كثير!» فقال
يزيد: «يكونون ألفاً؟» فقال له موسى: «ألف وألف وألف إلى منقطع
النفس!» فقال له يزيد: «كنت على ما وصفت، وألقيت يدك إلى التهلكة!
أفلا أقمت في قرار عزك وموضع سلطانك، وامتنعت بما قُيِّمت به؟ فإن أعطيت
الرضى، وإلا كنت على عزك وسلطانك!» فقال له: «والله! لو أردت
ذلك، لما نالني من أطرافي طرْفاً! ولا كُنِي آثرُ الله ورسوله! ولم أرُ الخروج
عن الطاعة والمجاعة!»

وذكر أن سليمان قال لموسى: «ما الذي كنت تنزع إليه عند حروبك
وسايرة عدوك؟» قال: «كنت أفرغ إلى النضرع والدعاء والصبر عند
اللقاء!» قال: «فأئى الحبل رأيتها في تلك البلاد أشتى؟» قال: «الشقرا»
قال: «فأئى الأسم كانوا أشدَّ قتالاً؟» قال: «مهم أكثر من أن أصرِّهم!»
قال: «أخبرني عن الروم!» قال: «أشدَّ في حصونهم، عتبان على خيولهم،
نساء في مواكهم، إن رأوا فرصة انتهزوها، وإن رأوا غلة، فأوعالاً تذهب في
الحبال، لا يرون الهزيمة عاراً.» قال: «فأخبرني عن البربر!» قال: «هم أشبه
الحجم بالعرب لقاءً ونجدةً وصبراً وفروسيّة، غير أنهم أغدر الناس، لا وفاء لهم
ولا عهد!» قال: «فأخبرني عن الأندلس!» قال: «ملوك مترفون، وفرسان
لا يجيئون.» قال: «فأخبرني عن الإفرنج!» قال: «هناك العدد والعدة،
والجملد والشدة، والبأس والنجدة!» قال: «فأخبرني كيف كانت الحرب
بينك وبينهم: أكانت لك أو عليك؟» فقال: «أما هذا، فوالله! ما هُزئت
لي راية قط، ولا بُدِّد جعتي، ولا نُكِبَ المسلمون معي، منذ افتتحت الأربعين
إلى أن بلغت الثمانين!» فضحك سليمان، وعجب من قوله. ثم دعا سليمان بطشاً

من ذهب؛ فجعل يردد بصره فيه؛ فقال له موسى: «إنيك لتعجب من غير عجب! والله! ما أحسب أن فيه عشرة آلاف دينار! والله! لقد بعثت إلى أخيك الوليد بتسور من زبرجد أخضر، كان يصب فيه اللبن، فيغضّر وترى به الشعرة البيضاء؛ ولقد قوّم بمائة ألف مثقال، وإنه لمن أدنى ما بعثت به إليه! ولقد أصبت كذا وأصبت كذا!» يجعل بعيد ما أصاب من الدر والياقوت والزبرجد، حتى يهت سليمان من قوله.

P. ٢١ وخرج سليمان يوماً ينصّب، ومعه موسى بن نصير؛ فمرّ في منبّه له بدود غنم يكون فيها نحو ألف شاة؛ فالتفت إلى موسى، وقال له: «هل كان لك مثل هذا؟» فضحك موسى وقال: «والله! لقد رأيت لأذني موالى أضعاف هذا!» فقال سليمان: «لأذني مواليك؟» فقال: «نعم والله! نعم والله!» وردّها مراراً؛ ثم قال^(١): «وما هذا فيها أفاء الله عليّ! لقد كانت الألف شاة تباع بعشرة دراهم، كل مائة يدرهم! ولقد كان الناس يهرون بالفر والغنم؛ فلا يلتفتون إليها! ولقد رأيت الدود من إبل بدينار! ولقد رأيت العليج الفاره وامرأته وأولاده يباعون بخمسين درهما!» قال: فعجب سليمان.

ثم حجّ سليمان، وخرج موسى معه؛ وكان موسى من أعلم الناس بالنجوم. فلما احتل بالمدينة، قال لبعض إخوانه: «لعمري بعد غدٍ رجل قد ملأ ذكره المشرق والمغرب!»^(٢) فظن الرجل أنه الخليفة^(٣)؛ فمات موسى في اليوم الثاني. وصلى عليه مسلمة بن عبد الملك. وكان مولد موسى سنة ١٩، في خلافة عمر بن الخطاب - رضه - . قيل إنه من لحم؛ وقيل: من بكر بن إسرائيل.

وقال ابن بشكّوآل في «كتاب الصلة» له: إنه موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد. وقال غيره: كان نصير ولده معاوية بن أبي سفيان على خيله؛ فلم يقابل معه عليّاً؛ فقال له: «ما منعك من الخروج معي على علي؟» وبدي عليك، ولم تكافني عليها؟ فقال: «لم يمكنني أن أشرك بكفّر من هو

1-1) Manque dans A.

2-2) Manque dans A.

أولى بشكري! فقال: «ومن هو؟» فقال: «الله - عز وجل!» قال:
فأطرق معاوية ملياً؛ ثم قال: «أستغفر الله!» وعفا عنه.

وقال الليث بن سعد: لما قدم موسى بن نصير إفريقية حين الفتح، أخرج
ابناً له يسمى عبد الله إلى بعض نواحيها؛ فأتاه بائة ألف رأس من السي،
أكثرهن وجوه كالبدور؛ ثم وجه ابناً له يسمى مروان إلى ناحية أخرى؛ فأتاه
كذلك؛ ثم خرج هو بنفسه؛ فأتى بنحو ذلك. قال الليث: فبلغ الخمس ستين
• ألفاً. قال: فلم يسمع بثل سبأيا موسى في الإسلام.

P. ٢٢

وفي سنة ٢٥، كان خروج موسى من الأندلس إلى الشام، واستخلف ابنه
عبد العزيز عليها.

ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير

واستخلف موسى على الأندلس ابنه عبد العزيز، وترك معه حبيب بن أبي
عبد بن عتبة بن نافع وزيراً له، ومعيماً. وأقام معهما بالأندلس من أراد
سكنها. فلما وصل موسى إلى إشبيلية، أقر فيها ولك؛ فارتضاها قاعدة ملكه؛
وتزوج بعد خروج أبيه أم عاصم امرأة رُذريق (واسمها أنس) وسكن معها
بإشبيلية. فلما دخل بها، قالت له: «إن الملك، إذا لم يتزوجوا، فلا ملك لهم!
فلو عملت لك سماً بقى عندي من الجواهر والذهب تاجاً؟» فقال لها: «ليس
ذلك في ديننا.» فقالت له: «ومن أين بعرف أهل دينك ما أنت فيه في
خلقك؟» فلم تنزل به حتى فعل. فبينما هو ذات يوم جالس معها، والتاج
على رأسه، إذ دخلت عليه امرأة كان قد تزوجها زياد بن نافع التميمي،
من بنات موكيم؛ فعاشتته، والتاج على رأسه. فقالت لزياد: «إلا أعمل لك
تاجاً؟» فقال لها: «ليس في ديننا استحلال لباسه!» فقالت له: «ودين المسيح!

إِنَّهُ عَلَى رَأْسِ مَلِكِكُمْ وَإِمَامِكُمْ! فَأَعْلَمَ بِذَلِكَ زِيَادٌ حَبِيبٌ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ
تَحَدَّثْنَا بِذَلِكَ حَتَّى عَلِمَ خِيَارُ الْحَدِّثِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ هَمٌّ إِلَّا كَشَفَ ذَلِكَ حَتَّى رَأَوْهُ
عَبَانًا. فَقَالُوا «قَدْ تَنَصَّرَ!» ثُمَّ هَجَمُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ. «وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ
الْمُحْكَاةَ لَا تَصُحُّ، وَإِنَّمَا قَتَلُوهُ بِأَمْرِ سُلَيْمَانَ فَلَمْ يَذْكُبْ وَاللَّهِ».

وقال الواقدي: إِنْ التَّيَّ نَكَحَ بَعْدَ خُرُوجِ أَبِيهِ فِي ابْنَةِ زُذْرِيْقٍ فَجَاءَتْهُ مِنْ
الدُّنْيَا بِمَا لَا يُوصَفُ. فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَتْ لَهُ: «مَا لِي لَا أَرَى أَهْلَ مَمْلَكَتِكَ
بِعَظْمُونِكَ، وَلَا يَسْجُدُونَ لَكَ، كَمَا كَانَ أَهْلُ مَمْلَكَةِ أَبِي يَفْعَلُونَ لَهُ؟» فَأَسْرَ
بِبَابٍ، فَتَنَّبَ فِي نَاحِيَةِ قَصْرِ، وَجَعَلَ قَصِيرًا، فَكَانَ يَأْذِنُ لِلنَّاسِ مِنْهُ فَيَدْخُلُ
الدَّخْلَ مُتَكِبًا رَأْسَ قُبَالَتِهِ لِقَصْرِ الْبَابِ وَقَدْ جَعَلَ لَهَا مَجْلَسًا، تَنْظُرُ مِنْهُ إِلَى
النَّاسِ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهَا. فَلَمَّا رَأَوْهُمْ عَلَى ذَلِكَ، خَلَّتْ أَيْتَهُمْ
يَسْجُدُونَ لَهُ. فَقَالَتْ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ: «الآنَ قَوِيَ مُلْكُكَ!» وَبَلَغَ النَّاسُ مَا أَرَادَ
بِذَلِكَ الْبَابِ فَتَارَهُ حَبِيبٌ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْفَهْرِيُّ، وَزِيَادٌ بْنُ عُذْرَةَ الْبَلَوِيُّ،
وَزِيَادٌ بْنُ نَابِغَةَ التَّمِيمِيُّ، وَمِنْ سِمْجَمٍ مِنَ النَّاسِ فَيَقْتُلُوهُ. وَقِيلَ أَيْضًا: إِنَّمَا
قَتَلُوهُ لِأَنَّهُ خَلَعَ طَاعَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، إِذْ بَلَغَهُ قَتْلُ أَخِيهِ وَمَا صُنِعَ بِأَبِيهِ.
قال الرازي: لما قتل موسى بن نصير، استخلف ابنه عبد العزيز على
الأندلس ففُضِطَ سُلْطَانُهَا، وَتَدَثَّرَ ثَوَرُهَا، وَاضْطَحَّ مَدَائِنُ كَثِيرَةٌ. وَكَانَ مِنْ خَيْرِ
الْوَلَدِ، إِلَّا أَنَّ مَدَّةَ لَمْ تَطُلْ، لَوْلَوْ الْجَدُّ عَلَيْهِ وَقَتْلُهُمْ لَهُ، لَأَسْبَغَتْ نَفْسُهَا عَلَيْهِ.
وَكَانَ قَتْلُهُ صَنَرُ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٩٧، بِمَدِينَةِ إِسْطِيلِيَّةٍ، بِمَجْدِ رُفَيْنَةَ^٢. وَلَمَّا دَخَلَ
الْمُحَرَّابُ، قَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ثُمَّ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ^٣، فَعَلَا مِنْ خَلْفِهِ زِيَادُ
ابْنِ عُذْرَةَ الْبَلَوِيُّ بِالسَّيْفِ فَيَقْتُلُهُ، وَهُوَ يَقُولُ: «قَدْ حَقَّتْ عَلَيْكَ يَا ابْنَ النَّاعِلَةِ!»
فَكَانَتْ وَلايَتُهُ سَنَةً وَاحِدَةً وَعِشْرَةَ أَشْهُرًا.

وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ سُلَيْمَانَ بَعَثَ إِلَى الْمُجْتَدِ بِأَسْرَمَ يَقْتُلُهُ، عِنْدَ حُطَّةٍ عَلَى أَبِيهِ،
وَأَتَمَّهُمْ، لَمَّا قَتَلُوهُ، حَرَّوْا رَأْسَهُ. وَقَدَّمَ بِهِ عَلَى سُلَيْمَانَ حَبِيبٌ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْفَهْرِيُّ.

فقبل إنه عرض الرأس على والد، وهو في محبة؛ فجلد حنّ المصيبة، وقال: «مَنْبَأُ لَهُ الشَّهَادَةُ!» قَتَلْتُمْ، وَاللَّهِ! صَوَامًا قَوَامًا!» قال الرازي: فكانوا يعمّدون فعل سليمان هذا بموسى وابنه من كبار زلّاته التي لم تزل تنم عليه. ومكث أهل الأندلس شهوراً لا يجمعهم وإل، حتى اجتمعوا على أيّوب بن حبيب اللّخمي، ابن أخت موسى بن نصير.

ذِكْرُ وِلَايَةِ أَيُّوبَ بْنِ حَبِيبِ الْأَنْدَلُسِ

ثمّ اجتمع أهل الأندلس على تقديم أيّوب هذا، يؤمّم لصلاتهم؛ وكان رجلاً صالحاً. وأقاموا مدّة دون أمير، ونقلوا دار السلطان إلى قرطبة. فتقدّم أيّوب ابن حبيب، واحتلّ بقصر قرطبة؛ وكان مُبِيت قد اختطه لنفسه. فذكر أنّ موسى ابن نصير، حين أقبله رسول الوليد، رجع في قوله على طريق طارق لخبير الأندلس؛ فترل قرطبة وقال لمُبِيت: «إِنَّ هَذَا النَّصْرَ لَا يَصْلَحُ لَكَ. وَإِنَّمَا يَصْلَحُ لِلْعَامِلِ الَّذِي يَكُونُ بِقُرْطَبَةٍ.» فتعقّى عنه يومئذٍ. ونزله بعد ذلك أيّوب ابن حبيب. فكانت ولايته سنة أشهر.

وِلَايَةُ الْحُرِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشُّقْفِيِّ

لما ولي سليمان بن عبد الملك محمّد بن يزيد، مولى ابنة الحكم بن العاصي، إفريقية، كانت الأندلس وطّنجة إلى صاحب إفريقية. فوجه محمّد بن يزيد الحُرّ ابن عبد الرحمن هذا عاملاً على الأندلس، في أربعمائة رجل من وجوه إفريقية. فبقى الحُرّ والياً عليها ثلاث سنين؛ فنقل الحُرّ هذا الإمارة من إشبيلية إلى قرطبة. وكان قدوم الحُرّ الأندلس سنة ٢٢ من الهجرة.

ولاية السَّح بن مالك الخولاني

ثم ولي أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رضه - السَّح بن مالك على الأندلس، وأمره أن يحمل الناس على طريق الحق، ولا يعدل بهم عن منهج الرفق، وأن يجتس ما غلب عليه من أرضها وعقارها، ويكتب إليه بصفة الأندلس رآنها. وكان رأيه نقل المسلمين منها وإخراجهم عنها، لانتطاعهم عن المسلمين وإتصافهم بأعداء الله الكفار؛ فقل له: «إن الناس قد كثروا بها، وانتشروا في أقطارها؛ فأضرب عن ذلك!» فقدم السَّح الأندلس، وأمثل ما أمره به عمر - رضه - من القيام بالحق، وإتباع العدل والصدق؛ فانفرد السَّح بولايتها؛ وعزلها عمر عن ولاية إفريقية، احتفاءً بأهلها، وتبشيراً بشأنها.

وكان المسلمون، إذ فتحوا قرطبة، وجدوا بها آثار فنطرة فوق نهرها، على حنايا وثاق الأركان من تأسيس الأمم الدائرة، قد هدمها مدود النهر على مر الأزمان. فتقدم إلى فضيلة النظر فيها عمر بن عبد العزيز - رضه - عند ما اتصل به خبرها؛ فأمر السَّح بابتنائها؛ فصنعت على أتم وأعظم مما بُني عليه جسر من حجارة سور المدينة.

وفي سنة ١٠١، ورد كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على السَّح بن مالك بالأندلس، يأمره ببناء الفنطرة بصخر السور، وبناء السور باللبن، وبأمره بإخراج خمس قرطبة. فخرج من الخمس البطحاء المعروفة بالربض. فأمر الخليفة عمر أن يتخذ بها مقبرة للمسلمين؛ فتم ذلك.

وقتل السَّح - رحمه الله! - بطرسونة، وذلك أنه غزا الروم في سنة ١٠٢؛ P. ٢٦ فاستشهد - رحمه الله! - يوم عرفة؛ فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر. وقيل: ثمانية أشهر؛ وقيل: ثلاث سنين.

ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الأندلسي

ثم قدم أهل الأندلس على أنفسهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي هذا؛ فدخلها في شهر ذي الحجة سنة ١٠٢.

ولاية عَنبَسَةَ بن سَحِيم الكَلْبِي

ثم ولى يزيد بن أبي مُسلم عامل إفريقية على الأندلس عَنبَسَةَ بن سَحِيم هذا؛ فدخلها في شهر صفر. فلما قُتل يزيد بن أبي مُسلم، كان على إفريقية محمد بن يزيد، مولى الأنصار، على ما ذكره الطبري، بتقديم أهل إفريقية، وإقرار يزيد بن عبد الملك إياه.

وفي سنة ١٠٢، كان العامل على إفريقية من قبل يزيد بن عبد الملك بشر بن صفوان، أخو حنظلة؛ فأقر عَنبَسَةَ على الأندلس؛ فكانت ولاية عَنبَسَةَ كلها أربع سنين وثمانية أشهر؛ وقيل غير ذلك.

وفي سنة ١٠٥، خرج عَنبَسَةَ غازياً للروم بالأندلس، وأهلها يومئذ خيار، فضلاء، أهل نيّة في الجهاد وحسب في الثواب؛ فالتح على الروم في القتال والحصار، حتى صالحوه. وتوفي عَنبَسَةَ في شعبان سنة ١٠٧؛ فكانت ولايته كما ذكرنا.

ولاية يحيى بن سلمة الكَلْبِي

وذلك أنّه، لما توفي عَنبَسَةَ، قدم أهل الأندلس على أنفسهم رجلاً من العرب، يقال له عذرة، إلى أن ورد بعد شهرين يحيى بن سلمة الكَلْبِي وإليه من عند أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك، في آخر سنة ١٠٦؛ فكانت ولايته P. ٢٧ ستين سنة أشهر.

ومات بشر بن صفوان بإفريقية؛ فولى هشام بن عبد الملك مكانه عبيدة ابن أبي الأعور السُلَمِي.

ولاية حُذَيْفَةَ بن الأَخْوَص

ثم ولى الأندلس حُذَيْفَةَ بن الأَخْوَص الأَنْجَعِي؛ وقيل: القَيْسِي؛ ولاء عليها عبيدة بن عبد الرحمن السُلَمِي عامل إفريقية من قبل هشام بن عبد الملك، في سنة ١١٠؛ فكانت ولايته ستة أشهر.

ولاية عثمان بن أبي نَسْعَة

ثم ولى عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الأغر السلمي على الأندلس عثمان ابن أبي نَسْعَة الخفصيّ؛ فقدمها في شعبان سنة ١١٠؛ وكانت ولايته خمسة أشهر؛ وقيل: سنة أشهر؛ ثم عُزل وانصرف إلى القيروان؛ فمات بها.

ولاية الهيثم بن عبيد الكِنَانِيّ

ثم ولى الأندلس الهيثم بن عبيد الكِنَانِيّ؛ في صدر سنة ١١١؛ وكانت ولايته عشرة أشهر؛ وقيل غير ذلك؛ وهو الذي غزا مونة^{١)}، وأقام وألبا عشرة أشهر، كما ذكرنا؛ وقيل: سنة وشهرين؛ ثم توفى.

ولاية محمد بن عبد الله الأشجعيّ

ثم فثم أهل الأندلس على أنفسهم محمد بن عبد الله الأشجعيّ؛ فكانت ولايته شهرين؛ وقيل غير ذلك.

ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقيّ ثانية

P. ٢٨

ثم ولى الأندلس عبد الرحمن هذا ثانية؛ فكان دخوله إليها في صدر سنة ١١٢؛ فأقام وألبا ستين وسبعة أشهر؛ وقيل: وثمانية أشهر. واستشهد في أرض العدوّ في رمضان سنة ١١٤.

ولاية عبد الملك بن قُطَن

ثم ولى عبد الملك بن قُطَن بن نُفَيْل بن عبد الله النهريّ؛ فدخلها في شهر رمضان المذكور الذي توفى فيه عبد الرحمن الغافقيّ. فآلناه قد استشهد. وقيل: دخلها في شوال من سنة ١١٤. وكانت ولايته ستين؛ وقيل غير ذلك.

١) مونة.

ولاية عقبة بن الحجاج السلولي

ثم ولي عقبة بن الحجاج السلولي في شوال سنة ١١٦. وقالوا: في ولايته كان عيّد الله بن الحجاج عامل مصر وإفريقية؛ فقدم عليه عقبة بن الحجاج، وكان مولاه؛ فأكرمه، وبرّه، ورفع شأنه وقدره، وأنزله في مكانه، وخبره في ولاية ما شاء من سلطانه. وكان الحجاج أبو عقبة قد أعتق الحجاج أبا عيّد الله؛ فولّى هشام بن عبد الملك عيّد الله بن الحجاج مصر وإفريقية والأندلس؛ فكان له من العريش إلى طنجة إلى الشوس الأقصى إلى الأندلس وما بين ذلك؛ وكان أحد بنيه بمصر، والثاني بالشوس وطنجة، والثالث بالأندلس؛ وكان عيّد الله بإفريقية. فلما شرف عيّد الله، وعلت منزله، وانتشر ذكره، وقد طبع مولاه عقبة؛ فأجلسه معه على فراشه، وأدناه من نفسه، وقربه، حتى عظمت منزلته في الناس؛ فكان يفصص الطالبون وذوو الحاجات، يتوسلون به إلى عيّد الله. P. ٢٩
فقص به بنو عيّد الله، وقالوا لبي الدم: «اصرف عنا لئلا يكسر شرّفنا!» فما زاده ذلك عند إلا تعظيماً وتكريماً. وخبره في ولاية ما شاء من سلطانه؛ فاختار الأندلس؛ فولاه عليها. وكانت يجاهد المشركين في كل عام، ويفتح المدائن. وهو الذي فتح مدينة أربونة، وافتتح جليقية ونبكونة، وأسكنها المسلمين. وعت فتوحاته جليقية كلها غير الصخرة؛ فإنه لجأ إليها ملك جليقية، وكان بها في ثلاثمائة رجل. فما زال المسلمون يضيقون عليهم، حتى صاروا ثلاثين رجلاً، وحتى قُتبت أربونتهم، ولم يتفوتوا إلا بعسل يجنّونه في خروق الصخرة. وأعجب المسلمين أمرهم؛ فتركهم. وأقام عقبة بالأندلس بأحسن سيرة وأجملها، وأعظم طريقة وأعدلها، إلى أن غزا أرض إفريقية؛ فلقته جيوش الأعداء؛ فقتل هو ومن معه هبلاط الشهداء. وذكر عنه أنه كان صاحب بأس ونجدة، ونكاية للعدو وشدة. وكان إذا أسر الأسير، لم يقتله حتى يعرض عليه دين الإسلام، وينتج له عبادة الأصنام. فذكر أنه أسلم على يديه بهذا الفعل ألف رجل. وكانت ولايته خمسة أعوام وشهرين.

وقيل إن أهل الأندلس ثاروا على عقبة بن الحجاج وخلصوه. قال ابن
القطان: وقيل إن عقبة بن الحجاج، لما حانت وقاه، استخلف عبد الملك بن
قطن. قال: وأقام عنة على الأندلس والبا إلى سنة ١٢١.

ولاية عبد الملك بن قطن الفهري ثانية

وفي سنة ١٢٢، ولي عبد الملك بن قطن ثانية، حتى كان من أمر البربر
P. ٢٠ وتلج بن بشر، ابن أخي كلثوم بن عياض عامل إفريقية، ما أذكروه. قال ابن
القطان: وذلك أن هشام بن عبد الملك كان قد ندب كلثوما لقتال البربر،
وولاه إفريقية، وبعث معه ثلاثين ألف فارس: عشرة آلاف من صلب بني أمية؛
وعشرين ألفاً من العرب؛ وعهد إليه في سد إفريقية وضبطها، إذ كانوا يجردون
في الروايات أن ملكهم يزول، وأن ملك بني العباس لا يجاوز الزاب. فتوهمته
بنو أمية زاب مصر، وإنما كان زاب إفريقية. فأمره بالجد في أمر إفريقية،
ليجئوا إليها إذا ذهب ملكهم؛ وعهده، إن حدث بكلثوم حدث، أن يكون
ابن أخيه تلج مكانه؛ فدارت بينه وبين البربر حروب عظيمة، هزموا في بعضها
كلثوما وقتلوه. وصار أمر العرب بإفريقية إلى تلج بالعهد المذكور.

ولجأ قلمهم إلى سنة، حتى ضاق عليهم الأمر ضيقاً عظيماً؛ فكاتب تلج
وأصحابه عبد الملك بن قطن صاحب الأندلس، وسأله إدخاله وإدخال من معه
من الجند، وذكروا له ما صاروا إليه من الجهد، وأنهم قد أكلوا دوابهم. فأبى
عبد الملك من إدخالهم، ولم يأمنهم، ومطلمهم بالميرة والسمن. واتفق أن تطاولت
البربر أيضاً بالأندلس، وفاضحوا العرب، وظهروا على الساكنين منهم بجليقة
وغيرها؛ فقتلهم، وطردوهم. فلما ورد قتل العرب على عبد الملك بن قطن،
ورأى عادية البربر، اضطر لأجل ذلك إلى إدخال تلج وأصحابه؛ فكاتبهم،
وشرط عليهم مقام سنة بالأندلس، ثم يخرجون عنها؛ فمضوا بذلك. فأخذ منهم
رهائن أنزلهم بجزيرة أم حكيم، وهي على الخضراء. ثم أدخل تلجاً وأصحابه غرارة،

لا يُؤارِعهم إِلَّا دَوَابُّهم^١، وقد بلغ بهم التَّجَهُدُ غَايَةً. وكانوا نحو عشرة آلاف من عَرَبِ الشَّامِ. فلما دخلوا، كَسَامَ عَرَبُ الأندلس على قدر أقدارهم؛ فَرَبَّ رجل يكسو مائة رجل، وآخر عشرة، وآخر واحداً، إلى ما بين ذلك.

فلما حلوا * بالخضراء، اجتمع بهم عبد الملك بن قُطْن؛ وكان بشُدُونَةٍ جمع P. ٢١ من البربر، عليهم رجل زَنَاقِيٌّ؛ فبدأ عبدُ الملكُ بِمُغَاتِلَتِهِمْ في وادي الفُتُوح من شُدُونَةٍ؛ فلم يكن للعَرَبِ فيهم إِلَّا نَهْضَةٌ، حتى آبادوم، وأصابوا أَمْنِيَتَهُمْ ودَوَابَّهُمْ. فاكسى أصحابُ بَلَجٍ، وانعشوا، وأصابوا الغنائم. ثم نهضوا مع عبد الملك إلى قُرْطُبَةٍ؛ ثم ساروا بأجمعهم إلى جهة طَلِبُطْلَةٍ، وقد اجتمع هنالك مُعْظَمُ البربر؛ فكانت هزيمتهم العظيمة هنالك بِيَوَادِي سَلِيطٍ من حَوْزِ طَلِبُطْلَةٍ، بعد أن زحف عبد الملك وبلج إليهم بعَرَبِ الأندلس، حاشا عَرَبَ سَرَقُطَةَ ونُفُورِها. وزحف البربر بأجمعهم؛ فهزَمَهم العَرَبُ، وقتلوا منهم في الهزيمة آلافاً.

ذِكْرُ ولاية بَلَجٍ بنِ إِشْرَ النُّشَيْرِيِّ الأندلسي

قال من له عناية بالأخبار: دخل بَلَجُ الأندلس سنة ١٢٢، في ذي النعدة منها، وملكها بعد ذلك؛ وذلك أنه، لما آباد ابنُ قُطْنِ البربر بالأندلس، من كان معه من العَرَبِ، وبأصحاب بَلَجٍ، قال لبَلَجٍ وأصحابه: «أخرجوا من الأندلس على ما شِوِطْتُمْ عليه!» فقال بَلَجٍ: «أحيِلْنَا إلى ساحلِ الْبَيْرَةِ أو ساحلِ تَدْمِيرِ!» فقال لهم عبد الملك: «لبست لنا مراكبُ إِلَّا بالجزيرة!» فقالوا له: «إنما نريد أن نردنا إلى البربر ليقتلونا في بلادهم!» فلما أَلَحَّ عليهم في الخروج، نهضوا إليه؛ فأخرجوه من قصر قُرْطُبَةٍ إلى داره بالمدينة. ودخل بَلَجُ القصر عشية يوم الأربعاء. في صدر ذي قعدة من السنة. وكان بَلَجٍ، وقت جوارزه عن سنة، قد أعطى رهائن لابن قُطْنٍ، جعلهم ابنُ قُطْنٍ بجزيرة أُمِّ حَكِيمٍ؛ قضاعوا مدةَ الثَّلاثَةِ بين بَلَجٍ وابن قُطْنٍ، والجزيرة المذكورة دون ماء؛ فمات رجلٌ من غَسَّانٍ عطشاً، وكان من الرهائن، من أشرف * دِمَشْقَ.

١) Sic dans A. et B. Doxy propose de lire: دَوَابُّهم [براذع].

مقتل عبد الملك بن قطن الفهري

لما ملك بلج الأندلس، واستولى عليها، طلب منه الجند أن يعطيه ابن قطن في الفسافي المذكور؛ فتوقف بلج؛ فالتجند، وثارَت البن كلُّها على كلمة واحدة. وكان ابن قطن شيخاً هريماً، قد بلغ التسعين؛ وكان قد حضر يوم الحرّة، ومنها فرّ إلى إفريقية؛ وكان يومئذ يداره بقرطبة؛ فأخرجه التجند منها، كأنه قرنح نعام من الكبر، ولم يأذونه: «أفلت من سبونا يوم الحرّة؛ فطلبنا بئارنا في أكل الدواب والجلود؛ ثم أردت إخراجنا إلى النمل!» ثم قتلوه، وصلبوه، وصلبوا يخزيراً عن يمينه، وكلباً عن شماله.

ثم إن أمية وقطناً ابني عبد الملك بن قطن حنّداً في جهة سرقسطة. وكانا قد هربا من قرطبة وقت إخراج أبيهما منها، وجاءا إلى بلج طالبين بأرهما، ومعا في سيف على مائة ألف من العرب القدماء والحديث؛ فخرج إليهما بلج، وهو في أقل من خمس عددها؛ فافتتلوا قتلاً شديداً. ثم انهزم ابن عبد الملك ومن معها هزيمة عظيمة؛ وانصرف أصحاب بلج ظافرين، وقد امتلأت أيديهم وأنفسهم غنماً ونصراً وسروراً، إلا أن بلجاً أميرهم وقيد من جراحه أصابته في المعركة، ومات بعد أيام. وكانت مدة إمارته اثني عشر شهراً. واختلف في ذلك. قال أبو عمر السالسي: «إن تلك المعركة التحلت عن أحد عشر ألف قتيل، وإن عبد الرحمن بن علقمة فوق سبها إلى بلج؛ فأصاب مقتله. (قال هذا في «كتاب دُرر اللآلئ» و«غُرر القوائد»¹). وقال في «كتاب بهجة النفس»: «إن عبد الرحمن ابن علقمة المذكور قتله بالسيف، وإن ولايته سنة أشهر. والأول أصح.

ولاية ثعلبة بن سلامة العاملي الأندلس

P. ٢٢

وفي سنة ١٢٤، في شوال، ولي الأندلس ثعلبة بن سلامة، ولأهمل الشام؛ وذلك أن هشام بن عبد الملك كان قد عهد أن يتولى أمر الجيش، إذ جهز

من الشام، كُنُتُوم^١ (من عياض^٢)، فإن أُصِيبَ، فإنَّ أخيه بَلِجٌ؛ فإن أُصِيبَ،
فَنَعْبَةُ. فأفعد أصحابُه نَعْلَةَ بن سَلَامَةَ بما عَهِدَ به هِشَامُ إليهم، وبايعوه. وثار
من بني من البربر سَارِدَةُ في أيامه؛ فغزاهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسر منهم
نحو الألف؛ وانصرف إلى قُرْطُبَةَ. فسار بأحسن سيرة. وكانت ولايته عشرة
أشهر. هذا مَسَاقُ ابن النُّعْمَان. ومن «دُرَرِ الفَلَّانِد»: كان يبيع دَرَارِيَّ أهل
البلد، ويَحْمِلُهُمْ أَسْرَى، ويُرْهِمُهُمْ من أمرهم عُسْراً. فكان نَعْلَةُ معهم على هذه
الحال، إلى أن ورد أبو الحَظَّار.

ذِكْرُ ولاية أَبِي الحَظَّارِ الحُصَامِ بنِ ضَرَّارِ الكَلْبِيِّ الأَنْدَلُسِيِّ

وفي سنة ١٢٥، ركب أبو الحَظَّارُ البحرَ من ناحية تُرُوسٍ في المَهِرَمِ، وحلَّ
بقُرْطُبَةَ؛ فألقى نَعْلَةَ بن سَلَامَةَ بالبُصَّارَةِ، ومعه الأَسْرَى والنِّسَاءُ من غُرب
قُرْطُبَةَ، قد اشترك في الحبال الولدُ بالوالد؛ فأمر أبو الحَظَّارُ بإطلاقهم، وحملهم
من وثاقهم؛ وجمع الناسَ بعد اقتراحهم، وصرفهم إلى معهود اتِّفَاقِهِمْ؛ فدانت
له جماعتهم، وفرَّقَ أهلَ الشامِ على الكُورِ، ونظرَ لسواهم أيضاً بأحسن النظر؛
فأنزل أهلَ يَمَشَقَ بالبَيرَةِ، أهلَ الأَرْدُنِّ بِرَبَّةَ، وأهلَ فِلَسْطِينَ بِشَدُونَةَ، وأهلَ
حِمْصَ بِإِثِيلَةَ، وأهلَ قَنْسَرِينَ بِحَبَّانَ، وأهلَ بَصْرَ بِبَاجَةَ، وبعضهم * بِتُدْمِيرَ. P. ٢٤
وكان إنزالهم على أموال العجم من أرضٍ وتعميرٍ. ودخل في ذلك الوقت
الصَّيْلُ بن حَارِثٍ - وسبأني ذِكْرُهُ - ونصبَ البَصْرِيِّينَ معه، وأتى إلى قُرْطُبَةَ،
حيثُ أبو الحَظَّارُ؛ فخرج إليهم دون عِدَّةٍ؛ فهزمه القوم، وقبضوا عليه، وأنقلوا
بالحديدِ رِجْلَيْهِ. ثم إنه أفلت من كَيْبِهِ، ومدَّ ما انقبض من حَبْلِهِ^٢.

ومن «كتاب بَهْجَةِ النَّفْسِ»، قال: لما هزم نَعْلَةُ البربرَ، سبى دَرَارِيَهُمْ،
ولم يكن قبلَ بَلِجٍ ولا غيره ينعرض للذرية يساء. فأقبل إلى قُرْطُبَةَ بعَدَدٍ من
النِّسَاءِ كثير، حتى نزل طَرَفَ البُصَّارَةِ من قُرْطُبَةَ، ومعه الأَسْرَى والنِّسَاءُ من

1-1) Manque dans A.

2) رجليه. A.

عُزْبُ الْبَلَدِ وَالْبَزِيرُ، وَهُوَ يَبِيعُ السَّيِّ فِي الْيَدَاءِ، وَيَبْعَثُ وَيَبْعِطِرُ؛ فَكَانَ يَبِيعُ الشُّبُوحَ وَالْأَشْرَافَ مَنْ يَنْقُصُ، لَا مَنْ يَزِيدُ؛ وَكَانَ فِيهِمْ عَلِيُّ بْنُ الْمُحَصِّنِ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؛ فَاجْتَدَا الْمُنَادِي عَلَيْهِمَا بِمِثْرَةِ دَنَانِيرٍ؛ فَلَمْ يَزَلْ يُنَادِي: «مَنْ يَنْقُصُ؟» حَتَّى بَاعَ أَحَدُهُمَا بِمِثْرَةِ^١، وَالْآخَرُ بِكَلْبٍ. فَبَيْنَا هُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْعَبَثِ وَالْبَغْيِ، وَفَدَا أَوْقَفَ رَجُلٌ، وَأَبْرَزَهُ لِلْقَتْلِ، وَذَلِكَ يَوْمَ حُمَّةٍ، إِذْ قَدِمَ أَبُو الْخَطَّارِ؛ فَالْفَافِمْ هَذِهِ الْحَالِ. فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِمْ؛ فَسَقَى ذَلِكَ الْعَسْكَرُ عَسْكَرَ الْعَافِيَةِ. وَكَانَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ طَلَبُوا مِنْ صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةٍ حَفَظَةَ ابْنِ صَنْوَانَ عَامِلًا يَجْمَعُ كَلِمَتَهُمْ، إِذْ كَانَتْ الْكَلِمَةُ مُتَفَرِّقَةً، وَالْقَتْلُ ذَرِبَةً، وَلَا يَأْمَنُونَ تَغْلِبَ الْعَدُوِّ عَلَيْهِمْ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَبِي الْخَطَّارِ هَذَا. وَاجْمَعْ عَلَى أَبِي الْخَطَّارِ أَهْلُ الشَّامِ وَعُزْبُ الْبَلَدِ، وَدَانَتْ لَهُ الْأَنْدَلُسُ. ثُمَّ أَنَّهُ آمَنَ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَطَنَ، وَأَنْزَلَ أَهْلَ الشَّامِ فِي الْكُورِ، وَتَعَصَّبَ لِلْبِغَايَةِ، وَاعْتَزَلَ قَبِيلاً؛ فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ تَوَثُّبِ الصَّمِيلِ بْنِ حَاتِمٍ عَلَيْهِ مَعَ مُضَرَ، بَعْدَ أَنْ وَلَّى سِتِينَ؛ وَقِيلَ:^٢ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ؛ وَقِيلَ: ثَلَاثَ سِنِينَ.

• ذِكْرُ الصَّمِيلِ بْنِ حَاتِمٍ وَسَبَبُ الْفِتْنَةِ

P. ٢٥

قَالَ فِي «كِتَابِ بَهْجَةِ النَّفْسِ»: كَانَ الصَّمِيلُ بْنُ حَاتِمٍ هَذَا جَدُّ شَيْرِ قَارِئِلَ الْحُسَيْنِ - رَضَهُ - وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ؛ فَلَمَّا قَتَلَهُ، تَمَكَّنَ مِنْهُ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عَيْدٍ؛ فَقَتَلَهُ، وَهَدَمَ دَارَهُ؛ فَارْتَحَلَ مَعَ وَلَدِهِ مِنَ الْكُوفَةِ، وَصَارُوا بِالْجَزِيرَةِ؛ ثُمَّ صَارُوا فِي جَنْدِ قَنْسَرِينَ. فَرَأَسَ الصَّمِيلُ بِالْأَنْدَلُسِ، وَفَاقَ بِالْبَعْدَةِ وَالسَّخَاءِ. فَاعْتَمَّ أَبُو الْخَطَّارِ بِهِ؛ فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا، وَعِنْدَهُ الْجَنْدُ؛ فَأَحْبَبَ كَثْرَتَهُ؛ فَأَمَرَ عَلَيْهِ؛ فَشَتِمَ، وَلَكِزَهُ فَمَرَجَ عَنْهُ تَغْضِبًا، وَأَتَى دَارَهُ؛ ثُمَّ بَعَثَ إِلَى خِيَارِ قَوْمِهِ؛ فَشَكَا إِلَيْهِمْ مَا لَفِيَ؛ فَقَالُوا: «نَحْنُ تَبِعٌ لَكَ!» فَقَالَ: «وَاللَّهِ! مَا أَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرِضَكُمْ لِلنُّضَاعَةِ وَلَا لِلْبِغَايَةِ! وَلَا كُنْتُ سَأَلْتُكُمْ، وَأَدْعُو إِلَيْكُمْ^٣ مَرْجِ رَأْيَكُمْ، وَأَدْعُو

١) B. مِثْرَةٍ.

٢) Le و manque dans A.

٣) B. إِلَيْكُمْ.

لغماً وجُدَامًا، ونقدّم رجلاً يكون له الاسم ولنا الخطأ. فكتبوا إلى ثوابة بن سلامة الجذافي من أهل فلسطين؛ ثم وفدوا عليه؛ فأجابهم، وأجابهم لغم وجُدَام. فبلغ ذلك أبا الخطار؛ فغرام؛ فلقبه ثوابة؛ فهذه ثوابة، وأسره. وسار ثوابة حتى دخل قصر قرطبة، وأبو الخطار معه في قيوده. ثم إنه أفلت، كما ذكرنا.

ثم ولي ثوابة ستين. ولما ولي ثوابة سنة ١٢٨، استعاض أبو الخطار البهانية، ودعاهم للنصرة على المضربة؛ فاجتمع له إذ ذاك حلف وعسكر ضخم، وأقبل إلى قرطبة؛ فخرج ثوابة بن سلامة إلى لقائه. فافتدق الناس عن أبي الخطار، P. ٢٦ ونفروا عن تلقائه. وتوفي إثر ذلك ثوابة في السنة المذكورة؛ وكانت ولايته كما ذكرنا. فلما توفي ثوابة، عادت الحرب إلى ما كانت عليه؛ فأرادت البهنة أن تعبد أبا الخطار؛ فأبى ذلك مضر مع الصليل؛ ونشأ كس الفريقان. وأقامت الأندلس أربعة أشهر من غير وال، إلا أنهم قدموا عبد الرحمن بن كثير اللخمي للنظر في الأحكام. وصار أمر الشام وملوكه متغير الحال؛ فقتل يزيد الوليد، وصارت إليه أحوال بني مروان^(١).

ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري الأندلس

لما تفاقم الأمر، وكثر الاختلاف بين أهل الأندلس، تراضوا وانفقوا على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وطى أن يدعوا ليعي بن حرب كورة ربة؛ فتركته له طعمة. وقد كانت قضاة اجتمعوا قبل ذلك، وقدموا على أنفسهم عبد الرحمن بن نعيم الكلابي؛ فجمع مائتي راجل وأربعين فارساً؛ نسيب القصر بقرطبة، وفاتل الأحرار، وهم على الجبن؛ فأخرج أبا الخطار، ومرب به إلى لثة^(٢)؛ فأقام في كلب وقبائل من حنص؛ فاكتفوه ومنعوه، ولم ينجس شيئاً حتى اجتمع الناس على يوسف. فلما استقام له الأمر، غدر يحيى بن

١- لثة B، البلد A. ٢- بقل الوليد بن يزيد وما صارت إليه أحوال بني مروان B (١-٢).

حُرَيْث، وعزل عن كُورة رُبّة؛ فغضب ابن حُرَيْث، وكاتبَ أبا الخطّار حيناً. فقال أبو الخطّار: «أنا الأميرُ المخلوع! فأنا أقوم بالأمر!» وقال ابن حُرَيْث: «بل أنا أقوم به، لأنّ قوياً أكثر من قومتك!» فلما رأت جُذام ما يدعوا به ابن حُرَيْث، قدسوه وأجابوه؛ فأصفت بين الأندلس وحبشها وكنتها على نفديهِ والطوع له، وانحازت مُصرَ ورَبِيعَةَ إلى يوسف بقرطبة حضرة الملك. P. ٢٧
وأقبلَ حتى نزلَ شَنْدَةَ.

وكان الصَّمِيلُ مع يوسف النَهْرِيّ، وهو الذي سأله الناسُ أن ينظر لهم في طلي يلى عليهم، لشغلِ أمير المؤمنين مروان بن محمد بالشرق عنهم وبُعْثِهِ عنهم. فاختار لهم يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة بن عَفْة بن نافع النَهْرِيّ؛ وكان يومئذٍ بالبيّرة؛ فرفضه الناسُ كما ذكرنا. ووقع اختلافٌ بعد ذلك في أمره بين مُصرَ والبَسن؛ فانضوت البَسن إلى أبي الخطّار، من جميع البلاد والأقطار، وزحف بهم إلى يوسف النَهْرِيّ بقرطبة؛ فكَرِهَ يوسف الفتنة، وخاف البغضاء والشحناء. فترد الصَّمِيلُ بن حاتم بالهلات، وشكّ السلاح والآلات؛ وأقبل أبو الخطّار بن معه، ونزل موضعه؛ فالتفت بشَنْدَةَ القَتان، وتصادمت الفرقتان؛ فلا تسع إلا صهيلاً وصليلاً، ولا ترى إلا قتيلاً، حتى تكسرت المِخْطَبَةُ وتفلت البَشْرِيَّة، والتفت الساق بالساق، وانضبت الأعناق إلى الأعناق؛ فلم يُعْهَدَ حربٌ مثلها في المسلمين، بعد حرب الجَمَلِ وصِفِّين، إلى أن انهزمت اليمانية مع أبي الخطّار بعد حين. وهرب أبو الخطّار، وركب ظَهَرَ الفِراق؛ واستتر في رَحَى للصَّمِيلِ هناك؛ فظفر به وقتل إذ ذلك. فرأس الصَّمِيلُ بن حاتم في الناس، وشهر بالنجدة والبأس؛ وصرف يوسف النَهْرِيّ إليه الأمور، وأوقف عليه الرياسة والتدبير. فكان ليوسف الاسم، وللصَّمِيلِ الرّم.

مَقْتَلُ أَبِي الخطّار

ولما أخذ أبو الخطّار، وأرادوا قتله، قال: «لبس على قوت! ولا يكن دونكم

ابن السوداء^١» يريد ابن حريث. فدَلَّ عليه، وقتل جميعاً. وكان ابن حريث يقول: «لو أنَّ دماء أهل الشام سُفِتْ، لَشَرِبْتُهَا فِي قَدَحٍ!» فلما اسْتُخْرِجَ ^{p. ٢٨} من تحت الرِّحَى لِبُقْلٍ، قال له أبو الخَطَّار: «يا ابن السوداء! هل بنى في قَدَحِكَ شَيْءٌ لَمْ تَشْرِبْهُ؟» ثُمَّ قَتَلَا. وَأَتَى بِالْأَسْرَى؛ ففَعَدَ لَمْ الصَّبِيلَ، وضرب أعناقهم جميعاً.

ثُمَّ أَتَعَ اللَّهُ الْأَنْدَلُسَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْوَبَاءِ وَالْمَوْتِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، حَتَّى كَادَ الْخَلْقُ أَنْ يَنْفَرَضَ مِنْهَا.

وَوَلَّى يَوْسُفَ عَنْ ^{(١) رَضَى مِنْ} عَامَّةِ الْيَمْنِ مِنْ مُضَرَ وَبَنِي وَالشَّامِ؛ فَصَفَتْ لَهُ الْأَنْدَلُسَ بَعْدَ يَوْمِ شَقْدَةَ، وَخَلَصَتْ لَهُ الْقُلُوبُ وَالْأَنْفُسُ. وَعَادَ الصَّبِيلُ بْنُ حَارِثٍ قَائِدَهُ الْأَعْلَى، وَقَدَحَهُ السُّعْلَى، يَتَرَبَّعُ مِنْهُ مَا شَاءَ، وَيُدْفَعُ عَنْهُ مَا سَاءَ، إِلَى أَنْ تَمَكَّنَ بِالدَّوْلَةِ، وَفَلَكَ رِقَابَ تِلْكَ الْهَيْمَةِ. فَشَرَّقَ بِهِ يَوْسُفَ وَقَلْبَ، وَخَشَى مِنْ جَانِبِهِ وَأَرِيقَ ^(٢)؛ فَرَأَى أَنَّ يَبْعَثُ مِنْ مَكَلَنِهِ، وَيُولِيهِ بَعْضَ سُلْطَانِهِ؛ فَوَلَّاهُ سَرَقِيسَةَ وَبِلَادَهَا سَنَةَ ١٢٢؛ فَكَانَ فِيهَا إِلَى أَنْ قَامَ عَلَيْهِ فِيهَا الْخُبَابُ بْنُ رَوَاحَةَ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ؛ فَحَاصَرَهُ مُدَّةً مِنْ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ. وَفَعَدَ يَوْسُفَ عَنْ إِغَاثَتِهِ، وَاعْتَذَرَ بِشِدَّةِ الْأَنْدَلُسِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَجَاعَتِهِ، رَغْبَةً فِي تَلَاكِهِ وَهَلَاكِهِ، وَحِرْصاً عَلَى الرَّاحَةِ مِنْ لَاسْتِعْوَاذِهِ وَاسْتِمْلَاكِهِ، إِلَى أَنْ اجْتَمَعَ قَوْمُهُ بِإِلْيَةِ وَجْجَانٍ، وَسَارُوا إِلَى نُصْرَتِهِ، وَتَفَرَّجَ كَرْبُهُ.

وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي قَامَ عَلَى يَوْسُفَ بِسَرَقِيسَةَ قِيمٌ بْنُ مَعْبِدِ الزُّهْرِيِّ وَطَائِرُ الْعَبْدَرِيِّ. فَغَزَاهَا يَوْسُفَ فِي سَنَةِ ١٢٨؛ فَكَانَ عَلَيْهَا، إِلَى أَنْ دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّائِلُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ.

وَفِي سَنَةِ ١٢٠، كَانَتْ وَقْعَةُ شَقْدَةَ، وَاجْتَمَعَ عَلَى يَوْسُفَ. وَكَانَ يَوْمَ وَلايَتِهِ ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً؛ وَمَلِكٌ يَتَمَعُّ سِنِينَ. وَكَانَ قَبْلَ وَلايَتِهِ مُعْتَزِلاً فِي بَادِيَةِ، مِنْ أَهْلِ الدِّيَانَةِ وَالْإِظْهَارِ لِلْخَبَرِ.

1-1) Manque dans A.

2) Manque dans A.

وفي سنة ١٢١، أتمت الأندلس، وعمّ الحمل، وتمادى الى سنة ١٢٦. P. ٣١ وذلك سنة محل سنة غيث. واتصل الحمل الشديد سنة ١٢٠ أو اثنتين؛ ثم سقى الناس سنة ١٢٣، وعادت الى بعض الصلاح.

وفي سنة ١٢٣، ثار أهل جليقية، وترددت الغارات عليها. ثم استحكم الجوع والتعط في سنة أربع وثلاثين سنة خمس وبعض سنة ١٢٦؛ فخرج أكثر الناس الى طنجة وزويلة^١ وريف البحر في العدة؛ وكانت إجازتهم من وادي شدونة، وهو المعروف بوادي برباط^٢ (وهو سيبت السنة^٣).

تسمية من ثار على يوسف بن عبد الرحمن الفهري بالأندلس منهم: عبد الرحمن بن علقمة اللخمي، ثار عليه بأزونة؛ فخاربه، ولم يمكث في حربه إلا سيراً حتى أمكنه الله منه. وثار عليه عروبة بياضة؛ فوجه اليه يوسف من هزمه وقتل أصحابه. وثار عليه تميم بن معبد سنة ١٢٦. وفي سنة ١٢٧، اجتمع تميم بن معبد وطامر بن عمرو بن وهب بسرقة؛ فتولى محاربتها الصميل بن حاتم. وفي سنة ١٢٨، خرج يوسف بنفسه الى تميم بن معبد وطامر ابن عمرو بسرقة؛ فحاصرها؛ ثم ظفر بها وقتلها. وفي هذه السنة، انتفست أيام يوسف بن عبد الرحمن الفهري.

جامع أخبار بني أمية بالمشرق

وذلك أن جميع خلفائهم من لدن معاوية الى آخرهم أربعة عشر رجلاً. وكانت مدة دولتهم، منذ خلص الأمر الى معاوية الى أن قتل مروان بن محمد، أخذت وتسعين سنة، وتسعة أشهر، وخمسة أيام، منها أيام ابن الزبير تسع سنين واثنتان وعشرون يوماً. ثم تفرقت بنو أمية في البلاد هرباً بأنفسهم. وهرب

١) Sic dans A. et B. Peut-être: وآزلة.

2-2) Manque dans B. —

P. ٤٠. عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك إلى * الأندلس؛ فبايعه أهلها،
وتجددت لم بها دولة استمرت إلى بعد الأربع والعشرين والأربعمئة. والناس
يعتقدون أن دولتهم كانت انقطعت من حين قتل مروان إلى أن جددها عبد
الرحمن الداخل سنة ١٢٦ أو نحوها؛ وقيل إنها كانت منصلة، لم تنقطع من
زمن عثمان - رضى - إلى زمن المعتز بالله بقرطبة آخر خلفائهم سنة ٤٢٤.
وهذا القول يبنى على ما قاله بعضهم إن عهد عبد الرحمن بن حبيب صاحب
إفريقية من قبل بنى أمية وصل إلى يوسف بن عبد الرحمن النهرى المتغلب على
الأندلس، الذى دخل عبد الرحمن بن معاوية وهو أميرها. فتأمل هذا؛ فإنه،
إن صح، نكتة غريبة^١، وفائدة عجيبة.

قال أبو محمد بن حزم: وانقطعت دولة بنى مروان بالشرق بمروان بن
محمد الجعفي^٢. وكانت، على علائها، دولة عربية، لم يتخذ ملوكها قاعدة لأنفسهم،
إنما كان سكتى كل أمير^٣ منهم فى داره وضيعته الثانى كأنشأ له قبل المخلافة،
ولا أكثروا احتجان الأموال، ولا بناء القصور، ولا طلبوا مخاطبة الناس لم
بالتمويل والعبودية والملك^٤، ولا تقبيل أرض، ولا يد، ولا رجل؛ إنما كان
غرضهم الطاعة الصعبة والتولية والعزل فى أقاصى بلاد الدنيا؛ فكانوا يعزلون
العمال، ويولون الأخر فى الهند والهند^٥، وفى خراسان، وفى أرمينية، وفى العراق،
وفى اليمن، وفى المغرب الأدنى والأقصى وبلاد الشوس وبلاد الأندلس؛ ويعثوا
لها الجيوش؛ وولوا منها من ارتضى من العمال، وملكو أكثر الدنيا. فلم
يملك أحد من ملوك الدنيا ما ملكوه من الأرض، إلى أن تغلب عليهم بنو
العباس بالشرق، وانقطع بها^٦ ملكهم. فسار منهم عبد الرحمن بن معاوية إلى
الأندلس، وملكها هو وبنوه، وقامت بها دولة بنى أمية نحو الثلاثمئة سنة. فلم
يك فى قول الإسلام أنبل منها، ولا أكثر نصراً * على أهل الشرك، ولا أجمع P. ٤١
لخلال الخبر؛ وبهدها اتهمت الأندلس إلى الآن، وذهب بها الدنيا بدهاها.

1) Manque dans A.

2) Manque dans A.

3) B. امرئ.

4) Manque dans A.

5) B. والصين.

6) Manque dans A. Peut-être: بها؟

قال أبو محمد: وانتقل الأمر بالشرق إلى بني العباس؛ فكانت دولتهم
 أعجبية: سقطت فيها دواوين العرب، وغلب عجم خراسان على الأمر، وعاد
 الأمر ملكاً عضوضاً كسروياً، إلا أنهم لم يعلوا بسبب أحد من الصحابة
 - رضهم - بخلاف ما كانوا عليه بنو أمية من استعمال ذلك في جانب على
 - رضه -، وكفاهم ذلك قبحاً وباطلاً، حاشا عمر بن عبد العزيز - رضه -
 ويزيد بن الوليد؛ فإنهما لم يستجيزوا ذلك. وافتقرت في دولة بني العباس كلمة
 المسلمين؛ فنقلت في البلاد طوائف من الخوارج وشيعو ومعتزلة، ومن ولد
 إدريس وسليمان ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
 - رضهم -؛ ومنهم من بنى أمية تغلبوا على الأندلس، وكثير من غيرهم. وفي
 خلال هذه الأمور من اختلاف الكلمة، تغلب الكفار على نحو نصف الأندلس،
 وعلى نحو نصف السند؛ فأما ما لم يملكه العباسيون، فهو ما وراء الزاب من بلاد
 المغرب وتليسان وأنظارها، فوليا محمد بن سليمان الحسني، وفاس وأنظارها،
 كان فيها شعبة، ثم آل ملكها إلى إدريس؛ وأما تلمسان، ففيها أولاد صالح بن
 طريف على ضلالتهم؛ وأما سجلماسة، فترها رئيس الصفرية. هذه هي البلاد
 المنفقة عليها، وأما المختلف فيها، فإفريقية؛ قبل إنه كان فيها عبد الرحمن بن
 حبيب ثائراً، وفي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن القهري.

P. ٤٢ ذَكَرَ دُخُولَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ بِمُحْرُوبِهِ مِنَ الشَّامِ

قال الرازي^١: وفي سنة ١٢٦، ابتداء عبد الرحمن بن معاوية بدخوله
 مواله من الأمويين بالأندلس. وفي هذه السنة، تفرق ولد معاوية، وولد هشام،
 وكل من فيه بقية من ولد مروان وأميه. فخرج عبد الرحمن بن معاوية مختبياً

١) الرواة ٤.

من موضع الى موضع، وهما الأندلس، لما كان في نفسه من أمرها ومن الأثر
المزوي عنه فيها. فوصل الى مصر؛ ثم سار منها الى برقة؛ فبنى فيها مستعراً
مدة. ثم رحل عنها؛ فأوغل في المغرب. قال بشار مولا: «فأدركته في
الطريق، وجهنتني اليه أم الأصبح أخيه شقيقته بدنانير^١ وشيء من الجواهر
بسنعين بها على النفقة والوصول؛ فوصل الى إفريقية، وصاحبها عبد الرحمن بن
حبيب، ومعه يهودي قد خدم مسئلة بن عبد الملك؛ وسمعه يتحدث بخبر القرشي
الذي يكون من بني أمية يغلب على الأندلس، اسمه عبد الرحمن، ذو صغيرتين^٢؛
فنظر الى عبد الرحمن؛ فوجه بصغيرتين^٣؛ فقال لليهودي: «ونجك! هذا هو
المذكور، وأنا قاتله!» فقال له اليهودي: «إن بك ذلك، لم تقتله!» ثم صار
ابن حبيب يقتل الواصلين إليه من بني أمية، ويأخذ أموالهم. فهرب عبد الرحمن
عن القبروان، ونجا يريد الأندلس، وبُغِل نفسه بها لما كان عنه من الروايات
في علم الحداث من قبل مسئلة بن عبد الملك أخى جده وغيره. فسار حتى
أتى نادلاً من قبائل المغرب؛ فقال له عندهم تضيق وأخبار يطول ذكرها. ثم
هرب من عندهم حتى أتى نفزة، ومم أخواله؛ فإن أمه كانت من سبيهم. قال بدر:
«فجئرت^٤ الى الأندلس، واجمعت بعبيد الله بن عثمان بساحل البيرة، في آخر P. ٤٢
سنة ١٢٦؛ ثم انصرفت في سنة سبع بعدها، وأقيمت عنه مدة؛ ثم كررت منصراً
الى الأندلس في موالى^٥ عبد الرحمن.

حدث عبد الرحمن، قال: «دخلت الأندلس، وأنا أضبط جليئة مسئلة
ابن عبد الملك؛ فإنه أتى جدري هشاماً يوماً؛ فوجدني عنه صيماً؛ فأمر جدري
بتلحيته عنه؛ فقال له مسئلة: «قته يا أمير المؤمنين! فإنه صاحب بني أمية
وسعى دولتهم بعد زوالها!» فلم أزل أعرف لي مزية من جدري بعد.

قال الرازي: وفي سنة ١٢٧، ثار الحشعاب بن رواحة بجبهة سرقسطة؛

بظفرتين B. بظفرتين A. 3) ظفرتين B. ظفرتين A. 2) بدنانير A. 1)

مولاي B. 5) بلاداً A. 4)

وتظاهر معه على ذلك عاير بن عمرو العبدي من بني عبد الدار بن قصق؛
 وكان قد هرب من قرطبة خوفاً من يوسف؛ وكان علم هذا أحد رجال مضر،
 (١) وقد فشل بالأندلس نجدة وشرقا وطأ وأدباً؛ وكان يلي المغازي بالصوائف
 من قبل يوسف الفهري؛ وكان سلطان الفهري يومئذ قد ضعف لأجل الحبل
 المتوالي بالأندلس. وكان الصميل قد لزم الثغر في تلك الأعوام، لأنه كان أشبه
 من غيره في الخصب؛ فلما خاف عاير هذا على نفسه من الفهري والصميل، خرج
 قاراً بنفسه، وقصد المحباب بن راحة، واستجاشه. فأجابهما رجال من اليمانية
 وناس من البربر؛ فعصراً الصميل بسرقطة حصاراً شديداً، حتى يئس من الحياة،
 وهم بالإنهاء به؛ وكتب إلى يوسف بسأله الإمداد؛ فلم يجد في الناس منبهاً.
 فلما أبطأ عليه مدد يوسف، واشتد الحصار، كتب إلى قومه من جند قنسرين
 ويستنق، يعظم عليهم الخطب، ويأشدهم الزحم؛ فقام له بذلك عبيد بن علي
 الكلابي؛ وأكثر كلاب وهوّازن وغطّان والأزد تقدّم رجلاً وتوخر أخرى
 * ولم يكن لهم رأسٌ يجمعهم. فلما نهض عبيد بن علي ومضى داعياً في الجند
 إلى نصر الصميل، تحركت جماعة كلاب ومخارب، إلا كعب بن عاير وعقيل
 وقشير والمخريش^(٢)؛ فإنهم كانوا منافسين لبني كلاب، لأن الرياسة يومئذ
 بالأندلس كانت فيهم؛ وكان يلج قشيراً^(٣) فصمهم.

ولم يجمع من هذه القبائل إلا نحو أربعائة فارس؛ فاستقلوا أنفسهم؛
 صموا، وخفت معهم يومئذ قوم من بني أمية في نحو ثلاثين فارساً؛ وخرج
 معهم أبو عثمان عبيد الله بن عثمان مولا، وخرج أيضاً معهم عبد الله بن
 خالد بن أبان بن أسلم، مولى عثمان بن عثمان - رضى -؛ وكان عبد الله
 وعبيد الله يتوالياً حمل لواء بني أمية بالأندلس بعد، ويتعاقبان في ذلك،
 وكان لهما ولبي أمية في هذا الموضع يومئذ بلا معروف مشهور، وإنما أرادوا
 أن يقدموا بذلك بدءاً عند الصميل، لما كانوا يتآكلون عليه من اطلاله على أن

فصمهم B: فجمعهم A. (٣) و. ش A. et B. (٢) و. و. ش B. (١) - 1

عبد الرحمن بن معاوية؛ وكانا واثقين بالصَّيْل، وأنه، إن لم يُجِئهما، كنتم عليهما؛ وكذلك فعل؛ فإنه كنتم عليهما كثناناً¹ عجباً. فكان هذا² هو الذي³ دعاهم إلى إمداد الصَّيْل واستنفاذه لاعداد البد عليه؛ فخرجوا، ورأسوا على أنفسهم ابن شهاب استلافاً له؛ ومضى الجميع. فلما بلغوا وادي طَلَيْطَلَة، بلغهم أنَّ الحصار اشتدَّ وأضرَّ بالصَّيْل، وأنه على الملكة؛ فقدموا رسولا من قبلكم، وقالوا له: «ادخل في جملة الهارِبين للثور. فإذا قربت منه، أزم بهنَّ الأحجار!» وفي كل واحد منها يَتَان، ومُها [وافر]:

أَلَا أَيْشُرُ بِالسَّلَامَةِ يَا جِدَارُ أَتَاكَ الْفَوْثُ وَانْقَطَعَ الْحِصَارُ
أَتَاكَ بَنَاتُ أَعْرَجٍ مُلْجَمَاتٍ عَلَيْهَا الْأَكْرَمُونَ وَهُمْ يَنْزَارُونَ

ففعل الرسول ذلك. فلما وقعت الحجارة، أُتِيَ بها الصَّيْلُ أو ببعضها؛ ففرقت عليه؛ وكان أَيْمِيًّا. فلما سمع ما فيها، قال: «أَيْشُرُوا يَا قَوْمُ! فقد جاءكم P. ٤٥ الفَوْثُ، وَرَبَّ الكَفَّةِ!» ومضى النومُ يستجيشون³ كلَّ من استجاب لهم، ومعهم الأمويون، وفي حملتهم بَدْرُ رَسُولِ ابْنِ مُعَاوِيَةَ. وكان عبد الرحمن قد بعث إليهم خاتمه ليكتبوا به عنه إلى كلِّ من رجوا نصرته؛ فكتبوا عنه للصَّيْل، يذكرون له آيادي بني⁴ أُمَيَّة عنه، ويعنه، ويسميه. فلما سمع العبدري والعُدْرِيُّ بالسَّدِّ الواصل إليه، ارتفعوا عنه، وانكشف وجه الصَّيْل؛ فخرج، وتلقى القوم، ووصلهم على آمُدَارِهِمْ، وكسَامِ، وقتل معهم باله وحشيه. فلما زال الصَّيْلُ عن سَرَقِطَة، دخلها الحَبَّابُ وَمَلَكُهَا.

ثم أطلع الأمويون الصَّيْلَ على قصَّة ابنِ مُعَاوِيَةَ، وعرضوا عليه بَدْرَ رَسُولِهِ؛ فَأَحْسَنَ إليه وقال لهم: «أَرَوِي فِي أَمْرِهِ». وأقبل قافلاً حتَّى دخل قُرْطُبَة. وانصرف الأمويون إلى منازلهم، وبَدْرُ معهم. وقد كان الصَّيْلُ اتَّفَقَ مع الأمويين على نُصْرَةِ ابْنِ مُعَاوِيَةَ، وأن يزوجه من ابنته. ثم رجع في قوله، وقال:

1) كَثَمًا. 2) مَبَا. 3) يَسْتَجِشُونَ. 4) Manque dans B.

« تاملت الأمر؛ فوجدته صعب المرام؛ فبارك الله لكما في رأيكما ومولاكما! فإن أحب غير السلطان، فله عندى أن يواييه يوسف، ويروجه ويحموه! انطلقا راشدين! » فانتطع رجلاؤهم يومئذ من ربيعة ومضر، ورجعوا إلى البن. قال بشر: فلم نهر يميني إلا دعونا؛ فوجدنا قوما قد غرث صدورهم، يستنون سبلا لطلب ثأرهم؛ ثم رجعنا إلى جئتنا؛ فابتعنا مركبا، ووجهنا فيه أحد عشر رجلا مع بشر. قال: ومضى يوسف حتى أتى طلبطلة، وأمضى بعثين إلى جليقية والبشكنش، وأراد القنول إلى قرطبة؛ فلم يبعد حتى أدركه الرسول بهزيمة الجيش وقتل عات. فبينا هو ينظر في ذلك، إذ أتاه رجل من عند ولده من قرطبة، بعلمه أن فتى من قرش، من ولد هشام بن عبد الملك، نزل بساحل P. ٤٦ المنكب؛ فاجتمع إليه موالى القوم والأموية؛ فانتشر الخبر في العسكر، وشيع به الناس لما فعل بالقرشيين؛ فانتفض الناس من العسكر، وتناقوا بمشاعرهم، وتقدموا إلى كورم. فأصبح يوسف، ولبس في عسكره غير قبس والصيقل؛ فقال للصيقل: « ما الرأي؟ » قال: « بائزة الساعة، قبل أن يستعجل أمره! » فساروا إلى قرطبة؛ فكلما رجوا أن يجمع لهم بين يخرجون لاستئصال شوكة ابن معاوية، لم يتجعه لم عمل.

وفي سنة ١٢٨، دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس في غرة ربيع الأول؛ وهو أبو الملوك. وكان خروجه من المركب موضع يعرف بالمنكب؛ ثم نزل بقرية طرش من كورة البيرة. فأقبل إليه جماعة من الأمويين، وقد أعد للأمير ما يصلحه من المركب والمزل والملبس. فغلظ أمر ابن معاوية، وأقبل الناس من كل مكان إليه. فكتب يوسف الفهرى إلى جماعة الأمويين، يحذرم ويخوفهم؛ فقالوا له: « إنما أقبل ابن معاوية إلينا وإلى جماعة مواليه، يريد المال، ليس فبا بظن الأمير - أصلحه الله! - ولا فبا رفع إليه. » واعتذروا له

بما أمكنهم. وأقبل وجوه الناس الى ابن معاوية، وقالوا له: «خفتنا منك
السَّيْل، ولم نأمن غائلك؛ فعرَّفنا الفهرى بكذا وكذا». وكان ابن معاوية
يبيت في الجبال.

ومضى يوسف بن نُحْتُ الى جُند الأزدن؛ فأخذ بيعة جميعهم؛ ومضى عبد
الله بن خالد الى جُند حصص؛ ومضى نَعَام بن علقمة الى أهل فلسطين؛ وأقبل
الناس من كل مكان. فلما ضاقت الأحوال بالنهرى، ولم يأت من الأجناد إلا
اليسير، أدار له الضَّيْلُ الرأى، وأمره بالمكر باين معاوية والمخادعة له، ورجا
ذلك من لخدائته منه، وقال له: «هو قريب عهد يزول النعمة؛ فهو يغتم ما
تدعو اليه؛ ثم أنت بعد ذلك متحكِّم فيه وفي الذين سَعَوْا له بما يُحب!»
فاجمع رأيه على ثأنته بأن يزوجه ابته، ويسكنه في «أى الجندين شاء، من P. ٤٧
يمشقى أو الأزدن، أو يسكن بينهما، ويصير إليه أمر الكورتين. وبعث اليه
بكسوتين ومطبتين وخمسائة دينار، ووجه اليه كاتبة خالد بن يزيد، وقال له:
«اعرف أمره وأى جُند عنده، وتأمل أخباره وأخبار من معه!» فخرج في الليل
مع أصحابه، وأصبحوا على ابن معاوية بالمال والكسوة والمطبتين. ووجه أيضاً
الى بذرفراً ومائة دينار وكسوة. فقبل ابن معاوية الهدية، وكرة التزويج؛ فتكلم
خالد بكلام غليظ لابن معاوية إذ آوى التزويج؛ فأمر به؛ فضمَّ الى وثاق، ورُدَّ
غيره الى يوسف؛ ولم يرُدَّ عليه جواباً.

وكان يوسف قد كتب الى ابن معاوية كتاباً. ومنه بعض فصول منه:
«أما بعد، فقد انتهى البنا نزلوك بساحل المنكب، وتأبش من تأبش اليك
ونزع نحوك من الشراق وأهل الحتر^١ والفدر ونفص الأيمان المؤكدة، التي
كذبوا الله فيها وكذبونا؛ وبه - جل وعلا! - نستعين عليهم؛ ولقد كانوا معنا
في ذرى كفسر ورقاهية غيش، حتى غصوا^٢ ذلك، واستبدلوا بالأمن خوفاً،
وجنحوا الى النفس؛ والله من ورائهم محيط! فإن كنت تريد المال وسعة الجناب،

فَأَنَا أَوَّلُ لَكَ مِنْ لَجَاءِ إِلَيْهِ! أَكْشَفُكَ، وَأَرْصِلُ رَحِمَكَ، وَأُنْزِلُكَ مَعِي إِنْ أَرَدْتُ وَبِحَيْثُ تَرِيدُ! ثُمَّ لَكَ عَهْدُ اللَّهِ وَبَيْعُهُ فِي الْآلَاءِ غَيْرِ بَيْعِكَ، وَلَا أُمُورٍ مِنْكَ ابْنُ عَمِّي صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةٍ وَلَا غَيْرِهِ!» فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَخَلَّصَنِي تَمَامُ بْنُ عُلْقَمَةَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، لَمَّا آتَاهُ كِتَابُ الْفَهْرِيِّ بِمَا فِيهِ وَبِتَرْجُمَةِ ابْنِهِ، أَشَارَ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ آتَاهُ مِنَ الْعَرَبِ وَالْأُمَوِيِّينَ إِلَّا بِقَبْلِ ذَلِكَ مِنْهُ، إِلَّا أَنْ يَمُوتَ لَهُ عَنِ السُّلْكِ وَيُيَايَعَهُ، وَإِلَّا حَاكَمَهُ إِلَى اللَّهِ؛ وَقَالُوا لَهُ: «إِنَّمَا يَمْكُرُ بِكَ، وَلَا يَفِي لَكَ بِشَيْءٍ»، لِأَنَّ وَزِيرَهُ وَمَالِكَ أَمْرَهُ الصَّبِيْلُ، وَهُوَ غَيْرُ مَأْمُونٍ!»

P. ٤٨. قَالَ: فَلَمَّا انْكَشَفَ «أَمْرُنَا عَنْكَ بِمَا أَظْهَرْنَا مِنَ الْإِبَابَةِ وَمَحْسُ كَاتِبِهِ خَالِدُ ابْنِ يَزِيدَ، رَأَيْنَا أَنْ نَشْهَرُ أَمْرَنَا. فَخَرَجْنَا إِلَى جِدَارِ بْنِ عَمْرٍو وَإِلَى جَنْدِ الْأَزْدِيِّينَ، وَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ؛ فَاتَيْنَاهُ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ جَمَاعَةِ الْأُمَوِيِّينَ، وَسَمِعْنَا أَقْبَلَ إِلَيْهِ مِنْ وَجْهِ الْعَرَبِ. ثُمَّ كَاتَبْنَا أَهْلَ قَنْسَرِينَ وَفَلَسْطِينَ. فَلَمَّا أَقْبَلَتِ الْبَنَاءُ رُسُلُهُمْ بِمَا أَرَدْنَا، تَهَضَّنَا إِلَيْهِمْ؛ وَكُنَّا قَدْ وَطَّنَا عَلَى الْمَوْتِ، وَعَزَمْنَا عَلَى أَنْ نُقْتَلَ دُونَهُ، وَعَقَدْنَا لَهُ لُؤَاءً. وَأَقَمْنَا مَعَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، نَهْمُ لَهُ أُمُورُهُ، وَنُكَاتِبُ لَهُ النَّاسَ. وَكُنَّا خَرَجْنَا إِلَيْهِ فِي زَيْ حَسَنٍ عِنْدَ خُرُوجِنَا إِلَيْهِ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ؛ ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْ الْبَحْرِ إِلَى كُورَةِ رَيْةَ، إِلَى شُؤُونِهِ، إِلَى مَوْزُورٍ، إِلَى كُورَةِ إِشِيلِيَّةَ، وَالنَّاسُ يَتَلَقَوْنَهُ بِالْبُشْرِ وَالْتَرَجُّبِ، وَيُضْطَوْنَهُ مِنَ الْإِنْفَادِ وَالْعَطَاةِ أَوْفَى نَصِيبٍ. قَالَ تَمَامُ: فَدَخَلْنَا رَيْةَ فِي سِتْمِائَةِ فَارِسٍ، وَخَرَجْنَا مِنْهَا فِي أَلْفِي فَارِسٍ؛ وَخَرَجْنَا مِنْ إِشِيلِيَّةَ إِلَى قَرْطَبَةَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ فَارِسٍ. فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ لَنَا الْجَمْعُوعُ، وَبَلَّغْنَا مَا يَرِيدُ الْفَهْرِيُّ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْنَا، كَتَبَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْكَتَائِبَ، وَعَمَّا الْأَجْنَادَ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ؛ وَدَعَا بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ؛ فَعَقَدَ لُؤَاءً؛ وَارْتَحَلَ فِي جُنُودِهِ، حَتَّى احْتَلَّ بِقَرْيَةٍ عَلَى نَهْرِ قَرْطَبَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لَيْسَتْ خَلْقُونَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ.

وَخَرَجَ الْفَهْرِيُّ إِلَى الْمَصَارَةِ. وَأَقَامَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَنَاطِرَيْنِ، وَالنَّهْرُ حَاجِزٌ بَيْنَهُمَا بِحُلَّةٍ؛ ثُمَّ أَصْبَحَ النَّهْرُ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَقَدْ حَسَرَ مِائَةً. فَقَبَضَ الْأَمِيرُ عَبْدُ

الرحمن كئابه، وتهيأ للحرب؛ فنتقم على قبائل العرب أحداً من قواده، وعلى
 البزير كذلك، وهو إبراهيم بن شجرة. وترجل حمأة بنى أمية؛ فحشوا بالأمير،
 والأمير على فرسه مثكباً قوسه؛ فجاوز النهر، واقترب من البصرة؛ فجاوز
 العسكران، وتقارب المضطربان. وأقاما بنية يومها في سكون وهدوء، والرسل
 تختلف من قبل يوسف، يرجو عقد الصلح. فلما أصبح يوم الجمعة، التقى P. ٤٩
 الجمعان، واستعرت الحرب والقتال. فمضى العلاء بن جابر العنيلي إلى الصميل؛
 فقال له: «يا أبا جوشن أنتي الله! فوالله! ما أشية هذا اليوم إلا يوم المرج! وإن
 عاره لباقي علينا إلى اليوم؛ فإن الأمور يهتدي لها بالأقران^١ والأمثال:
 أموي وفهري، وقيس واليمن! وهذا يوم عيد، ويوم جمعة؛ ويوم المرج أيضاً
 يوم جمعة! والأمر، والله! علينا، لا شك في ذلك! فأنق الله، واغنم لنا الأمر
 لتكون فيه أعزاه لا أتباعاً!» وكان العلاء هذا من وجوه قيس. ثم انهزم
 الفهري وأصحابه، واستقبل النصر؛ فاعترض له عبد الأعلى بن عوفجة، وحال
 بينه وبين دخوله، وردّه عنه؛ فولّى مهزماً إلى سفح جبل قرطبة. واستولى الأمير
 عبد الرحمن يومه ذلك على الملك، ونمت له بيعة العامة بقرطبة. ونمادى يوسف
 الفهري في الفرار إلى البيرة.

خلافة عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك

نسبه: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن
 الحكم بن أبي العاص بن أمية. كنيته: أبو الطريف. أمه: بربرية من سبي
 الحرب، تسمى راحاً أو رداحاً. وفي عبد نسي بن عبد مناف يلفي نسبه
 بنسب رسول الله - صلّم - مؤلفه: يوضع يعرف بغير حبة^٢ من دمشق
 سنة ١١٢؛ مات أمين وتركه صغير السن. وتوفي يوم الثلاثاء لسبعمين من
 ربيع الآخر؛ وقبل: لم يخلون من جمادى الأولى سنة ١٧٢؛ ودفن بنصر

١) ب. بالاشياء. ٢) ب. حبة.

قرطبة؛ وقد بلغ تسعاً وخمسين سنة؛ وقبل: بستين سنة. فكانت مدة خلافته ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر ونصفاً؛ ودخل الأندلس وهو ابن خمس وعشرين سنة أو نحوها. بويج له بقرطبة يوم ١٠ الأضحى من سنة ١٢٨.

ووزراؤه أربعة: عبد الله بن عثمان، وعبد الله بن خالد، ويوسف بن بخت، وحسان بن مالك. حجاجه خمسة: تمام بن علقمة، ويوسف بن بخت، وعبد الكريم بن مهران، وعبد الحميد بن ميث، ومنصور فناء. قضائه خمسة: يحيى بن يزيد النخعي، ومعاوية بن صالح، وعبد الرحمن بن طريف، وعمر بن شراحيل، والمضعب بن عمران. وكان له قاضي خامس في صوائفه يسى جذار ابن مسلمة بن عمرو المذحجي. نفث خاتمه: عبد الرحمن بنقضاء الله راض. صفته: طويل القد، أصهب^١، أغور، خفيف العارضين، بوجهه خال، له صفيرتان. وكان يسى، صفر بني أمية. ولده الذكور أحد عشر، والإناث تسع.

وفي سنة ١٢٩، خرج الأمير عبد الرحمن طالباً للفهري والصنبل. فلما اتصل بالفهري فصدّه إليه، لاذّ به، وزال عن إغرناطة؛ فافتنى الأمير عبد الرحمن أثره، حتى إذا أوفى عليه، عاد إلى إغرناطة متعصفاً بها؛ ونزل الأمير عبد الرحمن عليه وحاصره. فلما نادى به المحصار، سأل الفهري الأمان، وأن يعطى ابنه رهناً؛ فأعطاه الأمير الأمان، وقبل منه ذلك، وكذلك للصنبل. وانصرفا في جنبته إلى قرطبة، على أن يسكن الفهري منزله بالمدينة، والصنبل داره بالترضى. واستوسق الأمر للأمير عبد الرحمن، وأمر بلعن السودة وقطع الدعاء لأبي جعفر المنصور. ودخل يوسف الفهري في عسكر الأمير كأحد رجاله؛ فأنزله على ماله، وأطلق له عياله.

وفي هذه السنة، ولد هشام بن عبد الرحمن الملقب بالترضى؛ وذلك لأربع

خلون من شوال.

١) طويل القياص B.

استقر B. 2)

وفي سنة ١٤٠، تودّع الأمير عبد الرحمن قُرطبة؛ فلم تكن له فيها حركة.
ودخل رجالٌ من المشرق ومن بني أمية في هذه السنة؛ فأنزلم الأمير، وأكرمهم،
وأحسن جوائزهم.

وفي سنة ١٤١٠، هرب الفهري من قُرطبة، ناكثاً، نافضاً للأيمن بعد P. ٥١
توكيدها؛ فاجتمع إليه الناس، وبلغ جمعه عشرين ألفاً من البربر وغيرهم. فلما
رأى كثرة ما اجتمع له، تحرك من ماردة، يريد الأمير عبد الرحمن. فلما بلغ
الأمير خبره، برز من القصر، وتقدم إلى المدور. وكانت عبد الملك بن عمر
المرواني عملاً بإشبيلية، وابنه بكورة مؤيد؛ فحشدا من كان قسلكهما من أهل
الكوريتين، وتوافى الحشدان؛ فبرز به. واتصل بالفهري خروج الأمير إلى المدور
وتوافى الحشود على عبد الملك؛ فتوقع الفهري التشكك بين العسكرين؛ فصرف
راياته إلى عبد الملك؛ فالتفيا، ووقعت بينهما حرب شديدة؛ فانهزم يوسف،
وتفرق أصحابه عنه، وأتبعوا بالقتل. واتصل الفتح بعدد الرحمن، وهو بالمدور
منتظراً لتوافي الحشود؛ فأغناه عاجل الفتح؛ وفر الفهري بنفسه مختبئاً.

وفي سنة ١٤٢، كان هلاك يوسف الفهري ومقتله بناحية طليطلة؛ وكان
قد نهض إليها، وتردد بناحيةها شهوراً؛ فأغاله بعض أصحابه، وقتله، واحتز
رأسه، وتقدم به إلى الأمير عبد الرحمن؛ فشكر الله على موته، وأمر بنصب رأسه
على جسر قُرطبة، وأمر بقتل ابنه المرتين، ونصب رأسه مع رأس أبيه. وتوفي
الصمّيل في الحبس؛ وقيل إنه خنق؛ وقيل إن الذي قتل الفهري عبد الله
ابن عمرو الأنصاري، لفته على آميال من طليطلة، بفريق من قُرأها. فلما عرفه،
قال لمن معه: «هذا الفهري! وفي قتله الراحة له ومنه!» فتقدم إليه؛ فقتله،
واحتز رأسه، وتقدم به إلى الأمير. فلما قرب من قُرطبة، وأعلم الأمير بخبره،
أمر أن يتوقف به دون القنطرة، وأمر بقتل ابنه المرتين، وأخرج رأسه إلى
رأس أبيه؛ ووضعاً في قفّارين، وتقدم بها إلى باب القصر.

P. ٥٢ واختلِف في أمر يوسف النهرى؛ فقال بعضهم إنه لم يَنكح بَنِيًّا، وإنما خوفًا؛ فخرج هاربًا؛ فأخرج الأمير الخيل في طلبه؛ فأدركته بَنَصص البلوط؛ ثم أفلت؛ وحشد ولده البربر بالشرق كُلِّه، وأقبل في جمع عظيم يريد قُرطبة؛ فخرج إليه الأمير؛ فالتقوا بمَغَاضة النّج؛ فكان القتال بينهم حتى كاد الأمير عبد الرحمن أن يَهْزِم؛ وقبل إنه انهزم نَعَو المِل؛ فثبت ابنه سليمان في آخر الناس؛ ثم تراجع الأمير حتى انهزم يوسف؛ ومضى في طلبه إلى قَلْعَة رَبَاح.

وقال بعضهم: إن يوسف؛ لما هرب إلى طَلْبُطْلَة، قبض الأمير عبد الرحمن على أبي الأسود ابنه؛ فحبسه. وقام على يوسف مَوَال له؛ فقتلوه؛ وأتوا به إلى الأمير عبد الرحمن؛ فقال لم: «عرفتم من هو؟» قالوا: «نعم! هو يوسف النهرى!» قال: «أنتم لم تحفظوا مَوَالكم؛ فكيف تحفظونني وتنظرون في طاعتى؟» فأمر بضرب أعناقهم؛ وأمر بأبي الأسود إلى السجن؛ وكان السجن يومئذ يخرج الناس منه إلى النهر ليأمنوا من الحاجة مع الموكلين بهم؛ فأدعى وَلَدُ النهرى العى، ونشأ له ذلك؛ فكان يقول: «من يفود الأعى؟ يرحمه الله!» وكان يختاب إليه مولى اسمه مَفْرَج يقضى حوائجه ويلفاه على النهر تحت القنطرة. فلما اطمئن إليه، ولم يُشَبَّكَ خروجه، وشاع عليه العى، قال لمفَرَج مولاه: «أبنيخ لي قَرَسًا أنج عليه!» ففعل وأعدّه له؛ فهرب عليه، ولحق بطَلْبُطْلَة. ففزع الأمير عبد الرحمن ولده يزارًا؛ فكان آخر هزيمته إِيَّاه. بَنَطْلُونَة؛ ومضى إلى رَغَاة، ولم يزل بها حتى مات. فقام القاسم بن يوسف، أخو أبي الأسود؛ فأعقب على زوجته، وتولى ما كان أبو الأسود يتولاه؛ فخرج إليه الأمير؛ فأجابه على أن يرد إليه أمواله؛ ويستوثق منه بالعهود؛ ففعل الأمير ذلك، وانصرف معه إلى قُرطبة.

P. ٥٣ ونار على الأمير عبد الرحمن عبد الغافر البماني بإبيلية، وتغلب على ما جاور قُرطبة؛ فخرج إليه الأمير؛ فحالده عبد الغافر ونهض يريد قُرطبة، وجاء أن يجدها خالية، والإمام عبد الرحمن في النهر يسدُّ خَلَّه، ويحسم عِلَّه؛ فقدم

مسرعا حين وإفاه الخبر، ولم يلب على ما تعذر، وحلّة عبد الغافر على وادى
 قيس^١ قد ملأت السهل والوعر. فدخل الإمام عبد الرحمن البربر؛ وكانوا
 العدد الوافر الأكبر؛ فترع الأكثر منهم إليه، وصاروا في حربه وألقته. ووقعت
 الهزيمة على عبد الغافر، وأخذ من معه في الفرار والنفار؛ فلم يرفع الإمام عنهم
 سيفا، وقتل منهم ثلاثين ألفا. وكانت هزيمة في مدّ الدهر مذكورة، والخبرة التي
 جمعت رؤوسهم بذلك المكان مشهورة. ومن «كتاب بهجة النفس» قال: لما
 كان في الليل، تسرع عبد الغافر إلى ناحية لقيت؛ وأسرع الأمير القتل في
 جلته. ولم يذكر عدداً.

وثار على الأمير عبد الرحمن حيوة بن ملامس، وتغلب على إشبيلية وإسبجة
 وأكثر الغرب، وحشد جموعاً؛ فخرج إليه الأمير، وقائله آيماً؛ حتى هم الأمير
 بالهزيمة. ثم إن حيوة انهزم ومضى إلى ناحية فريش، وكتب راعياً في العنو.

وفي سنة ١٤٦، ثار العلاء بن مغيث الجذاني بباجة، ودعا إلى طاعة أبي
 جعفر المنصور، «ونشر الأعلام السود»^٢؛ فأتبعه الأجناد، وتطلعه العباد، إلى
 أن كادت دولة الأمير أن تنصرم، وخلافته أن تنغرم. فخرج إليه من قرطبة،
 وصار بقرمونة؛ فتحصن بها مع مواله وثقات رجاله؛ فنازله العلاء بن مغيث
 منازلة شديدة، وحاصره بها آيماً عديدة؛ فلما طال الحصار هناك، وتخلخل
 عسكر العلاء لذلك، وعلم عبد الرحمن ما م عليه من الانزعاج، وأنهم قد
 هموا بالإلجام والإسراج، أمر بنار، فأوقنت، ثم أمر بأعمدة سيوف أصحابه،
 فأحرقته؛ وقال لهم: «أخرجوا معي هذه الجموع، خروجاً من لا يجنث نفسه
 بالرجوع!» وكانوا نحو سبعمائة من ذكور الرجال، ومشاهير الأبطال؛ فأخذوا معه
 سيوفهم بأيديهم، وأخرجوا متحصينين إلى أعاديهم. فدارت الحرب بينهم طويلاً،
 إلى أن صنع الله جيلاً؛ وزلزل قوم العلاء وأصحابه، فوآوا منهزمين، وصار أمرهم

١) B. بربر (etc).

٢) Manque dans A.

آية للعالمين؛ وقتل العلاء فبين قتل من أولئك الأقوام، وطيف برأسه في ذلك المقام.

وقيل إن أبا حمير المنصور كان أرسل إلى العلاء بن مغيث بولاية الأندلس. فشر الأعلام السود، وفام بالدعوة العباسية بالأندلس؛ فانحسر إليه الناس. ولما ظهر به الإمام على ما تقدم، أخذ رأسه، وفرغ وحشي ملعاً وصيراً، وجعل معه لواء أبي حمير المنصور، وأدخل في سبط؛ وبعثه مع رجال، وأمرهم أن يضعوا السبط حكمة؛ فوافقوا المنصور بها حاجاً في تلك السنة؛ فجعل السبط عند باب سرادقه. فلما نظر إلى ما فيه، قال: «إنا لله! عرضنا بهذا المسكين للقتل! الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان!» يعني عبد الرحمن. هذا مساق السالبي في «دور الفلاند».

ومن «بهجة النس» قال: وكانت ثورة العلاء بموضع يقال له لقنت من عمل ناجة. فأظهر يحمل المنصور ولواءه، وجمع إلى نفسه من آجابه، ونهض إلى ناجة؛ فأخذها، وتغلب منها على جميع الغرب، وخرج يريد الأمير عبد الرحمن؛ سار حتى انتهى إلى المدور. وكان الأمير يومئذ قد خرج غازياً إلى شرق الأندلس؛ فرجع إذ بلغه أمر العلاء؛ فلما دنا من قرطبة، أمر من كان معه من أهل إشبيلية أن يقرؤا في المدور، إذ كان قد اتهمهم لتميل أهل إشبيلية إلى العلاء؛ ثم نهض، وكتب سرّاً إلى بدر مولاة - يأمره بقتلهم، كان الظفر له أو عليه. ومضى العلاء؛ فالتقى معه. فكانت بينهما حروب وزحوف. ثم قتل P. ٥٥ العلاء بمقربة من قرمونة، وفضت جموعه. وقتل من أصحابه نحو ستة آلاف. وأمر الأمير بجزر رأس العلاء ورووس أشراف أصحابه؛ وفرطت فيها صكوك بأسمائهم، وجعلت في أوعية؛ وندب الأمير بها فوماً توجهوا بها إلى القبروان؛ فطرحوها في الليل في الأسواق. فسمع الناس أمرها، واتصل الأمر بأبي جعفر؛ فانكسرت جدته. «وقيل إن الذي هزم العلاء بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية، وأمه أعلم».

وفي سنة ١٤٧، وجه الأمير عبد الرحمن بندراً مولاه وتسام بن علقمة في جيش كثيف إلى طَلَبُطَّة، وبها هشام بن عروة^١ (٢) ثائر؛ فحاصراه^٣ حتى سئم أهل طَلَبُطَّة الحصار؛ فكانوا يذبحون وتساماً، وسألوها الأمان على أن يسلموا لها ابن عروة^٤، وهشام^٥ بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وحيوة ابن الوليد؛ وكانوا يذبحون واحدة. فأسلموا اليها، وخرج بهم تسام إلى قُرْبَة؛ فلقبه عاصم بن مسلم؛ فقبض منه الأسرى، وعهد إليه عن الأمير أن يكر إلى طَلَبُطَّة والبا عليها، ويقتل بندراً إلى قُرْبَة. وأقبل عاصم بالأسرى؛ فلما احتل بقرية حلزة، خرج إليه ابن الطفيل، معه حجام ورجاب صوف وسلال؛ فخلق رؤوسهم ويخام، وألبسهم جباب الصوف، وأدخلهم في السلال، وحملهم على الحمر؛ فأتى بهم على تلك الحال إلى خشب قد أعدت لهم؛ فصلوا فيها. وكُتِب إلى البلدان بفتح طَلَبُطَّة.

وفي سنة ١٤٩، سار سعد اليعصبي المعروف بالبطري بكورة لبنة؛ واجتمعت اليمانية إليه، ولادوا بمقوينة. ثم سار إلى إشبيلية، وتغلب عليها قسراً، ولم يجد أهلها في مدافعة نصراً. فكثرت عذبه، وتأزر عضده؛ وعاد عسكره مهولاً، قد أخذ وعوراً وسهولاً. فسار إليه الأمير عبد الرحمن في جيوش عظيمة المدد، مجهولة العدد، حتى نزل عليه بقلعة زعوق؛ وكان البطري قد تحصن بها، ولاد بجانيها؛ فحصره فيها حصراً، وأرفقه من أمره عسراً، حتى خرج منهزماً^{P. ٥٦} للحرب في جماعة من فرسانه الأكابر، ومن اخضه من أولئك البرابر؛ فلم تنشب الحرب بينهم إلا قليلاً، وقتل البطري ومن معه تنبيلاً. وجيء برأسه إلى الأمير عبد الرحمن؛ فأمر للعين برفعه^١ في طرف رستان.

وفيها، قتل الأمير عبد الرحمن أبا الصباح بن يحيى اليعصبي. وكان قد ولّاه إشبيلية، ثم عزله عنها؛ فجمع إليه أهل الخلاف ونار عليه؛ فوجه إليه الأمير مولاه تساماً سلاطناً له؛ فقتلهم معه قُرْبَة في أربعائة رجل على غير عهد؛

١) مرفوع في الوقت. ٢) وعثمان. ٣) Manque dans A. ٤) غزوة. ٥) A.

فأوصله تَمام إليه فعاثبه فَاغْلَظَ له أَبُو الصَّاحِ في أَجْوَابٍ فَاغْمَرَتْهُ ؛ ثُمَّ
أَمَرَ بِإِخْرَاجِ رَأْسِهِ وَالْهَيْفِ عَلَيْهِ .

وفي سنة ١٥٠ ، هاجت فِتْنَةُ الْبَزْرِ بِشَتِّ بَرِيَّةٍ .
وفيها ، غَزَا بَذْرُ إِلَى الثَّغْرِ ، وَتَنَسَّمَ إِلَى أَلْسِنَةِ فُجَارِهَا ؛ فَأَذْعَتْ لَهُ ، وَأَدَّتْ
إِلَيْهِ الْحِزْبَةَ . وَأَمَرَ بِامْتِصَاعِ الرِّجَالِ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَاجْتِمَاعِ بَصَائِرِهِمْ ؛ فَاسْتَنْدَمَ مِنْهُمْ
مَنْ أَطْلَعَ لَهُ عَلَى سُوءِ سَرِيرَتِهِ وَشُغْهِ فِي الثَّغْرِ .

وفي سنة ١٥٢ ، ثَارَ رَجُلٌ مِنَ الْبَزْرِ ، ادَّعَى أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ
- رَضِيَ - ؛ وَكَانَ أَصْلُهُ مِنْ بَيْتَانَةِ الْعُدُوَّةِ ؛ وَكَانَتْ أُمُّهُ تُسَمَّى فَاطِمَةَ ؛ فَأَدَّعَى
أَنَّهُ فَاطِمِيٌّ ؛ ^(١) وَتَجَمَّعَ لَهُ الْغَوْثَاءُ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ مِنْ قُرْطُبَةَ ، وَخَلَّفَ بِهَا ابْنَهُ
هَنَامًا ؛ فَتَنَعَّمَ الْحِجَالُ أَمَامَهُ بَيْنَ كَانٍ مَعَهُ ، وَانْصَرَفَ الْأَمِيرُ إِلَى قُرْطُبَةَ . فَأَقْبَلَ
الْفَاطِمِيُّ ، وَقَتَلَ عَامِلَ شَتِّ بَرِيَّةٍ ؛ وَغَلَّظَ أَمْرَهُ . فَكَانَ الْأَمِيرُ يَرْسِلُ إِلَى قَتَالِهِ
بَعْضَ الْغِيَاثِيِّ ؛ فَيَتَعَلَّقُ بِالْحِجَالِ الشَّوَاهِقِ .

وفي سنة ١٥٤ ، خَرَجَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِيُغْزِيَ الدَّاعِيَ الْفَاطِمِيَّ ؛ فَهَرَبَ
وَرَكِبَ الْوَعْرَةَ فَأَصْرَكَ الْأَمِيرُ . فَرَجَعَ الْفَاطِمِيُّ فِي فُجْرَاءِ بَذْرٍ بِالصَّائِفَةِ ؛ فَوَجَدَ
بِجَهَةِ شُطْرَانٍ ؛ فَأَتْبَعَهُ رَجَاءُ أَنْ يَدْرِكَهُ . فَدَخَلَ الْمَقَاوِزَ ، وَانْقَطَعَ أَثَرُهُ . وَمَضَى
هَذَا الْفَاطِمِيُّ إِلَى مَدْلَيْنَ ؛ وَكَانَ عَامِلُهُ أَبُو زَعْبِلٍ الصَّدُوقِيُّ . فَسَادَتْ فِتْنَتُهُ مِنْ
سنة ١٥٠ إلى سنة ١٦٠ ، إِلَى أَنْ اغْتَالَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ؛ فَقَتَلَهُ ، وَعَقَرَهُ هُنَاكَ وَجَدَّ لَهُ .

وفي سنة ١٥٥ ، تَهَيَّأَ الْإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِقُرْطُبَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِهَا حَرَكَةٌ .

وفي سنة ١٥٥ ، خَرَجَ الْإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ قُرْطُبَةَ ؛ فَحَلَّ بِشَتِّ بَرِيَّةٍ . وَقَدِمَ
عَلَيْهِ مَلَائِكٌ مِنْ أَسَاءِ الْمَدِينَةِ ؛ فَكَتَبَ لَهُ عَهْدًا عَلَى فَوْمِهِ ، وَأَثَرَهُ عَلَى مَوْضِعِهِ ؛

(١-١) Manque dans A.

وكان راس البربر في شرق الأندلس. وقله أمر الفاطمي المتقديم الذكر فكان في ذلك الراحة منه، وتفرقت بعله ذلك كله البربر، وانحلت عنه الفاطمي، وانصرف من شنت برية الى الجوف.

وفي سنة ١٥٦، ثار على الأمير عبد الرحمن عبد الغافر البعشي، وخلع طاعته. وكان الأمير بناحية الشرق، فكتب اليه بدر من قرطبة، فطوى المراحل اليه، ثم تقدم الى إشبيلية، فوضع السيف فيه وفي أصحابه، فقتلوا قتلاً ذريعاً. وأفلت عبد الغافر، فركب البحر، ونجا الى المشرق.

وفي سنة ١٥٧، خرج الأمير عبد الرحمن الى ناحية الغرب، وأحسب بإشبيلية، وقتل بها خلقاً كثيراً ممن كان بسيل عبد الغافر، وقطع آثارهم، ووطد الطاعة. ثم انصرف مضجلاً، لأنه إنما قصد امتناع أهل إشبيلية وتمحيصهم. (١) وقيل: كان ذلك سنة ١٥٨.

وفي سنة ١٥٩، غزا الإمام عبد الرحمن نورية، وفصد في طريقه ذلك البربر الذين غدروا بأبي زعل ومكوه من الفاطمي، فقتله، فدوخ بلد البربر، وقتل منهم خلقاً كثيراً وأذلهم. وأخذت أبا مزكانة الصمودي، وهو عباس ابن قلعوش.

وفي سنة ١٦٠، أخرجت الصائفة الى الفاطمي، وكان في أحواز شنت برية، فمعرض بالحبل، وقطعت عادته.

وفي سنة ١٦١، وقيل سنة ١٦٢، دخل الى الأندلس عبد الرحمن بن حبيب النهرني المعروف بالصفتي، فقتل كورة تدمير، فاستقر بها، ولم تبد منه في تلك السنة عادة، وإنما لقب بالصفتي لأنه كان طويلاً، أشقر، أزرق، أضر.

1-1) Manque dans B.

2) Manque dans A.

وفيها، حمل نهر قُرطبة حملاً عظيماً، حتى سَدَّ حَتَابَا الفنطرة وهدم بعضها
وَزَلَّزَلَهَا؛ وبقي كذلك يومين^١.

وفي سنة ١٦٢، ثار عبد الرحمن بن حبيب النيفري، المتقيد الذكر في
السنة قبل هذه، في ناحية تَنْمِير؛ فغزاه الأمير عبد الرحمن؛ وهرب ابن حبيب
وتعلّق بالوعر؛ فجال الصكر في كورة تَنْمِير؛ وعظّم للملك كورة بَنَسِيَّة؛ بعد
أن أحرق المراكب بساحل البحر. ثمَّ إِنَّ شُكْرًا الرَّزْزَاقَ قَتَلَ بَابَن حبيب
الصِّقْلِيَّ وقُتِلَ.

وفيها، ثار ابن شجرة سَوْرُور؛ فخرج إليه بئر يوم الأضحى؛ فألقاه على
غُرَّة، فقتله، وكتب إلى الإمام بالقص. وقيل: بل كَانَ ذَلِكَ فِي سنة ١٦٢.

وفي سنة ١٦٤، غزا الإمام عبد الرحمن الرُّمَاحِيَّ بن عبد العزيز؛
وكان على شُرْط مرطون بن مُحَمَّد؛ قُتِلَ بِالأَنْدَلُس؛ فولاه الإمام الجزيرة؛
فخلع طاعته؛ فخرج إليه طاحِلٌ بالجزيرة؛ فوجد الرُّمَاحِيَّ فِي الْحَمْل؛ فلم يشعر
إِلَّا وَخِلَ الإمام نجوس الديار؛ فَأَعْجَلَ الرُّمَاحِيَّ عن لبس ثيابه، وخرج في
ملبنة مُصْبَغَةٍ؛ فدخل في قارب، ونجا إلى العُدوة. ووجد الأمير عبد الرحمن
في حبه جماعة من الأُمَوِيَّين؛ فَأَمْسَكَهُمْ.

وفي سنة ١٦٥، ثار على الأمير عبد الرحمن الحسين بن يحيى بن سَعْد بن
عُبَادَةَ الْأَنْصَارِيَّ بِسَرَقُطَّة؛ فسار إليه بالجواهر؛ والعسكر الثمير؛ فحاصره
بِسَرَقُطَّة حصاراً، وقَدَّم لِقَائِهِ أَهْرَاباً وَأَنْصَاراً، إلى أن خرج طائفاً إليه،
منزاعياً عليه؛ فقبل إنابته، ولم يُعْزِمِ إجابته. فلما عَا عَا، وَأَغْضَى عَمَّا كَانَ
P. ٥١ منه، أَبْقَاه بِسَرَقُطَّة وَالْيَا. وقيل الأمير إلى قُرطبة سبي اللوا، * فامر الأعداء.
ثمَّ إِنَّ الْحُسَيْنَ خَفَر الْقِيَمَةَ، وكثر النعمة، وأعلن بالنفاق إعلاناً، وأرسل في

الشقاق عاناً؛ فسار اليه الإمام أيضاً، ونازله نزالاً، وأذاق سرقسطة نكالا، الى ان فتحها بنقب سورها فتحاً شبيهاً، وقتل الحسين وأصحابه قتلاً ذريعاً. وولى عليهم علي بن حمزة، وقتل الى قرطبة طاهر العزة.

ومن «كتاب بَهجة النفس» قال: وفي سنة ١٦٧، غزا الإمام سرقسطة الى حسين بن يحيى؛ فحاصره حتى أخذ المدينة عنوة، وقتل حباً بالدمغة وجماعة معه؛ وأخرج أهل المدينة عنها الى قرية على ثلاثة أميال لبني لزيته فيهم؛ ثم صرفهم اليها بعد أيام، وقتل الى قرطبة.

وفي سنة ١٦٨، أراد السُفيرة بن الوليد بن معاوية القيام على الإمام؛ وكان وطنه يومئذ بالرصافة؛ فانكشف له يومئذ أمره من قبل بعض من تعاهد معه؛ فأحضرهم بين يديه، وأقرؤا؛ فأمر بقتلهم، واستبقى الناصح لم. ونحوّل الإمام عبد الرحمن يومئذ من الرصافة الى قصر قرطبة.

وفي سنة ١٦٩، ثار على الأمير عبد الرحمن محمد بن يوسف الفهري،^(١) الذي كان قد تعامى وهرب^(٢)؛ وكان قد تحرك من طلبطلة وجهة الشرق بالحشود. وبلغ الإمام خبره؛ فأمر بجشد الكور، والتقى معه في مخاضة الفتح؛ فكان بينهم زحفٌ وقتالٌ أياماً؛ ثم انهزم محمد المذكور^(٣)؛ فقتل رجاله، وأبقى عدده. «وكانت هذه الواقعة يوم الأربعاء. مستهل ربيع الأول من السنة^(٤). قال الرازي: قُتل فيها أربعة آلاف رجل، سوى من تردى في الوادي، وهلك في المهادي. وهرب محمد بن يوسف هذا الى قورية.

وفي سنة ١٧٠، خرج الأمير عبد الرحمن الى محمد بن يوسف الفهري، حتى بلغ قورية. فنزأ أمامه، وأدركت الخيل عياله وأصحاباً له؛ فقتل من أدرك،

1-1) Manque dans A.

2) A. ajoute ici: ويغال له الأعلى

3-3) Manque dans B.

وأحرقت دوره. وانقطع محمد بن يوسف وحدة، وانعاش الى غياض. وأوسع
 الأمير بربر نفزة^١؛ فأذلهم، وأذهب عاداتهم. ثم مات محمد بن يوسف
 (بقرية زكّانة من عمل طليطلة).

وفي سنة ١٧١، قام قاسم بن عبد الرحمن النهرى، عم محمد بن يوسف
 أخو يوسف النهرى^٢، وخلع الطاعة؛ فلما تحرك أمره، وجه اليه الأمير عبد
 الرحمن المجبوش؛ فأذن له بالطاعة.

وفي سنة ١٧٠ المقتمة، أمر الأمير عبد الرحمن بتأسيس المسجد الجامع
 بحضرة قرطبة؛ وكانت موضعه^٣ كيسة؛ فأُنق في مائة ألف بالوازنة.

وفي سنة ١٧٢، مات الإمام عبد الرحمن بن معاوية - رحمه الله! -
 وذلك يوم الثلاثاء لست بقين من ربيع الآخر من السنة المذكورة.

ذكر بعض أخباره على الجُملة

كان الإمام عبد الرحمن فصيحاً، بليغاً، حسن التوقيع، جيد النصول.
 مطبوع الشعر. من أملاه على كتابه الى سليمان بن الأعرابي: «أما بعد، فدعني
 من معارض المعاذير، والتعصب عن جاذب الطريق لتستدنى بدا الى الطاعة،
 والاعتصام بحبل الجماعة، أو لألحق^٤ تساهيها على رصف المعصية تكالاً بما قدمت
 بذلك! وما الله بظلام للعبيد»^٥.

وكتب عنه أمة بن زيد كتاباً الى بعض عماله، يستنصره بما فرط من
 عمله؛ فأكثر وأطال الكتاب. فلما لحظه عبد الرحمن بن معاوية، أمر بنقله.
 وكتب بخطه: «أما بعد، فإن يكن التفتير لك مقدماً، فعلى الاكتفاء
 أن يكون لك مؤخرًا. وقد علمت بما تقدمت؛ فاعتد على أنها أحييت^٦»

1-1) Leçon de B., plus précise que celle de A.

2) Manque dans A.

3) Corr., p. 191 (d'après Makkari, II, p. 27): لأزوين.

4) Corr. XLI, 46.

5) Voir Corr., p. 281-284.

وثار عليه نائز في ففزاء وظفر به . فينا هو في الطريق ، إذ نظر الى النائز ، وهو على بغل في كبوله ، ونحت الأمير عبد الرحمن قرين له ؛ فلما لحقه ، قطع رأسه بالقناة^١ ، وقال : « يا بغل ! ما ذا تحمل من الشقاق والفتاق ! » فقال النائز : « يا قرين ! ما ذا تحمل من العفو والإسفاق ! » فقال : « والله ! لا ذقت موتاً على يدي ! » فأطلقه .

ومن شعره البديع الرائق ، ما كتب به الى بعض من طرأ عليه من قرين^٢ ؛ وكان قد استغل جراته^٣ ، واستطال بفراجه ، وسأله الزيادة له والتوسعة ؛ فكتب اليه بهذه الأبيات [بسيط] :

يَبَاتُ مَنْ قَامَ قَا امْتَعَاظٍ	يَسْتَفْضِي الشَّرِيفَاتِ نَصْلًا
فَجَابَ قَفْرًا وَشَقَّ بَعْرًا	مُسَامِيًا لِحَبَّةٍ وَمَخْلًا
فَبَزَّ ^٤ مُلْكًا وَشَادَ عِزًّا	وَنَائِرًا لِلْخَطَابِ فَضْلًا
وَجَنَدَ الْجَنَدِ حِينَ أَوْدَى	وَمَصَّرَ الْمِصْرَ حِينَ أَجْلًا
ثُمَّ دَنَا أَهْلَهُ جَمِيعًا	حَيْثُ اتَّقَوْا أَنْ مَلَمَ أَهْلًا
فَجَاءَ هَذَا طَرِيدَ جُوعٍ	شَرِيدَ سَيْفٍ أُيْدَ نَصْلًا
فَنَالَ أُنْسًا وَنَالَ شَبَعًا	وَنَالَ مَلَأَ وَحَارَ أَهْلًا

وذكر أن أبا جعفر المنصور قال يوماً لبعض جلسائه : « أخبروني : من صقر قرين من الملوك ؟ » قالوا : « ذاك أمير المؤمنين الذي راض الملوك ، وسكن الزلازل ، وأباد الأعداء ، وحسم الأدواء ! » قال : « ما فلتتم شيئاً ! » قالوا : « فمعاوية ؟ » قال : « لا ! » قالوا : « فعبد الملك بن مروان ؟ » قال : « ما فلتتم شيئاً ! » قالوا : « يا أمير المؤمنين ! من هو ؟ » قال : « صقر قرين عبد الرحمن بن معاوية ، الذي عبر البحر ، وقطع النفر ، ودخل بلاداً أغعياً ، منفرداً بنفسه ؛ فصّر الأمصار ، وجند الأجناد ، ودون الدواوين ، وأقام ملكاً عظيماً

1) Corr. : بالعباءة (d'après le *Yak*, II, p. 358).

2) A. et B. جزايعه .

3) A. et B. فشد .

بعد انقطاعه، «بحسن تدبيره، وشدة شكفته. إن معاوية نهض بتركب حملة عليه عمر وعثمان، ودلّاه صعبه، وعبد الملك بيعة أثيرم غنّدها، وأمير المؤمنين بطلب عثرته، واجتماع شعبته. وعبد الرحمن ١) مفرد بنفسه، مؤيد برأيه، منصحب لعزيمه، وطّد الخلافة بالأندلس، وافتتح الثغور، وقتل المارقين، وأذلّ الجبابرة الثائرين!» فقال الجميع: «صدقت، والله، يا أمير المؤمنين!» وكان الإمام عبد الرحمن من أهل العلم، وعلى سيرة جميلة من العدل. ومن قوله ٢) - رحمه الله - يتذكر وطنه ٣) [خفيف]:

أبها الراكب السّيم أرضي أفرا تفضّ السلام عني ليعضي
إنّ جسني كما تراء بأرضي وقوايدي وسالكبي بأرضي
قدّر الينّ ينسأ فافترقنا وطوى الينّ عن جفوني غمضي
قدّ قضي الله باليعاد علينا فعي بافتراينا ٤) سوف يفضي

وله من الشعر كثير مشهور. وذكر الرازي أنّ الإمام عبد الرحمن، أول نزوله ببيعة الرضافة واتخاذها، نظر فيها إلى نخلة، فهاجت شجّة، وتذكر وطنه، فقال على البشيرة [طويل]:

سَدَتْ لَنَا وَطْأَ الرُّضَافَةِ نَخْلَةٌ تَنَامُ بِأَرْضِ الْغَرْبِ عَن بَلَدِ النُّخْلِ
فَقُلْتُ شَيْهٍ فِي الثَّغْرِ وَالنَّوَى وَطُولِ النَّامَى عَن بَنِي وَعَن أَهْلِي
نَسَاتِ بِأَرْضِ أَنَسٍ فِيهَا غَرِيبَةٌ فَيُفْلِكُ فِي الْإِفْصَاءِ وَالْمَتَايِ يَفْلِي
سَفَاكَ غَوَايِي الْمُرَيْنِ مِنْ صَوْبِهَا الَّذِي بَسَحَ وَيَسْتَقْمِرِي السَّيَاكِينِ بِالْوَسْلِ

وكان - رحمه الله! - قد عقد العهد لابنه هشام وسلمان. فولى هشام هشام، على ما أذكره.

1-1) Ce passage est donné en fin de phrase par B, qui renverse l'ordre de la proposition.

2-2) Manque dans A. 3) B. باجتماعها.

خِلافة هِشَام الرِّضَى بن عبد الرَّحْمَنِ الدَّاحِل

كُنْيَتُهُ: أَبُو الْوَلِيد. مَوْلَدُهُ: سنة ١٤٦. أُمُّهُ نُسَيَّ جَمَال. تَقَشَّ خَاتَمُهُ: «بِإِذْنِ اللَّهِ يَتَّقِي عَدُوَّهُ هِشَامُ وَبِهِ يَفْتَضِلُّ». صَاحِبُ شُرْطَتِهِ: عبد الغافِر بن أَبِي عَدَّة. وَزَرَائِفُهُ: ثَمَانِيَّة. كُتُبُهُ: اثْنَانِ: فُطَيْسُ بن عَيْسَى، وَخَطَّابُ بن زَيْد. قَاضِيهِ: الصُّعْبُ بن عِمْرَانَ. صِيتُهُ: أَيْبُضُ شُرْبُ بَحْمَرَةٍ، بِعَيْنِهِ جَوْلٌ. حَاجِبُهُ: عبد P. ٦٢ الرِّحْمَنُ بن مُغِيث. بَنُوهُ: الذَّكُورُ سِتَّةٌ، وَالْإِنَاثُ خَمْسٌ.

يُوبِغُ يَوْمَ الْأَحَدِ مَسْهَلُ جُمَادَى الْأُولَى مِنَ السَّنَةِ. وَكَانَ عِنْدَهُ^١ مَوْتُ أَبِيهِ بِمَدِينَةِ مَارِدَةٍ؛ فَوَافَاهُ الْخَبَرُ؛ فَطَرَّقَ، وَوَصَلَ قُرْطُبَةَ بَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ. فَبَايَعَهُ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ. وَكَانَ أَخُوهُ بَطْلِبُطْلَةَ^٢؛ «وَكَانَ أَكْبَرَ سِنًا مِنْهُ»؛ فَلَمَّا اتَّصَلَ بِهِ خَيْرَ أَبِيهِ، حَشَدَ الْمُحْشُودَ، وَجُنْدَ الْمُجُنُودَ، يَرِيدُ قُرْطُبَةَ، مُخَالَفًا لِأَخِيهِ. فَلَمَّا حَصَلَ بِجَبَّانَ، خَرَجَ إِلَيْهِ هِشَامُ فِي أَجْنَادِهِ، وَالتَفَى مَعَهُ بِجَهَةِ يُلُجٍّ؛ فَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ؛ فَانْتَهَمَ سُلَيْمَانُ، وَأَسْلَمَ عَسَاكِرُهُ، وَفَرَّ عَلَى وَجْهِهِ. وَقَتَلَ هِشَامُ إِلَى قُرْطُبَةَ ظَافِرًا فِي أَجْنَادِهِ.

وَتَوَفَّى هِشَامُ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لثَلَاثَ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ١٨٠؛ فَكَانَ عُمُرُهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ أَيَّامٍ؛ فَكَانَتْ مَدَّةُ دَوْلَتِهِ وَخِلَافَتِهِ سَبْعَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَّةِ أَيَّامٍ.

وَقِيلَ إِنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن مُعَاوِيَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ! - سَلِمًا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وَابْنُ هِشَامٍ بِمَارِدَةٍ، وَابْنُ الْآخِرِ سُلَيْمَانُ بَطْلِبُطْلَةَ، وَكُلُّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَلَسِيِّ، وَقَالَ لَهُ: «مَنْ سَبَقَ إِلَيْكَ مِنْ أَخَوَيْكَ، فَأَتَمَّرَ إِلَيْهِ بِالْخَتَمِ وَالْأَمْرِ! فَإِنْ سَبَقَ إِلَيْكَ هِشَامُ، فَلَهُ فَضْلُ دِينِهِ وَعَقَابِهِ وَاجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِ؛ وَإِنْ سَبَقَ إِلَيْكَ سُلَيْمَانُ، فَلَهُ فَضْلُ يَتِّهِ وَتَجَلَّتِيهِ وَحُبُّ الشَّامِيِّينَ إِلَيْهِ!» فَتَنِمَ هِشَامُ مِنْ مَارِدَةٍ قَبْلَ سُلَيْمَانَ؛ فَتَرَلَّ بِالرِّصَافَةِ، وَخَافَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَخِيهِ، إِذْ صَارَ

1) A. et B. بعد: قبل B. a en marge la correction 2-2) Manque dans A.

تَمَكَّنَا مِنْ قَرْطَبَةَ وَالْقَصْرِ وَالْأَمْوَالِ، أَنْ يَدْفَعَهُ. فَمُخِرَجَ إِلَيْهِ أَخُوهُ عَبْدِ اللَّهِ،
وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْخَتَامَ، كَمَا أَوْصَاهُ أَبِيهِ، وَأَدْخَلَهُ الْقَصْرَ.
قَالَ الرَّازِيُّ: وَلَمَّا حَارَ الْأَمْرَ إِلَى هِشَامٍ، وَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِسُلَيْبَانَ أَخِيهِ، أَخَذَ
بِئْسَ أَهْلَ طَلَبُطْلَةَ وَمَا جَاوَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَغَلَبَ عَلَيْهَا. وَشَفْلَةَ أَمْرَ أَخِيهِ هِشَامٍ.
لَمَّا رَسَعَ بِنَ الْحَسَنِ الْأَنْصَارِيُّ بِيَاغَتٍ مِنْ إِقْلِيمِ طَرْطُوشَةَ، وَاقْبَلَ إِلَى
سَرَقُطْلَةَ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا وَالِهَا، وَضَرَبَ بَيْنَ النَّاسِ، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ وَإِلَى النَّتَنِ؛ P. ٦١
فَأَرْسَلَهَا مُصَرِّقَةً وَسَمَانِيَةً. وَحَدَّدَ مُوسَى بْنُ قُرُونٍ إِلَى سَرَقُطْلَةَ، فَأَخَذَهَا؛ وَكَانَ
عَلَى دَهْوِ الْقُصْرَةِ، فَالْتَقَى مَعَ الْهَمِيِّينَ. وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ؛ فَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً،
وَدَخَلَ سَرَقُطْلَةَ، ثُمَّ قَدَّمَ مَطْرُوحَ بَنِ سُلَيْبَانَ بِنِ الْأَغْرَابِيِّ عَلَى دَعْوَةِ أَبِيهِ مِنْ
بَرْشَلُونَةَ؛ فَغَلَبَ عَلَى وَشْلَةَ وَسَرَقُطْلَةَ وَالنَّفَرِ كُلِّهِ.

وَفِي سَنَةِ ١٧٢، طَلَعَتْ نَفْسُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَلَنْسِيِّ أَخِي هِشَامٍ إِلَى الْإِمَارَةِ؛
وَقَدْ كَانَتْ فِيهَا أَوَّلًا، وَلَمْ يَرْضَ مِنْهُ إِلَّا بِشَارَكَ، وَذَلِكَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ
وَفَاةِ وَالِدِهِمَا. وَكَانَ هِشَامُ يَبْرُهُ، وَيَرْضَاهُ، وَيَقْبَلُهُ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْ إِخْوَتِهِ؛ فَلَمْ
يَقْنَعْ ذَلِكَ، وَخَرَجَ يَرِيدُ أَخَاهُ سُلَيْبَانَ بِطَلَبُطْلَةَ. فَلَمَّا بَلَغَ الْأَمْرَ إِلَى هِشَامٍ،
أَسْنَقَ مِنْ ذَلِكَ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ مِنْ بَرْصِيْدٍ وَيَرْثُوهُ؛ فَلَمْ يَقْبَلْهُ. وَمَضَى حَتَّى قَدَّمَ
طَلَبُطْلَةَ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، خَرَجَ هِشَامُ إِلَى أَخِيهِ سُلَيْبَانَ بِطَلَبُطْلَةَ. فَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ، خَرَجَ
سُلَيْبَانُ مُسْتَعْنِيًا، وَخَلَّفَ أَخَاهُ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَهُ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ، وَنَهَضَ يَرِيدُ انْتِهَارِ
الْفَرَسَةِ؛ فَطَوَى الْمَرَاحِلَ، حَتَّى أَحْتَلَّ بِشَفْلَةَ. فَمُخِرَجَ أَهْلَ قَرْطَبَةَ مُدَافِعِينَ لَهُ.
وَبَلَغَ هِشَامًا خَبْرَهُ؛ فَلَمْ يَكْتَرِثْ لَذَلِكَ. وَوَجَّهَ ابْنَهُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَنْفُو أَمْرَهُ؛ فَلَمَّا
قَرَّبَ مِنْهُ، وَلَّى سُلَيْبَانُ مَهْزَمًا، وَفُطِعَ إِلَى غِيْزِ وَجْهِهِ حَتَّى خَرَجَ مُنْقَسِبًا إِلَى نَاحِيَةِ
مَارِقَةٍ؛ وَكَانَتْ عَامِلِيهَا حُدَيْرُ الْمَعْرُوفِ بِالْمَذْبُوحِ؛ فَمُخِرَجَ إِلَيْهِ؛ فَهَزَمَهُ. وَغَمَادَى
الْأَمِيرِ هِشَامَ فِي حِصَارِ طَلَبُطْلَةَ شَهْرَيْنِ وَأَيَّامًا؛ ثُمَّ قَتَلَ عَنْهَا.

وفي سنة ١٧٤، انصرف عبد الله البلنسي إلى أخيه هشام بلا عهد ولا أمان؛ فانزله الإمام هشام عند ابنه الحكم.

وفيها، أغرى هشام ابنه معاوية إلى تدمير، وقائداه شهيد بن عيسى وتمام ابن علقمة؛ فدخلا تدمير (وهي مرسية)، وبلغوا البحر. وكان سليمان * (يعني P. ٦٥) أخا هشام) قد حصل في بعض ثغور تدمير؛ فطلب سليمان الأمان؛ فاشتراط عليه الأمير هشام الخروج عن الأندلس، ويُعطيه ثخين ألف دينار؛ فركب سليمان البحر بأهله وولده، واحتل بلاد البربر. فكفاه الله أمر إخوته.

وفي سنة ١٧٥، أغرى هشام بن عبد الرحمن عبيد الله إلى سرقطة، وبها يومئذ مطروح المذكور؛ فحاصرها عبيد الله؛ ثم احتل بمدينة طرسونة، وألح عليها بالمحاصرة، حتى ضاق ذرع أهل سرقطة، وضجوا من نواحي الحصار؛ فخرج مطروح في بعض الأيام منصيداً، ومعه عمرو بن يوسف وابن صلتان؛ فلما أرسل باريه على طائر ونزل على الصيد، تفاوڑا بسبوقهما حتى قتلاه، واحترا رأسه، وتقدما به إلى ابن عثمان، وهو بطرسونة؛ فتحرك إلى سرقطة؛ فلم يمتنع عليه أحد من أهلها؛ ودخل المدينة؛ فقتلها، وبعث برأس مطروح إلى الأمير هشام.

وفي سنة ١٧٦، أغرى الإمام هشام أبا عثمان عبيد الله بن عثمان إلى آلة والفلاح؛ فلقى بها أعداء الله بجمعهم متوافين؛ فهزمهم الله على يديه، وقتلوا في السهل والوعر؛ وانتهى ما حذر من رؤوسهم إلى تسعة آلاف رأس ونيف.

وفي هذه السنة، غزا يوسف بن بُخت إلى جليقية؛ فالتقى برمود الكبير، وواضع الحرب؛ فانهزم عدو الله، وانتهب المسلمون عسكره، وقتل فيهم مقتلة عظيمة، وحز من رؤوسهم عشرة آلاف، سوى من لم يتمكن منه ممن

قُتِلَ فِي الْوَعْرِ. وَأَمَّا هَذَا النَّتِجُ فَرُطَبَةُ ١١ بعد فتح أبي عثمان. ذكر ذلك الرازي وغيره.

وفي سنة ١٧٧، أغزى الإمام هشام عبد الملك بن عبد الواحد بن مُبَيْث بالصائفة إلى أرض الرُّوم، وهي غزوة شهيرة الخبر، جليّة الخطر، انتهى فيها إلى إفرنجة، فحاصرها، وتلّم بالمجانيق أسوارها، وأشرف على بلاد الجُوس؛ وصال ١٦٦ في بلاد العدو، وبقي شهوراً يحرق القرى ويحرب الحصون. وأوقع بمدينة أربونة؛ وكان فتعاً عظيماً، بلغ فيه خمس السبي إلى خمسة وأربعين ألفاً من الذهب العين.

وفي سنة ١٧٨، هاجت الفتنة بتأكرتنا، وخالف بربرها، وغاروا على الناس، وقتلوا وسبوا. فبعث الإمام هشام إليهم الأجناد بعد الإعدار إليهم. فقتل أكثرهم، وفرّ سائرهم إلى طليعة وترجيلة. وأقامت تأكرتنا، وهي إقليم رنة، وبلادها خالية فقرأ سبع سنين.

وفي سنة ١٧٩. أغزى الإمام هشام بن عبد الرحمن عبد الكرم بن مُبَيْث بالصائفة، حتى انتهى إلى مدينة أسترقة داخل جليقية. فبلغه أن إذقوش قد حشد بلاده، واستند بالشكش وأهل تلك النواحي التي تليه من الجُوس وغيرهم، وأنه عسكرهم ما بين حيز جليقية والصخرة، وأنه أذن لسكان السهل بالتنق في شواطئ جبال السواحل. فقتل عبد الكرم قرع بن كيانة في أربعة آلاف فارس؛ ثم رحل في إثره؛ فالتى أعداء الله؛ فوضعهم الحرب حتى هزمهم الله؛ فقتل حماهم، وأسر جماعة منهم؛ ثم أمر بعد انحلال الحرب بقتلهم، وبث الخيل في القرى؛ فالتفت جميع ما ألقته من زروعهم، وغربت ما مرت عليه من عمارتهم. وتقدم بعد ذلك إلى واد يقال له كونة ١٢؛ فلقى به قنطاره

١) Manque dans A.

2) Sic in A. et B.; mais voir Corr., p. 30.

وهو في ثلاثة آلاف فارس قتاله حتى انهزم عسكره، وأخذ غنمهم^١ أسيراً، وقتل من أصحابه عدد كبير. وأصاب العسكر جميع ما في تلك الناحية. وتقدم مستنجراً^٢ لإذفوثش؛ فلما بلغه قصده اليه، تنحى عن الجبل الذي كان فيه منعازاً عنه إلى حصن له، كان قد بناء وأمنه على وادي تكون؛ فتقرب منه عبد الكريم مقتنياً لأثره، لا يرمي بطل فبايته وبينه إلا حرفه، ولا مال إلا أصابه،^{P. ٦٧} حتى أطل على الحصن. فانتقل منه إلى حصن ملكه. واحتل عبد الكريم بالحصن الذي انتقل منه؛ فالتقى فيه الأطمعة وضروب الذخر، وبعث في اليوم الثاني من حلوله به قرَج بن كَيَّانَة، في عشرة آلاف فارس، يفتو أثره؛ فلما قرب منه، انهزم عنه وأسلم جميع عُدته وذخره؛ فغنم المسلمون جميع ذلك.

وفي سنة ١٨٠، توفى الإمام هشام بن عبد الرحمن - رحمه الله عليه - ودُفن بقصر قرطبة؛ وصلى عليه ابنه الحكم؛ وذلك ليلة الخميس، كما تقدم ذكره. وبايع الناس ابنه الحكم؛ وكان ابنه عبد الملك أسن منه.

ذَكَرَ بَعْضُ أَخْبَارِهِ عَلَى الْجَمَلَةِ^٣

كان - رحمه الله! - بسط البنان، فصيح اللسان^٤، وسبع الجَنَاب، حاكماً بالسَّنة والكتاب؛ قبض الزَّكَّوات من طَرَفِهَا، ووضعها في حَقِّهَا؛ لم يأخذ في الله لومًا، ولا تعلق به ظلم. ارتفع أخوه عن مبايعته، وامتنع عن طاعته، واستبد بطُلَيْطَلَة استبداداً، واستنفر للخلاف والنفاق أجناداً؛ فما زال يشتغل بالنفسة بالآ، ويُنْبِيقُ الناسَ وبالأ؛ قد عظمت عليه به الهنة، وعُدِمَتْ منه الهدنة، حتى مات الأمير هشام، وحكمت بخلافة ابنه الحكم الأحكام؛ فحارية في تلك الافطار، إلى أن اختطفت الآنة والشفار؛ فأمن بعد ذلك الجَنَاب، ولم يكن في ذلك التَّأْرِيع هالك مُجَانِب.

١) A. et B. غنمهم.

٢) مستنجراً.

٣) A. ajoute سنة.

٤) بسط اللسان، فصيح الجنان. A. 4-4.

وهو في ثلاثة آلاف فارس قتاله حتى انهزم عسكره، وأخذ غنمهم^١ أسيراً، وقتل من أصحابه عدد كبير. وأصاب العسكر جميع ما في تلك الناحية. وتقدم مستنجراً^٢ لإذفوثش؛ فلما بلغه قصده اليه، تنحى عن الجبل الذي كان فيه منعازاً عنه إلى حصن له، كان قد بناء وأمنه على وادي تكون؛ فتقرب منه عبد الكريم مقتنياً لأثره، لا يرمي بطل فيها بينه وبينه إلا حرفه، ولا يمال إلا أصابه،^٣ حتى أطل على الحصن. فانتقل منه إلى حصن ملكه. واحتل عبد الكريم بالحصن الذي انتقل منه؛ فالتقى فيه الأطمعة وضروب الذخر، وبعث في اليوم الثاني من حلوله به قرَج بن كَيَّانَة، في عشرة آلاف فارس، يفتو أثره؛ فلما قرب منه، انهزم عنه وأسلم جميع عُدته وذخره؛ فغنم المسلمون جميع ذلك.

وفي سنة ١٨٠، توفى الإمام هشام بن عبد الرحمن - رحمه الله عليه - ودُفن بقصر قرطبة؛ وصلى عليه ابنه الحكم؛ وذلك ليلة الخميس، كما تقدم ذكره. وبايع الناس ابنه الحكم؛ وكان ابنه عبد الملك أسن من.

ذَكَرَ بَعْضُ أَخْبَارِهِ عَلَى الْجَمَلَةِ^٤

كان - رحمه الله! - بسط البنان، فصيح اللسان^٥، وسبع الجباب، حاكماً بالسنة والكتاب؛ قبض الزكوات من طرفها، ووضعها في حقها؛ لم يأخذ في الله لوم، ولا تعلق به ظلم. ارتفع أخوه عن مبايعته، وامتنع عن طاعته، واستبد بطليطلة استبداداً، واستنفر للخلاف والنفاق أجناداً؛ فما زال يشتغل بالنسبة بالآ، ويُنقِى الناس وبالأ؛ قد عظمت عليه به الهنة، وعُدِمَت منه الهدنة، حتى مات الأمير هشام، وحكمت بخلافة ابنه الحكم الأحكام؛ فحارية في تلك الافطار، إلى أن اختطفت الآنة والشفار؛ فأمن بعد ذلك الجباب، ولم يكن في ذلك التاربع هنالك مجانب.

١) A. et B. غنمهم.

٢) مستنجراً.

٣) A. ajoute سنة.

٤) بسط اللسان، فصيح الجبان. A. (4-4)

وكان هشام يبعث إلى الكُور قوماً عدولاً يسألون الناس عن سير العمال،
ثم ينصرفون إليه بما عندهم؛ فيفتح نظره بهدم ما تكلفه الهبة له منهم. واعترض
له يوماً منظمٌ من أحد عماله؛ فبدر إلى الشاكي¹ من رجال العايل من ترخاه
شقةً منه على العايل. فبعث إلى الشاكي² وقال له: «أخيفت على كل ما ظلمك
فيه؛ فإن كان صرّك، فاضربه؛ أو هلك لك شيئاً، فأخذك بشيء؛ أو أخذ
P. 61 لك مالا، فخذ من ماله مثله، إلا أن يكون أصاب منك حداً من حدود الله!»
فجعل الرجل لا يحلف على شيء إلا أقيد منه. فكان رجلاً عاكفاً لعماله. أفضح
فيهم من النكال والأدب، وكان كريماً، عادلاً، فاضلاً، متواضعاً، عاقلاً، لم تعرف
منه فتنة في حديثه، ولا زلة في أيام صباه. ومن كرمه أنه كان يصبر أموالاً
في ضرور، ويخرج بها بين المغرب والعشاء يتنقذ المسجد؛ فإذا وجد واحداً
يصلي في مسجد أو لا يصلي، وضع بين يديه صرة، حتى كثرت عمارة المساجد³
وكان - رحمه الله! - قد نظر في بيان قنطرة قرطبة، وأنتق في إصلاحها
أموالاً عظيمة. وتولى بناءها بنفسه، وتعلّى الأجرة بين يديه. قال ابن وفّاح:
«لما بنى هشام القنطرة، تكلم بعض الناس فيه، وقالوا: «إنها باها لتصيده
وترفته!» فحلف حين بلغه ذلك ألا يجوز عليها إلا لغزير أو مصحة.
قال القاضي أبو معاوية: أدركت صدراً من الناس يحكون أن أيام هشام
هذا كانت من الدعة والعافية والهدوء بحيث لم يعلم لما يفتل. وكان يحضر
الجنائز، ويذايح فيها، كأنه أحد من الناس، متواضعاً. وكان لبعض رجال هشام
خصومة في دار عند القاضي مصعب بن عمران؛ فسجل عليه القاضي فيها وأخرجه
منها؛ فنهض الرجل إلى هشام، وقال له: «إن القاضي سجل علي في داري التي
كنت أسكنها، وأخرجني عنها!» فقال له هشام: «وما ذا تريد مني؟ والله
لو سجل علي القاضي في منعدى هذا، لخرجت عنه!» انتياداً منه للعق -
رحمة الله عليه!

1-1) Omission par tautologie dans A.

2-2) Manque dans A.

قِصَّةُ الْكِنَانِيِّ مَعَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ

كان قبل خلافته يتعمد في عِلْبَةٍ مُطْلَعة على النهر، ينظر منها إلى الرِّبَضِ،
وتَقَعُ عَيْنُهُ على من يخطر. فنظر يوماً في الهَاجِرَةَ إلى رجل من بني كِنانة؛ وكان
من صنائعهم، مقيلاً من ياديتيه بجيآن؛ وكان أخوه سليمان والياً عليها؛ فدعا فتى
له وقال له: «أرى الكِنَانِيَّ صَبِيحَةً مَقِيلًا في هذه الظَّهِيرَةِ، وما أَحْسَبُ» ذلك
إِلَّا لَخَطْبِ أَقْلِهِ من أَبِي أَيُّوبَ أَخِي. فإذا وصاك، فأَذِخْهُ عَلَى كَمَا هُوَ. «ف فعل
الفتى ما أمرو. وكانت مع هِشَامِ جَارِيَةٌ لَهُ. فلما دنا الْكِنَانِيُّ، رفع سِتْرًا كان 71
أمامه؛ قد دخلت الحِجَارِيَّةُ خَلْفَهُ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ، بعد أن سَلَّمَ عَلَيْهِ: «يَا كِنَانِي، لَا
أَحْسَبُكَ إِلَّا قَدْ دَعَيْتُكَ أَمْرًا!» فقال له الْكِنَانِيُّ: «قتل رجلٌ من بني كِنانة
رجلاً خَطَاءً؛ فحولت الدِّيَّةَ على العاقلة؛ فأخذت بنو كِنانة عَامَةً، ورحلت على
من بينهم خَاصَّةً، لما عرف أبو أَيُّوبَ مكانِي منك. فعذتُ بك من ظلامي!»
فقال له: «يَا كِنَانِي! لِيَنْتَرِجْ رَوْعُكَ وَلِيَسْكُنْ جَأْشُكَ لَا جَرَمَ قَدْ نَحَلْتُ هِشَامَ
عَنكَ وعن قومك جميع الدِّيَّةِ!» ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى خَلْفِ السِتْرِ؛ فَأَخْرَجَ عَقْدًا كَانَ
على الحِجَارِيَّةِ، ثَمَّة ثَلَاثَةُ آلَافِ دِينَارٍ؛ فقال له: «خُذْ هَذَا الْعَقْدَ؛ فَأَدِّ مِنْ ثَمَّة
عَنكَ وعن قومك، وتوسَّع في الباقي!» فقال الْكِنَانِيُّ: «يَا سَيِّدِي! إِنَّهُ لَمْ
يَكُنْ مُسْتَجِدًّا وَلَا ضَاقَ لِي مَالٌ عَنْ أَدَاءِ مَا حَقَّقْتُهُ؛ وَلَا كُنْتُ أَمِينًا مُسْتَجِيرًا
بِكَ لَمَّا أُصِيبْتُ بِالْعَدْوَانِ وَالظُّلْمِ؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَظْهَرَ عَلَيَّ مِنْ عِزِّ نَصْرِكَ!» قال
له: «فَأَوْجِهْ نَصْرَكَ!» قال له: «أَنْ يَكُنَّ الْأَمِيرُ - أَصْلَحَهُ اللَّهُ! - إِلَى أَبِي
أَيُّوبَ فِي إِيْلَامِكَ عَنْ أَخَذِي بِمَا لَمْ يَجِبْ عَلَيَّ، وَأَنْ يَحْدِثَ لِي مَحَلٌّ عَامَةً أَهْلِي!»
فقال له هِشَامُ: «خُذْ الْعَقْدَ لِأَهْلِكَ وَلِنَفْسِكَ، إِلَى أَنْ يَسِّرَ اللَّهُ فَيَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ
من أَمْرِكَ!» ثُمَّ أَمَرَ هِشَامُ بِإِسْرَاجِ دَابَّتِهِ مِنْ فُورِهِ، وَرَكِبَ إِلَى أَبِيهِ الْأَمِيرِ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ. فلما مثل بين يَدَيْهِ، قال له: «رجلٌ من بني كِنانة، هو لي صَبِيحَةٌ،

عذا عليه أبو أيوب حَيَّان في دِينِهِ حَيَلَّتْ عَلَى الْعَارِفَةِ! قال الأمير: «فما نَحِبُ
في أمر؟» قال: «الْكُتْبُ إِلَيْهِ بِالْكُفِّ عَنْهُ، وَأَنْ لَا يُوْخَذَ بِغَيْرِ مَا لَزِمَهُ!»
فقال الأمير: «أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ! يُودَى الدِّينُ عَنْهُ وَعَنْ قَوْمِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ،
إِذَا هُوَ مَلَكَ هَذِهِ الْمِرْلَةَ، وَإِذَا أُنْتُ لَهُ بِهَذِهِ الْعِصَاةِ!» فَأَكْثَرَ هِشَامُ الشُّكْرَ لَوَالِدِهِ؛
ثُمَّ أَمَرَ الْإِمَامَ بِإِدَاءِ الدِّينِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، وَبِالْكُتْبِ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ بِتَرْكِ التَّعْرُضِ
لِلْكُفَّانِ. وَلَا حَالُ يُودَعُ * الْكُفَّانِ هِشَامَ، قَالَ لَهُ: «يَا سَيِّدِي، إِنِّي قَدْ بَلَغْتُ
مَوْزِنَ الْأَمْنَةِ، وَجَاوَرْتُ أَقْصَى غَايَةِ الْعِزِّ وَالنَّصْرَةِ! وَهَذَا الْعَقْدُ النَّبِيسُ قَدْ أَغْنَى
اللهُ عَنْهُ!» فَقَالَ لَهُ هِشَامُ «يَا كُفَّانِي، إِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّ شَيْءٍ قَدْ خَرَجَ عَنْكَ.
هَذِهِ مُبَارَكَاؤُكَ فِيهِ!»

وهشام هذا هو الذي أكمل سفائف المسجد الجامع بفَرْطُنة، ورفع مَنَارَتَهُ
الْقُدَيْسِيَّةَ، وَبَنَى الْمِبْيَاضَةَ الْحَبِيبَةَ، وَعَقَدَ مِنَ الْحَجَرِ مَا كَانَ يَتَلَمَّ بِالسَّيْلِ - رَحِمَهُ اللهُ!

خِلَافَةُ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

كَتَبَهُ! أَبُو الْعَارِضِ. أُمُّهُ: زُخْرَفٌ. مَوْلِدُهُ: سَنَةُ ١٥٤. بَوِيعَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ
بِلِقَاءِ يَوْمِ الْخَمِيسِ لِسَهَابٍ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ١٨٠، وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَعَشْرِينَ
سَنَةً؛ فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سِتًّا وَعَشْرِينَ سَنَةً، وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا. كُتِبَتْ لَهُ: ثَلَاثَةٌ: قُطَيْسٌ،
وَحَطَّابٌ بْنُ زَيْدٍ، وَحَبَّاجُ الْعُقَيْلِيِّ؛ حَارِجُهُ: عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ
مُعَيْتٍ؛ وَزُرَّاقٌ وَقُوَادَةُ: خَمْسَةٌ: إِسْحَاقُ بْنُ الْمُشْتَفِرِّ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللهِ،
وَعَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَذْكُورِ، وَقُطَيْسُ بْنُ سُلَيْمَانَ، وَسَعْدُ بْنُ حَسَّانٍ.
قُضَاءُهُ: مُصْعَبُ بْنُ عِمْرَانَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ، وَالْفَرَجُ بْنُ كِنَانَةَ، وَيَشْرُ بْنُ
قَطْنٍ، وَعَبِيدُ اللهِ بْنُ مُوسَى، وَمُحَمَّدُ بْنُ تَلِيدٍ، وَحَامِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَجْنَى. نَفْسُ
خَاتَمِهِ: «بِاللهِ يَتَّقُ الْحَكَمُ وَبِهِ يَعْتَصِمُ! صِفَتُهُ: آدَمٌ، شَدِيدُ الْأَنَمَةِ، طَوِيلٌ، أَثَمٌ،
غَضَبٌ، لَمْ يَخْضَبْ. بَنُو الذُّكُورِ: تِسْعَةٌ عَشَرَ، وَالنِّسَاءُ: أَحَدِي وَعَشْرُونَ. تُوُفِّيَ
لِأَرْبَعِ بَقِيَّتَيْنِ لِذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ٢٠٦؛ فَكَانَ عُمرُهُ اثْنَانِ وَخَمْسُونَ سَنَةً.

ولما بلغ موت هشام الرضّى الى سليمان وعبد الله ابني عبد الرحمن بن معاوية، وما بالعُدوة، تقدّم عبد الله فجاز البحر الى ريف الأندلس.
ولما بوسع الحكم بالخلافة، واستوفى له الأمر، وجه عبد الكريم بن عبد الواحد غازياً الى دار الحرب، في جيش عظيم؛ فاحتلّ عبد الكريم بالشعر؛ P. ٧١
وتوافت عليه الجيوش. ثم تقدّم، فاحتلّ على شاطئ البحر، وقسم الجيش على ثلاثة أقسام، وقدم على كل قسم رئيساً، وأمر كل واحد منهم بأن يغير على الناحية التي قصدتها وجهة البها؛ فمضوا، وأغاروا، واستباحوا، وانصرفوا غائبين ظافرين. ثم عادوا ثانية الى الإغارة، وجاوزوا خلجاً كانت قد تحصر؛ وكان أهل تلك النواحي قد تعزّزوا بها، ونقلوا اليها العيال والماشية والأموال؛ فأغاروا عليها، واحتلوا على جميع ما وجدوا فيها، وانصرفوا سالمين غائبين.

وفي سنة ١٨١، نار على الأمير المحكم بهلول بن مزروق المعروف بأبي الحجاج في ناحية الشعر، ودخل سرقطة، وملكها. وحلّ به عبد الله بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية؛ وكانت وجهته الى إفرنجة.
وفيها، نار عيّدة بن حبيد بطليطلة؛ فنصب المحكم عمرو بن يوسف لحربه من طليطلة؛ فكان يتردد لحربهم؛ ثم إن عمرو بن يوسف كان رجلاً من أهل طليطلة، واستلطنهم حتى مالوا اليه؛ فدعاهم الى القيام على عيّدة، والفتك به؛ ووعدهم على ذلك بمئة جيلة من الأمير؛ فبدروا اليه، وقتلوه، وتوجّهوا برأسه الى عمرو بن قانز لم عند نفسه بطليطلة. فلما علم بهم بعض بربر طليطلة، وكانت بينهم يمام، دخلوا عليهم تلك الليلة الدار؛ فقتلوه. فبعث عمرو بن قانز عيّدة وبنو عمرو المذكورين، وهم بنو محشي الى المحكم بقرطبة، وكتب اليه يخبرهم. ثم إن عمرو بن قانز جعل في استعجاب أهل طليطلة بمكاتبتهم، حتى أدخلوه المدينة. فلما تمكن منها، بنى القصر على باب جسرهما؛ فأحكمه، وأثنى أمره؛ ثم سعى في قتل رجال طليطلة، وقطع شرم، وحسن دأبهم، وتوطيداً للملكة. فأعدّ للكب

P. ٧٢ صَيْعاً، أَظْهَرَ أَنَّهُ يَذْبَحُ فِيهِ النَّارَ، وَأَمْرٌ أَنْ يَكُونَ * دُخُولُ النَّاسِ عَلَى بَابٍ،
وَخُرُوجُهُمْ عَلَى بَابٍ. فَكَانَ كُلُّ مَنْ دَخَلَ وَتَجَاوَزَ الْبَابَ قُتِلَ، حَتَّى أَتَى مِنْ
أَشْرَافِهِمْ سَبْعَانَةَ.

وَفِي سَنَةِ ١٨٢، كَانَ السَّبِيلُ الْعَظِيمُ بِقَرْطَبَةَ، ذَعَبَ بَرَبِصُ الْقَنْطَرَةِ؛ وَلَمْ
يَبْقَ فِيهِ دَارٌ إِلَّا مَدْمَاهُ، حَاتِي غُرْفَةً عَوْنُ الْعِطَارِ. وَبَلَغَ السَّبِيلُ شَفْتَةً.
وَفِيهَا، دَخَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْأَنْدَلُسِيِّ مِنَ الْعُدُوِّ،
وَتَقَدَّمَ مُتَعَرِّضاً لِحَرْبِ الْحَكَمِ، فِي شَوَالٍ مِنْهَا؛ فَانْهَزَمَ سُلَيْمَانُ، بَعْدَمَا دَارَتْ
بَيْنَهُمَا حَرْبٌ شَدِيدَةٌ. وَفِيهَا، عَادَ سُلَيْمَانُ ثَانِياً لِلْفِتَالِ؛ وَالتَفَى مَعَ الْحَكَمِ أَيْضاً
بِبَنْجِيظَةٍ^(١)؛ فَانْهَزَمَ سُلَيْمَانُ.

وَفِي سَنَةِ ١٨٣، خَرَجَ سُلَيْمَانُ، وَمَعَهُ بَرَابِرُ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، إِلَى نَاحِيَةِ إِيْسَجَةَ^(٢)؛
فَغَزَاهُ الْحَكَمُ، وَالتَفَى بِمَقَرَّةٍ مِنْ إِيْسَجَةَ؛ فَدَارَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ شَدِيدَةٌ أَيَّاماً. ثُمَّ
انْهَزَمَ سُلَيْمَانُ بْنُ كَانَ مَعَهُ. ثُمَّ التَفَى أَيْضاً فِي هَذَا الْعَامِ؛ فَانْهَزَمَ سُلَيْمَانُ.

وَفِي سَنَةِ ١٨٤، حَشَدَ أَبُو أَيُّوبَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنَ الشَّرْقِ؛
فَاحْتَلَّ بَحْيَانَ، ثُمَّ بِالْبَيْرَةِ؛ فَاتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْكُورَتِيِّينَ، وَالتَفَى مَعَهُ الْحَكَمُ؛ فَدَامَ
الْفِتَالُ بَيْنَهُمْ أَيَّاماً، حَتَّى هَمَّ الْحَكَمُ بِالْبَيْرَةِ. ثُمَّ انْهَزَمَ سُلَيْمَانُ، وَأَقْلَتْ. وَقُتِلَ فِي
الْمَعْرَكَةِ بَشَرٌ كَثِيرٌ. وَبَعَثَ الْحَكَمُ أَضْعَفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي طَلَبِهِ؛ فَلَحِقَهُ بِجَهَةِ مَارِدَةٍ،
وَأَخَذَهُ أَسِيرًا، وَأَتَى بِهِ إِلَى الْحَكَمِ؛ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى قَرْطَبَةَ.
وَفِي سَنَةِ ١٨٦، أَخْرَجَ الْحَكَمُ إِلَى عِيَةِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَلَنَسِيِّ أَمَاناً؛ وَهُوَ أَوَّلُ
خُرُوجِ كَانَ إِلَيْهِ، وَأَوَّلُ مَكَانٍ كَانَتْ بَيْنَ الْحَكَمِ وَبَيْنَهُ بَعْدَ حُلُولِهِ بِسَلَنَسِيَّةٍ.

وَفِي سَنَةِ ١٨٧، انْعَقَدَ أَمَانُ عَبْدِ اللَّهِ الْيَلَنَسِيِّ وَصُلْحُهُ بِإِجْرَاءِ الْأَرْزَاقِ عَلَيْهِ،
وَذَلِكَ أَلْفَ دِينَارٍ لِكُلِّ شَهْرٍ، وَإِجْرَاءِ الْمَعَارِفِ، وَذَلِكَ أَلْفَ دِينَارٍ لِكُلِّ عَامٍ.

(١) Oribographie et vocalisation fournie par B.-A.: بَنْجِيظَةٍ (?).

(٢) إِيْسَجَةُ.

وخرج اليه بهذا الأمان يحيى بن يحيى وابن أبي طاهر؛ فعقد الصلح على ذلك
وعلى أن يسكن عبد الله بكتيبة. وقدم يحيى وابن أبي طاهر بولد عبد الله على P. ٧٢
الحكم؛ فزوجه أخته شفيقة.

مقتل أهل الرّيض أولاً قبل هيجر ثانية

وفي سنة ١٨٩، صلب الإمام الحكم اثنين وسبعين رجلاً قرطبة، منهم أبو
كعب بن عبد البر، ويحيى بن مضر، ومسروق الخادم. وكان السبب في ذلك
أنهم أرادوا القدر به، وهبوا بالخلاف عليه؛ وطلبوا رئيساً يقومون به، فوقع
الخبر على محمد بن القاسم عم هشام بن حمزة، وأطلعوه على أمرهم، ودعوه للقيام
معيهم؛ فخذلهم، وأقضى سرهم، وتفرّب إلى الحكم بدعائهم. فتشيت الحكم، وسأله
تصبح ما رفع اليه؛ فقال له: «هات أمانك!» فأخافهم عنه، ووجه عنهم
ليعادته؛ ثم قال لهم: «هذا الذي تدعوني اليه لا أشتى من سجنكم، دون أن
أسمع منهم كما سمعت منكم؛ فتطيب نفسي، وأدخل في الأمر على قوة وبصيرة!»
فأنوّد، وسع مقالهم، والأمان بحيث يزوت ويسمعون. فلما صحّ عبد الحكم
أمرهم بشهادة الأمان عليهم، أخذهم وصليهم جميعاً بمرّة واحدة. ثم أنقن سور
قرطبة وحفر خندقها، وتوجّه غازياً إلى بلاد الشّركين.

ومن قوله [طويل]:

رأيت صُدُوعَ الأرضِ بالسيفِ رافعاً	ورفعاً لأمّتِ الثّقَتِ مذكّتُ يافعاً
فَسائلُ تُغَوِّريَ قُلْ بها الآنَ تُفَرِّقُ	أبادرها مستنضِي السيفِ دارِعاً
وَنافِقُ على الأرضِ النِّصاءَ جَماعِياً	كَأَقْصافِ شُرْبانِ الميَدِ لِدِراعِياً
نَسيتُكَ أَيْنى لَمْ أَكُنْ عن قِراءِهم	يوانِي وَأَنْنى كُنْتُ بالسيفِ قارِعاً
فَأَيْنى إذا حادوا جِزاعاً عن الرّدى	فلم أَكْ ذا حَيْدٍ عن الموتِ جازِعاً
حَيْثُ دَسارى وانتهكتُ دِمَارِهم	وَمَنْ لا يُجائِ ظِلَّ حَرْبانِ حارِعاً

P. ٧٤ • ولما تساقينا بحال حُرُوبِنَا سَقَيْنَهُمْ سَمًا مِنَ الْمَوْتِ تَارِفَعَا
وَهَلْ زِدْتُ أَنْ وَفَيْتُهُمْ صَاعَ قَرْضِهِمْ فَوَاقُوا مَسَايَا فُتِرَتْ وَمَصَارِعَا
فَيَاكَ يَلَادِي إِنِّي فَدَا تَرَكْتُهَا مَهَادَا وَلَمْ أَشْرُكَ عَلَيْهَا مُسَارِعَا

«وفي سنة ١٩٠، خرج الأمير الحكيم غازياً الى ماردة. فلما وصلها، احتلها وحاصرها (وكان بها أصبغ بن عبد الله بن وأنسوس ثائراً) وإذا بالخبر وصله أن سواد أهل قرطبة أعلنوا بالثفاق، وتداعوا الى صاحب السوق بالسلح؛ وكتب المخلفون الى الحكيم بما حدث بعد، وما ظهر من ضائير السفنة؛ فصبر فافلاً، وظوى المراحل، وفتح الطريق في ثلاثة أيام، ودخل القصر. فهدأ الناس، وسكنت الأحوال، وصار الناس في هدوء وسكون من سنة ١٩٠ الى سنة ٢٠٢، والتزموا الدعة اثني عشر سنة.

وبردت الغزوات سبعة أعوام الى ماردة، وبها أصبغ بن عبد الله ثائراً متبعا. وكان سبب ثورته أن عدواً لأصبغ طالبه عند الحكيم وأغراء عليه. ثم مشى الى أصبغ بثل ذلك، وروعه منه؛ فتوقع العترة والسطوة به. فكان ذلك سبب دخوله ماردة وفيما هو بها، وتكررت الغارات عليه سبعة أعوام؛ فافتضحت في العام السابع بمحاولة انجلت عن طلب الأمان لأصبغ قائم، وخرج من ماردة، وصار في مصف الحكيم؛ فسكن قرطبة؛ ثم فسح له في الاختلاف الى ضياعه تارده حتى الناث أمرها، واضطربت حالها.

وفي سنة ١٩٢، خرج رفيع بن صاحب إفرنجية الى جهة طرطوش؛ فأغرى الحكيم ابنه عبد الرحمن في جيش كثيف، وكتب الى عمروس وعبدون عاملي الثغر بالغزو معه بجميع أهل الثغر. فتقدم عبد الرحمن بالجنود، وتوافقت عليه المحشود، وحنّت به المطوعة. قالوا: «الطاغية خارجاً الى بلاد المسلمين. ودارت P. ٧٥

بينهم حروب شديدة، ثبت الله فيها أقدام المسلمين، فانهزم المشركون؛ وكانت فيهم منلة عظيمة؛ ففنى أكثرهم.

وفي سنة ١٩٤، غزا الحَكَم إلى أرض الشرك. وكان السب في هذه الغزاة أن عَبَّاس بن ناصح الشاعر كان بمدينة الفَرَج (وهي وادي الحجارة). وكان العدو، بسبب اشتغال الحَكَم بباردة وتوجيه الصوائف إليها مدة من سبعة أعوام، قد عظمت شوكتُه، وقوى أمرُه. فشنَّ الفارات في أطراف الثغور، يسبي ويقتل. وسمع عَبَّاس بن ناصح امرأة في ناحية وادي الحجارة، وهي تقول: «واغوثة يا حَكَم! قد ضيعتنا وأسَلَمَتنا واشتغلت عنا، حتى امتد العدو علينا!» فلما وفد عَبَّاس على الحَكَم، رفع إليه شعراً يستصرخه فيه، ويذكر قول المرأة واستصراخها به؛ وأمنى إليه عَبَّاس ما هو عليه الثغر من الوهن والنبات الحال. فرأى الحَكَم للمسلمين، وحى لنصر الدين، وأمر بالاستعداد للجهاد، وخرج غازياً إلى أرض الشرك؛ فأوغل في بلادهم، وافتتح الحصون، وهدم المنازل، وقتل كثيراً، وأسر كذلك، وقفل على الناحية التي كانت فيها المرأة، وأمر لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم، يصلحون به أحوالهم ويفدون سبيهم؛ وخصَّ المرأة وآثرها، وأعطاها عدداً من الأسرى عونا. وأمر بضرب رقاب ياقبهم، وقال لأهل تلك الناحية وللرَّاءة: «هل أغانكم الحَكَم؟» قالوا: «شئنا والله الصُّور، ونكى في العدو، وما غفل عنا إذ بلغه أمرنا؛ فأغاثه الله وأهز نصره!»

وفي سنة ١٩٦، غزا الحَكَم إلى بلاد المشركين، وأوغل فيها، وأوقع بهم، وقتل. وفيها، مات سَلَام بن علفمة النقي.

وفي سنة ١٩٩، كانت الهجاعة التي عمت الأندلس؛ ومات أكثر المخلقي جهداً.

وفي هذه السنة، أغرى المحكم عنه عبد الله البقسي الغزوة الشيعية المشهورة، وكانت بئرسلونة: ألقى المشركين قد حلوا بها يوم احتلاله، وكان يوم الخميس؛ فأراد من معه مناشية الحرب، وشؤنوا للقتال؛ فمنعهم حتى إذا كان في اليوم الثاني، وهو يوم الجمعة وقت الزوال، أمر بتعبئة الكنانب، ونصب الردود؛ وقام، فصلى ركعتين؛ ثم نادى في الناس، وركب هو ومن معه، ونامض أهل الشرك. وما أخيه فعل ذلك إلا يقهاً وعلماً ونائباً بحديث النبي صلعم حيث أمر بالقتال في تلك الساعة: فإن فيها تهت الأرواح، وتفتح أبواب الجنة، وتسحاب الدعوات. فنجحهم الله أكتاف المشركين، وانهمزوا. وقتل عامتهم، وفرق جمعهم. فلما أفلح عن القتال وانجحت الحرب، نصب قناة طويلة، فائننت في الأرض؛ وأمر بالرووس؛ فجمعت وطرحمت حوالها حتى غابت القناة فيها (ولم تظهر!).

ذِكْرُ دُخُولِ الْحَكَمِ طَلَيْطَلَةَ حِينَ خَانَتْ عَلَيْهِ

وذلك أنه أظهر الغزو إلى بلاد المشركين، وفصد نذير، وهو يريد في نفسه طَلَيْطَلَةَ. فترل نذير، واضطرب فيها، ونازل بعض حصونها. وكتب إلى عمال النهر بنزوله فيها وحربه لما؛ فأين أهل طَلَيْطَلَةَ؛ وانتشروا في بلادهم، ونظروا في زروعهم، وله عليهم عيون. فلما صبح عنده انبساطهم، جعل يتغرب من أحواز نذير. وأخبار طَلَيْطَلَةَ ترد عليه. فلما أمكنه الفرصة فيها، جدد السير إليها، وطوى المراحل؛ فوصل إليها ليلاً، وسبق بقطع من الكشم. فدخل طَلَيْطَلَةَ ليلاً. ولم يعلم بدخوله، وأملها في غفلة، وأبوابها مفتحة، وتنازع العسكر عليه بمقدار قوة كل أحد. فلذلكها، وحال بين أهلها وبينها، وقطع الخروج عن كان بها إلى من كان بخارجها. فاستوسق له، سلكها دون مؤنة ولا قتال.

فاستزل أهلها من الجبال إلى التهل، وحرّق ديارها، وسكّهم في الصحراء.
ثم ردم اليها.

وفي سنة ٢٠٠، أغرى * الحكم وزيره عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد P. ٧٧
المشركين؛ فدخلها، ونوَّسطها، وأهلك معانثها ومراقيقها، وحطم زروعها،
وهدم منازلها وحصونها، حتى استوفى جميع قرى وادي أرون. فحدث إليه
الطاعة - دمرها الله! - وانجلت^١ النصرانية من كل مكان، وأقبلت الجوع،
ونزلت بعدوة نهر أرون؛ وصار النهر حاجزاً بينهم وبين المسلمين. فلما أصبح،
نهض عبد الكريم من معه إلى مخاض الوادي؛ ونهض أعداء الله إليهم؛ فقاتلهم
على كل محاذ منها؛ فجالدم المسلمون عليها بحالدة الصابرين المحسنين. واقتحم
أعداء الله النهر إليهم؛ فاقتتلوا على محاذته. ثم حمل المسلمون عليهم حملة صادقة؛
فأضعفهم في المضائق، وأدخلهم على غير طريق؛ فأخذهم السبوف والطنن
بالرماح^٢ والغرق في المياه^٣؛ فقتل من المشركين عدد عظيم لا يحصى كثرة،
ومات أكثرهم بالتردى ودرس بعضهم بعضاً، وصاروا بعد الطاعة والجأذ
بالرماح والسبوف إلى القذف بالحجارة؛ وأكثروا الحراس بالمخاض، ووعروها
بالخشب، وحفروا الخناير، وخذلوا الخنادق. ونزلت الأمطار؛ وكان قد فرغ
ما كان لأعداء الله من المرافق؛ وضافت الحال أيضاً بالمسلمين؛ فقتل عدد
الكريم ظافراً لسبع خلون من ذي القعدة.

ولم يكن في سنة ٢٠١ صائفة ولا حركة مشهورة.

ذِكْرُ هَيْجِ أَهْلِ الرَّيْضِ ثَانِيَةً فِي سَنَةِ ٢٠٢

كان من أهل رَيْضِ قُرْطُبَةَ في هذه السنة ما تَسَعَّدُ بالله من الجَلَلان في مشه.
وذهاب التوفيق. وقد اختلفت الروايات في سبب قيام الناس وهيجهم؛ فهم

١) انجلت. A.

2-2) Manque dans A.

من يقول إن ذلك اليبج كان أصله الأشر والبطر، إذ لم تكن ثم ضرورة من إجحاف في مال، ولا انتهاك لعزّة، ولا تعسف في ملكة، وإمّال تدلّ على صحة ذلك؛ فإنّه لم يكن على الناس وظائف، ولا مغاير، ولا سخر، ولا شيء يكون سبباً لخروجهم على السلطان، بل كان ذلك أشراً وطعراً، وملاّلاً للعبادة، وطعناً جانياً، وعقلاً غيبياً، وسعياً في هلاك أنفسهم - أعادنا الله من الضلال والمخذلان، وأسباب البوار والخسران!

ولما افتاحوا وقاموا على السلطان، ناصبهم الحكم القتال، وواضعهم الحرب. وانحاش إليه حاشيته وجنده، وتآلب من كلّ وجه رجاله. وفات الحرب بين الجند وعلمة قرطبة على ساق. ثم تكاثرت العامة، وهاجت الدهاء السوداء؛ فلم يريدوا على أن يظهروا في ذلك الحين ظهوراً لم يبلغهم إلى أمل فلما اشتغلوا بالقتال، احتيل عليهم بثل حيلة يوم الحرّة، وهم لا يشعرون لاشتغالهم بالقتال بفرج عبّيد الله بن عبد الله السكّني المعروف بصاحب الصوائف، وإسحاق بن المنّير القرشي إلى باب الجسر، مع من أمكها من الفرسان والرجالة، والتفوا مع العامة، وجالدهم حتى أراجوم وأدخلهم الجسر؛ وفتح باب المدينة عند الجسر، ودخل الدين سمياً على باب الحديد؛ ثم اقتحموا على الزقاق الكبير، وخرجوا على الرملة إلى مخاضه هناك، وجازوا النهر، واجتمعوا مع من نوافي عليهم من حشود الكور، إذ كانوا قد أنشروا قبل ذلك بما كان بدا منهم، وظهر من علاماتهم. فلما اجتمعوا، أقبل بعضهم من وراء الرقص، وشرع بعض في طرح النار في الدور، ودشوا من أخير العامة بما نزل بهم في دورهم وذرايرهم وعيالهم؛ فلم يبق أحد منهم دون أهله ومترله، وانصرفوا راجعين نحوها. فأخذتهم السيوف من أمامهم وورائهم؛ فقتلوا قتلاً ذريعاً، وتبعوا في الأريّة والنطرق، يقتلون؛ ونجا منهم من تأخر أجله، فنز، فلم يلو على

أهل ولا ولد. وأخذ منهم ثلاثمائة رجل؛ فصلى على الوادى، صلّا واحداً من
المرج الى الصّارة.

وكان المحكم قد عزم على تجميعهم بالاندلس، وقتلهم حيث وجدوا؛ ففكر
عليه بعض أصحابه، وذكره صنع الله * له فيهم؛ فازعوى وكنت. فخرجوا أفواجا ^{p. ٧٩}
بأهلهم وأولادهم، ولم يعرض لأحد منهم في شيء من بلاد الاندلس، وهي طاعته
وملكه، ولا نالهم ضرر بعد وقت المعركة وغلبان الحال، كرماء وعفوا من الأمير
المحكم - رحمه الله - وعف المحكم عن الأموال والمحم. وتفرق أهل الرّض
في جميع أقطار الاندلس؛ ومنهم من جاز البحر الى العُدوة بالأهل والولد؛
فاحتلوا بعدوة فاس، فهم عدوة الاندلس منها؛ فصبروها مدينة. ومنهم أهل
جزيرة إفريطش؛ فذكر أنه لم يخرج منهم طائفة بناحية من نواحي الدنيا إلا
وتغلبوا عليها، واستوطنوها على قهر من أهلها. وأكثر من هرب من أهل العلم
والخير ممن اتهم أو خاف على نفسه الى ناحية طليطلة، ثم آمنهم المحكم، وكتب
لهم أماناً على الأنفس والأموال، وأباح لهم التفرغ في البلدان حيثما أحبوا من
أقطار مملكته، حاشى قرطبة أو ما قرب منها.

وفي سنة ٢٠٦، اشتد مرض المحكم بن هشام؛ فأخذ البيعة لابنه عبد الرحمن،
ثم للبيعة من بعده. وانعقدت البيعة يوم الأربعاء. لاحدى عشرة ليلة خلت
من ذى الحجة من السنة. فبيع له ذلك اليوم في القصر؛ واختلف الناس بعد
ذلك اليوم الى دار عبد الرحمن بن المحكم يبايعونه؛ وبايعوا البيعة في دار
أخيه عبد الرحمن أيضاً؛ ثم ركب البيعة الى الجامع، ونزل فيه يوماً بعد يوم
لمبايعة الناس له؛ وكانوا يبايعونه عند المنبر؛ ثم بايعوه في داره. ولما انقضت
البيعة لعبد الرحمن والبيعة بعده، أمر المحكم بن هشام بهدم الفندق الذي كان
بالرّض؛ وكان مستقيله من أهل الإضرار والنسب؛ فهدم. وتوفي الأمير المحكم
يوم الخميس لأربع بقين من ذى الحجة من السنة؛ وصلى عليه ابنه عبد الرحمن؛
ودفن بالقصر.

بعض أخباره وسيره

P. ٨٠

كان الحكم - رحمه الله! - شديد الحزم، ماضٍ العزم، ذا صولة تنقى. وكان حسن التدبير في سلطانه، وتولية أهل الفضل والعدل في رعيته؛ وكان مبسوط اليد. وكان له قاضي كفاء بوزعه وعلمه وزنده؛ فرض مرضاً شديداً؛ فاعتم الحكم لمرضه؛ فذكر بعض بخاصته أنه أرق ليلة آرقاً شديداً، وجعل يتأمل على فراشه؛ فبذل له: «أصلح الله الأمير! ما الذي عرض؟» فقال: «وَيْعَكُمْ! إني جمعت في هذه الليلة نادية، وقاضينا مريضاً، وما أراه إلا وقد قضى نحبه. فأين لي بئله، ومن يقوم بالرعية مقامه؟» فأت القاضى في تلك الليلة، وهو البضعب بن عمران قاضى أبيه. فولى بعده محمداً بن يشير.

فكان أقصد الناس إلى حق، وأبعدم من جور، وأندم بحكم. ورفع إليه رجل من أهل كورة جيان أن عاملاً^١ للحكم اغتصبه جارية، وصبرها إلى الحكم؛ فوفعت من قلب الحكم كل موقع؛ فأثبت الرجل أمره عند القاضي، وأتاه بهينة تشهد على معرفة ما تظلم منه وبسلكه للجارية وبمعرفة بها. فأوجبت السنة أن نحضر الجارية؛ فاستأذن القاضي على الحكم؛ فأذن له؛ فلما دخل عليه، قال له: «أيها الأمير! إنه لا يتم عدل في العامة دون إقامته في الخاصة!» وحكى له أمر الجارية، وخبره بين إرازها للبينة لبشهادة على عيها، أو عزله. فقال له الحكم: «أولاً أدعوك إلى خير من ذلك! تناع الجارية من صاحبها بأبلغ ما يطلب فيها.» فقال القاضي: «إن الشهود قد شهدوا من كورة جيان، وأتى الرجل يطلب الحق في مظانته؛ فلما صار بيابك، تصرفه دون إنقاذ الحق له؛ ولعل قاتلاً يقول: باع ما لا يملك ببيع مفور!» فلما رأى عزمه على ذلك، أمر بإخراج الجارية من قصره؛ فشهد الشهود عند على عيها، وقضى بها لصاحبها. وكان هذا القاضي محمد بن يشير، إذا خرج للمسجد، وجلس للأحكام،

P. ٨١

١) غلاماً.

جلس في رداءه مُعَصِّفٌ، وشعر مفرق؛ فإذا طُلِبَ ما عنده، وَجِدَ أَفْضَلَ النَّاسِ وَأَوْزَعَهُمْ.

وكان المحكم يقول: «ما نحلّي الخلفاء بمثل العدل!» وكانت فيه بطالة، إلا أنه كان ثجاع النفس، باسط الكف، عظيم العنق. وكان يُسَيِّطُ قَضَائِهِ وَحُكْمَهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَضلاً عَنْ وَلَدِهِ وَخَاصَّتِهِ. وكانت للحكم ألف فرس مرتبطة بباب قصره على جانب النهر، عليها عشرة من العرفاء، تحت يد كل عريف مائة فرس؛ فإذا بلغه عن ثائر ثار في أطرافه، عاجله قبل استحكام أمره؛ فلا يشعر حتى يُحَاطَ بِهِ. وجاءه الخبر يوماً أن جابر بن ليث مُحَاصَّرَ لِحْيَانَ، وهو يلعب بالصولجان في القصر؛ فدعا بعريف من أولئك العرفاء، وأسر إليه أن يخرج من تحت يدك إلى جابر بن ليث؛ ثم فعل كذلك مع أصحابه من العرفاء. فلم يشعر ابن ليث حتى تساقطوا عليه مُسْرِبِينَ فِي الْحَدِيدِ؛ فلما رأى العدو ذلك، سَيِّطَ فِي يَدِهِ، وَظَنَّ أَنَّ الدُّنْيَا قَدْ حُسِرَتْ إِلَيْهِ؛ فَوَلَّى بِهَا مَهْزِماً.

وكان المحكم فصيحاً بليغاً شاعراً مجيداً. فمن شعره - رحمه الله! - يتغزل، وذلك أنه كان له خمسون جوار قد استغلفهم لنفسه ومَلَكَوْنِ أَمْرَهُ؛ فَذَهَبَ يَوْمًا إِلَى الدُّخُولِ عَلَيْهِمْ؛ فَأَبَيْنَ عَلَيْهِ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ. وَكَانَ لَا يَصْبِرُ عَنْهُمْ.

فقال [البسيط]:

فُضِّبَ مِنَ الْبَارِ مَا سَتَ فَوْقَ كُفَّانِ	أَعْرَضَ عَنِّي وَقَدْ أَرَمَعَنَ هَجْرَانِي
نَاصِدْتُهُنَّ بِحَقِّي فَأَعْتَرَمَنَ عَلَى	الْهَجْرَانِ حَتَّى خَلَا مِنْهُنَّ هَيْبَانِي
مَلَكَنِي مُلْكٌ مِّنْ ذَلَّتْ عَرِيضَتُهُ	لِلْهَبِ ذُلٌّ أَسِيرٍ مَوْئِسِي عَائِي
مَنْ لِي سَفَتَنَصَابِ الرُّوحِ مِنْ يَدَيَّ	عَصَبَتِي فِي الْهَوَى عِزِّي وَسُلْطَانِي

• ثُمَّ إِنَّهُمْ عُدْنَ عَلَيْهِ بِالْوَصْلِ؛ فَقَالَ [خفيف]:

نِلْتُ كُلَّ الْوَصَالِ بَعْدَ الْبِعَادِ	فَكَأَنِّي مَلَكَتُ كُلَّ الْعِبَادِ
وَسَأَتِي الشُّرُورُ إِذْ نِلْتُ مَا لَمْ	يُعْنِ فِيهِ تَسْكَافُ الْأَجْنَادِ

ومن ملبح قوله فيهن - رحمه الله! - [خفيف]:

ظَلَّ مِنْ فَرْطِ حَيِّهِ مَمْلُوكًا وَتَدَّ كَانِ قَلَّ ذَاكَ مَلِيكًا
إِنْ نَكَى أَوْ شَاكَ الْهَوَى زَيْدَ ظَلَمًا وَبَعَادًا يُذْنِي حِمَامًا وَشَبَكًا
تَرَكْنِي جَادِرُ النَّصْرِ صَبًا مُنْهَمًا عَلَى الصَّعِيدِ تَرِيكًا
يَجْعَلُ الْعَدَا مَائِلًا فَوْقَ تَرْبٍ وَفَوَلَا يَرْتَضِي الْحَرِيرَ أَرِيكًا
هَاكَا يَخْسُ التَّدْلِيلُ لِلْحُسْرِ إِذَا كَانَ فِي الْهَوَى مَمْلُوكًا

وله - رحمه الله! - أشعار كثيرة في الرخصيين الفائحين عليه، لا يحاربه فيها حدّ. وقد تقدّم منها ما يستدل به على فضله، ولما دانت وفاته، عتب نفسه فيها تقدّمه عناءاً، وتاب إلى الله متائباً، ورجع إلى الطريفة الشئى، وقال: إِنْ الْآخِرَةُ فِي الْأُنْفَى ١ وَالْأُولَى فِي قَدْرَيْنَ بِالْهَوَى. واعتصم بالعروة الوثقى؛ وأمر بدنوه واعترف، وأئسن إلى موله تعالى: إِنْ يَشْهَرُوا يُغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَفَ ٢. وكان من عباد الله المتقين، إلى أن أتاه من ربه اليقين، فتوفى - رحمه الله! - سنة ٢٠٦.

خِلافة عبد الرحمن بن الحكم بن هشام

كُتِبَتْ: أَبُو الْخَطَرَفِ، أُمُّهُ: تُسْنَى خَلَاوَة، مَوْلَدُهُ: سنة ٢٦٠. حاجبه: عبد الكريم بن عبد الواحد، وَزَرَاؤُهُ: تسعة؛ رِزْقُ كُلِّ وَاحِدٍ ثَلَاثُمِائَةِ دِينَارٍ. كُتِبَتْ: ٢٠٨٣ ثلاثة: عبد الكريم المذكور، وسُقْبَانُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، وَعِيسَى بْنُ شُهَيْدٍ. قُضَاهُ: أَحَدُ عَشَرَ مِنْهُمْ: بِجِيٍّ بْنُ مَعْمَرٍ، وَقَبْلَهُ مَسْرُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ تَشِيرٍ، ثُمَّ سَعِيدُ ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ تَشِيرٍ، ثُمَّ بِجِيٍّ الْمُتَقَدِّمُ الذِّكْرُ، وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ؛ وَإِنَّمَا كَثُرَ الْقُضَاءُ فِي أَيَّامِهِ لِأَنَّ الشَّيَاطِينَ فِي عَزْلِهِمْ وَوَلَايَتِهِمْ بِجِيٍّ بْنُ بَجِيٍّ اللَّيْثِيُّ؛ فَكَانَ لَا يُولِي رَجُلًا إِلَّا بِرَأْيِهِ؛ فَكَانَ بِجِيٍّ بْنُ بَجِيٍّ؛ إِذَا أَنْكَرَ مِنَ الْقَاضِي شَيْئًا، قَالَ لَهُ: «اسْتَعَفْ وَإِلَّا رَفَعْتُ بِعِزِّكَ!» فَكَانَ يَسْتَعْلِي أَوْ يُشِيرُ بِجِيٍّ بِعِزِّهِ، فَيُعْزَلُ.

1) Manque dans A.

2) Op., VIII, 38.

نَقَشَ خَاتَمَهُ: «عبد الرحمن بقضاء الله راضٍ». وكان له قبل ذلك خاتم باسمه؛ فَنَلَفَ؛ وأمر بطلعه، فلم يوجد؛ فأعاد نَقَشَ خاتم جدّه عبد الرحمن، بعد أن خرج نَصْر النقي من عند الأمير هذا بالخاتم للنقي، وبعث في عيد الله بن الشير الشاعر، وقال له: «إن الأمير أمر بنقش هذا الخاتم؛ فقل ما ينقش فيه!» فقال (رمل):

خَاتَمُ لِسُلُوكِ أَضْحَى حُكْمُهُ فِي النَّاسِ مَرْفُوعٌ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِيهِ بِقَضَاءِ اللَّهِ رَاضٍ

فاستحسن ذلك الأمير عبد الرحمن، وأمر بنقشها في الخاتم. رِصْنُهُ: طويل، أسمر، أُنْقَى، أُنْقِي، أَكْمَل، عظيم النجدة بحسب الجاه والكم. يروج عند موت أبيه يوم واحد. وذلك يوم الخميس ثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٠٦. وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وتسعة أشهر. وتوفي ليلة الخميس ثلاث حَوْن من شهر ربيع الآخر سنة ٢٢٨. عمره: ثمان وستون سنة. خلفه: أحمد بن ثلاثون سنة وثلاثة أشهر وستة أيام. بن المذكور: خمسة وأربعون، وبنه: ثمان وأربعون.

وفي سنة ٢٠٧، ثارت بَشِيرَة بين مُضَرَّ وسَن. ودامت سبع سنين؛ فأغرى اليم الأمير عبد الرحمن في هذا العام بجي بن عبد الله بن خُف، ثم كان بيعت اليم المرة بعد المرة بالثَوَاد؛ فيفترقون؛ فإذا قسما، عادوا إلى النسبة. وكانت بينهم وبين بجي بن عبد الله وقبيلة تُعَرَفُ بِنَفْعَة * المصارة P. ٨٤ بَنُو نَفْعَة. انتهى مدح النقي فيهم إلى ثلاثة آلاف. وفيها كان بالأندلس جوعٌ شديداً مات به كثير من النقي.

وفي سنة ٢٠٨، كانت الغزاة المعروفة بغزاة أُلْبَة وإِفْلَاح. غزاهما عبد الكريم ابن عبد الواحد بالصائفة، واحتل بالشعر؛ وتوافقت عليه عند كَرِ إِسْلَام، واحتلوا في الدخول على أي باب يكون إلى دار الشرك؛ ثم اجتمعوا على أن يكون

من باب آلبه، إذ كان ذلك الباب أنكى للعدو وأحم لدائه؛ فافتحموا من فتح يقال له جزيق؛ وكان وراءه بسط للعدو، فيه خزائنه وذخره. فوقع أهل العسكر على تلك البساط، فاستصنوها، وعلى ذخرك تلك الخزائن، فانهبوها؛ واستوعبوا خراب كل ما مروا عليه من العمران والقرى، وأقنروها. وانصرف المسلمون غامبون ظافرين. والحمد لله!

وفي سنة ٢٠٩، توفي عبد الكريم بن عبد الواحد؛ وكان قد أخذ في الحركة إلى أرض العدو؛ فاحتل. وعوض منه الأمير عبد الرحمن بن الحكم أمية ابن معاوية بن هشام. فغزا بالصائفة إلى أوريطة؛ فاحتل بها، وهي يومئذ للإسلام؛ فأخذ أهل الذنوب والريب، وعفا عن الباقيين؛ ثم تقدم إلى شنت برية وتدمير. وكان أبو الشهاخ رئيس اليمانية يقوم بدعوة الأمين^١ على المضربة. وكانت بينهم وقعة برية كوقعة يوم المصارة بلوزقة، ففي فيها من المسلمين أتم. وكان انبعاث هذه الفتنة وسببها بين المضربة واليمانية على ورقة دالية أخذها مضرباً من جنان يماني؛ فقتله الباني؛ فكان ذلك سبب الحروب التي دارت بين الفريقين؛ وأصلت ألعواماً؛ وكانت الدوائر تدور أكثرها على اليمانية والتكلى منهم؛ وذلك أحد عجائب الدهر.

وفي سنة ٢١٠، أمر الأمير عبد الرحمن ببنان الجامع بمدينة جيان. وفيها، P. ٨٥ كتب إلى عامل تدمير أن يتزل برية ويتخذها موطناً؛ فكانت جيشاً موضع نزولهم وموضع قرارهم؛ وأمر بهدم مدينة آله من تدمير، ومنها ثارت الفتنة أولاً وفيها، افتتح فرج بن مسرة^٢ في أرض العدو حصن القلعة؛ وكان مسرة^٢ عامل جيان.

وفي سنة ٢١١، ثار طويريل بناكرنا؛ فأخرج إليه الأمير عبد الرحمن معاوية ابن غارم في حشد؛ فظفر به، وقطع عاقبته.

١) الأمين B. ٢) مسرة B.

وفي سنة ٢١٢، غزا عيّد الله بن عبد الله البَلَنَسِيُّ بالصائفة إلى دار الحرب؛ فجال في أرض العدو حتى بلغ بَرَشْلُونَةَ، وتردّد في تدوينها واتسافها ستين يوماً.

وفي سنة ٢١٢، انقطعت الفتنة بَنُدُومِير، واستنزل أبو الشّماخ وغيره من القلاع، وانقطعت عاديّتهم؛ وصار أبو الشّماخ من ولاة الأمير عبد الرحمن ومن ثقاته.

وفي سنة ٢١٤، ثار الضّرّاب بَطْلَيْطَلَة؛ واجه هاشم؛ وسبّى الضّرّاب لآته لما أحرق الحَكَمُ طَلَيْطَلَة، وأنزل أهلها منها إلى السّهل، أخذ رهائهم. فدخل جيش هاشم الضّرّاب قُرْطَبَة، وصار يضرب باليمول في الحُدّادين أجيراً؛ فعرف بالضّرّاب. ثم خرج من قُرْطَبَة إلى طَلَيْطَلَة؛ فاستدعى أهل النّز والنّساد، وآلهم؛ فتأبى إليه منهم نفر؛ فخرجوا يغربون على العرب والبربر. وتسامع أهل النّز به؛ ففعلوا إليه، حتى اجتمع له منهم جمع عظيم وخلق كثير؛ فعلا ذكره، وانتشر صيته. وأوقع بالبربر بشنّت برية، ودارت له عليهم دوائر. فأخرج الأمير عبد الرحمن إليه محمد بن رُسُوم^١، وأمره بحربه؛ فحاربه في هذه السنة.

وفي سنة ٢١٦، توافقت الجُود لمحمد بن رُسُوم عامل النّفر؛ فهاض هاشماً الضّرّاب. وكان قد تغلب على جانب النّفر. وكان عبد الرحمن قد استنصر محمد ابن رُسُوم في حقّه، وكتب إليه يعينه؛ فتقدّم ابن رُسُوم، والتقى مع هاشم الضّرّاب؛ P. ٨٦ فوقع بينهم حرب شديدة أياماً؛ ثم انهزم هاشم، وقُتل هو ومن كان معه؛ وكانوا آلافاً.

وفي سنة ٢١٧، حوصرت ماردة وضيق عليها، حتى قرّ عنها خلق كثير؛ وقُتل منهم كثير.

وفي سنة ٢١٨، كان الكسوف العظيم، الذي توارت معه الشمس، وسدا

١) A. et B. وسيم; de même plus loin.

الإسلام؛ وكان ذلك قبل زوال الشمس، في أواخر رمضان. وفيها، استوزر الأمير عبد الرحمن ابن شهيد واستنجد به. وفيها، قامت الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة من الأرجل التي بين السور إلى القبة.

وفي سنة ٢١٩، غزا بالصائفة أمية بن الحَكَم إلى طَلَبُطْلَة وحاصرها، ثم قتل العسكر بعد أن أهلك زروعهم وقطع ثمارهم. وأبقى بقلعة رباح ميسرة التي لحاصرة طَلَبُطْلَة؛ فخرج جمع عظيم من طَلَبُطْلَة يريدون قلعة رباح؛ فبلغه خبرهم؛ فجمع الجموع، وكمن الكائن. فلما قربوا منها، وقرقوا^١ خيلهم في الغارة، خرجت عليهم الكائن؛ فقتلوا، وحُزَّت رؤوسهم؛ فجمعت بين يدي ميسرة؛ واجتمع منها جملة عظيمة. فلما رأى ذلك، ارباع وداخله الندم؛ فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى مات تدمياً وأسفاً.

وفي سنة ٢٢٠، غزا الأمير عبد الرحمن؛ فجعل صَدْر وجهته على طَلَبُطْلَة؛ وولى أبا الشباخ قلعة رباح، وأبقى عنده خيلاً كثيفة ورجالاً كثيرة لمناغضة طَلَبُطْلَة، وتقدم هو إلى كَوْر الغَرْب. وكان سليمان بن مَرْثِين قد نجح عليه بجي الماردى؛ فأخرجه بن ماردة؛ فكان في قن الجبال حيناً؛ فحل عليه الأمير في هذه الغارة، وحاصره حتى ضاق سليمان بن مَرْثِين في الحصن؛ فخرج ليلاً؛ فيينا هو يمشي، إذ وافق صخرة ملساء على وجه الأرض؛ فزلق به الفرس؛ فسقط، ومات. ووجد رجل؛ فأخذ رأسه، وأدعى قتله؛ ثم «عُرف أمره». P. ٨٧

وفي سنة ٢٢١، افتتحت طَلَبُطْلَة. وكان السبب في ذلك أن ابن مهاجر خرج عنها، ونزع إلى قلعة رباح، واستدعى القواد؛ فخرجوا إليه. فقبض بهم إلى أبواب المدينة، وقطع عنهم مراقبهم. فكان ذلك أقوى الأسباب في افتتاحها. وكان عبد الواحد الإسكندراني بعث الأمير إليهم؛ فوجدهم قد بلغ بهم الجهد.

ثمَّ أَطْلَعَ عَلَيْهِمُ الْأَمِيرُ؛ فَاِفْتَتَحَهَا قَهْرًا، وَدَخَلَهَا عَلَى حُكْمِهِ، وَأَمَرَ بِتَجْدِيدِ الْقَصْرِ
الَّذِي كَانَ بِنَاءَ عَمْرُوسَ فِي أَيَّامِ الْحَكْمِ عَلَى بَابِ الْحِجْرِ. وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي افْتَتَحَ
طَبَقَةَ الْوَلِيدِ بْنِ الْحَكَمِ، وَجَّهَهُ إِلَيْهَا أَخُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٢٢، افْتَتَحَهَا عِزَّةً، وَدَخَلَهَا فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ
عَلَى حُكْمِهِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٢٣، أَغْرَى الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ أَخَاهُ الْوَلِيدَ بْنِ الْحَكَمِ
إِلَى جَلْبِقِيَّةَ؛ فَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْغَرْبِ مَعَ قَطِيعٍ مِنَ الْعَسْكَرِ؛ فَدَوَّخَهَا. وَكَانَتْ
لَهُ فَتَوَاحُثُ كَثِيرَةٌ.

وَفِي سَنَةِ ٢٢٤، أَغْرَى الْإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنَهُ الْحَكَمَ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ،
وَأَمَرَ بِالْتَّجَوُّلِ فِي جِهَاتِ الثَّقُورِ؛ لِيَتَعَرَّفَ أَخْبَارَهَا وَمَصَالِحَهَا. وَأَمَرَ بِإِصْلَاحِ
قَنْصَرَةِ سَرَقُطَةَ. وَدَخَلَ الْحَكَمُ بِالصَّانِفَةِ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ؛ فَدَوَّخَهَا، وَقَتَلَ مِنْ
الْمُشْرِكِينَ مَا لَا يُحْصَى. وَاجْتَمَعَ مِنْ رُؤُوسِهِمْ أَكْدَاسُ كَالْجِبَالِ، حَتَّى كَانَ الْفَارِسُ
يَقِفُ مِنْ نَاحِيَةٍ؛ فَلَا يَرَى صَارِحَةً مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى مِنْ عِظَمِهَا.

وَفِيهَا، كَانَتْ رُجُومٌ بِالنَّجُومِ، فِي حِمَادَى الْآخِرَةِ؛ وَتَنَاقُثُ الْكَوَاكِبِ مِنْ
قِبَلِهِ إِلَى جَوْفٍ، وَمِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ؛ بِمَجْزِرَةِ الْأَنْدَلُسِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٢٥ غَزَا الْإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِنَفْسِهِ أَرْضَ جَلْبِقِيَّةَ. فَفَتَحَ
حَصُونَهَا، وَجَالَ فِي أَرْضِهَا. وَطَالَتْ غَزَاهُ، وَتَعَبَ كَثِيرًا؛ فَأَرِقَ فِي بَعْضِ
الْأَيَّامِ؛ فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ، حَضَرَ عِيدَ اللَّهِ بْنِ الشَّيْرِ الشَّاعِرِ؛ فَوَصَفَ
لَهُ آرَقَهُ، وَأَنَّهُ "تَذَكَّرَ بَعْضَ مَنْ حَنَّ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الشَّيْرِ ٨١
[مُقَارِبٌ]:"

عَدَانِي عَنْكَ مَزَارُ الْعِدَى وَقَوِي إِلَيْهِمَا مَهِيَا
وَكَمْ قَدْ تَعَفْتُ مِنْ تَبَيِّ وَجَاوَزْتُ بَعْدَ دُرُوبٍ دُرُوبًا¹
وَأَدْرَعُ النَّفْعَ حَتَّى لَيْسَتْ مِنْ بَعْدِي تَضَرُّقٌ وَجْهِي شُحُونًا
أَلَا فَيَ بَوَجْهِي سُومَ الْهَجِيرِ وَقَدْ كَادَ مِنْهُ الْخَصَى أَنْ يَلُوبَا
أَنَا ابْنُ الْهَثَامَيْنِ مِنْ مَطَالِبِ أَشْبُ حُرُوبًا وَأَطْفَى حُرُوبًا²
وَبِي أَدْرَكَ اللَّهُ دِينَ الْهَدَى فَأَحْبَبْتُهُ وَأَضَلَّكَ الصَّلْبَا
سَوْتُ إِلَى الشَّرِكِ فِي جَعْفَلٍ مَلَأْتُ الْحَزُونَ بِهِ وَالشُّهُوبَا

وفي سنة ٢٢٦، غزاً بالصائفة إلى جَلِيفَةَ من بلاد العدو مُطَرَفُ بْنُ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ؛ فَنَوَسَطَ بَسِطُهُمْ، وَذَهَبَ بِنَعْمَتِهِمْ؛ وَكَانَ الْقَائِدُ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ يَزِيدَ
إِلَّا سَكَنْدَرَانِي.

وفي سنة ٢٢٧، خرج، عُمَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صَاحِبُ الصَّوَائِفِ؛ فَلَمَّا
حَصَلَ بَيْنَ أَرْبُوعَةٍ وَسَرْطَانِيَّةٍ، تَجَالَبَ الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَأَحَاطُوا بِالْعَمْرِ
لَيْلًا؛ فَجَانَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ اللَّيْلَ كُلَّهُ؛ فَلَمَّا انْبَجَ الضُّوءُ، آيَدَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ، وَهَزَمَ
الْأَعْدَاءَ.

وفي سنة ٢٢٨، خرج الأمير عبد الرحمن بنفسه إلى أرض العدو، وخلف
في النصر ولكه المنير، وجعل على مَبَيْتِهِ وَلَكَ مُحَمَّدًا وَعَلَى الْمَبَسْرَةِ وَلَكَ الْمُطَرَفُ.
فلقي جيشاً كبيراً من المشركين؛ فَنَاشَبَهُمُ الْحَرْبَ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ أَنْصَرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ،
وَهَزَمُوا الْمَشْرُوكِينَ، وَأَخْذُوا فِيهِمُ الْقَتْلَ. وَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذُرَارِي أَهْلِ
P. ٨٦ * يَبْلُغُونَ وَخِيْلَهُمْ وَأَسْلَحَتِهِمْ مَا عَظُمَ بِهِ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْمُنْ. وَقَتْلَ غَزِيرًا فِي
مَتَصِفِ شُرَّالٍ. وَكَانَ خُرُوجُهُ مِنْ قُرْبَةِ لَتَعِ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانِ.

١) كُرُوبًا. ٢) وَلَا يَكُنْ بَعْدَ دُرُوبٍ دُرُوبًا. B.

وفي سنة ٢٢٩، خرج الأمير عبد الرحمن لماصرة موسى بن موسى بقبيلة؛
فدوّخ بلاده، ثم صالحه. ثم تقدّم الى بنبونة؛ فكانت له بها وقعة عظيمة على
المشركين، فني فيها أعداء الله؛ وكان معهم موسى بن موسى؛ قتاله ورجاله
ما نالهم.

وفيها، ورد كتاب وهب الله بن حزم غايل الأثونة، يذكر أنه حل
بالساحل قتله أربعة وخمسون مراكب المجوس، معها أربعة وخمسون
قارباً؛ فكتب اليه الأمير عبد الرحمن وإلى عمال الساحل بالتحفظ.

دخول المجوس إشبيلية في سنة ٢٣٠

فخرج المجوس في نحو ثمانين مراكب، كأنها ملأت البحر طيراً جونا؛ كما
ملأت القلوب شجواً ونجونا. فحلوا بأثونة؛ ثم أقبلوا الى قايس، الى شذونة؛
ثم قدموا على إشبيلية؛ فاحتلوا بها احتلالاً، ونارلوا يزلالا، الى أن دخلوها
قسراً، واستأصلوا أهلها قتلاً وأسرّاً. فبقوا بها سبعة أيام، بسفون أهلها كأس
الحصام. واتصل الخبر بالأمير عبد الرحمن؛ فقدم على الخيل عيسى بن شبيب
الحاجب، واتصل المسلمون به اتصال العين بالحاجب. وتوجه بالخيل عبد الله
ابن كليب وابن رستم^١ وغيرها من القواد واحتل بالشرف. وكتب الى عمال
الكور في استنصار الناس؛ فحلوا بقرطبة، ونفر بهم نصر الفتي. وتوافدت للمجوس
مراكب على مراكب، وجعلوا يقتلون الرجال، ويسبون النساء، ويأخذون الصبيان،
وذلك يقول ثلاثة عشر يوماً. ذكر ذلك في «بهجة النفس». وفي كتاب
«دُرر القلائد»: سبعة أيام، كما تقدم. وكانت بينهم وبين المسلمين ملاحم.

ثم نهضوا الى قبيل؛ فأقاموا بها ثلاثة أيام، ودخلوا قورة، على اثني عشر
ميلاً من إشبيلية؛ فقتلوا من المسلمين عدداً كثيراً؛ ثم دخلوا الى طلياطة، على
ميلين من إشبيلية؛ فقتلوا ليلاً، وظهروا بالغداة بموضع يعرف بالبخارين؛ ثم

1) A. et B. وسيم (sic) et toujours de même ensuite.

مضوا بمراكبهم، واعتكروا مع المسلمين. فانهزم المسلمون، وقُتل منهم ما لا يُحصى. ثم عادوا الى مراكبهم. ثم نهضوا الى شَدُونَة، ومنها الى قَادِس، وذلك بعد أن وجه الأمير عبد الرحمن قُوَادَه؛ فدافعهم ودافعوه؛ ونُصبت الحَاجِيق عليهم، وتوافت الأمداد من قُرْطُبَة اليهم. فانهزم المَجُوس وقُتل منهم نحو من خمسمائة رجل؛ وأُصِيبَتْ لَمْ أربعة مراكب بما فيها؛ فأمر ابن رُسْتَم بإحراقها وبيع ما فيها من النخيل. ثم كانت الواقعة عليهم بقرية طَلْبَاطَة يوم الثلاثاء لحس عشرين من صفر من السنة، قُتل فيها منهم خلق كثير، وأُحرق من مراكبهم ثلاثون مركباً. وعُثِيَ من المَجُوس بِاشِيلِيَة عدد كثير، وُرفِع منهم في جُدُوع النخل التي كانت بها. وركب سائرهم مراكبهم، وساروا الى لَسْلَة؛ ثم توجهوا منها الى الأَشْبُونَة؛ فانقطع خبرهم.

«وكان احتلالهم بِاشِيلِيَة يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من المحرم من سنة ١٢٢٠». وكان بين دخولهم الى إِشِيلِيَة وخروج مَنْ بَقِيَ منهم وانقطاعهم اثنان وأربعون يوماً؛ فقتلهم الله وأبادهم، وبَدَدَ عُدَدَهُم وأعادهم؛ وقُتل أميرهم نعمة من الله وعذاباً، وجزاء بما كسبوا وعقاباً. ولما قتل الله أميرهم، وأُفِي عديدهم، وفتح فيهم؛ خرجت الكُتُب الى الآفاق بحبرهم. وكتب الأمير عبد الرحمن الى من بطَئَجَة من رِصْنَاهُ، يُعَلِّمُهُم بما كان من صُنْع الله في المَجُوس، وبما أنزل فيهم من النعمة والعقوبة؛ وبعث * اليهم برأس أميرهم وبما تبقى رأس من أنجاده.

وفي سنة ١٢٢١، غزا بِالصائفة جَلِيلِيَّة مُحَمَّدُ ابن الأمير عبد الرحمن؛ فحصرها، وحصر مدينة لُيُون، ورماها بالمجانيق. فلما آيَنُوا بالهلاك، خرجوا ليلاً، ولجؤوا الى الجبال والغيابض؛ فأحرق ما فيها، وأراد قَتْلَ سوريها؛ فوجد سَعَةً^٢ ثمان عشرة ذراعاً؛ فتركه؛ وأمن في بلاد الشرك فلأ وسياً.

1-3) Manque dans B.

2) فوجدته سبع أو ٨.

وفي سنة ٢٢٣، فحطت الأندلس فحطاً شديداً؛ وكانت فيها مجاعة عظيمة،
حتى ملكت المواشي، واحترقت الكروم، وكثر الجراد.
وفي سنة ٢٢٤، أمر الأمير بتوجيه العساكر إلى أهل جزيرة ميورقة،
لنكابتهم، وإذلالهم، ومجاهرتهم^١ بنقضهم العهد، وإضرارهم من مرّ عليهم من مراكب
المسلمين. فغزتهم ثلاثمائة مركب؛ فصنع الله للمسلمين جيلاً، وأظفروا بهم، وفتحوا
أكثر جزائهم.

وفي سنة ٢٢٤ المذكورة، توفي يحيى بن يحيى؛ فاستراح القضاء من هبة^٢.

وفي سنة ٢٢٥، ورد كتاب أهل ميورقة وميورقة إلى الأمير عند الرحمن،
يذكرون ما نالهم من نكابة المسلمين لهم؛ فكذب اليهم كتاباً أذكرُ هنا فصولاً منه،
وهو: أما بعد، فقد بلغنا كتابكم، نذكرون فيه أمركم، وإغارة المسلمين الذين
وجهناهم اليكم لجهادكم، وإصابتهم ما أصابوه منكم من ذرائعكم وأموالكم، والمبلغ
الذي بلغوه منكم، وما أشتيت عليه من الهلاك. وسألتم التدارك لأمركم، وقبول
الحزبة منكم، وتحديد عهدكم على الملازمة للطاعة، والنصيحة للمسلمين، والكف
عن مكروهمهم، والوفاء بما وتخللونه عن أنفسكم. ورجونا أن يكون فيما عوقبتم
به صلاحكم، وقبضكم عن العود إلى مثل الذي كنتم عليه. وقد أعطيناكم عهد
الله وذمته!

وفيها، كان سيلٌ عظيمٌ بجزيرة الأندلس، حمل وادي شيل، وخرّب
فوسين من حنايا قنطرة^٣، وإنجّة، وخرّب الأمدادة، والأرجاء. وذهب السيل^٤
بست عشرة قرية من قرى إشبيلية على النهر الأعظم. وحمل وادي تاجه؛
فأذهب ثمان عشرة قرية؛ وصار عرضه ثلاثين ميلاً.

وفي سنة ٢٢٦، ثار رجلٌ من البربر، يقال له حبيب البرنسي، بجبال

١) Ainsi dans A. et B. Peut-être faut-il lire مجاهدكم.

٢) A. هبة.

٣) A. et B. الداد (sic).

الجزيرة؛ وتآبش إليه جماعة من أهل النثر والفساد؛ فأخرج إليه عبد الرحمن الأجناد. فلما وصلوا إليه، ألغوا التبر قد قصداً حياً ومن تآبش إليه؛ فتغلبوا على المعتقل الذي كان انضوى إليه، وأخرجوه عنه، وقتلوا عدة كثيرة من أصحابه. واقترب بقتلهم عنه، ودخل حبيب في غمار الناس. فكذب الأمير عبد الرحمن إلى عمال الكور بالبعث عنه.

وفي سنة ٢٣٢٧، قام رجل من المعتلين بشرق الأندلس؛ فادعى النبوة، وتناول القرآن على غير تأويل؛ فأتبعه جماعة من الفوغاء، وقام معه خلق كثير. وكان من بعض شرائعه النهي عن نهي الشعر وتقليم الأظفار، ويقول: «لا تغيير لخلق الله!» فبعث إليه يحيى بن خالد؛ فأتى به. فلما دخل عليه، كان أول ما خاطبه به أن دعاه إلى اتباعه والأخذ بما شرع؛ فشاوَرَ فيه أهل العلم؛ فأشاروا بأن يُستأب فإن تاب، وإلا قُتل. فقال: «كيف أتوب من الحق الضحيح!» فأمر بصلبه. فلما رُفع في الخشبة، قال: «أنتقلون رجلاً أن يقول: ربّي الله!» فصلبه، وكتب إلى الأمير بخبره.

وفي سنة ٢٣٢٨، توفى الأمير عبد الرحمن بن الحكم - رحمه الله! - ليلة الخميس لثلاث خَوَن من ربيع الآخر من السنة. وما زال يفتني المائتر، ويبيى المكارم والمفاخر، حتى قبضته شعوب، وأرداه مُرِيدِي الفائل والشعوب.

ذكر بعض أخباره على الجملة وسيره

لما ولي الأمير عبد الرحمن، بعث في إخوته وأهله ووزرائه؛ فبايعوه، وبايعته العامة. ثم صلى على أبيه الحكم. فلما قضى صلاته وواراد، جلس بالأرض متطأطأ، لبس ثغته وطاؤه، وجلس من كان معه. ثم افتتح القول؛ فقال: «الحمد لله، الذي جعل الموت حساً من قضائه، وعزماً من أمره، وأجرى الأمور على مشيئته؛ فاستأثر باللكوث والبغاء، وأذل خلقه بالفناء؛ تبارك

اسمُه وتعالى جده¹⁾ وصلى الله على محمد نبيه ورسوله، وسلم تسليماً! وكان مُصاننا بالإمام - رحمه الله - - مما جلت به النصبة، وعظمت به الرزية؛ فعند الله نخسه، وإيأه نسال إلهام الصبر، وإليه نرغب في كمال الأجر والذخر! وعهدنا إليك بما فيه صلاح أحوالكم ولنا من يخالف عهدك، بل لكم لدينا المزيد إن شاء الله! « ثم قام عنهم، وخرجت لهم الأموال والكس على قدر أقدارهم. وكان شاعراً، أديباً، ذا همة عالية. وكانت له غزوات كثيرة، وفنوحات في دار العدو شهيرة، يخرج إليها في العدد الحجم، والعسكر الضخم، بحرب ديارهم، ويعتني آثارهم، ويقتل ظاهر الاعتلاء، قاهر الأعداء. لم يلق الملقون معه يوماً، ولم يروا في ملته يوماً عبوساً. وهو أول من جرى على سن الخلفاء في الزينة والشكل، وترتيب الخدمة. وكسى الخلافة أبهة الجلالة؛ فشبذ القصور، وجلب إليها المياه، وبنى الرصيف²⁾، وعمل عليه السقائف؛ وبنى المساجد الجماع بالأندلس؛ وعمل السقاية على الرصيف³⁾، وأحدث الطرر، واستنبت عملها؛ وأخذ السكة بقرطبة. ونظم مملكته. وفي أيامه دخل الأندلس نفيس الوطاء وغرائب الأشياء؛ وسبق ذلك إليه من بغداد وغيرها. وعندما قُتل محمد الأمين، ابن هارون الرشيد، وانتهت مملكته، سبق إلى الأندلس كل نفيس غريب من جوهر ومناج. وقصد بالعقد المعروف بعقد الشفاء⁴⁾؛ وكان لرؤية أم جعفر.

ومن مآثره أنه كان ورد عليه يوماً أموال من بلاده، لعطبات أجناده؛ فأدخلت إليه، وجعلت الخرائط بين يديه. وكان بعث فتبانه؛ فحلاً تجلته إذ ذاك، ولم يبق أحد هناك، حاشي فتى كان بين يديه وإفقاء، وعلى خدمته الخاصة حاكفاً؛ فغشيت الأمير عبد الرحمن نفسه، ظنّها التي بمهزة وخُسنه؛ فنقض على خريطة من ذلك المال، وأسدل عليها كُمة أسبغ إسدال، والأمير يلاحظه بطرف خفي، وبصفت عنه صمت برّ خفي؛ ففار التي بماله، وناط به أسباب

1) Allusion à Cor. LXXII, 3. 2-3) Manque dans B. 3) A. et B. الشيا (sic).

اماله. فلما رجع الفتيان، أمرم الأمير عبد الرحمن برفع تلك الخرائط المسبوطة؛ فوجدوا نقصان تلك الخريطة؛ فندافعوا فيها إذ ذاك، كسل بقول لصاحبه: «أنت أخذتها من هناك!» فقال لهم الأمير: «اسكنوا عن هذا! فقد أخذها من لا بردها، وعائنه من لا يقوها!» فكان هذا ممّا عدّ من كرمه وفضله.

وكانت له جارية تسمى طروب، كان بها ذوقاً؛ فصنعت عنه يوماً، وأبذنت هجرته. فأرسل فيها؛ فامتنعت عليه، وأغلقت على نفسها بيتاً. فأمر ببيان الباب بالخرائط المملوءة من الدرهم، استرضاه لها، واستعطافاً لوصولها. فلما فتحت الباب، تسافطت الخرائط من كل جانب؛ فأخذتها؛ فألفت فيها نحواً من عشرين ألفاً؛ وأمر لها بعقد قيمته عشرة آلاف دينار؛ ففعل بعض من حضر من وزرائه بعظم الأمر عليه؛ فقال له الأمير عبد الرحمن: «إن لابسك أنفس من خطر وأرفع قدرًا؛ ولئن راق من هذه الحصاة منظرها، ورصف في النفس جوهرها، فلقد برأ الله من خلقه جوهرًا يغشى الأبصار، ويذهب بالآباب. وهل على وجه الأرض من زبرجدها وشريف جوهرها أقرّ لعين، وأجمع لزين، من وجع أكل الله فيه الحسن، ونضرته، وألقى عليه الجمال بهجته؟» ثم قال لعبد الله بن الشير الشاعر وكان حاضرًا: «هل يحضرُك شيء في المعنى؟» فأند [طويل]:

أُسْتَرْنَ حَصَاةَ الْبَوَاقِي وَالشَّدْرِ يَمُنُّ يَتَعَالَى عَنِ سَا الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
يَمُنُّ قَدْ تَرَتْ قَدَمًا يَدُ اللَّهِ خَلَقَهُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا قَبْلَهُ أَيْدَا يَسْرِ
فَأَكْرِمَ بِهِ مَنْ صَنَعَ اللَّهُ جَوْهَرًا نَضَاعِلَ عَنْ جَوْهَرِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

فأعجبت الأمير الأبيات وطرب لها طرباً شديداً. وأند الأمير مرّجلاً [طويل]:
تَرِيضُكَ يَا ابْنَ الشَّمْرِ عَنِّي عَلَى الشَّعْرِ وَجَلَّ عَنِ الْأَوْهَامِ وَالذِّهْنِ وَالْفِكَرِ
إِذَا شَافَهُنَّ الْأُذُنُ أَدَى بَحْرِهَا إِلَى الْقَلْبِ إِدَاعًا فَجَلَّ عَنِ الْيَخْرِ
وَقَلَّ بَرُّ الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ مَا بَرًّا أَقَرَّ لَعَيْنٍ مِنْ مُنْعَةٍ بِكْرِ
تَرَى الْوَزْدَ فَوْقَ الْبَاسِجِينَ بِحَدِّهَا كَمَا فَوْقَ الرُّوضِ الْمُنْعَمِ بِالزَّفْرِ
فَلَوْ أَنِّي مِلِكْتُ قَلْبٍ وَنَاطِرِي نَظَمْتُهُمَا مِنْهَا عَلَى الْحَبْدِ وَالنَّحْرِ

ثم أمر لامين الشعر ببقائه فيها خمسمائة دينار؛ فخرج مع الوصف يحملها
له تحت إبطه. فلما تواريا عن الأمير، قال له الوصف: «آين لذات العبر،
يا ابن الشعر؟» فقال: «تحت إبطك يا سيدي!»

ودخل عليه الغزال الشاعر يوماً؛ فقال الأمير [كامل]:

جاء الغزال بحسنه وجهاله

فقال له الوزير: أجز. ما بدأ به الأمير! فقال الغزال [كامل]:

قال الأمير مداعباً بمفاله
آين الجمال من أمري؟ أزين على
مُعَدِّدِ السَّعِينِ من أخواله
وقل الجمال له؟ الجمال من أمري؟
وأعاده من تعذ جذبه بلى
والفاء رُبُّ الدُّفْرِ في أغلاله
وأحال رُونِّي وَجْهَهُ عَنْ حاله
وهي طويلة.

ومن قول الإمام عبد الرحمن - رحمه الله - يصف حال العزول،
فأبدع [طويل]:

أرى النمر بعد العزل يَرْجِعُ عَفْلَهُ
وَقَدْ كَانَ فِي سُلْطَانِهِ آيَسٌ يَعْمَلُ
تَلْبِيهِ جَهْمَ الْوَجْدِ مَا كَانَ وَإِلْيَا
وَيَسْهَلُ عَنْهُ ذَلِكَ سَاعَةً يُعْزَلُ
وكتب إليه بعض عماله يسأله عملاً رفيعاً لبس من شاركه؛ فوقع له في
أسفل كتابه: «من لم يصب وَجْهَ مَطْلَبِهِ، كان الحِزْمَانُ أَوْلَى به!» ومنزل هذا
كثير مما يدل على فضله.

خلافة محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام

كنيته: أبو عبد الله. أمه: هبيرة. مولده: في شهر ذي القعدة سنة ٢٠٧.
وزراؤه وقوادته: اثنا عشر. حبابه: اثنان، ابن شهيد وابن أبي عبيدة. كتابه:

ثلاثة، عبد الملك بن أمية، وحاريد بن محمد الرّجالي، وموسى بن ابان. فضائه:
 أحمد بن زياد، ثم عمرو بن عبد الله المعروف بالقبيعة، ثم سليمان بن أسود
 الغافقي. نفثُ خاتمه: بالله يثق محمد وربه يعقّبهم. صفته: أبيض، مشربّ بحمرة:
 رتبة، أرقص، وافر اللّحية يُخَضَّب بالحناء والكتم. بنوه: ثلاثة وثلاثون. بنائه:
 احدى وعشرون. يبيع يوم الخميس لأربع خلون لربيع الآخر سنة ٢٢٨، وهو
 ابن ثلاثين سنة وخمسة أشهر. ونوفاً يوم الخميس لليلة بقيت من شهر صفر
 سنة ٢٧٢. عمه: خمس وستون سنة وأربعة أشهر. وكانت خلافته أربعاً
 وثلاثين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً.

وفي سنة ولايته، ثار عليه أهل طليطلة، وحبسوا العارل عنهم، حتى
 أطلقهم. رمائمهم من قرطبة، وحينئذ أطلقوه. P. ٩٧

وفي سنة ٢٢٩، خرج الحَكَم ابن الأمير عبد الرحمن الى طليطلة بالصاننة.
 وكانت قلعة رباح قد أُقِرّت، خوفاً من أهل طليطلة. فاحلها الحَكَم، وأمر
 ببيان سورها، واسترجاع من فرّ من أهلها اليها.
 وفيها أخرج الأمير محمد الى شندلة قاسم بن العباس وتمايم بن أبي العطف
 صاحب الخيل، ومعهما الحَكَم. فلما حلّا بأندوجر، خرجت عليهم كائن أهل
 طليطلة، ووقعت الحرب، وكثر القتل؛ فانهزم قاسم وتمايم، وأصيب ما في
 العسكر. وفي ذلك يقول صفوان بن العباس أخو قاسم المذكور [رمل]:

ضَرَطَ الفاسمُ نَوْماً ضَرَطَ في القَرْمِيطِ
 مَلَأَ مِنْهَا كُلَّ حَوْثٍ كَانَ في البَحْرِ المِجْطِ

وكانت هذه الواقعة في سؤال.

وفي سنة ٢٤٠، خرج الأمير محمد نفسه الى طليطلة في الحرّم. فلما اتّصل
 بأهلها ذلك، أرسلوا الى أزدن بن إذقوش صاحب جليقية، يعلمونه بحركته

ويستمدون به. فبعث إليهم أخاه غُثُون^١ في جمع عظيم من النصاري. فلما اتصل ذلك بالأمير محمد، وقد كان قارب طَبْلُطَّة، أعمل الحملة والكَيْد، واستنصر الحزم؛ فبعث الجيوش، وكمن الكائن بناحية وادي سَلِيط؛ ثم نصب الرُّدُود، وطلع في أوائل العسكر في قِلَّة من العدد. فلما رأى ذلك أهل طَبْلُطَّة، أعلوا العِلَج بما عابوه من قِلَّة المسلمين؛ فتحرك العِلَج فرحاً، وقد طمع في الظفر والغنيمة وانتهاز الفرصة. فلما التقى الجمعان، خرجت الكائن عن يمين وشمال، وتواترت الخيل أرسلأعلى أرسال، حتى غشي الأعداء منهم ظِلُّ كالجبال؛ فانهزم المشركون وأهل طَبْلُطَّة، وأخذتهم السلاح، هَذَا بالسيف، وطعنًا بالرماح؛ فقتل الله عامتهم، وأباد جماعتهم. ورجز من رؤوسهم ما كان في المعركة وحواليها ثمانية ١٥ آلاف رأس، وجمعت ورُصِعت؛ فصار منها جبلٌ علاه المسلمون، يُكبرون ويهللون ويحمدون ربهم ويشكرون. وبعث الأمير محمد بأكثرها إلى قرطبة، وإلى سواحل البحر، وإلى العدو. وانتهى عددٌ من قتلهم في هذه الواقعة إلى عشرين ألفاً. وكانت في شهر محرم من السنة.

وفي سنة ٢٤١، شن الأمير محمد قلعة رباح وطَلَبيرة بالحشم، ورُتب فيها الفرسان؛ وترك فيها عاملاً حارث بن بَزِيع. وفيها، جدد الأمير محمد طُرُر^٢ الجامع بقرطبة وأتقن نقوشه. وفيها، حشد الأمير محمد، ودخل إلى ألبنة والفِلاع، وبلغ إلى أقصاها، وافتتح كثيراً من حصون المشركين.

وفي سنة ٢٤٢، كتب الأمير محمد إلى موسى بن موسى بجند النفور والدخول إلى بَرِشلونة؛ فغزا إليها، واحتل بها، وافتتح في هذه الغزاة حصن طَرَاة^٣، وهي من آخر أحواز بَرِشلونة؛ ومن خُس ذلك الحصن زينت

١) B. غُثُون (Gaston). ٢) Sic dans A. et B. Peut-être faut-il lire طُرُر.

٣) A. طَرَاة; B. طَرَاة.

الزوائد في المسجد الجامع بِرَقْطَة ؛ وكان الذي أسسه ونصب بِحْرَابَه حَشَّ الصَّنْعَانِي - رَضَه - وهو من التابعين .

وفيها وجَّه الأمير محمد ابنه المنذر بالجيوش الى طَلَبْطَلَة ؛ فحاصرها ، وأقام عليها يَنْفَ معاشها .

وفي سنة ٢٤٢ ، كانت وقعة عظيمة في أهل طَلَبْطَلَة ، وذلك أنهم خرجوا الى طَلَكِيرَة ؛ فخرج اليهم فائدتها مسعود بن عبد الله العريف ، بعد أن كمن لهم الكائن ؛ فقتلهم قتلاً ذريعاً ، وبعث الى قَرْطَبَة بِسبعائة رأس من رؤوس أكابرهم .

وفي سنة ٢٤٤ ، خرج الأمير محمد بن نفسه الى طَلَبْطَلَة ، وعدَّهم قد قُتِلَ ، وحَدَّم قد قُتِلَ ، بتواتر الوقائع عليهم ، ونزول المصائب بهم ؛ فلم تكن لهم حرب إلا بالقفطرة . ثم أمر الأمير بنطع القفطرة ، وجمع العرفاء من البنائين والسُّهْلَسِين ،

وأداروا المحلة من حيث لا يشعر أهل طَلَبْطَلَة . ثم نزلوا^١ عنها ؛ فيها^٢ هم مجتمعون بها ، إذ اندقت بهم ، وتهدمت نواحيها ، وانكفأت من كان عليها من الحماة والكُفَاة ؛ فغرقوا في النهر عن آخرهم . فكان ذلك من أعظم صنيع الله فيهم .

وفي سنة ٢٤٠ ، دعا أهل طَلَبْطَلَة الى الأمان ؛ فعقد الأمير لهم ؛ وهو الأمان الأول .

وفيها ، خرج الجُوس أيضاً الى ساحل البحر بالغرب ، في اثني وستين مركباً ؛ فوجدوا البحر محروساً ، وسرايكب المسلمين معدة ، تجري من حائط إفرنجية الى حائط جَلَيْفِيَّة في الغرب الأقصى . فتقدم مركبان من سرايكب الجُوس ؛ فتلاقت بهم المراكب المعدة ؛ فوافقوا حذيق المركبتين في بعض كُور بَاجَة ؛ فأخذوها بما كان فيهما من الذهب والفضة والسبي والعدة . ومرَّت سائر مراكب الجُوس في الريف حتى انتهت الى مصب نهر إشبيلية في البحر ؛ فأخرج الأمير الجيوش ، ونفر الناس من كل أوب ؛ وكان فائدتهم عيسى بن الحسن الحاجب .

١) A. نزلوا Peut-être: تولوا. ٢) B. ajoute: الكائنون.

وتقدمت المراكب من مصب نهر إشبيلية حتى حلت بالجزيرة الخضراء،
فغلبوا عليها، وأحرقوا المسجد الجامع بها، ثم جازوا إلى العنوة، فاستباحوا
أربابها، ثم عادوا إلى ريف الأندلس، وتوافوا بساحل تدمير، ثم انتهبوا إلى
حصن أوربولة، ثم تقدموا إلى إفرجة، فشنوا بها، وأصابوا بها الذراري
والأموال، وغلبوا بها على مدينة بكنوها، فهي منسوبة إليهم إلى اليوم، حتى
انصرفوا إلى ريف بحر الأندلس، وقد ذهب من مراكبهم أكثر من أربعين
مركباً. ولهم مراكب الأمير محمد، فأصابوا منها مركبتين بريف شذونة، فيها
الأموال العظيمة. ومضت بقية مراكب الجيوش.

وفي سنة ٢٤٦، أغرى الأمير محمد بن عبد الرحمن إلى أرض بسلونة
أحد نواده، فخرج في هذه الغزوة خروجاً لم يخرج قبلاً مثله جمعاً وكثرة،
وكال عدة، وظهور مينة. وكان غرضه إذ ذاك منظاراً مع أزدون صاحب
جليقية، فأقام هذا القائد بدوخ أرض بسلونة، متدداً فيها اثنين وثلاثين
يوماً، بحرب المنازل، وبنف التار، وفتح القرى والحصون. وافتتح في الجملة
حصن قشيل، وأخذ فيه قرئون بن غرسية المعروف بالأنقر، وقدم به إلى
قرطبة، فأقام بها محبوساً نحواً من عشرين سنة، ثم رده الأمير إلى بلده، وعمر
قرئون مائة وست وعشرون سنة.

وفي سنة ٢٤٧، قال الرازي: غزا محمد بن السليم أرض الحرب، وعامل
الشعر إذ ذاك عبد الله بن يحيى. وكان كتب موسى بن موسى يذكر ما ناله
ونال أهل بلده في إداختهم أرض الجليقيين، وما وصل إليهم من النصب،
وسأل أن يكون دخول العسكر على غير ناحيته، فأسعف في ذلك، ودخلت
العساكر على غير بلده.

وفي سنة ٢٤٨، تقدم موسى بن موسى لمقاتلة ابن سالم في وادي الحجارة،
فناكته جراح منعه الركوب بعدها، وكانت سبباً لهلاكه، فتوفي في هذه السنة.

وفي سنة ٢٤٩، خرج عبد الرحمن ابن الأمير محمد إلى حصون آلبه والفلاح؛ وكان القائد عبد الملك بن العباس؛ فانتصها، وقتل الرجال، وهدم البنان؛ وانتقل في بساطها من موضع إلى موضع يحطم الزروع، وينقطع الثمار. وأخرج أردون بن إذقوث أخاه إلى مِصْبِق النَجِّ لقطع المسلمين، وينمّضهم فيه؛ فتقدم عبد الملك؛ فقاتلهم على المِصْبِق، حتى هزمهم وقتلهم وبدددم؛ ثم وأنهم بنية العساكر، وأظلمت الخيل من كل الجهات؛ فصبر أعداء الله صبراً عظيماً؛ ثم انهزموا. ومنح الله المسلمين أكنافهم؛ فقتلوا قتلاً ذريعاً؛ وقتل لهم تسعة عشر قوماً من كبار قوادهم.

وفي سنة ٢٥٠، كملت مقصورة المسجد الجامع بخرطبة؛ وبني فيها الأمير محمد بيانا كثيراً في القصر الكبير والمدينة الخارجة عنه. ولم تكن في هذه السنة صائفة، استغنى بالفزوة المتقدمة، وأريج العسكر فيها. P. 101

وفي سنة ٢٥١، كانت غزوة آلبه والفلاح أيضاً (هزيمة البركوكيز - أخراه الله ١١-)؛ خرج إلى هذه الغزاة عبد الرحمن بن محمد، وتقدم حتى حل على نهر دوير. وتوالت عليه العساكر من كل ناحية، فربها. ثم تقدم؛ فاحل بنج بردنش^١؛ وكانت عليه أربعة حصون؛ فغلب العسكر عليها، وغنم المسلمون جميع ما فيها وخربوها؛ ثم انتقل من موضع إلى موضع، لا يثر بمكان إلا خربه، ولا موضع إلا حرقه، حتى اتصل ذلك في جميع بلادهم. ولم يبق لرذريق صاحب الفلاح، ولا لرذيمير^٢ صاحب نوقه، ولا لغنیشلب صاحب برجة، ولا لغويس صاحب مسانقة، حصن من حصونهم إلا وعنه الحراب. ثم قصد الملائكة، وكانت من أجل أعمال رذريق؛ فحطم ما حولها وعنا آثارها. ثم تقدم يوم الخروج على فتح البركوكيز؛ قصد العسكره، وتقدم رذريق بحشوده وعسكره؛ فحل على الخندق المجاور للبركوكيز. وكان رذريق قد عانى

1) Sic dans A. et B.

2) A. et B. بردنش.

3) Manque dans A.

تَوَعَّيْرُهُ أَعْوَامًا، وَخَرَّ فِيهِ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ، وَقَطَعَهُ مِنْ جَانِبِ الْهَضْبَةِ؛ فَارْتَفَعَ جُرْفُهُ، وَانْطَلَعَ مَسْلُكُهُ؛ فَتَزَلَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٌ عَلَى وَادِي إِثْرِهِ بِالْعُسْكَرِ، وَعَبَا الْقَائِدُ عَبْدُ الْمَلِكِ لِلْفِتَالِ؛ وَعَبَا الْمُشْرِكُونَ، وَجَعَلُوا الْكَائِنَ عَلَى مَبْنَى الدَّرْبِ وَمَبْرَتِهِ. وَتَنَافَضَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعَ الْمُشْرِكِينَ بِصُدُورِهِمْ؛ فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ جَلَادٌ شَدِيدٌ. وَصَدَّقَ الْمُسْلِمُونَ الْقِتَاءَ؛ فَانْكَشَفَ الْأَعْدَاءُ عَنْ الْخَنْدَقِ، وَانْحَازُوا إِلَى هَضْبَةٍ كَانَتْ تَلِيهِ. ثُمَّ نَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٌ، وَنَصَبَ قُضَاطَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْتَزُولِ وَضَرْبِ أَنْيَّتِهِمْ؛ فَأَقَابَتِ الْمُهَلَّةُ. ثُمَّ نَهَضَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهِمْ؛ فَصَدَقُوهُمْ الْقِتَالَ، وَضَرَبَ اللَّهُ فِي وَجْهِهِ الْمُشْرِكِينَ، * وَمَنْحَ ١٠٢ : الْمُسْلِمِينَ أَكْثَانَهُمْ؛ فَقَتَلُوا أَرْحَ قَتْلٍ؛ وَأَسْرَ مِنْهُمْ جَمِيعٌ. وَاسْتَرْشُوا فِي الْمَرْيَةِ إِلَى نَاحِيَةِ الْأَفْرُونِ، وَاقْتَحَمُوا نَهْرَ إِثْرِهِ بِالْإِضْطِرَارِ فِي غَيْرِ مَخَاضَةٍ؛ فَمَاتَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ غَرَقًا. وَكَانَ الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فِيهِمْ مِنْ ضَحَى يَوْمِ الْخَمِيسِ لَانْتَهَى عَشْرَةُ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ رَجَبٍ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ. وَسَلَّمُ اللَّهِ الْمُسْلِمِينَ وَنَصَرَهُمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. وَكَانَ قَدْ لَجَأَ مِنْهُمْ إِلَى الْوَعْرِ وَالْغِيَاضِ، عِنْدَمَا أَخَذَتْهُمُ السُّيُوفُ، جَمِيعٌ؛ فَتَشَبَّعُوا وَقَتَلُوا؛ ثُمَّ هَبَّتِ الْخَنْدَقُ وَسُيِّحَتْ حَتَّى سَهَّلَ، وَسَلَكَهُ الْمُسْلِمُونَ غَيْرَ خَائِفِينَ وَلَا مُضْطَّعِينَ. وَأَعْظَمَ اللَّهُ الْيَقِيَّةَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالصُّنْعِ الْجَمِيلِ، وَالْفَتْحِ الْجَلِيلِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَكَانَ سَلَخُ مَا حَبَزَ مِنْ رُؤُوسِ الْأَعْدَاءِ فِي تِلْكَ الْوَقْعَةِ عَشْرِينَ أَلْفَ رَأْسٍ وَأَرْبَعِينَ رَأْسًا وَاثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَأْسًا.

وَفِي سَنَةِ ٢٥٢، خَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٌ غَارِبًا إِلَى آلِيهِ وَالنِّلَّاعِ؛ فَحَارِبَ أَهْلَهَا، وَأَفْسَدَ زُرُوعَهَا، وَغَادَرَهَا قَسِيًّا. وَكَانَ أَهْلُ هَذَا الْجَانِبِ فِي ضَعْفٍ وَوَهْنٍ شَدِيدٍ أَتَجَاهَمُ إِلَى الْمَنْعِ مِنَ التَّجَمُّعِ وَالْإِحْتِشَادِ، لِأَنَّهُمْ نَالُوا فِي الْعَامِ الْفَارِطِ مِنَ النَّهْبِ وَالْقَتْلِ الدَّرْبِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٥٢، خَرَجَ الْحَكَمُ ابْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ غَارِبًا إِلَى جَرْنِيْقِ؛ فَجَالَ فِي أَرْضِ الْأَعْدَاءِ، وَحَلَّ عَلَى حَصْنِ جَرْنِيْقِ، وَحَاصَرَهُ حَتَّى قَتَعَهُ عَنَقًا.

وفيهما كانت بالاندلس مجاعة عظيمة متوالية.

وفي سنة ٢٥٤، خرج الأمير محمد أف ماردة، وأظهر أن استعدادهم لطليطلة. وكان ماردة يوم من المستترين. فلما فصل من قرطبة، ونفتم بالتحلات الى طريق طليطلة، نكب الى ماردة؛ فاحتل بهم، ومهم في أمن وعلى غفلة. فحصدوا في المدينة أياماً. ثم ناقضوا النظرة؛ فوقع القتال، واشتد الحرب حتى غلبوا عليها؛ فأمر الأمير بتخريب رجل منها؛ فكان ذلك سبباً لإذعان أهل ماردة؛ فطاعوا على أن يخرج فرسانهم، وهم بومثله عبد الرحمن بن مروان، وابن شاكر، ومكحول، وغير هؤلاء؛ وكانوا أهل بأس ونجدة ورسالة مشهورة. فخرج المذكورون ومن هو مثلهم الى قرطبة بعباءهم وذرائعهم. وولى عليها سعيد ابن عباس القرشي، وأمر بهدم سورها؛ ولم تبقى إلا قصبتها لمن يرد من العمال.

وفي سنة ٢٥٥، خرج الحكم ابن الأمير محمد، وقصد مدينة سربة. وكان قد تغلب بها سليمان بن عبدوس، وخالف فيها؛ فبادرته الصائفة، وحلت به العساكر، وأحدثت بالمدينة، ورُميت بالمجانيق، حتى هتكت أسوارها. فقام أهلها على سليمان بن عبدوس؛ قطاع، ونزل؛ فقتل به قرطبة؛ فسكنها.

وفي سنة ٢٥٦، غدر عمرو بن عامر وشقة وملكها، وظهرت عادته في الثغر؛ فأخرج الأمير اليه قطعاً من الحشم والعدة، وقصد بها لاردة ابن مجاهد المعروف بالثدي برئى؛ فلزمها. وحشد عبد الوهاب بن مغيث الحشود، وقسم عليهم عبد الأعلى العريف، وبثه الى وشقة. فلما بلغ عمرو بن خبزة، خرج عن وشقة، وأسر بها كب بن زكرياء بن عمرو بن وكان أحد قتلة عامر السلطان بها موسى بن غنيد^١؛ فقتل كب وعاقب من السور.

وفي سنة ٢٥٧، خرج الى الثغر عبد الغافر بن عبد العزيز وكان نبطية.
فقبض على زكرياء بن عمرو بن علي أولاده وجماعة من أهل بيته، ونزل بهم
على باب مدينة سرقسطة، وقتلهم بها. وقفل الى قرطبة يالرووس.

وفي سنة ٢٥٨، كانت في الثغر ثورات وحركات، منها أن مطرفاً وإسماعيل
ابن لب، ويونس بن زباط غدروا بعد الوقاف بن مغيث، عامل طبلية،
وابنه محمد عامل سرقسطة. فتقبضوا عليهما، وملكوا في هذا العام الثغر. وكان
نوري مطرف في صغر، ودخل إسماعيل سرقسطة في ربيع الأول.

وفي سنة ٢٥٩، خرج الأمير محمد بن عبد الله الى الثغر، وحل في وجهه بطليطلة، ١٠٤
وأخذ رهانهم، وعقد أمانهم، وقاطعهم على قطع من العصور يؤذونه في كل
عام، وهو الأمان الثاني. واختلعت أموازم في عيالهم؛ فطلب قوم منهم توبة
مطرف بن عبد الرحمن، وطلب آخرون توبة طريشة^١؛ فولى كل واحد منهما
جانباً، ونفساً المدينة وأقاليمها على حدود منهوم معلومة؛ ثم تنازعا، وأراد
كل واحد منهما الانفراد بملك طليطلة. ثم غلب الداعون الى تقديم طريشة^١
ابن ماسوية، وتأخير مطرف المذكور. وكان الأمير محمد تنقفاً في وجهه هن،
في الارتحال والاحتلال، طلائع الظفر، ونواذر النجح والنصر. ونحوّل في الثغر
محاصراً لبني موسى، ومضيقاً عليهم. ثم تقدم الى بنسكونة؛ فوطئ أرضها، وأذل
أهلها، وخرّبها؛ ثم قفل؛ فحل بقرطبة، ومعه جماعة من الثوار الناكثين المفسدين.
فلما أخذ راحته، أمر بقتل مطرف بن موسى وبنيه، وأمر بإطلاق كائهم،
وكان لا ذنب له. فلما أخرج مطرف وشق للقتل، وأخرج كائهم للإطلاق،
وكان يعرف بالأصمعي، قال: «لا خير في العيش بعد هؤلاء!» فقُتِل للقتل
قبلهم، ورُفِعَت رؤوسهم.

١) طريشة A. et B.

وفي سنة ٢٦٠، خرج المنذر بن الأمير محمد إلى سرقسطة وبيبلونة؛ وكان القائد هاشم بن عبد العزيز. فاحل سرقسطة، وانتهب زروعها، وأذهب ثمارها وأشجارها، ونقل أطعمتها إلى وثقة، ونقل إلى بيبونة؛ فجال في أرضها، وأتلف معاش أهلها.

وفيها، كانت المجاعة التي عمت الأندلس؛ ومات فيها أكثر الخلق.

وفي سنة ٢٦١، هرب مابن مروان الجعفي من قرطبة مع رجال ماردة المنزليين^١ منها، واستفروا بقلعة الحنش. فعزاه الأمير محمد، وحاصره حصاراً قطع فيه وضيق عليه مدة من ثلاثة أشهر، ألجأه فيها إلى أكل الدواب؛ وقطع عنه الماء، ورماه^٢ بالجانيق، حتى أذعن، وطلب الأمان، وشكى ثقل الظهر وضيق الحال؛ فأباح له الأمير محمد الرحيل إلى بطليوس والحلول بها؛ وفي يومئذ قرية؛ فخرج إليها، وقفل عنه.

وفي سنة ٢٦٢، خرج المنذر بن الأمير محمد إلى ابن مروان؛ وكان القائد هاشم بن عبد العزيز؛ وهو الذي كان سبب هروب ابن مروان، لأنه قال له من بين الوزراء: «الكلب خير منك!» وأمر بصنع فناء، واستلخ في خزيه؛ فهرب مع أصحابه، وذلك في خير طويل. وكان ابن مروان قد ابني بطليوس حصناً، وجعله موطناً، وأدخل فيه أهل ماردة وغيرهم من أهل المكافئة له على الشر. فلما انتهى إلى ابن مروان تحرك العسكر إليه، تنقل عن بطليوس، وحل بحصن كركي^٣؛ واجتمع أهل ماردة إليه فيه؛ فقتل العسكر بمقرية من الحصن. وكان هاشم قد بعث إلى مئت شلوط خيلاً ورجلاً لضبطه. وكان سعدون الرمالي^٤ قد دخل^٥ إلى بلاد الشرك مستمداً؛ فجاء^٤ بمدد من المشركين، وأظهر أنه في قلة؛ فكتب بذلك^٥ عايل حصن مئت شلوط إلى

١) المنزليين. ٢) A. et B. كركي. ٣) الرمالي B.

٤-٤) Lacune dans A. ٥) B. وهرب.

هاشم، فرأى هاشم أن ذلك فرصة في سَعْدُون، فبادر بالخروج من العسكر على غير تَعَيُّن ولا أَهْبَة، في خيل قليلة. وأخص هاشم، وجاوز الوعر، وأبعد عن العسكر، فأخذت المضايقي عليه، وناشبوه القتال، فأخذته جراح، وقُتِلَ من أصحابه جماعة، وأسر هاشم المذكور. ولما اتصل خير هاشم بالأمير محمد، وقع في جابه، وقال: «هذا أمرٌ جئتُ على نفسه بطيشه وعجلته!» ثم ردَّ ولده عَوْضاً منه. وحصل هاشم أسيراً بيد ابن مروان الذي صنعه في أسره في قَرْطَبَة، فبرَّه ابن مروان، وأكرمه، وأحسن إليه، ولم يعاقبه بما فعل معه.

وفي سنة ٢٦٢، خرج المنذر بن الأمير محمد، وجعل طريقه على ماردة. فلما انتهى ذلك إلى ابن مروان، زال عن بَطْلَبُوس، واحتل بها قائد المنذر الوليد بن غانم، فحرب ديارها. وتقدم ابن مروان إلى بلاد العدو.

وفي سنة ٢٦٤، حارب المنذر سَرْقُطَة، وأفسد ما ألقى من زروعها، ثم تقدم إلى نَظِيلَة والمَواضع التي صار فيها بنو موسى، فاتسبها، وأجال العسكر عليها.

وفيها، دخل البراء بن مالك من باب قُسَيْرَة إلى جَلِيقَة بحشود الغرب، وتردد هناك حتى أذهب نعيمهم. وفيها، انطلق هاشم من الأسر.

وفي سنة ٢٦٥، ظهرت الفتن وظهر الشر في جانب كورة رَينَة والجزيرة وناكُرنا، وظهر يحيى المعروف بالجزيري، فغزاه هاشم، فأدعن له، وقُتِلَ به إلى قَرْطَبَة.

وفي سنة ٢٦٦، خرج عبد الله بن الأمير محمد إلى كورة رَينَة ونواحي الجزيرة، وبني حصوناً في تلك النواحي، ثم قتل. وفيها، أمر الأمير محمد بإنشاء المراكب بقَرْطَبَة ليتوجَّه بها إلى البحر.

المُحِيط عبد الحميد الرُعَيْثِيُّ^١ المعروف بابن مُعَيْثٍ ؛ وكان قد رفع اليه رافع
أَنَّ جَيْفِيَّةً من ناحية البحر المُحِيط لا سُرَّ لها، وأنَّ أهلها لا يتنعمون من
جيش إن غَشِيَهُم من تلك الناحية. فلما كملت المراكب بالإنشاء، قُدِّم عبد
الحميد بن مُعَيْثٍ عليها. فلما دخل البحر، تقطعت المراكب كلها وتفرقت،
ولم يجتمع بعضها الى بعض. ونجا ابن مُعَيْثٍ.

وفي سنة ٢٦٧، الثالثُ المحصونُ المنشأ بِرَبَّةٍ وتأكُرْنَا وجهه الجزيرة.
وقبها، ابتداءً شُرَّ الثَّعِينِ^٢ عَمَرُ بن حَفْصُون، الذي أعصى الخلفاء أمره، وطالت
في الدنيا قَتْنُهُ، وعظم شرُّه ؛ فقام في هذه السنة على الأمير محمد بناحية رَبَّةٍ.
فتنقش اليه عامر بن عامر؛ فانهزم عامر وأسلم قَتْنَهُ ؛ فآخذها ابن حَفْصُون، وهو
أول رواق ضَرَبَهُ ؛ فاستكن اليه أهل الشر. وعزل الأمير عامراً عن كورة رَبَّةٍ،
P. ١٠٧ وولَّاهَا عبد العزيز بن عباس ؛ فهادَنَهُ ابن حَفْصُون، وسكت الحال بينهما.
ثم عزَّل عبد العزيز، ونعزَّك ابن حَفْصُون، وعاد الى ما كان عليه من الشر.
وخرج هاشم بن عبد العزيز الى كورة رَبَّةٍ يطلب كلَّ من كشف وجهه في
السنة وأظهر الخلفاء، وأخذ رهائن أهل تَاكُرْنَا على إعطاء الطاعة.

ومن العجائب في هذا العام، ما ذكره الرازي وغيره. قالوا^٣: زُلْزِلَت الأرض
بِقُرْطَبَةٍ زلزلاً شديداً، وهاجت ريحٌ عند صلاة المغرب ؛ فأنارت سحاباً فيه
ظُلُمَات ورعد وبرق ؛ فصُعِقَ مِنْهُ نفر، وانقلبوا على ظهورهم، مات إثنان ؛
وخرَّ جميع الناس سُجداً إلا الإمام، فإنه ثبت قائماً ؛ وكان الرجلان اللذان ماتا
أقرب الناس الى الإمام ؛ فاحترق شعرُ أحدهما واسودَّ وجهه وشيئهُ الأيسر ؛
والآخر ظهر بشيئهِ الأيمن - سواداً ؛ والأربعة الصَّرعَى مكثوا حتى فرغ الإمام ؛
فسُلِّلوا عما أَحْسَوْا ؛ فقالوا: «أَحْسَنَّا نَاراً كَأَنَّهَا المِوَجُ الثَّقِيلُ». ووجد أهل
المسجد رائحة النار، ولم يُوجَدْ للصَّاعقة أثرٌ في سفن ولا حائط. واهتزَّت لهذا

١) الروح ثَقِيل B. ٢) Manque dans A. ٣) قالوا B. الروح ثَقِيل B.

الزلازل القصور والجبال، وهرب الناس^١ إلى الصحارى، ضارعين إلى الله تعالى. وعمّ هذا الزلزال من البحر الشامي إلى آخر الجوف وإلى آخر أرض الشرق، لم يخلف في ذلك مختلف.

وفي سنة ٢٦٨، خرج المنير ابن الأمير محمد، والفائد هاشم بن عبد العزيز؛ فقصد الثغر الأقصى، وحطم سرقطة، وفتح حصن روطنة؛ ثم تقدم إلى آلبه والفلاح، وفتح حصونا كثيرة^٢، وأخلى حصونا كثيرة^٣، خوفاً من معرفة العسكر، وتوقعاً من تغلبه.

وفيها، فسد ما بين المنير وبين الوزير هاشم بن عبد العزيز.

وفي سنة ٢٦٩، قال الزازي: وفي سنة ٢٦٩، غزا محمد بن أمية بن شهيد إلى كورة ربة وكورة إلبيرة. وكانوا بجبال توحش ونفارس؛ فسكن أحوال أهلها، وهدن الناس بها، ونظر في استئصال رجال بجبال ربة وغيرها من بني رفاعه وغيرهم.

وفي سنة ٢٧٠، استتم محمد بن أمية بن شهيد استئصال بني رفاعه. وأثناء في هذه الغزاة كتاب الأمير محمد بنولبة عبد العزيز بن العباس كورة إلبيرة؛ قولاً، وفعل.

وفيها، غزا هاشم كورة ربة، واستئصل عمر بن حفصون من جبل برشتر وفيه به قرطبة؛ فأنزله الإمام، وأوسع له في الإكرام.

وفي سنة ٢٧١، هرب عمر بن حفصون من قرطبة، ولجأ إلى جبل برشتر؛ فأنشد الأمير محمد إلى حربه؛ وحوصر في السنة الآتية.

وفي سنة ٢٧٢، خرج عبد الله ابن الأمير محمد، والفائد هاشم بن عبد العزيز. وقصد الغرب إلى ابن مرقان، وهو بجبل اشبرغزة^٤؛ فأنزله وحاربه.

١) A. ajoute المنصور. 2-2) Manque dans B. 3) A. شرعية. B. الشبرغة. 4) A. الشبرغة.

قال حَمَّان بن خَلَف في عُمَر بن حَفْصُون: هو كبير الثَّوَار بِالْأَنْدَلُسِ
وَنَسَبُهُ: عُمَر بن حَفْص، المعروف بِحَفْصُون، بن عُمَر بن جَعْفَر بن شَيْم بن ذِيان
ابن قَرْعَلُوش^١ بن إِذْفُونِش، من مَسَالِيَةِ الدِّيمَةِ، من كُورَةِ تَاكُرْنَا من عَمَلِ رُنْدَةٍ.
وكان الذي أَسْلَمَ منهم جَعْفَر بن شَيْم؛ فَفُتْنَا نَسْلُهُ في الإِسْلَام. وكان له من الولد
الذَّكُورُ عُمَر وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ؛ فَوُلِدَ عُمَرُ بن جَعْفَر حَفْصًا. وولد حَفْصُونُ هَذَا عُمَرُ
هَذَا النَّائِرُ الْمَلْعُونُ؛ فَعُمَرُ هَذَا هو الذي ثَارَ على الأَمِيرِ مُحَمَّدٍ أَوَّلًا، ثُمَّ بَلَغَ بَعْدَ
ذَلِكَ في الشَّقَاقِ وَالْفِتَنِ مَبْلَغًا لَمْ يَبْلُغْهُ نَائِرٌ بِالْأَنْدَلُسِ. واستوطن لأَوَّلَ نِفَاقِهِ
حِصْنَ بَرْشَنَرِ قَاعِدَةٍ وَحَضْرَةٍ، وَهِيَ أَمْنَعُ فِلَاحِ الْأَنْدَلُسِ قَاطِبَةً، وَذَلِكَ في هَذِهِ
السَّنَةِ، وَهُوَ تَارِيخُ صُعُودِهِ الْآخِرِ إِلَيْهَا الَّذِي تَوَطَّدَ لَهُ مُلْكُهُ فِيهِ، وَخَالَفَ على
السُّلْطَانِ حَتَّى رَضِيَ عَنْهُ بِالمُتَارَكَةِ. وَأَنْصَلَتْ أَيَّامُهُ في ظُهُورِ وَعِزَّةٍ حَتَّى قَتَلَ فِيهَا
ثَلَاثَةَ مِنْ خُلَفَاءِ المُرَوَاتِييْنَ أَيْمَةَ الجَمَاعَةِ بِالْأَنْدَلُسِ - رَحِمَهُمُ اللهُ! - أَوَّلُهُمْ هَذَا
P. 106 الأَمِيرُ مُحَمَّدٌ؛ وَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ عَلَى بَدِ الرَّابِعِ مِنْهُمْ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
النَّاصِرُ، عَلَى مَا بَأْنَى مَقَرًّا.

وفي سنة ٢٧٢، خرج المُنْتِيرُ بن الأَمِيرِ مُحَمَّدٍ إِلَى كُورَةِ رِيَّةَ، وَالثَّانِي مُحَمَّدُ
ابن جَهْوَرٍ. فَفُتِدَ مَدِينَةُ الْحَامَةِ، وَفِيهَا حَارِثُ بن حَمْدُونٍ مِنْ بَنِي رِفَاعَةٍ؛
وَكَانَ مَظَاهِرًا لِعُمَرِ بن حَفْصُونٍ، وَكَانَا قَدْ اجْتَمَعَا بِالْحَامَةِ. فَتَارَزَلَهُمْ، وَنَاقَضَهُمْ،
وَأَحْدَقَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؛ وَأَقَامَ مُحَاصِرًا لَمْ يَنْتَهِرَيْنِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمُ الصِّيقُ،
بَرَزُوا إِلَى بَابِ المَدِينَةِ خَارِجًا، مُسْتَعْبِلِينَ لِلْحَرْبِ. وَقَامَ بِهِمَا قِتَالَةٌ جَرَّاحٌ،
وَشَلَّتْ يَدُهُ؛ ثُمَّ انْهَزَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَصَارُوا بَيْنَ قَتِيلٍ وَقَلِيلٍ. وَدَخَلَ بِأَقْبَمِهِمْ فِي
الْحَامَةِ. فَبَيْنَا المُنْذِرُ فِي هَذِهِ الْحَالِ مِنَ السَّرُورِ، إِذْ آنَاءَ الْخَبَرِ بِمَوْتِ أَبِيهِ الأَمِيرِ
مُحَمَّدِ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لِلْبَلَّةِ بَنِيَتْ مِنْ شَهْرِ صَنْرٍ مِنَ السَّنَةِ؛ وَدُفِنَ
فِي القَصْرِ. وَأَذْرَكَ المُنْذِرُ قَبْلَ مُوَارَاتِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ.

1) Vocalisé dans B.

بعض أخلاقه وسيره

كان الأمير محمد - رحمه الله - فصيحاً، بليغاً، عظيم الإناة، منترها عن الفصح، يؤثر الحق وأهله، لا يسمع من باعٍ، ولا يلتفت إلى قول زائع. وكان عاقلاً، على أخلاق جميلة ومكارم حميدة، ذا بديهة وروية، يرى كل من باشره وحذثه أن له النفل المستبين في إدراكه، وفهيه، ودقة ذهنه، ولطف نطقه، وجرأته رأيه. وكان أعلم الناس بالحساب وطرق الخدمة. وكان متى أغضل منها شيء، رجع إليه فيه؛ وإذا أخل أحد من خزانه وأقل خدمة الحساب بشيء من ذلك، لم يجز عليه بأدنى لحظة أو نظرة. ولقد استدرك على بعض خزانه في صلح يشتمل على مائة ألف دينار خمس درهم؛ فرد الصك، وأمر بتصحبه؛ فتجمع الخدمة والكتاب عليه؛ فلم يفعلوا على ذلك التفتان ليدفعه وخفائه؛ فرجعوا إليه معترفين بالتقصير، وأعطوا الرسول؛ فرد الصك إليه وأعلمه باعترافهم؛ فعلم لهم على موضع الخطاء؛ فإذا هو خمس درهم. ^{١٠}

وقال هاشم بن عبد العزيز: كان الأمير محمد - رحمه الله - أصح الناس عفاً، وأحسنهم نبيراً، وأبصرهم بوجه الرأي. وكان يستشيرنا؛ فنجتهد ونقول ونعصّل؛ فإن أصبنا، أمضى ذلك؛ وإن كان في الرأي خلل، قام فيه بالحجة، وأبانته بما تعجز الأوهام عنه تنقيحاً وتهذيباً.

ومما يحفظ عنه أنه قال لهاشم في شيء أنكره عليه من عديم الثبوت: «يا هاشم! من أمر الشرعة أفضت به إلى الفتوة. ولو أنا أضغينا إلى محور زلاتك، وأصغنا إلى هفواتك، لَكُنَّا شُرَكَاءُكَ فِي الزَّلَّةِ، وَفُسْمَاءُكَ فِي الْعَجَلَةِ! فَمَهْلًا عَلَيْكَ، وَرَوَيْدًا بِكَ! فَإِنَّكَ إِنْ عَجِلَ يُعَجَّلَ لَكَ!» وكان، مع تشبهه وأناته، وافيًا لمواليه في أنفسهم وأعنائهم، لا يكدر عنده كادح في شيء عن أحد، فيسعه أو يسعه.

ولقد ولّى الكتابة عبد الملك بن عبد الله بن أمية اصطفاً له، وعائدة

عليه ؛ فرد عليه يوماً جواباً يقول فيه : « قد فهمنا عنك : ولم نأت ما آتيناك
عن جهل بك ، ليكن اصطناعاً لك ، وعائدة عليك . وقد آتيناك الاستعانة
بأهل النظرة من الكتاب . فتعجز منهم من يثق به وتعصده عليه . ونحن نعينك
على أمرك بتفقد كُتُبك والإصلاح عليك ، أي أن تركب الطريقة وتبصر الخدمة
إن شاء الله تعالى ! » فحسك على الخطنة لشرفها من رأى نفسه أولى بها لاستكمال
أقربانها ؛ فصولب عليها . وكان أنتد الناس في ذلك هاشم بن عبد العزيز ،
يُخبر سقطين ، ويتبع قنوايه ، ويتبع عليه ؛ والأمير محمد بنطته يتقافل له .
فلما طال عليه الصبر ، دعا هاشماً ، وقال له : « قد أكثر أقل خدمتنا وأكثرنا
في هذا الكتاب : تذكرون جهله وفدنته ، وقد ضسنا إليه من الكتاب من
يسعين به ، وينظرون على خدمته بكماله ؛ وإياها تقفوا بخدمتنا ، وتسلك بمراتبنا
طريق من ابتدأها وأسها ووضع أهلها فيها . وإذا كنا لا نخلف آباءكم بكم ،
ولا نخلفكم بأبنائكم ، فعد من تصنع إحساناً وترب أباينا ؟ أعد آباءنا الفرائين
أو الحجازيين أو أمثالهم من المستبينين ؟ » وأت كنت أحق بالحض على هذا ،
وتصوب الرأي فيه ، إيا ترجو من مثله في أولادك وعقبك ! » فرجع هاشم
إلى الشكر له ونفيل يده ورجله .

وكان - رحمه الله ! - مأمولاً محبواً في جميع البلدان . وكان محمد بن أفلح
صاحب ناهزت لا يتلى ولا يؤخر في أموره ومعضلاته إلا عن رأيه وأمره ؛
وكذلك بنو مندرار بجلماة . وكان قروئس^(١) ملك إفريقية يسترجع عقله ؛
فيهاديه وينحفه ؛ وهو (أعنى قروئس^(٢)) الذي عمل صورة عيسى من ثلاثمائة
رطل من ذهب خالص ، وصفها بالياقوت والزبرجد ، وجعل لها كرسياً من ذهب
خالص منقش بالياقوت والزبرجد أيضاً ؛ فلما اكمل ذلك ، سجد له وأسجد له
جميع أهل إفريقية في ذلك التاريخ ؛ ثم دفعه إلى صاحب كيسة الذهب برومة .

1) Manque dans A. 2) Leçon proposée (Carolus [Charles le Chouve]) à la
place de la leçon فرذلد (Ferdinand) offerte par A. et B.

وكان الأمير محمد - رحمه الله - مهتلاً بأمر رعيته، مرافياً لمصالحها. ووضع عن أهل قُرطبة ضريبة الخشود والبعوث. وقال ابن حيّان: كانت عِدّة الفرسان المستقرين لغزو الصائفة المجرّدة إلى جليقية في مدّة الأمير محمد مع الولد عبد الرحمن ابنه على هذه النسبة المنصّلة: من ذلك كورة البيرة: ألفان وتسعمائة؛ جيان: ألفان ومائتان؛ قبرة: ألف ومائتان؛ باعة: تسعمائة؛ تآكرنا: مائتان وتسعة وتسعون؛ الحزيرة: مائتان وتسعون؛ إسنجة: ألف ومائتان؛ قرمونة: مائة وخمسة وثمانون؛ شدونة: ستة آلاف وسبعمائة وتسعون؛ ربة: ألفان وشئانة؛ فخص السلوط: أربعائة؛ مؤرور: ألف وأربعائة؛ تدمير: مائة وستة وخمسون؛ ربيّة: مائة وستة؛ قلعة رباح وأوربط: ثلاثمائة وسبعة وثمانون. قال: ونفّر من أهل قُرطبة لهذه الغزوة عدد لم يوقف على قدره. وكان هذا العهد الذي غزا به بعد أن رفع * الضريبة التي كانت على أهل قُرطبة وأقاليمها وغيرها من البلاد؛ وقطع عنهم الخشود التي كانوا يؤخذون بتجديدها في كلّ سنة للصوائف الغازية لدار الحرب، وأعطاهم من موكلهم إلى اختبار أنفسهم في الطواعية للجهاد من غير بعث^{١)}. فحسن موقع ذلك منهم، وتضاعف حنّهم له وشكرهم واعتباطهم بدولته.

وذكر جماعة من المؤرخين، عن بقيّ بن مخلّد، أنّه قال: ما كلّتُ أحداً من ملوك الدنيا أكملَ عقلاً ولا أبلغَ فضلاً من الأمير محمد. دخلتُ عليه يوماً في مجلس خلافة؛ فافتتح الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي صلّم؛ ثم ذكر الخلفاء خليفة خليفة؛ فحلى كلّ واحد منهم بتعليته، ووصفه بصيته، وذكر مآثره ومنافيه بأفصح لسان وأبلغ بيان، حتّى انتهى إلى نفسه؛ فسكت. وفي صدر دولته سعى بقيّ بن مخلّد إلى الأمير محمد؛ وذلك أنّه لما قدم بقيّ بن مخلّد من المشرق عن رحلته الطويلة بما جمع من العلوم الواسعة والروايات العالية والاختلافات النفيّة، أغاظ ذلك فقهاء قُرطبة أصحاب الرأي والتقليد،

الزائدين في الحديث، الفارين عن علوم التحقيق، المقتصرين عن النبوع في المعرفة، فمحدوه، ووضعوا فيه القول النصح عند الأمير، حتى أزموه البدعة، وشقوه^١ إلى العامة. ونحط كثير منهم برميهم إلى الإلحاد والزندقة، وتشاهدوا عليه تلبظ الشهادة، داعين إلى سلك فيه، وخطبوا الأمير محمداً في شأنه، يعزفونه بأمره، ويكثرون عليه بكل ما يرجون به الوصول إلى سلك دمه، ويسألونه تعجيل الحكم فيه. فاشتد خوف بقي بن مخلد جداً، واستر خوفاً على دمه، وعيّل على الفرار عن الأندلس إن أمكنه ذلك. فأرشد الله إلى التعلّق بجبل هاشم بن عبد العزيز، وسأله الأخذ بيده، وكسب إلى الأمير محمد، يئسده الله في دمه، ويسأله الشئ في أمره، والجمع بينه وبين خصومه، وسأع حجته، فيأتي في ذلك بما يوفقه الله له. فالتقى الله في نفس هاشم الإصغاء إلى شكواه، والاعتناء بأمره، فشر له عن ساعده، وأوصل كتابه إلى الأمير محمد بشرح حاله، فعطف عليه، وأنهم الساعين به إليه، فأمر بتأمين بقي بن مخلد، وإحضاره مع الطالبين له، فناسطروا بين يديه، فأدلى بقي بحجته، وظهر على خصومه، واستبان الأمير محمد حذم إياه لتفصيرهم عن مداه. فدفعهم عنه، ونفّس إليه بطائفة قدمه، ونشر عنه. وأمر بإبصاله إليه في زمره من النقباء. والرفع من منزله، فاعتلى ذروة العلم، ولم ينزل عظيم القدر عند الناس وعند الأمير محمد إلى أن مات - رحمه الله!

وفي صدر دونه، توفي عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب، وذلك في رمضان سنة ٢٣٩. وهو عبد الملك بن سليمان بن مروان بن جيهلة بن عباس ابن مرقاس السلمي، يكنى أبا هارون، أوله من كورة إنييرة، ونفقه الأمير محمد إلى قرطبة، بل نقله أبوه عبد الرحمن بن الحكم. وكان محمد بن عمر بن لسانة يقول: عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب، وعقلها يحيى بن يحيى، وقبيلها عيسى بن دينار. قال ابن وضاح وغيره: لم يقدم الأندلس أحد أفضه

١) وبعضه.

من سَحْنُون، إِلَّا أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ هُوَ أَطْوَلُ لِسَانًا مِنْهُ، يَعْنِي ابْنَ حَيْبٍ -
 وَكَانَ ابْنُ حَيْبٍ أَدِيبًا، غَوِيًّا، حَافِظًا، شَاعِرًا، مُنْصَرِفًا فِي فَنُونِ الْعِلْمِ مِنَ
 الْأَخْبَارِ وَالْأَنْسَابِ وَالْأَشْعَارِ. وَلَهُ مَوْثِقَاتٌ حَسَنَةٌ فِي الْفَقْهِ وَالْأَدَبِ وَالنَّوَارِغِ
 كَثِيرَةٌ. (١) قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: بِضَاعَتُهُ فِي الْحَدِيثِ مُرْجَأٌ (٢). وَكَانَتْ عَلَيْهِ النَّفْسُ الَّتِي مَاتَ
 مِنْهَا الْخَصَى. وَتَوَفَّى وَبَنَى أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً. وَكُتِبَ إِلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
 الْحَكَمِ فِي لَيْلَةِ عَاشُورَاءَ [بَسِطًا]:

لَا تَنْسَ، لَا يَتَسَكَ الرَّحْمَنُ، عَاشُورَا وَآذِكْرُهُ لَا زَلَّتْ فِي الْأَخْبَارِ مَذْكُورَا
 مَنْ بَاتَ فِي لَيْلِ عَاشُورَاءَ ذَا سَعْدٍ يَكُنْ بِمِيشَرٍ فِي الْحَوْلِ مَحْشُورَا
 خَارِغَبٌ، قَدْ بَشَّرْتُكَ، فِيمَا فِيهِ رَغَبَا خَيْرُ الْوَرَى كُلِّهِمْ حَبَا وَمَقُورَا

وخرج الأمير محمد بن عبد الرحمن إلى الرضافة يومًا مستترها، ومعه هاشم
 ابن عبد العزيز؛ فكان بها صدرَ نهاره على لذته؛ فلما أُمس، واختلط الظلام،
 انصرف إلى القصر، وبه اختلاط. فأخبر من سَمِعَهُ هاشمَ يقول له: «يا ابن
 الخلائف! ما أطيب الدنيا لولا الموت!» فقال له الأمير: «يا ابن الخلاء!
 لَعَنْتَ فِي كَلَامِكَ! وَهَلْ مَلَكْنَا هَذَا الْمَلِكُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ إِلَّا بِالْمَوْتِ؟
 فَيُؤَلِّمُ الْمَوْتَ، مَا مَلَكْنَا أَبَدًا!»

وكان الأمير محمد - رحمه الله - غَزَاهُ لِأَهْلِ الشِّرْكَ وَالْإِخْلَافِ. وَرُبَّمَا
 أَوْغَلَ فِي بِلَادِ الْعَدُوِّ السَّنَةَ الْأَشْفَرُ وَالْأَكْثَرُ، بِحَرْقٍ وَبِنَسْفٍ. وَلَهُ وَفْعَةٌ وَادِي
 سَلِيطٍ، وَهِيَ مِنْ أَمْعَاتِ الْوَقَائِعِ؛ وَلَمْ يُعْرِفْ بِالْأَنْتَلَسِ قَلِيلًا مَثَلُهَا. وَبِهَا يَقُولُ
 عَنَّا بْنُ فَرَّاسٍ، وَنَعْرِهُ بِكُنْيَا مِنْ صَنَتِهَا؛ وَهُوَ [طَوِيلٌ]:

وَمُخْتَلِفِ الْأَصْوَاتِ مُوْتَلَفِ الرَّحْفِ (٣) لَهْوِ اللَّأَعْبَلِ الْقَبَائِلِ (٤) مَتَلَفِ
 إِنَّا أَوْصَتُ فِيهِ الصَّوَارِمُ خِلَقَهَا بُرُوقًا تَرَاهِي فِي الْجَوَامِ (٥) وَتَسْتَحْنِي

١-2) Manque dans A. ٣) A. et B. مختلف الرحف. ٤) القبايل.

٥) A. الجوام. ٦) B. الظلام.

كَأَنَّ ذَرَى الْأَعْلَامِ فِي مَبَلَّاهِ
وإن طَعَنَتْ أَرْحَاؤُهَا، كَانَ فَطْمِهَا
سَمِيًّا خِفْلَامِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ
قَبِيْرُ أَجْلِهِ يَوْمَ الثَّلَاثَةِ غَدَوَةٍ
بَنَى جَسَلًا وَادَى سَلْبِيَّةً فَاغْوَلَا
دَعَاؤُهُمْ صَرِيحُ الْحَبِيْرِ فَاجْتَمَعُوا لَهُ
فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بَعْضُهَا
كَانَ مَسَاعِيرَ الْمَوَالِي عَلَيْهِمْ
يَنْفِي سَنَابِيْرَ الْوَعْيِ حِينَ ضَمَّتْ^١
بَقُولِ ابْنِ يَرْبُوسَ^٢ لِمُوسَى وَقَدْ وَتَى^٣
قَتَلْنَا لَهُمُ الْفَأَ وَالْفَأَ وَشَلَقْنَا
سِوَى مَنْ صَوَّاهُ النَّهْرُ فِي مُسْلَحِيهِ

P. 110

قال أبو عمر السَّالْبِيُّ: كانت أولُ غزواته إلى بلد العدو، وقد حشد لها
وجنْدًا، وصوَّب كيف شاء، وصعد، إلى العدو، وقد ضاق بحيله النضام الواسع،
والمكان الداني والناح، وهو مناقِبُ لِقائِهِ! مُتَوَجِّعٌ إلى تَلْقائِهِ. فخامرَ الأميرُ
محمدًا الحَزْمِيَّ، وشأبه الرُّوعَ وَالزَّرْعَ، وظنَّ أن لا منجاة من الكُفَّارِ، وأنَّ المسلمين
هناك طَفَنَ الشَّفَارَ، فرأى من الحَزْمِ الْأَوْكَدِ، والنَّظَرِ الْأَحْمَدِ الْأَزْدَ، الرجوعَ
عن تلكِ الْحَرَكَةِ، لقوله تعالى: وَلَا تُقَاتِلُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ^٤؛ فقام رجلٌ؛
فقال: «أيُّها الأميرُ! قالَ اللهُ تبارَكَ وتعالى: الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ
قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ آيَةُ^٥، فقال له الأميرُ مُحَمَّدٌ: «والله! ما جِئْتُ^٦
نَفْسِي، إِلَّا أَنَّهُ لَا رَأْيَ لِي لَنْ لَا يُطَاعَ، وَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَجَامِدَ وَخِدِي!» فقال
له العَبَّاسِيُّ: «والله! ما أَرَأَى قَدَفَ بِهَا عَلَى لِسَانِهِ إِلَّا مَلَكًا! فَاتَّخِذِ اللهُ فِي لِيْلِكَ

١) نَشَأَ. ٢) يَرْبُوسَ. ٣) جَمَعَتْ. ٤) حَتَّى. ٥) أَرْكَانُهَا. ٦) ب. أَرْكَانُهَا.

٧) Cor., II, 191. ٨) Cor., III, 167-168. ٩) A. حَذَرْتُ.

هذا وفي يومك؟» فأراه الله في مُقابلة العذرة الرّشاد، وألهمه التوفيق والسداد، فندب الناس الى لقاء أعداء الله وأنصر دينه، وأن يكون كل على حسن ظنه من الظنر وينيه. فلما انعقدت راياتهم، وتأكدت على المفاصلة بينهم. قسّم عليهم الأمير محمد ابن المنذر، إذ كانت مشهوراً بالبأس، محبواً في الناس.

• صار المسلمون الى أن التقى الجمعان، والتفت الفريقان؛ فأعجب الله لأوليائه P. 116 ظنراً ونصراً، وجعل بعد غزير بئراً. قال: ولم يؤثّر مؤثّر الظنر إلا ومن رؤوس الأعداء جملة آلاف مقطوعة لأعداء الله؛ وذلك من فضل الله. وفي هذا التفتح يقول العنبي، يمدح الأمير محمداً في قصيد طويل أذكر هنا بعضه، وهو [كامل]:

سَائِلٌ عَنِ الشَّغْرِ الصَّوَامِ تَصَدَّقِ	وَأَسْتَنْطِقِ الشُّبْرَ الْعَوَالِي تَنْطِقِ
تَرَكْتُ وَقَائِعَ فِي الثُّغُورِ وَقَدْ غَدَّتْ	نَفْلًا يَكُلُّ مُغْرِبٍ وَمُشْرِقِ
وَأَدَاخَ أَرْضِ الْمُشْرِكِينَ يَوْئَعُهُ	تَرَكْنَهُمْ يَمْلَأُ الْأَشَاءَ الْمُحْرِقِ
جَادَتْ عَلَيْهِمْ حَرْبٌ بِصَوَاعِقِي	تَرَكْنَهُمْ يَمْلَأُ الرِّسَادِ الْأَزْرَقِ

خِلافة المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم

كنيته: أبو الحكم. مولده: سنة ٢٢٩. أمه: تسمى أثل، ولدت له سبعة أشهر. وزرأوه: أحد عشر. كتابه: اثنان: سعيد بن ميسر، وعبد الملك بن عبد الله بن أمية بن شبيب. حاجيه: عبد الرحمن بن أمية بن شبيب. قوائمه: سبعة. قاضيه: أبو معاوية طاهر بن معاوية اللخمي. نقش خاتمه: المنذر بقضاء الله راض. صفته: أسمر، جعد الشعر، بوجهه أثر جذري، يحضب بالحناء والكتم. أولاده الذكور: خمسة، والإناث: ثمان. يوبع يوم الأحد لسان خلون من ربيع الأول سنة ٢٧٣، وهو ابن أربع وأربعين سنة، وسبعة عشر يوماً؛ وتوفي في

غزاهُ له على برّشته يوم السبت للنصف من صفر سنة ٢٧٥. عُمره: سنة وأربعون سنة. خلافة: ستان إلا سبعة عشر يوماً. ودفن بقصر قُرطبة، وصلى عليه أخوه عبد الله، جد الناصر.

P. 117 واتصل به موت أبيه، وهو على حصن الحامة يُقاتل المرتد اللعين عمر ابن حفصون؛ فقتل إلى قُرطبة. وتبت له البيعة في اليوم الثاني من وصوله؛ فترق العطاء في الجند، ونحسب إلى أهل قُرطبة والزُعايا بأن أسقط عنهم عشر العام وما يلزمهم من جميع المقرم.

وكانت أكثر حصون رية قد حصلت في طوع ابن حفصون؛ فبعث إليها الإمام المنذر الأجناد؛ فانصرفت إلى الطاعة.

ولما بلغ ابن حفصون موت الأمير محمد، وانصرف عنه المنذر على ما تقدم، نهض من فوره؛ فرامل الحصون التي بينه وبين الساحل كلها؛ فأجأته وطاعت له. ونهض إلى بآعه وحبل شبة؛ فأخذ من الأموال ما لا يوصف، كل ذلك منه بلا قوة، ولا كثرة من مال، ولا عدد؛ ولكنه كان عذاباً من الله ونقمة انتقم بها من عيبك. وافق له زمان هرج وقلب قاسية فاسدة ونفوس خبيثة، منطلعة إلى الشر، مُشرّنة إلى الفتن. فلما ثار، وجد من الناس انقياداً وقبولاً للمساكلة والمواقفة؛ فتألبت له الدنيا، ودخل إلى الناس من جهة الألفة، وقال: «طال ما عنت عليكم السلطان، وانتزع أموالكم، وحملكم فوق طاقتكم، وأذنتكم العرب، واستعبدتكم! وإنما أريد أن أقوم بشاركم، وأخرجكم من عبوديتكم!» فكان ابن حفصون لا يُورد هذا على أحد إلا أجابه وشكره. فكانت طاعة أهل الحصون بهذا الوجه. وكان أتباعه شطّار الناس وشرّارهم. فكان بينهم بفتح البلاد، وغنائم الأموال. وكان مع ذلك منحياً لأصحابه، متواضعاً لألوفه. وكان، مع شربه وفسقه، شديد الغيرة، حافظاً للحرمة؛ فكان ذلك مما يُجبل النفوس إليه. ولقد كانت المرأة في أيامه تخرج بالمال والمتاع من بلد إلى بلد منفردة، لا يعترضها أحد من خلق الله. وكانت عفوية السيف، يُصدق المرأة

والرجل والصبي أو من كان على من كان، لا يطلب على ذلك شاهداً أكثر ١١٨
من الشكوى. وكان يأخذ الحق من ابنه، ويؤثر الرجال، ويكرم الشجعان؛ وإذا
قدر عليهم، عفا عنهم. وكان يُسَوِّم بأشيرة الذئب إذا اختلفوا. فكانت هذه
الأشياء كلها عوناً له. وانتهى ابن حنصون بعادته^١ إلى قرية وما أمامها إلى
قرية الجالية، وأغار على التذييق من البيرة، وعلى أحواز جيان، وأسر عبد الله
ابن سماعه عامل بآغة.

وكان اجتمع إلى حصن آشر من حوز رية وبقرية من قرية جمع الشر من
أصحاب ابن حنصون. قراع أهل قرية آشر ومأبوم. وأصل بالأمير المنذر
خبرهم؛ فأرسل أضيغ بن قطيس في خيل كثيفة إلى حصن آشر؛ فحاصره حتى
افتنعه، وقتل من كان فيه. وأخرج الأمير المنذر عبد الله بن محمد بن مضر
وآبثون^٢ إلى ناحية لجانة من قرية؛ وكان بها مسلحة لابن حنصون؛
فنازلهم وفاتلهم حتى أفنهم.

قال الرازي: وفي سنة ولاية الإمام المنذر، غزا محمد بن لب إلى آبية
والفلاع ومعهم جموع المسلمين؛ ففتح الله للمسلمين، وقتلوا المشركين قتلاً ذريعاً.
وفي هذه السنة، أغنى سنة ٢٧٢، في جمادى الأولى، أمر الأمير المنذر
بجن هاشم بن عبد العزيز وزير أبيه وخاصته، وأمر بقتله في جمادى الأولى؛
وسب ذلك أن هاشماً كان يُحمَد لمكانه من الأمير محمد وخاصته به؛ فكانوا
يسعون به عند المنذر، ويكررون ذلك عليه، حتى تنافرت النفوس. فلما
مات الأمير محمد، وولى المنذر، أراد أن ينفى له ويتبع فيه فعل أبيه؛ فولاه
الحجابة. ثم تمالؤوا عليه، وأكثروا، وحرقوا^٣ عليه الكلام، وتناولوا عليه أقبح
الناريل، حتى نفذ قضاؤه الله فيه. وكان مما تناولوا عليه أن هاشماً أفسد عند
مؤارة الأمير محمد - رحمه الله! - [واقراً]:

١ - وصرقوا. ٢ - وآبثون. ٣ - بعادته. ١)

• أَعَزَّى بِأَ مُحَمَّدٌ عَنْكَ نَفْسِي أَمِينَ اللَّهُ ذَا الْمَنِيِّ الْحَكِيمِ
 قَهْلًا مَاتَ قَوْمٌ لَمْ يَمُوتُوا وَدُفِعَ عَنْكَ لِي كَالِ الْحَيَامِ
 فتأولوا أنه يريد بقوله «لَمْ يَمُوتُوا» السَّيِّئُ، وكتب هاشم من حبه إلى
 جاريته عَاج [طويل]:

وَأَيُّ عَذَابِي أَنْ أَرُودَكَ مَطْبِقٌ وَبَكَتْ مَنِيْعٌ بِالْعَزِيدِ مُضَبُّ
 فَإِنْ تَجَبَّيْ بِأَعْلَجُ مِمَّا أَصَابَنِي فَنِي رَبِّي هَذَا الدَّهْرُ مَا يَتَجَبَّبُ
 تَرَكْتُ رِشَادَ الْأَمِيرِ إِذْ كُنْتُ قَادِرًا عَلَيْهِ فَلَا تَيْتُ الَّذِي كُنْتُ أَرْفُ
 وَكَمْ قَائِلٍ قَالَهُ: أَلْجُ وَنَحْكَ سَالِيًا فَنِي الْأَرْضِ عَنْهُمْ مَسْرَادٌ وَمَذْهَبُ
 فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْفِرَارَ مَذَلَّةٌ وَنَفْسِي عَلَى الْأَسْوَاءِ أَخْلَى وَأَطْيَبُ
 سَأَرْضِي بِحُكْمِ اللَّهِ فِيمَا يَتَوَبُّنِي وَمَا مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ لِلَّهِ مَهْرُبُ
 فَمَنْ يَكُ أَسْفَى شَأْنًا بِي فَإِنَّهُ سَيَنْهَلُ فِي كَيْسِي وَشَيْكَا وَيَشْرَبُ

ثم بعث فيه الأمير ليلًا؛ فقتله، وحين أولاده وحاشيته، وانتهب ماله،
 وهدم داره، وألقى أولاده في السجن، وألزمهم غُزْمَ مائتي ألف دينار؛ فلم يزالوا
 في السجن والغُزْمَ إلى موت السَّيِّئِ وولاية أخيه عبد الله؛ ثم أطلقهم عبد الله،
 وصرف عليهم رِضَاعَهُمْ، وولى أحدَهم الوزارة والقيادة.
 وفيها، كانت الوقعة على أمل حُلَيْطَةَ؛ وكانوا قد جَبَرُوا الْبَرْبَرِ الْمُنِيْنِ مِنْ
 تَرْجِيْلِهِ، فقتل منهم أُلُوفٌ.

وفي سنة ٢٧٤، خرج الأمير السَّيِّئِ بجيوشه إلى عَمْرِ بْنِ حَفْصُونٍ؛ فافتتح
 حصونه بِرِّيَّةً، والحصونَ التي بجبهة قَبْرَةٍ؛ ثم توجه إلى حضرته بِرَشَنِيٍّ؛ فحاصره
 فيها، وأفسد ما حوالَيْه، ورضي عليه؛ ثم انتقل عنه إلى أَرْجُذُونَةٍ، وبها عَشُونٌ؛
 فأقام عليها مُحَاصِرًا لها وَمُضَيِّقًا على أهلها، • إلى أَنْ نَبَذُوا عَشْرُونَ وَأَفْلَكَ،
 وَأَسْلَسُوا بِذَنبٍ؛ فدخلها الأمير السَّيِّئِ، وقبض على عَشُونٍ وَأَصْحَابِهِ. وظفر أَيْضًا
 بِنِي مَطْرُوحٍ، وَم: حَرْبٍ، وَعَوْنٍ، وَطَالُوتٍ، وافتتح حصونهم بِجَبَلِ بَاطَنٍ، وَأَيُّ بِهِم

الى الأمير أسرى؛ فبعث بنى مطروح الى قرطبة؛ وأمر بقتلهم وصلبهم؛ وكانوا
اثني عشر رجلاً؛ فصلوا بأجمعهم؛ وصلب مع عيشون في الحبة بخنير
وكسب. وكان السب في ذلك أن عيشوناً كان يقول: «إذا ظفري قلبصيني
ولبصلي عن يميني خنيراً وعن يساري كلباً!» وكان يثق بنفسه في النبال ثقة
شددة، وبأن من أن يؤخذ لشدته وجماعته. فلما يئس الأمير منه، دس الى
بعض أهل أرجذونة بأن يعجل في أخذ عيشون؛ فأجابه، ووعده بأخذه. فلما
كان في بعض الأيام، دخل بيت أحدكم بغير سلاح، وقد استعد له بكبل؛
فأوثق به وبعث به الى الأمير المنذر.

شأن عمر بن حفصون في أيام المنذر - رحمه الله!

ولما كان في العام الثاني من ولايته وفي هذه السنة المورخه، خرج في عديده
الأكثر، وقصد برشنة. فحل عليها أخل احتلال، وقاتل ابن حفصون بها أشد
قتال؛ وانتشرت خبلة في تلك الأفطار، واستولت على الشول والأوعار. ثم
عطف الأمير الى مدينة أرجذونة ليجريها تقيراً، ويولي أهلها يوماً عبوساً
قمطيراً، لدخولهم في طاعة ابن حفصون، ونزوعهم الى ما نزع إليه أهل تلك
الحصون؛ فخرجت رسلهم الى الأمير؛ فنلت بالسمع والطاعة، والدخول في جمهور
الجماعة؛ فنقل نزوعهم، وأتس جميعهم. وتغلب على القصة إثر ذلك؛ وأسر
عامل ابن حفصون هنالك. واستمر اللعين ابن حفصون على ضللكه وغيه، ولم
يثن عتاً عن عادته وبغيه. فخرج اليه الأمير ثانية وحاصره حصاراً، وقد
عدم ابن حفصون أعواناً وأنصاراً. فلما رأى الأمير أخذ بحقيقته، وسد أفواه
طرفه، أعمل سوانح الفكر، في الخديعة والكفر، ليعنصم بذلك من تلك الحال
المنصوبة، والأشراك المعترضة المضروبة؛ فأظهر الإنابة الى الطاعة، وشهر النصيحة
جهد الانطاعة، على أن يكون عند الأمير من خاصة جنته، ويسكن قرطبة
بأهله وولده، وأن يلحق أبناءه في الموالي، ويتابع لإحسان قبلة ويوالي. فأجابه

الأمير إلى مطلبه بأكد الأيمان؛ وكتب له بذلك مبادراً عقد أمان، وقطع لأولاده أرفع الثياب؛ وأوقرت لهم الدواب، بالأموال والأسباب، إسباعاً عليهم بالإفضال، ونوبعاً لهم في الآمان والآمال. وسأل اللعين^١ مائة بغل يجعل عليها حملة مناعه وعياله، وجعل طلبها قوة لمكره وإحباله. فأمر الأمير بالبغال أن تحمل إليه، وتوضع بين يديه؛ وقد جعل عليها عشرة من العرفاء بمائة وخمسين فارساً إماماً للأكرام، وإنعاماً على إتمام. فأرسل عمر بن حفصون جميعهم إلى برشتير حيث أفله وولده، وطريقه من المال ومثله. وانحل العسكر عن الحصن إذ ذاك، وقفل القاضي والفقيه عن تمام الصلح من هناك، وظنهم قد غلب أن لا كذبة ولا مينة، وأن قد بيل من الراحة من شغفه آملاً وقرة عين. فلما انفض جمع ذلك العسكر، وانفض ذلك العسكر، ودخل الليل، وامتلأ للناس الدئل، هرب عمر بن حفصون من ذلك الحصن، وسار إلى برشتير في ظل الأمن. فلقى العرفاء؛ فناصرهم القتال، وأخذ تلك البغال، وعاد إلى سيرته الأولى، وقال لشيعته: «أنا رثكم الأعلى!» فاقسم الأمير السدير أن يقصده ويحل عليه، ولا يقل منه أو يلقى يده إليه؛ فأعمل الغزو إلى برشتير، وجمع لها الجمع الأكبر. P. ١٢٢ فلما احتل عليها، أمر أن يحدق بها، ويحاط بحوزاتها، وأن يعتزم لتناولها اعتزاماً، ويقترب محاصرتها التزماً.

فظهر من حزم الأمير المذر وعزمه ما يقس معه ابن حفصون، من البقاء في تلك الحصون. فبقى الأمير على حصن برشتير، برومه روماً، مدة من ثلاثة وأربعين يوماً. وكان قد أصابته بيلة^٢ أكثرت نفسه، وكثرت ألامه^٣؛ فبعث في أخيه عبد الله لیسوب مفايه، يستدب في تلك الحال إندابه. فلما وصل إليه، وحصل في البيلة لئنه، خرجت في الحين روحه، وبكاء من كان يقوده وبروحوه. فوقع الحزم في العسكر إثر موته، وتفرق الناس عند قوته. ولم يقدر أخوه عبد الله على ضبطهم، وعقد ما تنحل من رنطيم. واستنزال عمر بن حفصون

١) Manque dans A. ٢) B. ٣) مكنت شمه.

في الهلّة، وانتهبها بالجملة. وحِيلَ الأمير المنير على جَمَلٍ إلى قُرْطَنَةٍ فَنُفِنَ مع أجداده هنالك، وصار عند الناس أَمَوْنٌ مَقْوودٌ وَأَبْسَرُ هَالِكٌ، إذ كان قد اضْطَرَّهم في ذلك المقام، وندبهم إلى الثالث هنالك والمقام.

وفي هذه السنة، كان النقط الشديد بالأنْدُلُس؛ فاستنق الناس. فترل نَلَجَ كثيرٌ في أول يوم من يَنِير، ولم ينزل غَيْثٌ. ثم استسفلوا مراراً؛ فلم يُنْطَرُوا؛ فحَامَرَتِ النَّاسَ النَّقْطُ. فلما دخل من قَبْرِينَ بعضُ أيام، سَفَى النَّاسُ، وارتفع النَّاسُ؛ فاستبشروا بفضل الله، وأعلنوا بشكره. فقال العَيْكِيُّ في ذلك، يمدح الأمير المنير [كامل]:

نَزَلَ الْحَيَاةَ الْمُحْيِي وَطَأَتْ أَنْفُسُ إِذْ كَانَ سُودَ الظَّنِّ فِيهَا يَهْجَسُ
أَحْيَى الْإِلَآهَ رِعَايَةً مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ مِنَ النَّقْطِ النَّفْسُ نِيرُوسُ
مُتَلَابِسًا فِيهِ بِعَائِدِ رَحْمَةٍ لَوْلَا عَوَائِدُهَا طَوْنًا الْأَنْبُوسُ
مَلِكُ الْمُلُوكِ تَفَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ... حَتَّى وَعَرَّ جَلَالَهُ الْمُشْفَقِينَ

ومنها:

١٢٢ * بِالْمُنِيرِ الْبَيْتُونِ طَلَبَ زَمَانًا وَطَظِي قَوْلَيْهِ نَظِيْبُ الْآنَسِ

إلى قوله:

خُذْهَا آمِينَ اللَّهُ وَابْتَ آمِينَ مِنْ شَاكِرٍ فِي الشُّكْرِ لَيْسَ بِذَلِيلٍ

وفي سنة ٢٧٥، تُوُقِيَ الأمير المنير - رحمه الله - وقد ذُكِرَ موته على حصن برتشتر مُحَاصَرًا لِلْخَيْتِ ابْنِ حَنْصُونٍ. وكانت وفاته منتصف شهر صفر من السنة المذكورة، وهو ابن ست وأربعين سنة. وملك ستينَ إلاً أَيْاماً.

١) Manque dans B. qui donne à la place: رحمه الله.

بعض سيرة وأخباره

كان الأمير المنير - رحمه الله - يحب إخوته، ويكرمهم، ويُدلي مجالسهم، ويصليهم، ويحضر مجالس أسه. وكان يُجزل العطاء للشعراء فيُشيدونه غزياً وراجعاً. وكان من شعرائه أحمد بن عبد ربه، والعكبي، وغيرهما. ولم يكن أحد من الخلفاء قبله مثله شجاعة وصرامة وعزماً وحزماً. ولقد بلغ في سنة بذلك ما لم يبلغه غيره في الدفر. ولقد كان أبطال الرجال وأنجادهم من أهل الفتنه يُدعون إليه دون محنة، ويرسلون إليه بالطاعة قبل أن يطلبها. وإن الخبر المستفيض عن الشيوخ أنه، لو عاش المنير عاماً واحداً زائداً، لم يبق برية منافق، وأخباره تدل على ذلك. وأول أخباره الدالة على ذلك أنه، لما أتاه موت أبيه، لم يمنعه ذلك من التعرّج عن التصد وإختصار الطريق، ولا شغله أمر مهم ولا أمر جليل عن آخر؛ فجعل طريقه على ربه؛ فهدب أمورها، وولى عليها سليمان بن عبد الملك بن أخطل، وعبد الرحمن بن حريش، وأدخل معها أهل المعارف من العرب والحشم. ثم جمع في يوم واحد مابيعته، وإعطاء الجند، وأنظر فيها أسقط من الأزيمة عن الرعية، وما فعلته من الاستعداد إلى أفضل قرظة بإسقاط العُشور عنهم، والنظر في الذب وإخراج القائد. وما كذا كان فِعته في جميع أسباه؛ وبحسب ذلك كان انقياد الأشياء له.

* خلافة عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم

P. ١٢٤

كتبه: أبو محمد. مؤلدة: في النصف من ربيع الآخر سنة ٢٢٩. أمه: نُسِي بهار وقبل: عشار^(١). حبابه: اثنان: عبد الرحمن بن شهيد وابن السليم. وزرأوه: ستة وعشرون. كتابه: ثلاثة: عبد الله بن محمد الزجالي، وعبد الله بن محمد بن أبي عبدة، وموسى بن زياد. صفته: أبيض، مشرب

بَحْرَةَ، أَصْهَبَ، أَزْرَقَ، أَفْنَى الْأَنْفِ، رَنْعَةً، يُخَصِّبُ بِالسَّوَادِ. بَيَّوْهُ: أَحَدُ عَشَرَ،
أَحَدُهُمْ مُحَمَّدُ الْمُقْتُولُ، وَالِدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ. بَنَاهُ: ثَلَاثُ عَشْرَةَ. بَوَّعَ فِي
الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَخُوهُ الْمُخْتَارُ فِي الْهَلَاكِ عَلَى بَرَنْشَرٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ فِي
النَّصَفِ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ سَنَةِ ٢٧٥. ثُمَّ قُفِلَ إِلَى قَرْطَبَةَ بِأَخِيهِ الْمُخْتَارِ مَيِّتًا؛ فَاسْتَمَّ
الْبَيْعَةَ بِقَرْطَبَةَ، وَدُفِنَ أَخَاهُ بَعْدَهَا. وَتَوَفَّى عَبْدُ اللَّهِ سَنَةَ ٢٠٠، وَهُوَ ابْنُ اثْنَيْنِ
وَسَبْعِينَ سَنَةً؛ فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَمِنْ
قَوْلِ ابْنِ عَبْدِ رَيْهٍ فِيهِ [طَوِيلٌ]:

خِلَافَةُ عَبْدِ اللَّهِ حَجَّ عَلَى الْوَرَى فَلَا رَفَتْ فِي عَصْرِهِ وَقُوقُ
تَحَلَّتْ دَبَاجِي الْحَيْفِ عَنْ نُورِ عَدْلِهِ كَمَا نَزَّ فِي جَنَحِ الظُّلَامِ سُورُوقُ
وَتَقَيَّتْ سَهْمَ الدِّينِ بِالْعَدْلِ وَالنَّفَى فِيمَا لَهُ نَصْلٌ وَذَلِكَ قُوقُ
وَأَعْلَى أَنْبَابِ الْهَيْدَى بِضَيْرِهِ فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا يَهْنُ عُلُوقُ
وَمَا عَاقَهُ عَنَّا عَوَاتِقُ مُلْكِهِ وَأَمْسَالُهَا عَنْ مِثْلِهِنَّ تَعُوقُ

وَأَفْضَتْ الْخِلَافَةَ إِلَيْهِ، وَقَدْ تَحَبَّهَ النَّكْتُ، وَمَزَّهَا الشِّقَاقُ، وَحَلَّ عَرَامَا
النِّفَاقُ؛ وَالْفِتْنَةُ مَسْبُولَةٌ، وَالذُّجَّةُ مَتَكَثَّةٌ، وَالْقُلُوبُ مَخْتَلِفَةٌ، وَعَصَى الْجَمَاعَةُ
مُنْصَدِقَةً، وَالْبَاطِلُ قَدْ أُعْلِنَ، وَالشَّرُّ قَدْ ائْتَهَرَ؛ وَقَدْ غَمَّ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ ١٢٥
حِزْبُ الشَّيْطَانِ؛ وَصَارَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ فِي ظُلُمَاءٍ لَيْلٍ دَاجٍ لَا إِشْرَاقَ لَصَبَاحِهِ،
وَلَا أَقْوَالَ لَنَجْوَاهُ. وَتَأَلَّبَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَهْلُ الشِّرْكِ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ مِنْ
أَهْلِ الْفِتْنَةِ، الَّذِينَ جَرَّدُوا سِوْفَهُمْ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ؛ فَصَارَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ بَيْنَ
قَتِيلٍ وَمَحْرُوبٍ وَمَحْصُورٍ، بَعْضُ مَجْهُودٍ، وَبَعْضُ هَزَلٍ؛ قَدْ انْقَطَعَ الْحَرَكُ،
وَكَادَ يَنْقَطِعُ النَّسْلُ. فَنَاضَلَ الْأَمِيرُ بِجَهْدِهِ، وَحَمَى بِحَيِّهِ، وَجَاهَدَ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّهُ.
وَانْقَطَعَ الْجِهَادُ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ، وَصَارَتْ بِلَادُ الْإِسْلَامِ بِالْأَنْدَلُسِ فِي الشُّغْرِ
الْخَوْفِ؛ فَكَانَ قِتَالُ الْمُنَافِقِينَ وَأَسْهَابُهُمْ أَوْكَدَ بِالْسِّنَةِ، وَالتَّزَمَ بِالضَّرُورَةِ.

فَأَوَّلُ مَا تَنَاوَلَهُ، وَنَظَرَ فِيهِ، أَنْ وَجَّهَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ خَيْبَرَ لِأَخْذِ بَيْعَةِ ابْنِ
حَنْصُونٍ وَبَيْعَةِ مَنْ قَبْلَهُ. فَقَصَدَ إِبْرَاهِيمُ إِلَيْهِ، وَطَلَبَ طَاعَتَهُ؛ فَظَهَرَ مِنْهُ حُسْنُ

مَذْعَبٍ فَأَخَذَ يَبْعَثُهُ، وَصَدَرَ عَنْهُ وَقْدِيمٌ مَعَهُ حَقِصٌ ابْنُهُ وَجَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ
فَأَخَذَتْ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ، وَرَدَّ امْ أَمِيرٌ مَحْتَوِينَ بِالْكَرَامَةِ وَالرَّعَايَةِ. فَبَقِيَ ابْنُ حَقِصُونَ
سَامِعًا مُطِيعًا مَتَّهِيًا عَمَّا نَهَى عَنْهُ، وَاقْفًا عِنْدَ مَا أَمَرَ بِهِ. ثُمَّ تَعَدَّى بَعْدَ ذَلِكَ
حَدَّهُ، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى مَا نَهَى عَنْهُ، فَلَمْ يَدْعُ مَالًا عِنْدَ مَنْ أُمِّكَ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى
أَهْلِ الْكُؤُرِ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَأَمْسَى يَنْفَسُ عَلَى عَادَتِهِ الذَّبِيحَةِ مِنَ النَّسَادِ وَقَطْعِ
السُّلِّ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ وَلَايَةِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٧٦، خَرَجَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بِنَفْسِهِ إِلَى بَرْزَنْشَرٍ وَحَصُونِ رِيَّةٍ
فَاتَّقَسَفَ مَعَابِشَهَا، وَقَالَ عَنْهَا، وَقَدْ شَدَّ تِلْكَ النَّاحِيَةَ وَأَبْقَى بِحَاضِرَةِ رِيَّةِ
مُحَمَّدُ بْنُ دَيْنٍ^١ مِنْ أَهْلِ قَرْمُونَةِ، فَخَرَجَ ابْنُ حَقِصُونَ فِي إِثَرِهِ، وَبَالَغَ إِلَيْهِ
الْمُسَدُّونَ، فَأَتَوْا إِلَى إِسْجَةِ، فَاحْتَلَوْهَا، ثُمَّ إِلَى حِصْنِ إِسْجَةِ، فَأَخَذُوهُ، فَخَرَجَ
الْيَمُّ الْأَمِيرُ حَيًّا، فَتَزَلَّ ابْنُ حَقِصُونَ، وَاعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، فَعَقَّدَ لَهُ الْأَمِيرُ أَمَانًا.
وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَلَّى مُحَمَّدُ بْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ كُورَةَ إِسْجِلَةَ، فَخَرَجَ فِي
ب. ١٢٦ أَمَامَهُ بَعْضُ عَرَبٍ إِسْجِلَةَ إِلَى قَرْمُونَةِ، فَضَبَطُوهَا.

وَلَيْهَا، ثَارَ [أَبُو نَجِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ] عَبْدِ الْعَزِيزِ الشَّجِيئِ
الْمَعْرُوفِ بِالْأَنْقَرِ.

وَلَيْهَا، نَفَضَ ابْنُ حَقِصُونَ وَقَصْدَ بَيَانِهِ، فَحَارَبَ أَهْلَهَا، ثُمَّ أَعْطَاهُمُ الْعَيْدَ
فَلَمَّا تَزَلُّوا إِلَيْهِ، عَدَرَهُمْ. وَقَتْلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، وَسَبَى ذُرَارِيَهُمْ.
وَلَيْهَا، انْقَضَى أَهْلُ حَبَّانَ، وَأُخْرِجُوا عَالِيَهَا عَنَّا بْنِ لَقِيطَ. وَمَلَكُوا
ابْنَ شَاكِرَ.

وَفِي سَنَةِ ٢٧٧، وَلَدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ.
وَلَيْهَا، غَزَا الْقَائِدُ ابْنُ أَبِي عَيْدَةَ إِلَى حَبَّانَ. وَفِيهَا ابْنُ شَاكِرَ مُعَالِفًا
فَحَارَبَهُ، وَحَاصَرَهُ، وَقَتْلَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَحْرَقَ كَثِيرًا مِنْ دُورِ حَبَّانَ.

١) دَيْنٍ، B. دَيْنٍ، A. ١)

وفيها، خرج حفص بن الـمـرة الى سـوـار، وكـمـن له الكائن، واغار عليه؛ فلما خرج سـوـار في طلبه، خرجت عليه الكائن؛ فقتل.
وفيها، قتل ابن شاكِر الناصر بجيـان. وسبب قتله أن ابن حفصون أراد أن يراجع طاعة الأمير، وأن يتقرب اليه بقتل ابن شاكِر؛ فبعث اليه خيلاً يريه أن يـدّ على عدوه؛ فأقبل الـمـدّ اليه؛ فلما خرج اليهم، فتكلم به وقتلوه، وبعثوا يرأسه الى ابن حفصون؛ فبعث به الى الأمير عبد الله. وعند ذلك توجه ابن حفصون الى جيـان؛ فأغرم أهلها الأموال الجسيمة. وأقامت جيـان واليرة مدة دون عامل من الأمير.

وفي سنة ٢٧٨، خرج الأمير عبد الله الى بلادي من عمل قبرة، وبها عدو الله ابن حفصون مع جماعة كبيرة من أصحابه أهل الفساد والارتداد. وكانوا قد أضروا بأقاليم قرطبة، وضيّقوا عليهم حتى أغاروا على أغنام قرطبة. فخرج اليهم الأمير مسهلاً صرّاً، وأحلّ به؛ فتناقصه وصادقه الفئال؛ فانهزم هو ومن معه، ولجأ الى حصنه مع ملا من أصحابه، وعوّل عشيـره عن الدخول معه، وأنشعوا؛ فلم يخلص منهم أحد. فبات الأمير قريب عتف، والمسلمون كذلك، وقد أخذوا عليه تلك الثيلة الباب رجاء أن يأتي الصباح، فيؤخذ داخل ١٢٧ الحصن. ثم خرج منه مع بعض أصحابه، ونجا ونجوا. ولما أصبح، أعلم السلطان بخبره؛ فأرسل الخيل في أثره؛ فلم يعلم له خبر. ودخل الأمير الحصن يوماً آخر؛ فوجد متراً بالذخر، ملآن من العُدّة؛ وكان عدد عسكر الأمير ثمانية عشر ألف فارس. وقيل إن ابن حفصون ألب أهل حصون الأندلس كنيهاً. وأقبل إليه في ثلاثين ألفاً. ووقعت الحرب بينهم؛ فانهزم عدو الله، وقتل أكثر من كان معه. ودخلت حملة منهم في محلة الأمير؛ فأمر بالتفاطهم؛ فأتى بألف رجل منهم؛ فقتلوا صبراً بين يديه. هاكذا ذكر في «تهجة النفس».

ثم قصد الأمير إسجّة؛ فنارهم، وحاربهم، وقتل لهم عدداً كبيراً. فلما أخذهم

الْحَمْدُ، رَفَعُوا الْأَطْفَالَ عَلَى الْأَيْدِي فِي الْأَسْوَارِ، مَسْتَصْرِحِينَ، ضَارِعِينَ، رَاغِبِينَ
فِي الْعَفْوِ، فَعَفَا عَنْهُمْ.

وَفِي سَنَةِ ٢٧١، غَدَرَ أَهْلُ أَرْجَذُونَةَ بِأَحْمَدَ بْنِ هَاشِمٍ. وَتَنَصَّ ابْنُ حَنْصُونَ
مَا كَانَ أَنْعَفَدَ مِنَ السَّلْمِ وَالطُّيُوعِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٨٠، نَوَّجَهُ الْمُطَّرِفُ بْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بِالْجَيْشِ إِلَى ابْنِ حَنْصُونَ
بِزَيْشْتَرٍ، فَحَاصَرَهَا، وَهَتَكَ جَمِيعَ مَا حَوْلَئِهَا.
وَفِيهَا، أَمَرَ الْأَمِيرُ عَبْدَ اللَّهِ بِنُبَيَّانَ حِصْنَ لَوْثَةَ، وَأَبْقَى عَلَيْهِ إِدْرِيسَ بْنَ
عَبْدِ اللَّهِ.

وَفِيهَا، دَخَلَ إِذْنُوتُشُ بْنُ أَرْدُونِ مَدِينَةَ سَمُورَةَ وَتَاهَا، وَكَانَتْ مِنْ بَنِيانِ
عَجَمٍ طَلَبُطْلَةَ.

وَفِي سَنَةِ ٢٨١، أَغْرَى الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ أُمَيَّةٍ، فَتَقَرَّ إِلَى حَنْصُونَ
ابْنَ مَسْنَةَ، وَنَازَلَ حِصْنَ آشَرٍ، وَحَارَبَهُ، وَفَتَلَ مِنْ أَهْلِهِ عِدَّةً كَثِيرًا، وَهَدَمَ
حِصْنَ السَّهْلَةِ. ثُمَّ قَتَلَ إِلَى قَرْطَبَةَ.

وَفِي سَنَةِ ٢٨٢، غَزَا بِالصَّائِنَةِ الْمُطَّرِفُ بْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ. وَقَادَ الصَّائِنَةَ
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ أُمَيَّةٍ. فَلَمَّا كَانَ نَهْرُهُ مِنْ إِسْطِيلَةَ، قَبِضَ عَلَى الْقَائِدِ عَبْدِ الْمَلِكِ،
وَقَتْلَهُ. وَفَتَرَ عَلَى قِيَادَةِ الْمُسْكِرِ أَحْمَدَ بْنِ هَاشِمٍ. وَأَقَامَ الْعُسْكَرَ فِي الْمَوْضِعِ أَرْبَعَةَ
أَيَّامٍ، وَكَبَّ أَمَانًا لِأَهْلِ إِسْطِيلَةَ، وَأَمَانًا لِأَهْلِ شَذُونَةَ، فَدَانَتْ لَهُ، وَقَبِضَ
جَانِبَيْهَا، وَدَوَّخَ تِلْكَ الْبِلَادَ. ثُمَّ رَجَلَ إِلَى إِسْطِيلَةَ، فَتَنَاشَبَهُمُ الْحَرْبُ، فَأَكْبَهُمُ أَهْلُ
إِسْطِيلَةَ، وَوَقَعَ فِيهِمُ الْقَتْلُ إِلَى سَوْرِ الْمَدِينَةِ. ثُمَّ أَجَازَ الْوَادِي، فَتَتَبَعَ النَّهْرَ
بِالسَّفْرِ وَالنَّفِيرِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، ضَمَّ الْمُطَّرِفُ بْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ حَجَّاجٍ وَابْنَ

خَلْدُون وابن عبد الملك الخدوني الى السجن، وأوثقهم في الحديد. وقطع لسان
 تحنون الكاتب، وضرب ظهره.
 وفيها، أنت جباية إشييلة. وعند ما أنت، أطلق ابن حجاج وابن خلدون
 والخدوني من سجن قرطبة.

ذكر ثورة بني حجاج بإشييلة

وذلك أن إبراهيم بن حجاج ترك والدته رهينة بقرطبة، ورجع الى بلد
 إشييلة؛ فتوزع كورثتها على نصفتين: خرج إبراهيم بالنصف، وابن خلدون
 بالنصف. وبينما كذلك أعواماً. وكان الأمير عبد الله قد أخذ في الضرب بينهما،
 ويكاتب كل واحد منهما بما يراه من صاحبه. فلما كان في بعض الأيام، كتب
 إبراهيم بن حجاج وكثير بن خلدون الى الأمير عبد الله في مصالحهما؛ وكتب
 معهما خالد بن خلدون أخو كثير كتاباً بغري فيه بإبراهيم بن حجاج عند
 الأمير، ويقول إنه في قبضتهم. فكتب له جوابه على نص كتابه. وخرج الحاميل
 بالكتب اليهم؛ فسقط له كتاب خالد الذي كان بعث للأمير؛ فأخذه بعض
 رعيان القصر؛ فقرأ. وعلم ما فيه؛ فدفعه لرسول إبراهيم بن حجاج، وقال له:
 «اسبق به هؤلاء!» فلما وصل الرسول والكتاب الى إبراهيم، علم حقيقة ما
 يحوي عليه ابنا خلدون من سوء الباطن. وكان هذا في سنة ٢٨٦. فعند
 ذلك، تلطف إبراهيم في طعام، ودعا ابني خلدون؛ فوصلا اليه. فلما استقر
 المجلس بهم، أخذ إبراهيم في عتاب كثير وأخيه خالد، وأخرج الكتاب الذي
 بعث به الأمير اليهما، وأوقفهما عليه، وأبلغ في عتابهما، وأكثر في ذلك
 عليهما. فأخرج خالد يسكناً كانت في كبة؛ فضرب بها رأس إبراهيم بن
 حجاج؛ فزق قلنسوته، وضربه في وجهه. فلما صدر منه ذلك، نهض إبراهيم،
 ودعا من حضر من رجاله؛ فعملوا بالسيوف، حتى قتلوا. وألقى رأسيهما الى
 أصحابهما ورجالهما؛ فحرقوا. وتبعهم إبراهيم بالقتل والنهب، ودفن جسد ابني

خَلَدُونِ؛ وَاتَّقَادَ لَهُ جَمِيعُ أَهْلِ الْكُورِ الْمَلَاصِفَةِ لِإِسْبِيلَةَ. وَخَاطَبَ عِنْدَ ذَلِكَ
الْأَمِيرَ عَبْدَ اللَّهِ، بِتَبَرُّأٍ لَهُ مِنْ دَمِيهِمَا، وَيَقُولُ إِنَّهُمَا كَانَا يَجْمَلَانِي عَلَى التَّكْتِ،
وَأَنَّهُ الْآنَ عَلَى الطَّاعَةِ؛ وَطَلَبَ مِنْهُ وَلَايَةَ إِسْبِيلَةَ. فَأَجَابَهُ الْأَمِيرُ إِلَى ذَلِكَ.
وَانْفَرَدَ إِبْرَاهِيمُ بِوَلَايَةِ إِسْبِيلَةَ؛ فَاجْتَبَى الْأَمْوَالَ، وَاصْطَنَعَ الرِّجَالَ، وَارْتَضَى فِي
الْأَحْوَالِ، وَاسْتَدَّتْ لِفَضَائِلِهِ الْأَمَالَ. وَكَانَ لَهُ حَمِيدُ آثَارٍ، وَجَمِيلُ أَخْبَارٍ. فَاقَ بِهَا
أَهْلَ عَصْرِهِ، وَحَسَنَ فِي الْآفَاقِ طَيْبُ ذِكْرِهِ.

وَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَجَّاجٍ يَشْتَطُّ^١ عَلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ، إِلَى أَنْ
سَأَلَهُ إِطْلَاقَ وَلَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّهْمَنِ عَنْهُ. فَلَمْ يَسْمَعْهُ إِلَّا بِرِجَالِهِ فِي ذَلِكَ.
فَبَيَّضَ إِبْرَاهِيمُ الطَّاعَةَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَظَاهَرَ ابْنَ حَقْصُونَ، وَأَمَدَّهُ بِالْمَالِ وَالرِّجَالَ،
بِكَاتِبَةٍ لِلْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ. فَتَوَيْتْ شَوْكَةُ ابْنِ حَقْصُونَ، وَازْدَادَ مِنْهُ طَاعَةً؛ وَفِي
خِلَالِ ذَلِكَ، لَمْ يَزَلْ إِبْرَاهِيمُ يُدَيِّسُ وَيُرْسِلُ مِنْ بُشَيْرٍ عَلَى الْأَمِيرِ بِإِخْلَاقٍ وَلَدٍ،
وَيَنْصَحُ لَهُ عَوْدَهُ إِلَى الطَّاعَةِ، حَتَّى وَافَقَ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ؛ فَأُطْلِقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَعْظَمَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ، وَجَدَّدَ لَهُ التَّجْبِيلَ عَلَى بَلَدِ إِسْبِيلَةَ. فَعَادَ
إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَا كَانَ أَوَّلًا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ، وَاسْتَقَامَتْ أَحْوَالُ نَسْلِ السَّوَاهِلِ
عَلَى يَدَيْهِ. P. 130

قَالَ حَبَّانُ بْنُ خَلَفٍ: لَمَّا مَلَكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَجَّاجٍ إِسْبِيلَةَ وَقَرْمُونَةَ وَمَا
وَالِهَآءَ ارْتَبَعَ ذِكْرَهُ، وَتَعَدَّ صِيْنُهُ، وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ جُنْدًا، وَرَتَّبَ لَهُمُ الْأَرْزَاقَ كَيْفَ فَعَلَ
السُّلْطَانُ؛ فَكَمُلَ فِي مَصَافِيهِ خِمَاةُ فَارِسٍ. وَكَانَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ حَجَّاجٍ فِي بَسَاطَةِ
السُّلْطَانِ بِقَرْمُونَةَ نَوْمٌ يَقِفُونَ فِي حَقِّهِ، وَيُعْلِمُونَهُ بِمَا عِنْدَ السُّلْطَانِ مِنْ حَالِهِ،
وَيَنْصَحُونَهُ فِي أَمْرِهِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ، أَقْلَعَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مُوَافَقَةِ ابْنِ حَقْصُونَ،
وَاعْتَرَفَ بِحَقِّ أَمِيرِ الْجَمَاعَةِ؛ فَعَامَلَهُ الْأَمِيرُ بِمَا شِئِرَ لَهُ مِنَ التَّضَلُّعِ. وَكَثُرَتْ مَتْرَلَتُهُ
عِنْدَ أَعْلَى مَتْرَلِهِ، إِلَى أَنْ تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ!

وَذَكَرَ حَبَّانُ أَيْضًا قَالَ: كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ حَجَّاجٍ فِي بَلَدِ إِسْبِيلَةَ قَاضٍ يَقُومُ

بالحكم، وصاحب مدينة بقم الحدود، جرى في ذلك كله مجرى السلطان في حضرته. قال: وكان قفلاً على أهل الرّيب، قامعاً لأهل الشر؛ وكان متجعاً على البر والبحر، منصوداً بالفرائب والطرف. وكانت له بإشيلية طُرُزٌ يُطَرِّزُ فيها على اسمه كِفْعَلُ السلطان إذ ذاك؛ وكانت قَرْمُونَةٌ تحت مملكته؛ وهو الذي حصنها وحسن بنيان سورها؛ وفيها كان مَرْتَبٌ خيله المتخذة لركوبه؛ وبينها وبين إشيلية كان تزداده سائر أوقاته. وكان جواداً، ممدحاً، برناح للشاه، ويُعْطَى الشعراء، ويضاهى في فعله كبار الأمراء، وينفق أهل السيوف والشرف بالمعطاء. وكان أهل قَرْطَبَةِ منصرفين لسيّته، فيكرههم وبصاليهم. وقد انتجعه شاعرهم الأكبر أبو عمر أحمد بن عبد ربه من بين جميع نوار ذلك الوقت بالأندلس؛ فعرف قدره، وأفضل عليه.

ومن قوله فيه، يَصِفُ تَنَقُّله من إشيلية الى قَرْمُونَةِ [طويل]:

أَلَا أَنْ إِسْرَامِيَّ لُجَّةُ سَاحِلٍ مِنْ الْجَوْدِ أَرْسَتْ فَوْقَ لُجَّةِ سَاحِلٍ
فَإِشِيلِيَّةُ الزُّفْرَاءِ تَرْفِي بِجَدِي وَقَرْمُونَةُ الْقَرَّاءِ ذَاتُ النَّصَائِلِ
إِذَا مَا تَجَلَّتْ نِلْكَ مِنْ نَوْرِ وَجْهِهِ عَدَّتْ هَلْيُوَ لِلنَّاسِ فِي رِيٍّ عَاطِلٍ
وَإِنْ حَلَّ هَلْيُوَ بُوْحُسُ هَلْيُو فَتَهْدِي بَرْسَلِي نَحْوَهُ وَرَسَائِلِ

وهي طويلة. ومن قوله أيضاً من قصيد طويل [وافر]:

كُنَابُ الشُّوقِ بِطُوبِيهِ النَّوَادُ وَمِنْ قُبُصِ الشُّمُوعِ لَهُ مِدَادُ
تَخْطُ بِدُ الْبِكَاءِ بِهِ سَطُوراً عَلَى كِيدِي وَمِنْهَا الشُّهَادُ
وَكَيْفَ وَبَى فَوَادُ مُنْطَابِرُ لَيْنَ لَا يَسْتَضِيرُ لَهُ فَوَادُ
أَمِنْ يَنْ بَكُونِ الْجُودِ خُلُودُ وَإِسْرَامِيَّ حَابِيهَا الْجَوَادُ
زِيَارَتِهِ لَيْنَ يَأْتِيهِ حَجٌّ وَمِدْحَتُهُ رِبَاطُ أَوْ جِهَادُ
وَمَا لِي فِي التَّخَفُّفِ عَنْهُ عَذْرُ وَلِي فِي الْأَرْضِ رَاحِيَةٌ وَزَادُ

1) Tout ce qui suit manque dans B jusqu'à la fin de la seconde citation poétique.

والأحمد بن عبد ربه في إبراهيم بن حجاج أشعار كثيرة، ولغيره من الشعراء.
وذكر ابن أبي النباض أن محمد بن يحيى القلنطي الشاعر القرطبي قصد الأمير
إبراهيم بن حجاج بمديحة بنصيدة نونية، أولها [خفيف]:

أَزَلْتُ رِحْلَتِي فَأَقَمْتُ جَفُونًا

ثم أخذ في هجاء عشيرته أهل قرطبة، وكبرائها، وعظماء دولتها، فأفحش
عليهم. فلما أشد القصيدة لإبراهيم بن حجاج، زها به، وحرمه وأساء ذكره؛
فأنصرف خائياً من نواله، جانباً ثمرة فغاله ومغاله. فلما وصل قرطبة، أخذ
يهجو إبراهيم بن حجاج بنصيدة أولها [كامل]:

لَا تُسْكِرِي لِلْبَيْنِ طَوْلَ بُكَامِي

فلما بلغت إبراهيم، أنقصته؛ فأوصى من قال له عنه ميمناً مغلظة: «إن
إن عاد لما وقع فيه، لأمرن بأخذ رأسه بقرطبة على فراشه»¹ فارتاع القلنطي
المذكور لذلك، وكف. ^{P. 132} فكان هذا الفعل لإبراهيم في حق «أهل قرطبة أجل
مكرمه، وعد في جملة نضائله. ولأجل هذا ساقه القاضي ابن أبي النباض -
رحمه الله²! - وقد نصه العذري من الحجاز؛ فراعى حقّه، وأكرم منواله،
وأناله جزيل خيره. ورفع الناس ذكره.

وقد ذكر أبو طاهر السلي في كتابه المسمى بـ«مدوّر القلائد» وغرر
التوائد» أن الأمير الرئيس المهتم بالجنود المحصب أبا إحق إبراهيم بن حجاج
سمع بحاربة بغدادية اسمها قمر؛ فوجه بأموال عظيمة إلى المشرق في اتباع
هذه الحاربة، إلى أن استقرت بدار مملكته إشبيلية؛ وكانت كالبدرة المنيرة،
ذات بيان ونصاحة ومعرفة بالألحان والغناء؛ فوجدها قمرًا عند اسمها؛
وكان لما شعر بضعفها وبسوء حالها، فن قولها تردّد على من عاها [بسيط]:

قَالُوا أَمْسُ قَمَرٌ فِي رِيحِ أَلْهَارٍ مِنْ بَعْدِ مَا مَكَتْ فَلْبًا بِأَشْفَارِ
نُحْيِي عَلَى وَحَلٍ تَعْدُو عَلَى سُبُلٍ نَحْنُ أَمْصَارُ أَرْضٍ بَعْدَ أَمْصَارِ

1) Reprise du ma. B.

2-2) Manque dans B.

3) A. B. غنى.

لَا حُرَّةٌ فِي مِنْ أَحْرَارٍ مَوْضِعِهَا وَلَا لَهَا غَيْرُ تَرْسِلٍ وَأَشْعَارٍ
لَوْ يَعْقِلُونَ لَمَّا عَابُوا غَرِيبَتَهُمْ اللَّهُ مِنْ أَمَةٍ تُزْرِي بِأَخْرَارٍ
مَا لَابَنِ آدَمَ فَخَرٌ غَيْرَ مِثِّهِ بَعْدَ الدِّبَانَةِ وَالْإِخْلَاصِ لِلْبَارِي
دَغْنِي مِنَ الْجَهْلِ لَا أَرْضَى بِصَاحِبِهِ لَا يَخْلُصُ الْجَهْلُ مِنْ سَيِّ وَمِنْ عَارٍ
لَوْ لَمْ تَكُنْ جَنَّةٌ إِلَّا لِلْجَاهِلَةِ وَصِيتُ مِنْ حُكْمِ رَبِّهِ النَّاسِ بِالنَّارِ

ولم تنزل مدة إبراهيم تتسقى على أحسن حال وأجزله، وأهدب زى وأكله،
تَفَضَّتْ زِينًا لِعَصِيرِهِ، وفخرًا له بها على أهل مصره، لم يلحقه في ذلك أحد في
وقته، ولا قدر على نيل مرتبته، إلى أن وافقه ميثته فجأة، وذلك عام ٢٨٨.
وولي ابنه عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج بعد أبيه، وطالت مدته ثلاث
عشرة سنة، وتوفي سنة ٣٠١. وكان أخوه محمد بن إبراهيم بن حجاج - رحمه
الله - صاحب قزمونة في حياة أبيه وبعد موته إلى أن مات أخوه، ولم ١٣٣ P.
يستقر بإشيلية، ولا حكمها. وقيل إنه دس على أخيه عبد الرحمن جارية سقته،
فمات من ذلك.

قال ابن أبي النُبَّاس: كان محمد بن إبراهيم بن حجاج صاحب قزمونة بعد
موت أبيه، وكانت له بها دولة حسنة وأيام صالحة، شهرة في الفضل ذكره،
وانبسط على آلية الناس شكره، فصد من الأقطار، ومُدِّحٌ بِحَمْدِ الْأَشْعَارِ؛ فَأَنَالَ
الْقَاصِدِينَ، ومنع المادحين. ولما توفي أبو، ولي إشيلية أخوه عبد الرحمن، إذ
كان كبيره. وكان محمد يزيد على عبد الرحمن بأشياء من الهامد، حص بها في
وقته فعيد، وظهر أثر الإمارة في فعاله فشكر وحيد. وكانت دولته بقزمونة
أضخم من دولة أخيه بإشيلية وأطول، وذلك أربع عشرة سنة بعد موت أبيه.
وتوفي عام ٣٠٢.

قال الرازي: افتتح الناصر لدين الله إشيلية سنة ٣٠١. وكان سبب ذلك
موت عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج المصنوع فيها بعد والده، واجتماع أهلها
من بعده على تقديم أحمد بن سَلَمَةَ، ودفعهم لأخي عبد الرحمن محمد بن إبراهيم

صاحب قَرْمُونَةَ، ومخالفة مُحَمَّد بن مَعْقُومَةَ، وَلِيَّادَهُ بِسُلْطَانِ الْهَمَاضَةِ. فَبَعَثَ
 النَّاصِرُ عَسْكَرًا إِلَى إِسْبِيلَةَ؛ فَجَرَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ عَظِيمَةٌ. ثُمَّ بَعَثَ الْأَمِيرُ عَبْدُ
 الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ إِلَى مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن حَجَّاجٍ، وَأَمَرَهُ بِالنَّضِييقِ عَلَى أَهْلِ إِسْبِيلَةَ،
 وَعَقْدَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَأَشْرَكَ مَعَهُ فِي قَارِصِ بْنِ الْوَلِيدِ صَاحِبَ قَرْطَبَةَ فِي ذَلِكَ
 الْوَقْتِ؛ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ صَدَاقَةٌ. فَخَرَجَا مَعًا مِنْ قَرْطَبَةَ إِلَى قَرْمُونَةَ، وَمِنْهَا
 دَنَوْا إِلَى إِسْبِيلَةَ. فَتَرَدَّدَ مُحَمَّدٌ وَقَارِصٌ بِالْجُمُوعِ عَلَى إِسْبِيلَةَ، وَمَلَكَهَا أَقَالِيمَ الشَّرَفِ،
 وَأَقَالِيمَ طَالَيْتَةَ، وَأَقَالِيمَ الْبَرِّ وَغَيْرَهَا، وَأَخَذَا بِمُخْتَقِ ابْنِ مَسْلَمَةَ صَاحِبِ إِسْبِيلَةَ؛
 فَاسْتَجَاشَ ابْنُ مَسْلَمَةَ بِرَأْسِ التَّفَاقِ اللَّعِينِ ابْنَ حَفْصُونَ؛ فَأَتَاهُ بِنَفْسِهِ، وَخَرَجَ
 مَعَهُ مِنْ مَدِينَةِ إِسْبِيلَةَ، وَجَارَ النَّهْرَ؛ وَكَانَ الْجَيْشُ بِحَصْنِ قَبْرَةَ، وَفِيهِ مُحَمَّدٌ بن
 إِبْرَاهِيم بن حَجَّاجٍ، وَقَارِصٌ بن وَلِيدٍ؛ فَخَرَجَا إِلَيْهَا مِنْ مَعَهَا مِنْ حَتَمِ السُّلْطَانِ؛
 فَانْهَزَمَ ابْنُ حَفْصُونَ، وَفَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى تَمَحَّى بِقُلُوبِهِ. فَتَأَمَّلَ ابْنُ مَسْلَمَةَ مُنْتَهَبَةً
 مَعَ ابْنِ عَمِّهِ مُحَمَّدٍ بن حَجَّاجٍ، وَدَخُولَهُ مَعَهُ فِي وَرَاثَةِ أَبِيهِ، وَأَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ.
 فَأَخَذَ فِي إِصْلَاحِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ؛ فَرَأَسَلَهُ بِأَنْ يُعْطِيَهُ إِسْبِيلَةَ.
 فَوَسَّلَهُ الْحَاجِبُ بَدْرٌ، وَمَلَكَ السُّلْطَانُ إِسْبِيلَةَ دُونَ إِرَاقَةِ دَمٍ وَلَا قِتَالٍ. فَلَمَّا
 اسْتَرَى الْحَاجِبُ بِإِسْبِيلَةَ، أَحْضَرَ أَهْلَهَا، وَوَعَدَهُمُ عَنِ السُّلْطَانِ بِكُلِّ جَبِيلٍ، وَأَنْ
 يُجَرِّيَ عَلَيْهِمْ عَوَائِدَهُمْ مَعَ بَنِي حَجَّاجٍ وَزِيَادَةَ عَلَى ذَلِكَ؛ فَرَضَى الْقَوْمُ، وَتَمَّ الْأَمْرُ
 لِلْحَاجِبِ وَابْنِ مَسْلَمَةَ. وَأَخَذَ الْحَاجِبُ فِي مُحَاطَبَةِ مُحَمَّدٍ بن حَجَّاجٍ، بِعَرَفِهِ نَسْلَكَ
 السُّلْطَانُ إِسْبِيلَةَ، وَأَنَّ السُّلْطَانُ أَمَرَهُ بِالْكَفِّ عَنْ حَصَارِهَا. فَعَمِدَ وَقُوفَ مُحَمَّدٍ
 عَلَى الْكُتَابِ، سَاءَ ذَلِكَ، وَتَغَيَّرَ لَهُ، وَخَرَجَ مِنْ حَصْنِ قَبْرَةَ الَّذِي كَانَ بِهِ مَعَ
 قَارِصِ بْنِ وَلِيدٍ نَاكِثًا لِلطَّاعَةِ؛ وَسَرَى لَيْلَتَهُ مَعَ جُمُوعِهِ فَاصِدًا بِلَاةِ قَرْمُونَةَ؛ فَلَقِيَ فِي
 طَرَفِهِ أَغْنَامًا لِأَهْلِ قَرْطَبَةَ؛ فَأَغَارَ عَلَيْهَا، وَحَمَلَهَا مَعَهُ إِلَى قَرْمُونَةَ؛ فَدَخَلَهَا،
 وَأَظْهَرَ النَّسْعَ بِهَا. فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ النَّاصِرُ لَدِينَهُ اللَّهُ صَاحِبَ الْحَتَمِ؛ فَلَمَّا وَصَلَ
 وَخَاطَبَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ السُّلْطَانُ، رَدَّ عَلَيْهِ الْأَغْنَامَ بِجَمَلَتِهَا.
 وَلَمَّا رَجَعَ صَاحِبُ الْحَتَمِ إِلَى قَرْطَبَةَ، خَرَجَ مُحَمَّدٌ بن حَجَّاجٍ مِنْ قَرْمُونَةَ

بجيشه ؛ فوصل إشبيلية عند الصباح ؛ فهجم عليها . وكان بعض سورها مهدماً ؛
 قطع فيها ؛ فخرج اليه العارل عليها من قبل السلطان ؛ فهزمه عنها ؛ فرجع الى
 قرمونة . فلما علم الناصر بذلك ، وجه عسكراً الى عارل إشبيلية تنقوية له ؛ فحصن
 البلد على نفسه ، وأمن من عادية محمد بن حجاج . ولما طال على الناصر تهادي
 محمد بن حجاج على * العناد ، بعث اليه صديقه ابن وليد ، طالباً منه العودة الى ١٣٥
 الطاعة ؛ فلم يزل به حتى أظهر الإنابة له ؛ فأنفذ محمد بن حجاج خاصته الى
 الناصر ؛ فوصل اليه ؛ فألقاه الناصر بنفسه ؛ وشافقه بما ألفاه اليه محمد ، وأعطاه
 أنه ينزعزل عن قرمونة ويسكن قرطبة ، على أن يترك بها نائبه . فأجابته الناصر
 لذلك كله ، ووعده بتسليم أغراضه . فلما وصل الرسول الى محمد بما ألفاه اليه
 الأمير الناصر ، خرج من قرمونة في شهر رمضان المعظم من عام ٢٠١ ، ووصل
 قرطبة مع وجوه قومه وعدة من رجال . فأمر لم الناصر بالكسبي ووصلهم على
 أقدارهم ومنازلهم عند محمد ، وأجرل لم الصلّة ، وأعطى محمداً العطاء الجزل ،
 وقربه من نفسه ، وولاه من حبه خطّة الوزارة ، سؤها ، مرفّع الذكر . ثم خرج
 الناصر لدين الله غازياً ؛ فاغزاه معه وزيراً .

وكان حبيب بن عمر الوالي على قرمونة من قبل السلطان قد امتنع بقرمونة .
 فحاصر الناصر قرمونة ، ومحمد بن حجاج معه وزيراً ؛ فسعى به عند السلطان من
 كان بحبه ، وقال له : «إنها نافق ابن عمر مع محمد وأمره !» فعزله عن الوزارة ،
 وحبسه ، وحبس معه ابن وليد صاحب الشرطة . ثم أطلقا بعد ذلك . فلم يلبث
 محمد بن حجاج بعد ذلك إلا يسيراً ، وتوفي في شوال سنة ٢٠٢ .

ومن أخبار عمر بن حفصون في أيام الأمير عبد الله

وعند ما ولي عبد الله الخلافة ، وواقفه الكسب من البلاد ؛ واجمعت على
 طاعته جميع العباد ، رأى عمر بن حفصون على قرط عناده ، وعثوه في الأرض
 وفلسيه ، أن يدخل في جماعته ، ويلتم بمروض طاعته . فأرسل ابنه حفصاً

إلى قَرْطَبَة مع جماعة من أصحابه، على أن يعقدوا مع الأمير صلماً منظماً، وصلحاً
 مبترماً، لا يُجبله حال، ولا يلحقه مُحال، على أن يستقرَّ عمر بن حفصون بيزنتر
 P. ١٢٦ على الطوع، وبغير بها على الطاعة والسبع. فقبل الأمير نزاعه، وسمع بإيقانه
 هنالك، وأصدر الله ورُسُلَه إصداراً جميلاً؛ ومنعهم براً جريلاً، ووجه معهم
 عبد الوهاب بن عبد الرزوق والياً على كورة رَية، ومشاركاً لابن حفصون في
 عقبيه وحِله، وسأها له في توليته وعزله. فمكنا شريكين في الأمر والنهي، إلى
 أن غلب ابن حفصون على عبد الوهاب، وأخرجه من الكورة مُنبت الأسباب.
 واشتدَّت معرَّته، وتأكَّدت عاديته ومضرَّته، حتى ممتَّت القرى بالخلاء، والنار
 بالخلاء. ولم يبقَ بالنَّسبانية قَرْية إلا غيَّبتُها الخيل، وعثمتها الدَّيْلَة والوَيْل، قد
 ملك اللعين إنيعة وأزجذوته، وأجدها بثقافاً، وصبر فيها من الآلات أصنافاً.
 فلما رأى الأمير عبد الله ما أحاط بقَرْطَبَة من ابن حفصون، ودار عليها
 من الحرب الزبون، أمر بإخراج السَّرايِق إلى فُحص الرِّبض بشقَّة. فلما
 اشتدَّت أطناؤه، ومُتَّت حوائكه وأسبابه، بعث ابن حفصون خيلاً ترمى على
 شقَّة لعلها تأخذ السَّرايِق السلطاني وتوزِّره، وتَهْجَم على البلد وتُعبط بجانبه.
 فخرجت لم الخيل إنسَرَّ ذلك، وطردتهم طرداً من هنالك، ووصلت إلى ابن
 حفصون؛ فدفعته عن الجهة، ومنعته من تلك الوجهة، وأوى إلى حصن بُلَى
 بقَرْية؛ فجمع له الأمير أهل قَرْطَبَة، وسار إليه في نحو أربعة عشر ألفاً. وحشد
 ابن حفصون نحو ثلاثين ألفاً؛ فصدمه الأمير من معه؛ فشدَّ عقده وفرَّق جمعه؛
 فصعدت الصفوف في رفاهم، وتبعَتْ سبل أعقابهم، حتى رويَّت الأرض من
 دماهم. ودخل الأمير عبد الله الفِلاح النائرة عليه؛ وصارت يوشك في يديه.

وفي ذلك يقول ابن عبد ربِّو [كامل]:

رَأَى ابْنُ حَفْصُونَ النِّجَاءَ فَلَمْ يَسِرْ وَالسِّيفُ طَالِبُهُ فَلَبَسَ يَسَاجِرَ
 * فِي لَيْلَةٍ أَمَرَتْ بِهِ فَكَانَ مَا خَبَلَتْ تَقْبِضَةَ لَيْلَةٍ الْمِجَارِ
 مَا زَالَ يُلْفِئُ كُلَّ حَرْبٍ حَامِلٍ فَالآنَ أَنْجَبَهَا بِشَرِّ يَسَاجِرِ

رَكِبُوا الْفِرَارَ بَعْضُهُ قَدْ جَرَّيُوا غِبَّ الشَّرَى وَعَمَلُوا الْإِدْلَاجَ
وَإِذَا سَأَلْتَهُمْ سَوَالِي مَنْ هُمْ قَالُوا: سَوَالِي كَسَلٍ لَبِيلٍ دَاجٍ

ولما رجع ابن حنصون الى بَرْشَن، حشد أعوانه، وجدد للقرص ديوانه،
وخرج مجتمعه الى البيرة، وأدار بها حرباً مُبِيرَةً، الى أن تغلب عليها بأبده،
وقبض على عاملها بكيد. فأخرج الأمير عبد الله العسكر إليه، وقسم ابن أبي
عبدة عليه. فلما تدانى الفريقان، وتراءى الجمعان، هجمت خيل ابن أبي عبدة
على خيل ابن حنصون؛ فعمستهم عكسا، وطست أنارهم طمسا؛ وأثقل ابن
حنصون بالجراح، وآب من النصرِ صِرَّ الرّاح، قد ركب الأوعار، وأحمل
الحِزْيَ والعار؛ وبلغ حصن بَرْشَن مفلولا، خاسرا ذليلا. ثم عاد الى عاده،
وسيل بنيه وفساده. وفي كل ذلك كان الأمير عبد الله يهزم جيشه، ويروع
بأسه جأشه، حتى خمدت نيرانه، وملت أنصاره وأعوانه. فلما توفي الأمير عبد
الله، وولى الناصر لدين الله، بادر الى الطاعة، والدخول في الجماعة. ثم نكث
وخان، حتى ملكته الأزمان.

جُمْلَةُ الثَّوَارِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ،

الْمُخَارِجِينَ عَنِ الْجَمَاعَةِ، الْمُضَرِّمِينَ لِنَارِ الْفِتْنَةِ

أولم ابن حنصون؛ وقد تقلم ذكره. وتأتى بقية أخباره بحسب السنين.
وثار سَوَّارُ بْنُ حَمْدُونٍ بِحَصْنِ مَتَّ شَاقَرٍ؛ فقام الى جَعْدِ عَامِلِ الْبِيرَةِ مَعَهُ؛
فَهَزَمَ جَمْعَهُ، وَأَخَذَهُ أُسْرًا، وَأَرَاهُ يَوْمًا عَصِيرًا. ثُمَّ أَطْلَقَهُ مِنْ عِقَالِهِ، وَعَمَّه
بِإِفْضَالِهِ، * وَأَنْصَرَفَ إِلَى الْبِيرَةِ بَلَدًا، وَمَقَرَّ أَمَلَهُ وَلَدًا. وَسَارَ سَوَّارٌ إِلَى غَرْنَاطَةَ، ٢٨
وَأَغَارَ عَلَى حَصُونِ بْنِ حَنْصُونٍ؛ فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْبِيرَةِ فِي نَحْوِ ثَلَاثَةِ وَعَشْرِينَ
أَلْفًا؛ فَلَقِيَهُمْ سَوَّارٌ فِي عِدَدِ قَلِيلٍ؛ فَلَاذُوا بِالْفِرَارِ وَالْفُجُورِ، وَصَارُوا كَالْهَبَاءِ
الْمَشُورِ؛ وَبِطَّتْ بِهِمُ الْحُفُوفُ كَنَفًا، وَقُتِلَ مِنْهُمْ عَلَى مَا ذُكِرَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، وَذَلِكَ

في سنة ٢٢٦. وكانت بين سوار هذا وابن حفصون ملاقاته انقلب فيها ابن حفصون مهزوماً، وتولى ملوياً مذموماً، قد أثقل بالجراح، وقُتِلَ قُوَّاهُ في ذلك الكفاح. وكان جند الناصر بالبيرة متفقاً مع ابن حفصون على النفاق، متعقداً معه على الفساد في تلك الآفاق؛ فأعمل جند الحيلة في القدر بسوار جهده، وأظهر في ذلك نصبه وجهده؛ فأغار على جهته يوماً، وقد آمن هنالك قوماً. وخرج هو بنفسه في نفر يسير؛ فاكسح وأغار، وأتجد في الحيلة وغار. وظن سوار أن ليس وراءه أجناد تنجده، ولا أمداد تُبشِّره؛ فبرز إليه بأهل المكان، وقد آمن بالظفر والإمكان، فلما انبسط من هنالك كالفرخ الأيسر، نارت الكمان عليه كالجراد المنشر، وأحدث الخيل بسوار؛ فقتل نقيلاً، وعاد عسكره مهزوماً مغلولاً. وأرسل جند صاحب البيرة إلى ابن حفصون برأس سوار، وأعطه بالكنت الشامل لأعدائهم والسوار.

ونار سعيد بن جودي في ذلك التاريخ بالعرب، وعارض ابن حفصون بالعرب والعرب، حتى أغصه برينه، وضايقه في سبيله هناك وطريقه؛ فرجع ابن حفصون إلى الحيلة فيه والكيد، إذ عجز عن بالقوة والأيد، حتى قبض عليه، وصار أسيراً لديه، وأقام عنده يسبشتر شهوراً مكبولاً، إلى أن قيل فيه * ابن ١٣٩ P. حفصون ملاً جزلاً قبولاً؛ فأطلقه من وثاقه؛ فوجد في خلافه على الأمير عبد الله وشيافه، إلى أن ميكر به مكرًا، وقتل في دار عشيقته له يهودية شذراً. وتولى أمر العرب بجانب البيرة محمد بن أضحى؛ فأمسى على طاعة الأمير عبد الله وأضحى؛ فأنسب ابن حفصون الحرب، وعارضه بالطنن والضرب، إلى أن ظفر به ابن حفصون في تلك المسالك، وصار عنده أسيراً هنالك؛ ففداه العرب منه بمال جسيم، ومضى من طاعة الأمير على منهاج قومه.

ونار العرب بإشيلة ثورة، وفضوا على عاملها عنوة، وأنهبوا طائفه وسلبه، ولم يتركوا إلا أهله وولده، وقتلوا كثيراً من أعوانه، وعاشوا ما شأوا في سلطانه؛ فاجتمعت العساكر من قرطونة وسائر الأقطار، وأحاطت بإشيلة إحاطة

الشَّلَك الدَّوَّار؛ فقبلوا على القاتمين فيها. وقتلوا منهم فرقة؛ فكانت الرقعة المعروفة بالدَّعْفَة.

وتغلب إبراهيم بن حجاج على إشيبة تغلباً، ونصب لأحواز قُرْطَبَة منها حرباً وحرباً؛ وارتبط مع ابن حنصون على العبث التام، والاحتلال بقُرْطَبَة في ذلك العام. وتغلباً على المحصون والفلاح، وجداً في الكفاح والقراع، إلى أن انتفض ما بينهما من السلم المنظم، والعهد المحكم المبرم. وصالح ابن حجاج الأمير عبد الله؛ فأقره بأشيبة، وصرف إليه زمامها، وأوقف عليه أعمالها وأحكامها.

وثار دُبَّس بن إحاق، وغلب على مدينتي لَوْرَقَة ومُرْسِيَة، وما يليها من كورة تُنْسِير. وكان مؤدوداً من طغيات الناس، رفيقاً برعيته، جواداً، متجعاً، له إفضال على الشعراء والأدباء.

وثار عبيد الله بن أمية، وملك كورة جَبَّان. ودخل حصن [ابن عمر^١] وغيره. ومثم، عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجلبي، افتعد مدينتي بَطْلَبُوس^٢ ومَارِدَة؛ ففارق الجماعة، وجاور أهل الشرك، ووالاهم على أهل القلعة. ومثم، عبد الملك بن أبي الجَوَّاد، افتعد مدينة بَاجَة وملكها، وتخصَّن بحصن مازنلة، وله حظ من المنعة تشييداً وعدة. وكان معارفاً لابن مروان، صاحب بَطْلَبُوس في هذا التاريخ، وابن بكر صاحب أكنونية؛ فكانوا متآلين على من خالفهم.

وثار ابن السليم، وهو منير بن إبراهيم بن محمد بن السليم، بمدينة ابن السليم، المنصوبة إلى جده، من كورة شَدُونَة؛ فاقنصه في سيرته، ولم يُظْهِر نَبْذَ الطاعة. إلى أن فتنه مملوك له بِسْمَى غَلْدَة. وخفَّه وَلِيد بن وَلِيد، وصار إلى الطاعة عند محبوب رجبها بالخليفة عبد الرحمن الناصر.

B: ودخل حصن وغيره. ١) Rétabli d'après *Musabih*, éd. ANSARA, p. ٦ (A). ٢) B: ولودخل حصن كذا وغيره.

٢) B: ولودخل حصن كذا وغيره.

ومنهم، محمد بن عبد الكريم بن إلياس، امتنع بقلعة وَّرد من كورة شذونة، وسعى ثلثتة سبعة، ونمادى، حتى استنزل الناصر فيمن استنزل من الثَّوار. ومات بقرطبة.

وثار خير بن شارك بمحصن شوذَر من كورة جيان، وظاهر زعيم الثَّوار عمر ابن حفصون؛ ففتك بخير المذكور، وأرسل برأسه الى الأمير عبد الله. ومنهم، عمر بن مضم القَترولى^(١) المعروف بالملأحي؛ وكان جندياً متدرباً عند العامل بحضرتها؛ فوثب عليه؛ فغدره، وضبط النصبه.

^(٢) ومنهم، سعيد بن مَنبيل. كانت ثورته بمحصن المَتَلون من كورة جيان؛ فبنى قصته، وحصنها، وأعلن بالخلاف، حتى استنزل الناصر؛ فلحق بقرطبة الى أن مات^(٢).

وثار سعيد بن مَسَنَّة بكورة بَاغَة، واقعد حصونها؛ فاستحل أمره وشره، وعم أذاه، واصطفى من حصونها التي ظهر عليها أربعة لا مثيل لها في الحصانة والمنعة.

وثار بنو هایل الأربعة: أكبرهم منير بن حُرَيْز بن هایل، وأخوه أبوكرامة P. 141 هایل بن حُرَيْز، وأخوه طاهر، وأخوه عمر؛ * ثاروا ببعض حصون جيان في أيام الأمير عبد الله، وخلصوا طاعته؛ وأطلقوا الغارة، وأطلعوا أهل الفساد. ثم استنزلوا؛ فتلوا على حكم الأمان؛ فحسنت طاعتهم وخدمتهم.

^(٣) وثار إسحاق بن إبراهيم بن عطف العقيلي بمحصن مَسْبِثَة؛ فبناء حصنه وامتنع به، الى أن استنزله الخليفة الناصر الى قرطبة؛ وبها توفى^(٣).

ومنهم، سعيد بن سليمان بن جودي؛ أمرته عربُ إغَرَنَاطَة وإلبيرة؛ فضبط أمرهم، حتى دبّر عليه كيران منهم بحيلة؛ فقتلوا بها. فلم ينظم للعرب هناك أمرٌ بعده.

1) المَترونى B؛ البَترونى A. (2-2) Manque dans B.

(3-3) Manque dans B.

وثار محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهنداني، من أكابر أبناء العرب
بكورة البيرة، إلى أن هلك الأمير عبد الله؛ فاستنزل الناصر لدين الله عن
حصنه، فبمن استنزل من الثوار. وكان ابن أضحى هذا مع رجولته أديباً بليغاً،
يقوم بين أبدى الأمراء في المحافل، فيحسن القول، ويطيب الشاء. وله أخبار
معروفة.

وثار بكر بن يحيى بن بكر، واقعد مدينة شنت مريّة من كورة أكنشونة،
وبناها حصناً اتخذ عليها أبواباً حديد. وكان له ترتيب وأمة، ورجال ثجعان،
وعدة موفورة. وكان يقبّه - بزعمه - في سلطانه بإبراهيم بن حجّاج. وكان له
أصحاب للرأي وكتاب للعمل. وكان له عهد مؤكّد إلى جميع من في طاعته بإضافة
أبناء السيل، وقراء التريل، وحفظ الجنازين؛ فكان السالك بناجته كالسالك
بين أهله وأقاربه.

وثار ابن مهلب، من وجوه قبائل البزير بكورة البيرة؛ وها خليل وسعيد؛
ثارا ثورة نظرائهما بجهتهما؛ فأقاما على سبيلهما إلى أن استنزل الناصر أولادها
بعد وفاتهما.

وثار سليمان بن محمد بن عبد الملك الشدوني بشريش شونة؛ وهو الذي
بنى تبريشة وحصنها.

(١) وثار ابن جرج بحصن بكور؛ ففسدت سيرتهما؛ فأخرجوا عن الحصن.
فات عبد الوهاب، ولحق محمد بن عبد الرحمن بن جرج بابن الشالية؛
وكان مصافياً له؛ فتقبّله، واستخدمه، وبني له حصن موريّة من كورة جيان؛
فأقام فيه إلى أن استنزل الناصر ونقله إلى قرطبة (٢).

وثار أبو يحيى النجيب المعروف بالأنقرمدينة سرقسطة وأعمالها، وقتل أحمد
ابن البراء الفرشي عامل الأمير على سرقسطة، واستولى عليها؛ وأظهر النمك

بطاعة الأمير عبد الله، وخطبه، وهو ينسب ابن البراء الى الخلاف. فأظهر الأمير تصديقه، وجعل له على سرْقُطَة. فثبت بها قدمه.

وفي سنة ٢٨٣، أخرج الأمير عبد الله على العسكر هشام بن عبد الرحمن ابن الحكم الى كورة تدمير، في أواخر ربيع الأول. وكان القائد معه على الجيش أحمد بن أبي عبدة. ولما احتل بوادي بُلُون، تقدم فطيع من الخيل؛ فانتزع هنالك حصناً، وغنم ما كان فيه. وتوافد على العسكر حنود أهل الكُور. ثم انتقل وطى المراحل حتى حلَّ بِمَرْيَة. ثم انتقل الى لَوْرَقَة. فخرج اليه دَبْسَم بن إحقاق؛ فحاربه؛ فهزيم دَبْسَم؛ ورجع الى لَوْرَقَة وأقام محاصراً حتى قتل عنه العسكر. ثم خرج دَبْسَم بن معه؛ ففُضِرَ في الساقة؛ فَرُجِعَ اليه؛ فهزيم وأُتِيعَ حتى استغاث^١ بالوُغُر ونجا راجلاً، وأخذ قَرَسَهُ. وقفل العسكر سالماً. وفقد في هذه الغزاة الماء، ومات فيها اثنان وثلاثون رجلاً عطشاً، وهلكت دواب كثيرة.

وفي سنة ٢٨٤، أخرج الأمير عبد الله ابنه أبان الى كَبَلَة. وكان ابن خَصْب بَحْصَن مُنْت مَيُور، وكان قد ثار به؛ فحاصره، ونصب عليه الحجابيق، ورامم بها حتى ضُيِّبُوا ودَعُوا الى الطاعة؛ وانعقد أمانهم. وفي خلال ذلك، دخل ابن حنصون إِنْجَة الدخلة الثانية؛ فورد كتاب الأمير باستعجال الفلول بسبب إِنْجَة؛ فقتل العسكر. وكانت مدة هذه الحركة شهرين ونصفاً. وهي P. 143 أول حركة أبان.

وفي سنة ٢٨٥، غزا أبان ابن الأمير عبد الله الى ابن حنصون، والقائد ابن أبي عبدة.

وفيها ايضاً، غزا عباس بن عبد العزيز الى حصن كَرَكي وجبل البرانس؛ وقتل ابن يامين وابن مَوْحُول. وأخذ حصونهما.

^١ رجع الى B.

وفيها، تفلّم لبّ بن محمّد من طَلَبْطَلَة الى حَبَر جَبَان، ونازل حصن فَطَلُونَة؛ وكان فيها نصارى مجاريون عيّده الله بن أميّة المعروف بابن الشالّية؛ فأخذ الحصن، وقتل العجم. ووفاء فيه قتل أبيه محمّد بن لبّ في محاصرته لسَرْقُطَة.

وفيها، كانت المجاعة الشديدة التي سُميت السّنة بها «سنة لمّا أظن».

وفي سنة ٢٨٦، أظهر ابن حفصون النصرانية؛ وكان قبل ذلك يُسرّها؛ وانفقد مع أهل الشّرك وباطنهم^(١)، ونذر عن أهل الإسلام، وتابذهم؛ فغبراً منه خلق كثير. ونائبه عَوْجَجَة بن الخليل، وبني حصن قَبِيط، وصار فيه موالياً للأمير عبد الله، محارباً لابن حفصون. واتصلت عليه المغازي من ذلك الوقت، ورأى جميع المسلمين أنّ حربه جهاد؛ فتتابع عليه الغزوات بالصوائف والشواتي، ولا يبي القواد عنه في الحمل والترحال. وفي ذلك قال ابن قُلتُزْم للفائد ابن أبي عيّدة [منقارب]:

فِي كُلِّ صَفِيٍّ وَفِي كُلِّ مَشَى غَزَاتَانِ مِنْكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ
فَإِنَّكَ تُبِيدُ الْعُدُوَّ وَهَلْ يُبِيدُ الْإِمَامَ بِهَا بَيْتَ مَالٍ

وفي سنة ٣٨٧، كانت الصّائفة شَجُونَة ما بين كورة مؤزور وكورة شذونة وكورة رَيّة.

وفيها، قتل الفائد ابن أبي عيّدة طالب بن مؤلود المؤدوري.

وفيها، صلب إسماعيل وصاحبه؛ وكانا من رجال ابن حفصون؛ وفيها جرى المثل في الناس: «غَرَرْتُني^(٢) يا إسماعيل!» وذلك أنّ أحدهما قال هذه الكلمة لصاحبه، وهو يُرْفَع في الحَشَبَة.

وفي سنة ٢٨٨، قبضت رهائن ابن حفصون. ونجّولت الصائفة بشذونة ١٤٤؛ وغيرها من الكور.

غُررت في B. (2) وناظمهم B. (1)

وفيها، عظم السِّل بقرطبة، وانهدم رجل من قنطرتها.
 وفيها، خرج من قرطبة أحمد بن معاوية ابن الإمام هشام إلى قعص
 اللُّوط. ثم نفق إلى تزجيلة، فأقام فيها مدة يسيرة. ولتحدث إليه المحمود؛
 فدخل إلى سيرة وبها قتل في شهر ربيع الأول.

وفي^١ سنة (٢٢٩)، كان غزو أبان ابن الإمام عبد الله [رحمه الله]
 (إلى ربة)؛ لوفاد الخيل أحمد بن محمد بن أبي عبدة. وفصل يوم الخميس
 لحس خلون من جمادى الآخرة؛ ونهض حتى احتل بواي تسفانية^٢،
 واضطرب في هذه الحملة. وخرج إليه عمر بن حفصون؛ (ثم التقياً) فوعدت
 بينهما حرب شديدة؛ ثم انكسفت الهزيمة على أصحاب^٣ ابن حفصون؛ فقتل
 منهم عدد كبير؛ ثم أضرم قري وادي تسفانية وما حواليتها نارا^٤. [ثم انتقل
 وحل على وادي ينش المجاور لبشت، ووقعت الحرب بين أهل العسكر وبين
 ابن حفصون؛ فانهزم ابن حفصون، وقتل له رجال، وغنرت له خيل. واتصل
 الحريق في جميع قري تلك الناحية. ثم انتقل إلى محلة طليجة؛ فأقام بها أياماً،
 مجارب فيها ابن حفصون كل يوم، ويأكل منه. وفي هذه الأيام، أحرقت مئة
 لجعفر بن عمر بن حفصون. وفي هذه الغزاة، حوربت طرش والرجل^٥، وقتل آخر
 زيني وجماعة من حماة ابن حفصون. ونصب المنجنيق على الرجل؛ فأثر فيه

P. ١٤٥

١) Ici commencent les passages du fragment de 'Arib (ms. de Gotha) incorporés par Dozy au texte du *Bayān*. Sont signalés, comme dans le tome I^{er}: entre parenthèses (), les passages du *Bayān* qui ne figurent pas dans le ms. de 'Arib; entre crochets carrés [], les passages importants de 'Arib qui ne figurent pas dans les mss. du *Bayān*. Le manuscrit de Gotha sera signalé dans les notes de l'appareil critique par l'initiale G. 2) A. et B.: ٢٨٩. 3) A. et B. بتسفانية. 4) A. et B. اضلعت عن هزيمة اللعين. 5) A. et B. donnent à la suite pour la fin de l'année 221 وغم الإحراق جميع القري التي على الوادي، وولى مديراً، ثم انتقل إلى حصن طرش بناحية 221 وشة: تخاربه ونصب عليه المنجنيق، على حصن الرجل. وكانت مدة هذه الغزاة ثلاثة أشهر. 6) Vocalisation incertaine.

وثلم في سورة. ثم تفلّم القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة من حصن لوشة الى حصن الحُسن، في جرائد الخيل، وأبقى آيان ابن الإمام عبد الله - رحمه الله - معسكرًا بحلة لوشة؛ فحارب حصن الحُسن، وقتل عددًا من أهله، وأسر منهم جماعة، وانصرف بالرووس والأسرى الى لوشة. ثم قفل بالعسكر، ودخل قرطبة يوم الجمعة لخمس بقين لرمضان؛ فكانت هذه الغزاة ثلاثة أشهر وعشرين يوماً. وفيها، خرج لُبّ بن محمد الى بايش^١ من أحواز آلبه، وذلك في رمضان؛ فافتتح حصن بايش وما يليه، والعليج إذ قُتِل يومئذٍ على حصن غزنون محاصراً لأهله. فلما بلغه دخول لُبّ بن محمد بحصن بايش، ولّى هارباً.

وفيها، تمّ في ذي الحجة، خرج لُبّ بن محمد الى ناحية بليارش؛ فافتتح حصن لحرويه^(٢)، وحصن إيلاس، وحصن قنّيل شنت، وحصن مولة، وقتل بهذه الحصون نحواً من سبعمائة عليج، وسبى بها نحواً من ألف سيرة.

وفيها، توفى جعفر بن يحيى بن مزيّن الفقيه من أهل قرطبة؛ وكانت له رواية عن أبيه وغيره. وفيها، توفى أحمد بن هاشم القائد بمدينة غرناطة، ودُفن هنالك، وهو ابن أربع وسبعين سنة. وفيها، توفى إسحاق بن عبد الله الطيب. وفيها، مات عامر بن مؤصل الأصحى بحصن نازجة.

وفي سنة ٣٩٢، [كان خروج الصائفة الى عمر بن حفصون. ونجول العسكر على حصونه؛ فهتك بعضها. وقوطع البعض على وظيف يودونه. وفيها،] كانت الوقعة (العظيمة) على [عمر] بن حفصون بوادي بُلُون [من جيان]. وكان قد^٢ توافى إليه أهل الخلاف والمخلعان، * وخرج مغيراً على المسلمين؛^{٤٦} فهزمه الله، وقتل كثيراً ممن كان معه. وأدبره في شرذمة قليلة، وأبقى أكثر رجاله في ذلك المعترك^(٢).

توافى اليه جنود عظيمة: Boyen (2-2) بانس (Banos) 1) A lire sans doute

لتوافي آجالهم؛ فأضوا في ذلك المعترك وقُطعت ديارهم؛ وأغلت اللعن في شرذمة قليلة.

[وفيها، خرج لُبُّ بن محمد لماصرة مدينة سَرْقُطَة، وأخذ في ردم الخندق^١ المجاور لسورها وشرع في البُيان عليها. فلما كمل له ردمُ الخندق^٢ وبُيان ما فيه، رحل عنه وأدخل ندبةً فيه من رجاله.

وفيها، توفي عبد الله بن قاسم بن هلال؛ وكانت له رحلة؛ وأدخل الأندلس كُتُبُ داود العباسي^٣ وغيره. وفيها، توفي الوزير سليمان بن محمد بن وأنسوس، وعبد الرحمن بن أمية بن عيسى بن شَيْد المعروف بدُحَيْم، وتوفي أخوَاه عثمان ابن أمية وعيسى بن أمية.]

وفي سنة ٢٩٢، كان خروج الصائفة الى قُهر بن آسد، وهو بحصن تُش من كورة جَبَّان؛ فافتُتِح الحصن، وأخذ قُهرًا أسيرًا، وقدم به الى قَرْطَبَة؛ فأمر الإمام عبد الله - رحمه الله - بصلبه عند الفصّابين في ربيع الآخر.

[وفيها، عُزل محمد بن أمية بن شَيْد عن المدينة؛ ووليها محمد بن غانم؛ فكانت ولايته شهرًا؛ ثم عُزل، وولى مكانه موسى بن محمد بن حُدَيْر. وفيها، حُبس حزمير القومس، وعُذِّب وأُدهق حتى مات.]

وفي جمادى الآخرة، دخل [الفائد] أحمد [بن محمد] بن أي عبدة حصن قَيْط من نَاكِرْنَا. وندب فيه جيشًا، واستنزل من كان فيه من بني الخليل؛ وأدخل فيه الحشم^٤.

[وفيها، توفي يونس بن هانم بن عماد العزيز. وفيها، توفي دَيْسَم بن ٢٩٧. إسحاق صاحب نُدْمِير. وفيها، قُتل يحيى بن قَيْس^٥، ومحمد بن إسماعيل، وأيوب ابن سُبَّان بطَلَبُطَة]

وفي سنة ٢٩٤، كان غُزْوُ أبان ابن الإمام عبد الله - رحمه الله - الصائفة الى الخزيرة. وقاد الخيل أحمد بن محمد بن أي عبدة، وحل بالجزيرة

1) Correction proposée au lieu de la leçon du ms. الفرق conservée par Dozy.

2) القياس. 3) غلامًا. Rétabli d'après le texte du *Bryân*. 4) قطام.

يوم الجمعة لتسع بقين من رجب . ثم تقدم إلى حصن لوزة يوم السبت لإتسلاخ رجب ؛ فحارب الحصن وحاصره ، وقتل جماعة ممن فيه ؛ ثم تقدم إلى حاضرة ربة ، فيها مساور^١ بن عبد الرحمن ؛ فأحرق أرباض الحاضرة وحوَّص من كان فيها ؛ فدعا مساور إلى السلم ، وبذل الرهائن ، فأجيب إلى ذلك ، وقبضت رهائنه ؛ ثم تقدم القائد إلى الساحل ؛ فجال عليه أجمع ، وخرج على حصون البيرة ، وقفل منصرفاً إلى قرطبة ؛ فدخلها يوم السبت لليلتين خلتا من ذي القعدة .

وفيهما ، خرج لب بن محمد إلى جانب بسلونة ؛ فبذل في نهوّه ، وشرع في البيان بحصن هريز^٢ ؛ فحشد إليه العليج شائجه جميع أهل بله ، وكأبه بالمكاسن ؛ ثم وجه إليه خيلاً بسيرة ؛ فلما سمع الصبغة ، بدر إلى الركوب ؛ فلقى بكين ، فهزمه ؛ ثم بكين ، فهزمه ؛ ثم أحدث به الكائن . فقتل وقتل من كان معه ، ممن أثمر الشهادة ؛ وذلك في ذي الحجة لاثني عشرة ليلة بقيت منه . فقتل تطيلة أخوه عبد الله بن محمد . وكان لب يوم قتل ، ابن ثمان وثلاثين سنة .

وفيهما ، ظهر محمد بن عبد الملك الطويل في النفر ، ودخل حصن برشتير وحصن القصر وحصن برطانية .]

وفي سنة ٢٩٥ ، كان غزاة أبان ابن الإمام عبد الله [- رحمه الله - بالصائفة] إلى جهة ربة ؛ وقاد [الخيل] (أبو العباس) [أحمد بن محمد] بن أبي عبدة ؛ [فنصد بُبشتير ، وحارب ابن حنصون ، ونكاه ، وأنزل به ، وحارب ما حولها من الحصون .]

وفيهما ، غدر [سعيد بن الوليد المعروف بـ] ابن مسنة ، ونحلي عن حصن بلدة إلى [عمر] بن حنصون ، وظافره ، وأدى ما كان بضيمه من العصيان .

١) مشور . ٢) Lecture dioutense ; peut-être هرين .

[وفيها، ولي المدينة محمد بن عبيد الله بن أبي عثمان، وذلك يوم الخميس؛ فاستعفى عنها؛ فأعفى يوم الجمعة ثاني ولايته، وولي مكانه علي بن محمد المعروف بالبأسه؛ وكان عليها ثلاثة أيام. ثم عزل وأعيد إليها موسى بن حدير؛ فكان والياً عليها إلى آخر أيام الإمام عبد الله؛ وأقره أمير المؤمنين - رحمه الله - إلى سنة ٣٠٣.

وفيها، دخل محمد بن عبد الملك الطويل حصن مَنِينُون ومدينة لآرِدَة في الحرم.

وفيها، دخل محمد بن عبد الرحمن النجيب مدينة شَبَّة. وفيها، خرج محمد بن عبد الملك الطويل إلى بَرْطَلَانِيَّة؛ فافتتح حصوناً جبّة، وسي سياً كثيراً.

وفيها، توفي النقيب بجي بن عبد العزيز بن الحرّارة، والقبه محمد بن غالب ابن الصفار، ومحمد بن بجي بن أبي غسان صاحب السوق. وولي أحكام السوق بجي بن سعيد بن حسان. وفيها، توفي موسى بن محمد بن موسى بن قطيس الخازن.]

وفي سنة ٣٩٦، كان غزو آبان [ابن إمام عبد الله بالصائفة إلى حصون رَبة وغيرها.] وقاد الخيل معه أحمد بن محمد بن أبي عبدة؛ فقصد ناحية بُبَشْتَر، [ونازل ابن حصون، وحاربه ونكاه؛ وتحرك عيسى بن أحمد [الفائد غازياً] إلى حصون سعيد بن مَسْتَنَة؛ [فنازله أيضاً]، حتى قتل الفائد أحمد ابن محمد من بُبَشْتَر. ثم نازل حصن لك من حصون ابن مَسْتَنَة؛ فأقام عليه حتى افتتحه.

[وفيها، خرج محمد بن عبد الملك الطويل إلى بَلْبَارِش في شهر رمضان؛ فقتل هنالك منقلة عظيمة. ووفد عليه رُسلُ أهل حصن رُوطَة، يرغبون الصلح ويسعون بالرهائن والمجزية؛ فلم يجيبهم إلى ذلك؛ فخرجوا هاربين من الحصن،

وأخوه . وتقدم إليه في فهدمه . وفيها ، تغلب على حصن ~~سنت~~ ^{سنت} ~~الطروش~~ ، وهو المعروف بجبل الحجارة .

وفيها ، توفي محمد بن سليمان بن تليد السعافري قاضي مدينة وشقة . وفيها ، توفي عميد الله بن محمد بن أبي عتبة ، وكان حج قبل وفاته ثلاثة أعوام ، هو ويحيى بن سعيد بن حسان صاحب السوق . وفيها ، توفيت السيدة ابنة مطرف ابن الأمير عبد الرحمن بن الحكم - رحمهما الله - . وفيها ، توفي أحمد بن حصص بن رفاع النقي المقي .

وفي سنة ٢٩٧ ، كان غزو العاصي ابن الإمام عبد الله - رحمه الله - الغزاة المعروفة بغزوة ربة وقربرة . وقاد الخيل أحمد بن محمد بن أبي عتبة . وفصل يوم الخميس لتسع بقين من شعبان ، فتقدم إلى بلدة ، فحاربها ، ثم احتل على نهر طليعة ، فدارت بينه وبين أصحاب ابن حصصون حرب ، عُثرت فيها خيل السلطان ، وقُتل عدد من أصحاب ابن حصصون . ثم تقدم إلى حصصون إلى البيرة ، فدخل على حصص شيلش ، فكانت هناك حرب شديدة ، ونالت بعض حماة العسكر جراح . وتحوّل في كورة إلى البيرة ، وحلّ بعثة بجانه ، ثم قفل على كورة جيان ، فآزل حصص المفلون يوم الأربعاء للبلتين بقينا من ذي القعدة ، فأقام عليه محاصراً أياماً ، ثم ضحى فيه يوم الأحد ، وقتل يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ، ودخل قرطبة يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة .

وفيها ، افتتحت ياسة ، واستنزل منها محمد بن يحيى بن سعيد ابن زريل .^{١٥} ١٠ .
 (وفيها ، كان سبل عظيم عُثرت منه أركان بيت الله الحرام ، وفاضت بئر زمزم ، ولم ير مثل هذا السبل في قديم الأزمان .)

وفيها ، اجتمع [عمر] بن حصصون ، و[سعيد] بن مسنة ، و[سعيد] بن قذيل ، وضربهم عسكر واحد ، فضربوا بناحية جيان وأغاروا ، فأصابوا وغنوا^١ ،

١) وأخذوا المغانى والدواب : Bayān .

وانصرفوا الى حصن جريشة؛ فاتبعهم القائد أحمد بن محمد بن أبي عبيدة؛ فلحقهم، وهزمهم، وقتل جماعة منهم، [فيهم ثريل العجبي^١، من قواد ابن حنصون].
 «وفيها، افتتح القائد أحمد بن محمد بن أبي عبيدة حصن الزيب، وابنى حصن نرضيخ تضييقاً على ابن هذيل، وحصن قلعة الأشعث، ووضع فيه تدباً من الرجال. وشيئ القائد هذه السنة بجبل ارس^٢ من كورة بيرة. وكانت له في هذه السنة حركات بالقت في نكاية أهل النفاق^٣».

[وفيها، خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى بار بليارش؛ فافتتح حصن أوربالة، وأصاب من المشركين ثلاثمائة سيئة، وقتل كثيراً منهم، وهدم الحصن وحرقه. ونقلهم الى حصن غلنبر والغيران؛ فهدمهما. وكان مبلغ النية في هذه الغزاة ثلاثة عشر ألفاً.

وفيها، قتل إبراهيم بن حجاج ابن عمه أحمد بن سيد بن عمر بن عبيد، وهو ابن خمس وأربعين سنة.

وفيها، وذلك يوم الخميس لسبع بقين من ذي الحجة، اعتقل موسى ابن محمد بن حدير صاحب المدينة إبراهيم ومحمداً وسعيداً بنى الأمير محمد p. ١٥١ - رحمه الله - وابن أخيه محمد بن عبد الملك ابن * الأمير محمد - رحمه الله - وحبسهم في دار مطرف ابن الأمير عبد الله. وكان سبب ذلك أن الإمام عبد الله - رحمه الله - عهد إليه ألا يترك أحداً يجوز القنطرة إذا كان له خروج للصيد. وكان يصيد الإمام في تلك الجهة بعدوة النهر. فخرج الإمام في هذا اليوم منصّباً، وخرج هؤلاء من المدينة متروحين؛ فردّهم واعتقلهم. فلما انصرف الأمير - رحمه الله - من صيد، انتهى إليه أمرهم وما فعله فيهم؛ فاستحسن ذلك منه، وشكر له، وعهد إليه بإطلاقهم.]

وفيها، بنى القائد أبو العباس على ابن هذيل حصن مرصيص. وشيئ القائد: Bayán (1-2)
 2) *Muṣṭabā*, éd. Antón, p. 126. جبل اروس. Il faut lire probablement أيرش بيرة.
 3) *Muṣṭabā*, éd. Antón, p. 126. قلعة اوش بيرة.

وفي سنة ٢٩٨، خرج العاصي ابن الإمام عبد الله [رحمه الله] بالصائفة. وفاد الخيل أحمد بن محمد بن أبي عبدة؛ [فنفلم] إلى [حصن] بيشتر وغيره من حصون الساحل [بكورة ربة]. ثم تقدم بالعسكر إلى كور البيرة؛ فحطم زرعها، وهشم ثمارها.]

وفيها، [أقام عيسى بن أحمد بن أبي عبدة في قطيع من الخيل بمدينة بيانة؛ ف] [أغار] [عمر] بن حفصون و[سعد] بن ستنه في بسط قبزة وقرى فرطية، (وأخذوا الغنائم)؛ فخرج عيسى بن أحمد طالباً لها، (فالتقي بها على نهر ألية؛ فدارت بينهم حرب شديدة، وانهمز عمر بن حفصون وابن ستنه؛ فقتل من أصحابها خلق كثير، واقتربوا أيدي سبأ. وبعث عيسى بن أحمد من رؤوسهم عدداً كثيراً).]

[وفيها، غزا الوزير عباس بن عبد العزيز إلى مدينة قلعة رباح؛ وكان أهلها قد خالوا، وخلعوا الطاعة؛ فافتتحها. وكان فضل بن سلمة، عتق سعيد ابن ستنه، قد خالف بحصن * أشر؛ فقترب أهل حصن أشر بقتله إلى الإمام P. 102 عبد الله - رحمه الله! - فقتل منهم قوم برأسه إلى باب السدة؛ فشكرهم ذلك. وفيها، خرج عباس بن أحمد بن أبي عبدة قائداً على خيل كتيبة إلى المتسلون لحرب سعيد بن هذيل. وفيها، تداعى البزير الطنجيون الذين كانوا غزوا مع القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة إلى التروع إلى مدينة بلدة إلى ابن حفصون؛ وتداعى الطنجيون الذين كانوا مع عباس بن أحمد على المتسلون إلى التروع إلى ابن هذيل؛ فخرجوا عن العسكر، ولحقوا بأهل الكفر والخلعان. ثم دارت الدائرة على هؤلاء وهؤلاء في الموضعين جميعاً لأمر أخذوها، واستدرجهم الله - عز وجل - بها؛ فقتلوا بيشتر والمتسلون. وعاد من بني منهم إلى الطاعة. وكان صاحب الصائفة العاصي ابن الأمير عبد الله؛ وكان

فأدركهم وهزمهم وقتل منهم مقلعة عظيمة وأخذ لواءهم واقتربوا على Bayan: (1-1) غير طريق.

فصوله هذه الغزاة يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من شعبان ، وهو يوم
النصف من أبريل . وكانت في هذه الغزاة أمراضٌ ووباء .
وفيها ، خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى أرغون يريد بنبْلونة وأن
يجمع هناك مع عبد الله بن محمد بن لب . فأتته الى حصن التبريز فأحرق
ما حوله ، وهدم كنائس تلك المواضع ، وذلك في شهر رمضان . وخرج عن
ملاقات ابن لب وعن القصد الى بنبْلونة ، وانصرف فاحلّ حصناً من حصونه
يعرف بشارفتيه ، فأندربان ابن شاذي يريد الهجوم عليه فخرج في بعض
أصحابه مسللاً . فلما أيقن أهل العسكر بهروب ابن الطويل ، تخاذلوا فكان
سبباً لانهمز أهل الحصن . فلما بلغ عبد الله بن لب الخبر ، وإن ابن الطويل
كبح عن ملاقاته شاذي ، نزل بن معه من المسلمين على حصن لوزة من حصون
P. 103 شاذي فقتل جماعة منهم وكرّ راجعاً ، فالتقى ببعض الخبل التي كان فيها
شاذي فقتل فيهم ربي .

وفيها ، استشهد ابن أبي الحُصَيْن الشَّيْبَانِي ، واسمه ريم الخلف ، وكان نبلاً
أديباً ، وفيها محدثاً .

وفيها ، مات إبراهيم ابن الإمام محمد - رحمه الله - وفيها ، توفي معاوية
ابن محمد بن هشام القرشي ، وعثمان ابن الأمير محمد - رحمه الله - ، ومُطَرَف
ابن أحمد بن مُطَرَف ابن الأمير عبد الرحمن - رحمه الله - ، وأبان بن
عبد الملك ابن الأمير عبد الرحمن - رحمه الله - . وفيها ، توفي محمد بن
أمية بن عيسى بن شهيد الوزير ، صاحب المدينة . وفيها ، توفي سعيد بن عبد
الرحيم الشَّيْبَانِي الكاتب ، وأبو يحيى يزيد بن محمد الشَّيْبَانِي الخازن ، وموسى بن
الحسين بن نُفْلَة ، وأبو مروان عميد الله بن يحيى بن أبي عيسى ، وأصْبَح بن
عيسى بن نُفْلَة ، وإبراهيم بن حجاج صاحب إشبيلية ، ومروان ثلاث
وسنتين سنة ، وعمر بن قوس الكاتب ، وزياد النقي صاحب الطراز ، وأفلح
[الوصيف .]

[وفي سنة ٢٩٩، كان غزاة القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة إلى حصن
مُتَجَالَة من حصون ابن هُثَيْل، بالقرب من جبل المُشَلُّون، وذلك في صدر
الحرم؛ فحاصره أشد الحصار، حتى افتتح الحصن.

وفيها، غزا بالصائفة أمان ابن الإمام عبد الله - رحمه الله - وقاد الخيل
عبّاس بن عبد العزيز الوزير. وفصل يوم الاثنين لتسع بقين من شعبان،
وقصد حصن يَشْتَر، وحارب ابن حصون، وأوقع به. ثم خرج بإثمه أحمد
ابن محمد بن أبي عبدة؛ فتولى القيادة مكانه، واستقدم عباس بن عبد العزيز
إلى فرطه؛ فقصده القائد حصون ابن حصون، وحارب من كان فيها.]

وفي هذه السنة، كُشِفَت الشمس^١ [جميعاً قبل وقت الغروب، وذلك يوم
الأربعاء ليلة بقيت من شوال؛] وظهرت النجوم. وبدر أكثر أهل المساجد؛^٢
فأذنوا لصلاة المغرب، وصلوا. ثم انحلت الشمس مضبّة. ثم
توارت للغيب^٣.

[وفيها، خرج محمد بن عبد الملك الطويل إلى وادي بَرْشَلُونَة؛ فأغار بموادي
طَرَاة. فخرج عليه العليج شير^٣؛ فأخذ عليه المضايق. فلما كثر عسكر المسلمين،
ألقوا أعداء الله على تلك المضايق؛ ففتح الله للمسلمين عليهم، وقتلوا فيهم
مقتلة عظيمة.

وفيها، توفي عبد الله بن أبي زيد صاحب الخيل. وفيها، توفي أصبغ بن
مالك الزاهد النقي. وفيها، ملك العليج إذقش؛ وكانت مدة أيامه أربعاً
وأربعين سنة؛ وولي ابنه غَرْسَة مكانه.]

1) Le Bayān place cette éclipse sous l'année précédente.

2) Bayān: وتمت الظلة وعلى أكثر الناس المغرب؛ ثم انحلت الشمس وأضاءت قدر
نصف ساعة قبل؛ ثم توارت.

3) سنة.

شأن ابني الأمير عبد الله، محمد ومُطَرِّف

(كان الأمير عبد الله قد رشح ابنه محمداً لولاية عمه، وأثره بها عنه؛ فعظم الأمر على أخيه مُطَرِّف، وبعد ما بينهما كل البعد، وقابل الواحد الثاني بالهجران والصّد. فوجد مُطَرِّف يوماً فارساً من فرسان محمد؛ فاغتاله وقتله؛ ثم فرّق من أبيه عبد الله وحذير سطوته، ولم يأمن صوته؛ فسار إلى السجن وفتقه، وحلّ من شدّه أيره وأوثقه، وخرج بمن فيه من أهل الذمارة والفساد، ولحق بيزنتر قاعدة أهل الضلال والعناد، وصار عبد ابن حفصون، في حرز من الأمن منصون. ثم إن الأمير عبد الله أباد خاطبه بالأمان، وقال: «يُسْأَلُ الإِسْمُ المُسَوِّقُ بعد الإيمان!» فقبل من أبيه، وانصرف إلى أهله وذويه. ولم يزل بعد ذلك مُطَرِّف يُقْرِئُ بِمُحَمَّدٍ إِعْرَاءً، ويطوى له عداوةً وبغضاءً. P. 100 ويزعم أنه يخاطب ابن حفصون ويدخله، ويداه على الفهام على أبيه ويواصله. فحين الأمير عبد الله محمداً في دار البيعة، وامنعن خلال ذلك عين الحقيقة. فلما واصل في البحث صباحه ومساءه، لم يفرغ سمعه من جوفه ما ساء؛ فأسرع إطلاقه؛ وحلّ وثاقه؛ فدخل مُطَرِّف إليه، وأجهز في الحبس عليه، وتركه متخبطاً في دمه، سُلقى على وجهه وفمه. فلما علم ذلك الأمير عبد الله، أعظم ذلك منه، ودمّ بقتله عنه؛ فلم يعزيم من كسر عليه لذلك؛ فتركه. وقبل: قتله فيه: والله أعلم. وكان ذلك في سنة ٢٣٧٧.

شأن القاسم، أخى الأمير عبد الله

كان الأمير عبد الله قد أنعم أخاه بالقاسم عليه في الملك، وإيراده موارِد الملك. فلما كثر بذلك الترفع إليه، وتنازع الكلام فيه عليه، رأى بمقتضى الرئاسة، وحكم التدبير وأسياسة، أن يحبه في دار البيعة من الفصم، حتى

يكشف من هذا الأمر - ثم نقله منها الى حبس الذئيرة ؛ فمُنِعَ النّومَ هنالك ؛ فأرسلت له أُمّة مُرَقِّداً لذلك ، وأمرته أن يفسه على ثلاثة أيام ؛ فشرب الجميع في يوم واحد ؛ فأصبح رَفَنَ الحِمَامِ .

وفي سنة ٢٠٠ ، كان وفاة الإمام عبد الله [بن محمد] - رحمه الله - [ليلة الخميس] من ربيع الأول ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة ، وخمسة عشر يوماً . [ودُفِنَ في قصر قُرْطُبَة مع أجداده الخلفاء - رضي الله عنه وعنهم ! - وصلى عليه أمير المؤمنين عبد الرحمن ابن محمد - رحمه الله - .

صفة الإمام عبد الله بن محمد : كان أبيض ، أصهب ، مُشْرِياً بِحُمْرَةِ ، أزرق اقنى يَخْضِبُ بالسَّوَادِ ، رُبْعَةً الى الطَّوْلِ ، عَظِيمٌ * الْكَرَادِيسِ .
تسمية أولاد الإمام عبد الله : مَن وُلِدَ له قبل الخلافة : محمد ابو أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد - رحمه الله - ، أُمّة : دُرٌّ ، وأحمد ، أُمّة : غَمَامٌ ؛ ومُطَرِّفٌ ، وسليمان ، أُمهما : غِزْلَانٌ ؛ وآبان ، لَأْمٌ وَلَدَ نَسَى شَأْنٌ ؛ وعبد الرحمن ؛ وعبد الملك ؛ والسيدة ؛ وعائشة ؛ والسيدة أخرى ، مُهْنٌ ؛ غِزْلَانٌ ؛ وهشبة ، أُمها : قُرَيْشٌ ؛ وأسماء ؛ أُمها قُتَيْبَانٌ ؛ وحكيمة ، أُمها : مَلَكٌ ؛ واليهام ، أُمها : دُرٌّ ؛ وفاطمة ، وكانت أَسَنَ وَلَدَ . ومَن وُلِدَ له بعد الخلافة : العاصي لِمُسْتَظَرَفٍ ، وعبد الرحمن لخديج ، ومحمد الأصغر ، وأحمد الأصغر ، أُمهما : مَلْعَةٌ ، ورُقْبَةُ ، وزينب لِمَلْعَةٍ ، وفاطمة لماجن ، وزينب لشارق ، وفاطمة الصُّفْرَى لِدُرٍّ .

ذَكَرُ حُجَّابَهُ وَوَزَرَائِهِ وَكُتَّابَهُ وَأَصْحَابَ شُرْطِهِ : أَلَى الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْحِجَابَةِ وَقَتَ وَفَاةِ الْإِمَامِ الْمُتَنَبِّئِ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ شُعَيْبٍ ؛ فَأَمَضَاهُ عَلَيْهَا ؛ ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَوَلَّى مَكَانَهُ سَعِيدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ السَّلِيمِ ؛ ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَلَمْ يُوَلِّ بَعْدَهُ الْحِجَابَةَ أَحَدًا . وَالْوَزَرَاءُ : بَرَّادُ بْنُ مَالِكٍ الْفَرَسِيُّ ؛ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْفَرَسِيُّ ؛ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ السَّلِيمِ ؛ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

ابن أمية. وقاد الخيل بالصوائف عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة. وولي
 الكتابة أحمد بن محمد بن أبي عبدة. وقاد بالصوائف سلمة بن علي بن أبي
 عبدة؛ عبد الرحمن بن حمدون بن أبي عبدة؛ حفص بن محمد بن بسيل. وولي
 المدينة مع الوزارة محمد بن وليد بن غانم. وولي المدينة مع الوزارة أصبغ بن
 عيسى بن قطيس؛ عبد الله بن محمد الزجلي، وكان كاتباً ووزيراً؛ سليمان بن
 محمد بن وأنسوس؛ أحمد بن هاشم. وقاد الخيل جعفر بن عبد الغافر. وقاد
 الخيل العاصي بن عبد الله بن ثعلبة؛ تمام بن عمرو بن علقمة (وكان وزيراً
 لثلاثة من الخلفاء)؛ عبد الله بن حارث بن بزيح؛ إبراهيم بن خير؛ محمد
 ابن أمية بن شهيد. وولي المدينة نصر بن سلمة، وولي القضاء موسى بن
 زياد؛ وولي الكتابة والشرطة والقضاء. ومن أصحاب الشرط موسى بن زياد،
 ثم ولي مكانه، لما ولي القضاء، يحيى بن زياد عنه؛ ثم مات يحيى بن زياد،
 وبنيت الشرطة دون والي ستين؛ ثم وليها قاسم بن وليد الكلبي؛ فبقي عليها
 حتى توفي الإمام - رحمه الله!

ومن كتّابه: عبد الله بن محمد الوزير؛ عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة؛
 موسى بن زياد. ومن قضائه: النصر بن سلمة النبسي؛ ثم موسى بن زياد؛ ثم
 محمد بن سلمة أخو النصر؛ ثم أعيد النصر بن سلمة ثانية؛ ثم عزل وولي
 محمد بن سلمة؛ ثم مات، وولي بعده أحمد بن محمد بن زياد اللخمي.¹

بعض أخبار الأمير عبد الله بن محمد - رحمه الله -

على الجملة²

كان الإمام عبد الله مقتصدًا، يظهر ذلك في ملبسه وشكله وجميع أحواله.
 وكان حافظاً للقرآن، كثير التلاوة له. وكانت له صدقات كثيرة ونوافل

1) ذكر فضائل رحمه الله. 2)

جزيلة. وكان متقدماً في ورته وفصله، محباً للخير وأهله، [كثير الصلاة]، دائم
المخسوع والذكر لله [عز وجل]، [كثير التواضع]، [منكراً للسرف ومبغداً لأهله]،
شديد الوطأة على قوى الظلم والمجور. [وكان] مُسْتَفْتِياً في ضروب العلوم، [بصيراً
بلغات العرب]، فصيح اللسان، حسن البيان [وكان لا يخلو في أكثر أيامه
من مُقاعدة وزرائه ووجوه رجاله]؛ فإذا انقضى خوضهم في الرأي والتدبير
لأسباب مملكته وما كان يحاول من حم على الفتنة، خاض معهم في الأخبار
والعلوم. ولم يكن ممن اشتغل ببلدة، أو فارت شياً من الأبنية في أيام خلافته
ولا قبلها. وهو ابنى الساباط بين الناصر والجوامع بمدينة قرطنة، رغبة في ٥٨
شهود الجمعة، ومحافظة على الصلوات، وحباً للصالحات. وكان يقعد في الساباط
قبل صلاة الجمعة وبعدها؛ فيرى الناس، ويشرف على أخارم وحركاتهم، ويسر
بجماعاتهم، ويسمع قول المنظلم؛ ولا يخفى عليه شئ من أمور الناس. وكان يقعد
أيضاً على بعض أبواب قصره في أيام معلومة؛ فترفع إليه فيه الطللمات،
وتصل إليه الكتب على باب حديد قد صنع مُشْرِجاً لذلك؛ فلا يتعدى على
ضعيف إيصال بطاقة يده، ولا إنهاء مظلمة على لسانه. وكان أهل المكنات
وقور المنازل والأقدار يحفظون من كل أمر يوجب الشكوى بهم، ويتنبضون
عن التعامل على من دونهم، ويهابون عناه، ويحذرون إنكاره، ويتحررون
موافقة مذاهبه. وكانت اللذات معجورة في أيامه، واللهو غير مقترف من جميع
خاصته وعامة، وإعمال الخير وإظهار البر والتقوى فاش في كل طبقة من رجاله
ورعيته. وكان - رحمه الله - كثير الاستغفار لله عز وجل، ومتحفظاً من
اليسين باسمه؛ فإذا حلف له حالف بالله، صدقه؛ وإذا شفع به إليه شافع، شفعه؛
أو خائف، أمته؛ أو مذنب، صفع عنه. ومآثره كثيرة، وفصائله محفوظة مذكورة.
وكان قد فتح باباً في القصر، سماه باب العدل. وكان يقعد فيه للناس يوماً
معلوم يسمى الجمعة، ليُباشِر أحوال الناس بنفسه، ولا يجعل بينه وبين المظلوم
ستراً. وكان بصيراً بالبلغات، حافظاً لأشعار العرب وآيامها وسير الغلاء،

راوية للشعر. وكانت اللذات في آتاهه مهجورة؛ فإنه لم يشرب قط نيداً ولا مُسكرًا. واعتذر إليه يوماً بعض مواله؛ فقال له: «إِنَّ مَخَايِلَ الْأُمُورِ لَتَذُلُّ عَلَى خِلَافِ قَوْلِكَ وَتُنْهَى عَنْ بَاطِلِ تَنْصُلِكَ. وَلَوْ أَقَرَّرْتَ بِذَنْبِكَ، وَاسْتَغْفَرْتَ لَجُزْمِكَ، لَكَانَ أَجْمَلَ بِكَ، وَأَسْلَلَ لِسِرِّ الْعَفْوِ عَلَيْكَ!» فقال: «قد اشتمل الذنبُ عليَّ، وحقَّ المخطأ بي! وإِنَّا أَنَا بِشَرٍّ، وما يقوم لي عذر!» فقال: «مَهْلًا عَلَيْكَ، رُؤْيَا بِكَ! تَقَدَّمْتَ لَكَ رِخْدَةٌ، وَتَأَخَّرْتَ لَكَ تَوْبَةٌ؛ وَمَا لِلذَّنْبِ بَيْنَهُمَا مَدْخَلٌ. وَقَدْ وَسَّعَكَ الْغُفْرَانُ!»

وَأَمَلِي كِتَابًا إِلَى بَعْضِ عُمَاهُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَلَوْ كَانَ نَظَرُكَ فِيهَا خَصَصْنَاكَ بِهِ، وَاعْتَبَأَكَ بِهِ عَلَى حَسَبِ مَوَازِنَتِكَ بِالْكَتَبِ وَاسْتِغْثَاكَ بِذَلِكَ عَنْ مُهِمِّ أَمْرِكَ، لَكُنْتَ مِنْ أَحْسَنِ رَجَالِنَا عَنَاءً، وَأَتَمِّهِمْ نَظَرًا، وَأَفْضَلِهِمْ حَزْمًا. فَأَقْبِلْ مِنَ الْكَتَبِ بِمَا لَا وَجْهَ لَهُ وَلَا نَفْعَ فِيهِ، وَاصْرِفْ مِنْكَ وَفَكَرْتِكَ وَعَيْنَتِكَ إِلَى مَا يَدُورُ فِيهِ اكْتِنَاؤُكَ، وَيُظْهِرُ فِيهِ غِبَاؤُكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ!»

وَكُتِبَ أَحَدُ الْوُزَرَاءِ إِلَيْهِ كِتَابًا فِي أَمْرِ. فَوَقَعَ فِيهِ [خَفِيفٌ]:

أَنْتَ يَا نَضْرَآيِدَةَ لَسْتَ تُرْجَى لِلْفَائِدَةِ
إِنَّمَا أَنْتَ عُدَّةٌ لِكُنْفٍ وَمَائِدَةٍ

وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - تَقِيًّا نَقِيًّا. بَنَى السَّابِاطَ مِنَ الْقَصْرِ إِلَى الْجَامِعِ. مُحَافِظَةً مِنْهُ عَلَى الصَّلَاةِ. وَالتَّزَمَ الصَّلَاةَ مَعَ الْجَمَاعَةِ إِلَى جَانِبِ الْمِنْبَرِ دَائِمًا حَتَّى لَفَى رَأْسَهُ. وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - شَاعِرًا مَطْبُوعًا؛ لَهُ أَشْعَارٌ حَسَنَةٌ. فَمِنْ قَوْلِهِ يَتَغَزَّلُ فِي رِصَاءٍ [مَنْسُوحٍ]:

وَنَجِي عَلَى شَادِنٍ كَجِيلٍ فِي مِثْلِهِ يُخْلَعُ الْعِذَارُ
كَأَنَّمَا وَجَنَاهُ وَزْدٌ خَالَطَهُ السُّورُ وَالْبَهَارُ
قَضِبٌ بَكَرٍ إِذَا تَشَقَّى يُدِيرُ طَرْفًا بِوَاحِرَارِ
فَصَنُو وَدَى عَلَيْهِ وَفَسَتْ مَا اطَّرَدَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

ومن قوله أيضاً في مثل ذلك - رحمه الله - [رجز] :

يَا مُهْجَةَ الْمُشَاقِّ مَا أَوْجَعَكَ وَيَا أَيْمَةَ الْحُبِّ مَا أَخْضَعَكَ
 وَيَا رَسُولَ الْعَيْنِ مِنْ لَعْظِهَا بِالرَّدِّ وَالنَّبْلِغِ مَا أَسْرَعَكَ
 تَذَقُّبُ بِالِسَّرِّ فَقَاتِي يَدِ فِي سَجَلِي تَخْفَى عَلَى مَنْ مَعَكَ
 كَمْ حَاجَةٍ أَنْجَزْتَ أَسْرَارَهَا تَبَارَكَ الرَّحْمَانُ مَا أَطْوَعَكَ^١

ومن قوله في الزهد [كامل] :

يَا مَنْ يَرَاوُهُ الْأَجَلُ حَتَّى تَمُوتَ بِسُلْهَبِكَ الْأَمَلُ
 حَتَّى تَمُوتَ لَا تَخْفَى الرَّدَى وَكَأَنَّكَ يَكُ قَدْ نَزَلَ
 أَغْفَلْتَ عَنْ طَلَبِ النِّجَاةِ وَلَا نَجَاةَ لِمَنْ غَفَلَ
 حَبِيبَاتُ بَنَفْلِكَ الْمُنَى وَلَكِنْ بِدَوْمٍ لَكَ الشُّغْلُ
 فَكَأَنَّ يَوْمَكَ لَمْ يَكُنْ^٢ وَكَأَنَّ نَفْسَكَ قَدْ نَزَلَ

وله أيضاً في الزهد [وافر] :

أَرَى الدُّنْيَا تَصِيرُ إِلَى فَنَاءٍ وَمَا فِيهَا لَشَيْءٍ^٣ مِنْ بَقَاءٍ
 نَبَادِرُ بِالْإِنْسَانِ غَيْرَ وَإِنْ^٤ عَلَى شَيْءٍ يَصِيرُ إِلَى فَنَاءٍ
 كَأَنَّكَ قَدْ حَبِلْتَ عَلَى سَرِيرِ وَغَيَّبَ حُسْنُ وَجْهِكَ فِي النَّزَاءِ
 نَسَائِفٍ فِي الشَّقَى وَاجْتَنَحِ إِلَ لَعَلَّكَ تُرْضِيَنَّ رَبَّ السَّمَاءِ

ولم يزل - رحمه الله عليه - يرفع مسار الدين، ويسلك سبل المؤمنين، لم تمنعه القَيْنُ عن النظر لنفسه، والعمَلُ ليوم فائقته وحُلُولِ رَمْسِهِ. وكانوا يعثرون من أصلح خلفاء بني أمية بالأندلس، وأمثلهم طريفة، وأتبعهم معرفة، وأمتهم ديانة، إلا أنه كان متفص الحَالِ بدوام الفتن، وتضييق نطاق العِطَةِ، وتقصار مقدار التزكية، حتى كان يخلله الزَّيَاهُ تحت قناع تقواه، والخل بطرقه طبيعة لبست له نخط من هواه، وغُيِّصَ دسه لما كان من هوان الدماء عليه، بسب

١) Ce vers manque dans A. ٢) قد أنى. ٣) لم. ٤) B. راء.

الفن الطارئة حتى من ولديه، آخذاً لأكبرها بالفتنة. وقد صرح القنبر أبو
 محمد بن حزم بنتم هذا الأمير، وقال إنه كان قتالاً * تهنون عليه الدماء مع
 كثرة إقباله على التحركات، وإعراجه عن المتكرات؛ فإنه احتال على أخيه المنير
 على إشارته له، وواطأ عليه حجامه بأن سم له البيضاء الذي قصده به، وهو
 نازل بمسكوه على ابن منصور. ثم قتل ولديه معاً بالسيف واحداً بعد واحد؛
 قتل محمداً والد الناصر لدين الله، وقتل أخاه المطرف؛ ثم قتل أخوين له معاً
 أيضاً؛ قتل هشاماً منهما بالسيف، والقاسم بالسم. والله أعلم بحقيقة أمره.)

خلافة أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله

(تسمي: هو عبد الرحمن بن محمد، الذي قتله أخوه مطرف، ابن الأمير عبد
 الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الرضي بن هشام الرضي بن عبد
 الرحمن الداخل. كنيته: أبو المطرف. لقبه: الناصر لدين الله. أمه: أم ولد
 تسمى مزنة^١. عمره: ثلاث وسبعون سنة وسبعة أشهر. ولي في اليوم الذي
 توفى فيه جده الأمير عبد الله وبويع فيه، وذلك يوم الخميس من ربيع
 الأول سنة ٢٠٠. وتوفى يوم الأربعاء للثلاثين خلتاً من شهر رمضان المعظم
 سنة ٢٥٠؛ فكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام. صفته: أبيض،
 رقة، أشهل، حسن الجسم، جميل، بهي، ينجذب بالسواد.

فضائله: أحمد بن محمد بن زياد؛ ثم عزله وولى أسلم بن عبد العزيز بن
 هاشم؛ ثم أحمد بن محمد بن زياد ثانية؛ ثم أحمد بن بغي؛ ثم منير بن
 سعيد البلوطي.

نقش خاتمه: «عبد الرحمن بقضاء الله راضي». وكان أبوه ولي عهد
 أبيه عبد الله وأكبر بنيه؛ فقتله أخوه مطرف، وقتله أبوه به. وقيل في
 ذلك كلام كثير.

١) مزنة B.

وكان مولد الناصر قبل قتل أبيه محمد بأحد وعشرين يوماً، وذلك يوم الخميس لثمان بقين من رمضان سنة ٢٧٧- وكان جدّه الأمير عبد الله يحظيه دون بنيه، ويوصي إليه، ويرثحه لأمره، ورثها أفعى في بعض الأيام والأعياد مقعد نفسه لتسليم الجند عليه. فنتعلقت آمال أهل الدولة به، ولم يشكوا في مصير الأمر إليه. فلما مات جدّه، أجلسوه مكانه في الخلافة دون ولده لصلبه (١). لما أراد الله من ضخامة الملك ونصر الإسلام وإبادة الشرك؛ أنفق له في ذلك ما لم يتفق لملك قبله ولا بعده (٢). وكان يسكن النصر مع جدّه دونهم؛ فتهبأ إجلاله دونهم مكانه بغير منازعة. وقيل إن جدّه روى بحاتبه إليه إبانة منه لاستغلافه. فكان أول من بايعة أعمامه أولاد الإمام عبد الله، وهم: أبان، والعاصي، وعبد الرحمن، ومحمد، وأحمد. وتلاهم إخوة جدّه، وهم: العاصي، وسليمان، وسعيد، وأحمد. وكان أحمد متكلمهم. فلما بايعة، اتى عليه بكل جميل. والناصر هذا هو أول من تسمى منهم بأمير المؤمنين، وتلقب بأحد الألقاب السلطانية، وهو «الناصر» ثم تسمى منهم من كان بعده من خلفائهم بأمره المؤمنين وآثر اللقب السلطاني، وذلك حين عاجت الخلافة العباسية، وضعفت، وظهرت الدولة التركية والدينية؛ فصارت إمرة المؤمنين لأئمة بنصيب، وكلمة باقية في عقبه. فاستهل الخطيب بجامع قرطبة أحمد بن يحيى بن مخلد، بذكر هذا الاسم المخلد، يوم الجمعة (استهل ذي الحجة) من سنة ٤١٦. وفي يوم ولاية يقول أحمد بن عبد ربه من قصيدة [بسطة]:

بَدَا الْهِلَالُ جَدِيدًا وَالْمَلِكُ غَضَّ جَدِيدُ
يَا نِعْمَةَ اللَّهِ زَيْدِي قَمًا عَلَيْكَ مَزِيدُ (٢)

وَوَلِي، وَالْأَنْدَلُسُ جَمْعٌ تَحْتِي، وَنَارُ تَضَظَّرِمِ شِقَاقًا وَنِفَاقًا، فَأُخِذَ P. ١٦٤
نيرانها، وسكن زلازلها، وغزا غزوات كثيرة. وكان يشبه بعدد الرحمن الداخل؛

١-1) Manque dans B. 2) Corr., d'après Makkari: «إِنْ كَانَ فَبَيْدٍ مَزِيدُ»

ومن وثقت دخوله الأندلس سنة ١٢٨ الى ولاية عبد الرحمن الناصر، مات من
بني أمية سبعة خلفاء وعبد الرحمن ثامنهم؛ ومات في المدة المذكورة من بني
العباس إثنان وعشرون ملكاً.

[وفي سنة ٣٠٠، استخلف الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين عبد الرحمن
ابن محمد - رحمه الله - يوم الخميس منهل ربيع الأول سنة ٣٠٠، وهو ابن
ثلاث وعشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً. وكنيته: أبو المصطفى.
وأمه: أم ولد تسمى مزنة. وجلس [للبعة] في مغراب المجلس الكامل بقصر
قرطبة، وتولى أخذها له على الخاصة والعامة بسدر بن أحمد مولا، وموسى بن
محمد بن حذير صاحب المدينة. وأحضر أعمامه، وأعمام أبيه، وطلقات قرين،
وصوف الموالى، وعامة الناس؛ فبايعوا مابعة رضى واغتباط، بوجوه، بهيلة،
وصدور منشرة؛ وألصق داعية شاكرو الله - عز وجل - على ما قلده من أمرم،
وأصاره إليه من رعايتهم. والذب عن حرمانهم؛ قد استبشر جميعهم بين نفيته
واعلاء صيته. ورجوا ما قد حققه الله لهم من بركة دولته، وصلاح الأحوال
على يديه، ونجده لا يستفاد على الفتنة، والتسديد الطاعة. وكان الخلاف قد
عم أفطار الأناس، وطبق الناصى والدائى منها، واستولى أهل النفاق على
كورها ومعافئها بذرة طوائفهم، وهلى تراخت آيانه بهم؛ فحسم الله - عز وجل -
منه على يديه ما سبأى الخبر عنه، وتنصل الحكاية له.

وعهد - رحمه الله - بالكتاب بيعته الى الكور والأطراف. وولى في يوم
P. مبايعته بذراً مولا الحجة مع الوزارة وخطة الخيل، الى ما كان إليه من
خطة البرد. وولى موسى بن محمد الوزارة، الى ما كان إليه من خطة المدينة.
وكان على الكتابة عبد الله بن محمد الرجالي؛ فأقره عليها، وأقر أحمد بن محمد
ابن أبي عبيدة على النبادة؛ وأقر قاسم بن وليد الكنتى على الشرطة العليا؛ وكان
مع ذلك خازناً؛ فصرف الخزانة عنه وولاهها عبد الملك بن جمهور. وولى
الخزانة أيضاً محمد بن عبيدة بن مبشر، ومحمد بن عبد الله بن أبي عبيدة. وعزل

عنها عيسى بن شهيد، وولي مكانه سعيد بن سعيد بن حدير. وولي عمر بن محمد ابن غانم، وعبد الرحمن بن عبد الله الزجالي، ومحمد بن سليمان بن والنسوس خُطّة العرض. وولي محمد بن عبد الله الخروفي خزانة السلاح مع العقل، وحسين بن أحمد الكاتب خزانة السلاح أيضاً، ويحيى بن إسحاق ومسلمة بن عبد القاهر المعروف بابن الشرح. ثم ولي - رضه - عيسى بن أحمد بن أبي عبدة الشرطة العللياً، وصرف عنها قاسم بن وليد الكلبي، وولي قطيس بن أصبغ خُطّة البيارة، وصرفها عن الحاجب بدر بن أحمد، إلى أعمال وخطط ولأها من استحق عنه من مؤتليه ووجوه مواليه.

وأخرج - رحمه الله - عباس بن عبد العزيز القرشي في قطع من الجند إلى براير كركي وجبل البرانس؛ وأخرج القائد أحمد بن أبي عبدة في من ضم إليه من الجند إلى كورة قبرة لمعالجة من كان في هاتين المجهتين من أهل الشر والفتنة. فالتقى عباس بن عبد العزيز بالفتح بن موسى بن ذبي التون بقلعة رباح؛ فهزمه، وقتل كثيراً ممن كان انقصى إليه. وورد كتاب عبيد الله بن زهير عامل قلعة رباح يذكر ظفرو محمد بن أرذلبش بناحية عملة؛ وكان من العصاة المنسدين؛ فقتله، وبعث برأسه؛ وكان أول رأس رفع للمارق في دولة أمير ١٦٥ هـ. المؤمنين - رحمه الله -، وذلك يوم الأحد لعشر خلون من ربيع الآخر. وبدت تبشير الصنع، ودلائل الإقبال على أوائل نظره - رحمه الله!

ولثمان بقين من ربيع الآخر، ولي أمير المؤمنين - رضه - أحمد بن محمد ابن حدير الوزارة والقيادة؛ وكان قبل ذلك يلي الشرطة الصغرى. وولي هذه الشرطة محمد بن محمد بن أبي زيد. وأجرى الرزق على عبد الرحمن وعبد الله ابني بدر الحاجب، وذلك لكل واحد منهما ثلاثون ديناراً وازنة. وولي إسماعيل بن بدر كتابه خاصة، أرتبه لها. وولي - رحمه الله - جمهور بن عبد الملك الوزارة؛ ولأها أيضاً عبد الله بن مضر. وولي عبد الرحمن بن بدر الخليل، وعبد الله بن محمد بن عبد الخالق بن سودة قضاء كورة البيرة. وهو

أَوَّلُ قَاضٍ خَرَجَ إِلَى كُورَةِ فِي أَيَّامِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - . وَلِأَرْبَعِ بَنِينَ مِنْ ربيعِ الْآخِرِ،
عَزَلَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنَ أَبِي عَبْدِ عَنْ الْوِزَارَةِ وَالْقِيَادَةِ، وَإِنَّهُ عَيْسَى بْنُ أَحْمَدَ
عَنِ الشَّرْطَةِ الْمُتَبَا، وَصَرَفَ إِلَيْهَا قَاسِمَ بْنَ وَلِيدِ الْكَلْبِيِّ، وَعَزَلَ مُحَمَّدُ بْنُ وَلِيدِ
ابْنَ غَارِثٍ عَنِ الْوِزَارَةِ، وَعَمَرَ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنَ وَلِيدِ عَنِ الْعَرَضِ .

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ . لِأَحَدِي عَشْرَةِ لَيْلَةٍ بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى، انْفُتِحَتْ
مَدِينَةُ إِنْجَةَ، وَدَخَلَهَا الْحَاجِبُ بَذْرُ بْنُ أَحْمَدَ وَالْوَزِيرُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنَ حُدَيْرٍ؛
وَكَانَ أَوَّلُ مَوْضِعٍ انْفُتَحَ فِي أَيَّامِ النَّاصِرِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ؛ وَضُبُطَتِ الْمَدِينَةُ، وَهُنَّ
سُورُهَا. وَبَقِيَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَزِيرَ قَائِدًا بِهَا وَسُكْنًا لِأَحْوَالِ أَهْلِهَا. وَوَلِيَ
عَمَالَتَهَا حَمْدُونُ بْنُ نَسِيلٍ .

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ لِسَبْعِ بَنِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْهَا، وَلِيَ الْوِزَارَةَ مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمَيَّةَ .

وَلَسَتْ خَلَوْنُ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، طُلِبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنْصَرِّينَ، يُعْرَفُ بِمُحَمَّدٍ
ابْنِ يُونُسَ الْحَبْيَانِيِّ؛ كَانَ مَحْبُوسًا فِي أَيَّامِ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ؛ فَأُطْلِقَهُ
١٦٦ أمير المؤمنين * الناصر - رَضَهُ - بَعْدَ أَنْ عَاهَدَ اللَّهُ الْإِيَّاقِعَ مُنْكَرًا؛ فَتَكَثَرَ،
وَخَرَجَ يَبْغِي الْفَسَادَ فِي أَيَّامِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ !

وَلِسَعِ بَنِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَى، عَزَلَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنَ زِيَادٍ عَنِ قَضَاءِ
الْجُمَاعَةِ بِقَرْطَبَةٍ، وَعَنِ الصَّلَاةِ. لِأُمُورٍ أَنْكَرَتْ عَلَيْهِ، وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ أَحْلَمُ بْنُ عَبْدِ
الْعَزِيزِ، وَالصَّلَاةَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ لُبَابَةَ الْفَقِيهُ .

وَفِيهَا، كَانَتْ غَزَاةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَى تَعَارِيفِ جَبَّانٍ، وَهِيَ
أَوَّلُ غَزَوَاتِهِ؛ أَبْرَزَ النَّاصِرُ - رَضَهُ - مِنْ قَصْرِ قَرْطَبَةٍ يَوْمَ الْخَمِيسِ لثَلَاثَ عَشْرَةِ
لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ٢٠٠، وَفَصَلَ غَازِيًا إِلَى كُورَةِ جَبَّانٍ يَوْمَ السَّبْتِ لِسَبْعِ
خَلَوْنٍ مِنْ رَمَضَانَ بَعْدَ بَرُوزِهِ بِثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا. فَانْخَلَفَ فِي الْقَصْرِ مُوسَى
ابْنُ مُحَمَّدٍ بَنَ حُدَيْرٍ الْوَزِيرَ صَاحِبَ الْمَدِينَةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَذْرٍ، وَانْهَضَ

أرضه في جيوش كنيته وعُدَد كَامِلَةٍ^١. [وكان قد نزع إليه قبل فصوله محمد
ابن قُرُوقَ صَاحِبُ أَيْدِي فِي حِمْلَةٍ فُرْسَانِهِ؛ فَتَقَبَّلَهُمْ أَحْسَنَ قَبُولٍ، وَأَنْزَلَهُمْ أَيْمًا
إِنْزَالًا؛ وَصَارُوا فِي حِمْلَةٍ رِجَالًا وَمِنْ بَضْعِهِ عَمَلُهُ. وَسَارَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
لِوَجْهِهِ. فَلَمَّا أَحْلَى بِحَصْنٍ مَازَتْشَرٍ مِنْ عَمَلِ جَبَّانٍ، وَرَدَهُ الْخَبَرُ بِمُضَابَقَةِ عَمْرِ بْنِ
حَنْصَوْنَ لِأَهْلِ حَاضِرَةِ رَبَّةٍ، وَأَنَّهُ أَضْمَعَ نَفْسَهُ عِنْدَ تَخَاذُلِهِمْ بِانْتِهَارِ الْفُرْصَةِ فِيهِمْ.
فَوَجَّهَ لِتَلَاثِي ذَلِكَ سَعِيدَ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ، فِي قِطْعٍ مِنَ الْجَنْدِ، وَأَمَرَهُ أَنْ
يُقَدِّمَ السَّبْرَ، وَيَطْوِي الْمَرَا حِلَّ، حَتَّى يَجْتَلِيَ مَدِينَةَ مَالِئَةَ. وَيَقْطَعَ بَيْنَ حَنْصَوْنَ ١٦٧
عَبَا كَانَ رَامَهُ مِنْهَا وَأَضْمَعَ نَفْسَهُ فِيهَا؛ فَتَوَصَّلَ الْفَائِدُ إِلَى الْمَوْضِعِ، وَضَطَّطَهُ،
وَرَحَى تِلْكَ الْحِجَّةَ عَنْ ابْنِ حَنْصَوْنَ وَحَزَنِهِ.

وَتَهَضَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَى حَصْنِ الْمَيْتُونِ وَأَخْلَهُ يَوْمَ الْأَحَدِ
لِلنِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ؛ وَجَارِبَ سَعِيدَ بْنِ هُذَيْلٍ فِيهِ حَتَّى افْتَتَحَهُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ.
لِثَلَاثِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ بَقِيَتْ مِنْهُ. وَأَنْزَلَ سَعِيدَ بْنَ هُذَيْلٍ مِنَ الْحَصْنِ، وَأَوْسَعَهُ
الْأَمَانَ. وَوَلَّى عَمَلَهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ. ثُمَّ تَقَدَّمَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَى حَصُونِ
شُبَّانٍ؛ فَاسْتَأْمَنَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ الثَّالِيَةِ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبُ
مَنْبِيئَةَ، وَعُكَّاشَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ صَاحِبُ وَاْدِي بَنِي عَبْدِ اللَّهِ، وَسَلَمَةُ بْنُ عَرَامٍ صَاحِبُ
يَحْمَلَةَ، وَمُنْبِيرُ بْنُ حُرَيْرٍ صَاحِبُ بَغْتَوِيَّةَ، وَأُقْلَحُ بْنُ عَرُوسٍ صَاحِبُ يَكُورَ، وَفَحْلُونُ
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ صَاحِبُ سَكَاةَ؛ وَنَزَلُوا عَنْ مَعَارِفِهِمْ إِلَيْهِ، وَكُلُّهُمْ مُذَرَّعٌ بِطَاعَتِهِ
وَمُحْكَمٌ فِي نَفْسِهِ؛ فَأَوْسَعَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَضْلَهُ، وَأَلْبَسَهُمْ عَقَبَهُ،
وَأَخْلَى تِلْكَ الْمَوَاضِعَ مِنْهُمْ، وَقَدَّمَ أَوْلَادَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ إِلَى قَرْطَبَةَ. وَاسْتَعْمَلَ فِي
الْمُحْصُونِ ثِقَاتَ رِجَالِهِ. وَاسْتَنْزَلَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى مِنْ حَصْنِ الشَّارَةِ،

^١ اسم الأعداء، وفهر الأعداء، وافتتح. واغرم الذاء في كورة إلبيرة وتألقت كلمته
الحصون، وشدَّ برجاله كلَّ حصن افتتحه. واغرم الذاء في كورة إلبيرة وتألقت كلمته
واستقامت طاعتهم. وقتل بعد استصلاح كورتي إلبيرة وجبان وما والاما ودخل قصره، وقد
استمَّ في غزاته اثنين وتسعين يوماً.

ودخون من هشام. ثم انتقل - رحمه الله - منها الى كورة البيرة. فلما احتلها، ندأى أهل حصون تاجلة وبسطة ومزيط والبراجلة والأشناد الى التزول والطوع، وأخلوا حصونهم. فأحكم الناصر - رحمه الله - أمر ذلك الجانب كله، وضبط المعاقل برجاله، وأمن الجميع بنظره. ثم انتقل - رحمه الله - الى حصون وادي آش؛ فأخلى أكثرها رهبة له، ونزل على حصن فتيانة يوم الخميس لأربع خلون من شوال؛ وكان فيه من شعبة ابن حفصون من أغوى أهله وأصلهم؛ فتسنعوا من التزول، ورجوا أن يعنصموا بوعر الحصن؛ فأحاطت ١٦٨ العساكر بهم، وأضرمت أربابهم ناراً؛ فضرعوا في قبول الإنابة، على أن يُسلموا من كان عندهم من شعبة ابن حفصون؛ فاجيبوا الى ذلك، وتغيب على أصحاب ابن حفصون، رشتوا وثاقاً.

ثم انتقل أمير المؤمنين بتفرى تلك المعاقل بمجة بشيرة وأجلها، حتى توغل العساكر في جبل الثلج، وهو ممنوع السلوك؛ فجازاه الناس، ويسر الله ذلك عليهم، وسهله لهم. وافتتحت حصون تلك الجهة، ولم يبق بها معقل ممنوع.

وأنصل بأمير المؤمنين - رحمه الله - أن ابن حفصون أقبل في جماعة أصحابه الى حاضرة البيرة، طامعاً في انتهاز الفرصة فيها. فأخرج عباس بن عبد العزيز قائداً نحوه. فلما قرب من مدينة غرناطة، أقبل ابن حفصون لما كان رجاء وضع به؛ فخرج أهل البيرة وأنفق بالمدد الذي وردهم، والفائد المصريح لهم؛ فهزموا ابن حفصون، وقتلوا جماعة من رجاله، وأسروا عمر بن أيوب حبيذه. وخرج أحد أولاده جراحاً أُنقته.

ونقص أمير المؤمنين - رحمه الله - ما كان بقي من معاقل تلك الجهة، حتى احتل بحصن شيلش؛ وكان من أعظم حصون ابن حفصون منعة، وأصعبها مراماً، وأوعرها مكاناً؛ وإليه كان انصوى كل مُشرك نفلت من الحصون المتقدمة الذكر فأحلت العساكر عليه يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال؛ فقطعت ثمارهم، واستهلكت زروعهم ومعايشهم؛ وحُوصروا خمسة عشر

يوماً، حتى نادوا بالطاعة، وضرعوا في قبول الإنابة؛ وأسلموا أصحاب ابن
حفصون الذين كانوا عندهم؛ فتلقي ذلك أمير المؤمنين - رحمه الله - بالقبول،
وأخرج إليه جميع من كان في الحصن من المشركين؛ فأمر بضرب رقابهم حتى
أبغوا عن آخرهم.

ثم أم - رحمه الله - مدينة شلويسية، وفعل فيها مثل فعله فيها تقدم
ذكره؛ وضبط برجاله كل حصن افتتحه، وانحس الداء في كورة البيرة، وتآلفت
كلهم، واستقامت طاعتهم. وصدر - رحمه الله - قافلاً على طريق حصن ٦٩
أشتين^١ وحصن بنة قراطية؛ وكانا قد أضرا بأهل غرناطة وحاضرة البيرة، وهما
في غاية الحصانة والمنعة. قتلت الجيوش عليهما، وأحدثت بهما؛ وحوربوا أشد
مُحاربة وأنكاهما عشرين يوماً. ثم أُجِلَّت عليهم الحصون ونُحِت بالرجال. وقتل
أمير المؤمنين - رحمه الله - بعد إبعاده النظر في كل ما يخص له من انصلاص
امر كورة جيان والبيرة وما والاها، ودخل القصر بقرطبة يوم الأضحى؛ وقد
استم في غزاته اثنين وتسعين يوماً.

وفي هذه السنة، توفي هشام بن محمد الفرشي المعروف بابن الشبائسي.

وفي سنة ٢٠١، توفي بإشبيلية عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج صاحبها،
في الحرم؛ فاجتمع أهلها على تقديم أحمد بن مسلمة مكانه؛ (وكان من الشجعان).
فأخرج [أمير المؤمنين] الناصر [- رحمه الله -] أحمد [بن محمد] بن حذير
[الوزير] قائداً نحوها؛ فكان أول من حاربها وأوقع بأهلها. وكان محمد بن
إبراهيم بن حجاج عند ذلك بمدينة قرطونة؛ ففصد باب الشدة، وعرض نفسه
[على أمير المؤمنين] لمحاربة أهل إشبيلية. فأخرجه لذلك مع قاسم بن وليد
الكلبي؛ وحاصراها شهوراً. ثم خرج إليها الحاجب بدر بن أحمد؛ فدخلها يوم
الاثنين لإحدى عشرة ليلة نيف من جمادى الأولى من هذه السنة، وهدم

١) أشتين.

أسوارها، واستصلح أمور أهلها، وأخرج مع نفسه سعيد بن المنذر عاملاً عليها،
 أوفىها، ولى محمد بن سليمان بن وأنسوز الوزارة، ووليا أيضاً عيسى بن
 أحمد بن أبي عتبة. روى محمد بن عبد الله الخروبي، ومحمد بن أحمد بن
 حدير. وقد الكبر، ودُزِّي مؤلى الناصر خطة العرض، وعزل عمر بن أحمد
 ابن فرج عن السوق، وصرف النظر فيها الى محمد بن عبد الله الخروبي؛
 وذلك في ربيع الآخر. ووفى أحمد بن مسلمة الشرطة العليا. واستقدم محمد بن
 إبراهيم بن حجاج من مدينة قزمونة، وولى الوزارة، وقد مسح الوزراء يوماً
 واحداً. واستقدم سعيد بن المنذر من إشبيلية، ووليا قطيس بن أضيغ في شعبان
 وأعيد الى الشرطة العليا قاسم بن وليد الكلبي. وولى خزائن المال موسى بن سببان
 الحولاني المعروف بأبي الكوكبر، وعبد الملك بن سليمان أخوه خزائن السلاح.

وفي هذه السنة، افتتح أهل النفر حصن قلهرمة؛ وكان بأيدي المشركين؛
 وذلك يوم الأربعاء لثمان عشرة ليلة خلت من ذي القعدة.
 وفيها، كانت محاصرة لب بن محمد مدينة سرقسطة، (وبيان الزم عليها.
 وفيها، قتل محمد بن عبد الملك الطويل.

وفيها، خرج الناصر غازياً الى كورة ربة والجزيرة وقزمونة، وهي الثانية من
 غزواته: برز - رحمه الله - من قصر قرطبة يوم الخميس لثمان خلون من شهر
 رمضان، وفصل غازياً لثمان خلون من شوال. وتخلّف في القصر موسى بن محمد
 ابن حدير صاحب المدينة. وكانت الكتب تُنفذ الى هناك الولد [رضه]، وهو
 صغير. فكان [أول] مفصلة حصن طرُش، [بعد أن قُسم حاجبه بدر بن أحمد
 في قطيع من الجند الى حصن بلة؛ فالتى أمه غرة، وقتل منهم، وبسى، وأسر
 حملة كثيرة]. واحتل [الناصر رضه] بجيشه على حصن طرُش [يوم الأربعاء
 لأربع عشرة ليلة خلت من شوال]؛ فحصر من كان فيه، [وأقام عليه خمسة
 أيام، يُغاديه الحرب ويُجاسيه، وينقطع غارم، ويحطم معايشهم]، ويقتل من
 تظاهر منهم. ثم أبقى عليها من يحاصرها، ونقل الى حصون ربة ومعاقل ابن

حفصون: ينتهبها مَغْلًا مَغْلًا، [ويُتْرَل نَأَس ومَعْرَة جيوشه بَكْر ما يَنْزِل به منها]. وأَوْقَعَ بَابِن حَفْصُونَ وَمِنَ الْمُحْشِدِ إِلَيْهِ مِنَ التَّصْرَانِيَةِ [فِي حَصْن طُرُش] وَنَبْعَةٍ [عَظِيمَةٍ] ذَهَبَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ. وَبَعَثَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى قُرْطُبَةٍ. [وَالنَّبْتُ لِلْمُشْرِكِ عَمْرُ بْنُ حَفْصُونَ مَرَاكِبٌ فِي الْبَحْرِ، كَانَتْ غَيْبَهُ مِنَ الْعُدُوَّةِ؛ فَأُحْرِقَ جَمِيعُهَا]. وَسَارَعَ كُلُّ مَنْ كَانَ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ مِنْ أَهْلِ شَانِرَا، وَفَجَّ وَحِيمًا، وَقَلْبِيَّةً، وَالْقَصْرَ، وَمَا انْتَقَمَ بِهَا مِنْ أَحْوَارِ الْجَزِيرَةِ إِلَى الدَّخُولِ فِي الطَّلَاعِ وَالْإِعْتَصَامِ بِهَا (مِنَ الْمُلْكَةِ). فَجَبَلَهُمُ النَّاصِرُ [رَضَهُ] وَأَمْنَهُمْ، [وَسَكَنَ أَحْوَالَهُمْ].

وَنَقَلَ [مِنْهَا] إِلَى حَاضِرَةِ الْجَزِيرَةِ؛ [ثُمَّ] إِلَى كُورَةِ شَدُونَةِ؛ [ثُمَّ] إِلَى كُورَةِ مَوْدُورٍ، حَتَّى أَوْفَى عَلَى مَدِينَةِ قَرْمُونَةٍ؛ فَاحْتَلَمَهَا [يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ] مَسْهَلٌ ذِي الْحِجَّةِ. وَكَانَ حَبِيبُ بْنُ سَوَادَةَ قَدْ أَظْهَرَ الْخِلَافَ فِيهَا عِنْدَ قُدُومِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَجَّاجٍ قَرْطُبَةَ؛ فَتَارَلَتْهُ جِيُوشُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَحُوصِرَ بِهَا عَشْرِينَ يَوْمًا، حَتَّى عَضَّتْهُ النِّكَابَةُ، وَأَخَذَتْ بِخَقَّتِهَا الْمُحَاصِرَةُ؛ ثُمَّ اسْتَأْمَنَ؛ فَأُتِمِّنَ، وَسَأَلَ أَنْ يُسَهَّلَ لَانْتِقَالِ أَهْلِهِ وَنَقَلَهُ إِلَى قَرْطُبَةَ؛ فَأَجَابَهُ النَّاصِرُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يُزِدْهُ مِنْ أَمْرِ عُسْرًا؛ وَقَفَلَ إِلَى قَرْطُبَةَ؛ فَدَخَلَهَا [يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ] ٢ لِلْيَلْبَنِينِ بَيْتًا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، [وَقَدْ اسْتَمَّتْ فِي غَزَاهِ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ يَوْمًا].

وَفِي هَذِهِ الْغَزَاةِ، بَعَثَ فِي قَاسِمِ بْنِ وَائِلِدِ الْكَلْبِيِّ صَاحِبَ الشَّرْطَةِ، وَكَانَ قَدْ خَلَفَ بِقَرْطُبَةَ؛ فَجَنَّ وَجُنَّ مَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَجَّاجٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ وَهَّابٍ، وَعُمَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ الرَّمَالِيِّ ١)، وَسَكَنُ بْنُ جَدِيدَةَ. وَعُزِّلَ ابْنُ مَسْلَمَةَ عَنِ الشَّرْطَةِ الْعَلِيًّا، وَوَلِيَهَا عَبَّاسُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ.

وَفِيهَا، اسْتَفُودَ النَّاصِرُ عَيْسَى بْنَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ، وَأَعَادَهُ إِلَى كُورَةِ إِسْطِيلِيَّةٍ. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، تَوَفَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ الرَّجَالِيِّ الْوَزِيرَ الْكَاتِبَ، فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ؛ فَوَلَّى رَسْمَ ٢ الْكِتَابَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَذْرٍ؛ وَكَانَ سَكَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَعَمْرُ بْنُ تَارِجِيَّتَ كَاتِبَيْ بَذْرِ الْحَاجِبِ يَنْبِغَامَانَ خِدْمَةَ الْكِتَابَةِ.

وفيها، توفي العاصي ابن الإمام محمد - رحمه الله - في ربيع الأول، وهو ابن ثلاث وستين سنة. وتوفي عباس بن عبد العزيز القرشي في جمادى الأولى. وتوفي الوزير أبو الحارث سلمة بن علي، ومحمد بن وليد بن غانم الوزير، وأيوب بن سليمان بن صالح النخعي، وسعيد بن خبيرة النخعي. وفيها، قتل بيزنطون عبد الملك بن عبد الله بن شريط. وأغار المشركون بوادي الحامة في الثغر. وكانت ملحمة أربط يوم الأحد لعشر بقين من شعبان؛ وهلك فيها غزيرة بن إذفنش صاحب جليقية؛ وصار الأمر إلى أخيه أرتون ابن إذفنش.

وفي سنة ٣٠٢، كانت ولادة [أمير المؤمنين] المحكم [المستنصر بالله] - أطال الله بقاءه! [١] ابن [أمير المؤمنين] عبد الرحمن [بن محمد - رحمه الله - وذلك يوم الجمعة] مستهل رجب [وقت أذان الظهر]. وفيها، أغزى [أمير المؤمنين] * الناصر [رحمه الله - في الصائفة] عنه أبيان ابن الإمام عبد الله؛ فنصل في نوال إلى كورة ربة، وتردد بالجوش فيها، وتازل حصونها، وحطم زروعها، وقطع غارها. وفيها، أحمل الناس، وتوالى القحط وعم. [فبر] إلى مصلّى الرّيش محمد بن عمر بن كباية صاحب الصلاة، واستقى بالناس خمس مرّات في أيام مختلفة؛ فلم تكن سبياً؛ وغلت الأسعار، وفلت الميرة في الأسواق. ثم برز أحمد بن أحمد ابن زياد الانسقاء بالناس يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال. وهو أول شهر مائه؛ فتل رفاذ تماسك به بعض الزرع، ودعب الأكثر. وكان القحط عامًا شاملًا بالأندلس وأطرافها ونغورها؛ وغلت الأسعار في جميع جهاتها. [وفي هذه السنة، قدم الناصر - رحمه الله - محمد بن عبد الله الحارثي من ولاية السّوق إلى ولاية المدينة، وعزل عنها موسى بن محمد بن حذير. وولى

[١] Cette formule se justifie par le fait que 'Arth écrivait sous le règne d'Al-Hakam II.

السوق أحمد بن حبيب بن يفلول، وذلك يوم السبت لاثني عشرة ليلة بقيت من شوال؛ وفي هذا اليوم عُزل عبد الله بن بذر عن الكتابة، ووليها عبد الملك بن جهور؛ وعزل محمد بن محمد بن أبي زيد عن الشرطة الصغرى ووليها يحيى بن إسماعيل.

وفيها، عزل عبد الرحمن بن بذر عن خطبة الخيل، ووليها عبد الله بن مفضل. وفيها، ولي المواريث قنذ ودُرَيَّ مَوْلَيَا أمير المؤمنين الناصر. وفي يوم الأحد استهل ذى الحجة، قُتل عباس بن أحمد بن محمد بن أبي عبدة صاحب الشرطة العليا؛ وكان أمير المؤمنين الناصر - رحمه الله - قد أُرْبِه على محاصرة مَنَت رُوي؛ فوافقته ضربة في حرب باشرها وغرر بنفسه فيها. فولى الناصر أخاه عبد الله بن أحمد بن محمد الشرطة العليا، وولى محمد بن محمد ابن أبي عبدة خزنة المال.

وفيها، توفى مروان بن الحنظل ابن الإمام عبد الرحمن بن الحكم - رحمه الله - يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة؛ وكان قد توفى قبله عمر ابن الإمام عبد الرحمن لست بقين من جمادى الأولى.

وفيها، توفى سعيد بن السليم؛ وكان حاجباً في أيام الإمام عبد الله - رحمه الله - وكانت وفاته لأربع خلون من ربيع الآخر. وتوفى النضر بن سلمة، وكان قاضياً في أيام الإمام عبد الله، وذلك يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة. وفيها، توفى عبيد الله بن محمد بن أبي عثمان ثلاث خلون من شهر رمضان. وتوفى حماد بن يسبل في شعبان. وعبد الله بن محمد بن عبد الخالق الفسافي قاضي إشبيلية لست بقين من جمادى الأولى. وتوفى النضر بن خالد بن رقب يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الآخر. وفيها، توفى محمد بن يحيى النحوي المعروف بالقلظاط في جمادى الآخرة؛ وكان من العلماء الحفاظ والشعراء الفصحاء؛ وكان حجاباً للناس، سبابة للأشراف، كثير البذاء والفسق في شعره. [وفي سنة ٢٠٥، كانت المجاعة [بالأندلس]، التي شبت بجاعة سنة ستين؛

وبلغت الحاجة بالناس مبلغاً لا يحصى لم يشه؛ اربيع ففيز قمع كبل سوق فرضة
ثلاثة دنانير دخل أربعين. ووقع الوباء في الناس، وكثر الموتى في أهل النافذة
والحاجة. حتى كاد أن يعجز عن دفنهم. أو كثر صدقات أمير المؤمنين الناصر
- رحمه الله - على المساكين في هذا العام. وصدقات أهل الحسبة من رجاله؛
فكان الحاجب يذريهم أحمد أكثرهم صدقة. وأعظمهم بماله مؤساة. ولم يمكن في
هذا العام. لضيق الأحوال به. أن يكون غزاة أو إخراج جيش. غير أن
الناصر - رحمه - أخذ بالجد والحزم في ضبط أطرافه. والتعاطف بالمسلمين من
عادة أهل الخلاف والحلجان. إذ كانوا مع استيلاء الجوع يغاورون من قرب
منهم. ويغترون على من مر بهم من رفاق المسلمين وطالبي المعاش
ومستحلي المبر.

وفي هذه السنة، وتوفي إسحاق بن محمد الفرشي الوزارية؛ وكان ذا رأي وعناء.
وفيها. وتوفي محمد بن محمد بن أبي زيد الشرطة العليا؛ وكان يلي الشرطة الصغرى
من قبل.

وفي هذه السنة. وتوفي أبان ابن الإمام عبد الله - رحمه الله - يوم الثلاثاء
اللبثين حتماً من جمادى الآخرة. وهو ابن خمس وخمسين سنة؛ [ودفن بمقابر
فرش في الرّقص. ومات فيها لأمر المؤمنين الناصر - رحمه - ولّد يسمى
هشاماً ويكنى بأبي الوليد؛ وكان بكر ولد.

وتوفي فيها أحمد بن هشام ابن الإمام عبد الرحمن بن الحكم - رحمه الله -
يوم الجمعة لعشر بقين من شوال؛ والفرشي المصنفي الطائي من المشرق في
أيام الإمام عبد الله بن محمد - رحمه الله - وذلك يوم الاثنين لاثني عشرة
ليلة بقيت من رمضان. وتوفي الفرشي العبدي لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر
شعبان. وتوفي يحيى بن إسحاق بن يحيى بن أبي عيسى النخعي؛ وكانت له رحلة
روى فيها الحديث؛ ولم يكن بالثقة، غير أنه كان نبلاً منوهاً. وتوفي فيها النخعي
النيربي، واسمه أحمد بن عبد الله بن فرج. وتوفي أحمد بن بيطير النخعي

يوم الخميس ليلتين خلتا من ذى الحجة. وتوفي فيها مَنُوز بن عريب.
وفيها، أُسِرَ مُطَرِّف [بن محمد] بن لُبّ [بن قَيْس]؛ أُسِرَ العدوُّ بالثغر.
[وفيها، توفي بالثغر عبد الله بن محمد بن لُبّ بن قَيْس؛ وكان من أهل ١٧٦
البأس والشجاعة والنكاية للعدوّ. وقتل ابنه محمد بن عبد الله عنه مُطَرِّفًا].
ورفعت بين بني لُبّ فتون وحروب، واختلف أمرهم.

[ومات في هذا العام بقرطبة جملة من وجوهها وياض أهلها، بطول
الإخبار عنهم والاحكام لم، الى من مات في الكور والمواقع البعيدة ممن لم
يأخذه إحصاء ولا عدّ. وكانت للعدوّ مع بني قَيْس جولات في الثغر هذا العام.]

وفي سنة ٤٠٤، كان إغزاه [أمير المؤمنين] الناصر (لدين الله) [- رضى -]
أحمد [بن محمد] بن أبي عُبَيْدة [الفاتّد] الى أرض الحرب. [وفصل يوم السبت
لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم، وهو اليوم الثامن عشر من يوليّه، وضمّ إليه
من الموالى والأجناد عدد كثير]. ودخل أرض المشركين؛ ففكّ، وغنم، وسى؛
وخرج [من أرض العدو] بالمسلمين سالمين غانمين.

[وفيها، ولي عبد الحميد بن قَيْس الخزّانة. [وفيها، غزا إسماعيل بن محمد
الفرّنجي الى كورة تدمير؛ فافتتح حصن أوربؤالة وانصلح أحوال أهل الكورة.
وفيها، ولي قُطَيْب بن أصبغ الخزّانة ولابته الأولى.]

وفيها، غزا الحاجب بَدْر بن أحمد الى مدينة لَبْلَة؛ فحاصرها وافتتحها
[يوم الاثنين لعشر بقين من شهر رمضان.]

وفيها، عزل عبد الملك بن جَهْوَر عن الكتابة، ووليها عبد الحميد بن
نَيْسَل؛ ولم يطل أمد ولايته؛ ثم أعيد إليها عبد الملك بن جَهْوَر.

[وفيها، ولي إسماعيل بن بَدْر العَرَض. وفيها، نُقل عليّ بن حسين عن
خزّانة السلاح الى خطّة العَرَض. لاثنتي عشرة ليلة خلّت من صفر. وفيها، ولي
العَرَض محمد * بن عبد الله بن مُصَر.

وفيها، توفى منير ابن الإمام المنير - رحمه الله - سَلَخَ شعبان؛ وكان مولده بعد موت أبيه إلى سنة أشهر؛ وعبد الملك بن حَوْزَةَ القُرَشِيُّ، يوم الثلاثاء لتسع خلون من ربيع الآخر؛ وأخوه الأخدب، وكان يتنجم، في غناب ربيع الآخر؛ والعارض صاحب المواريث قدّم مولى أمير المؤمنين الناصر، يوم الثلاثاء لثلاث خلون من رجب؛ فولى مكانه المواريث إسماعيل بن بدر.

وتوفى الموقب محمد بن أَرْقَمَ يوم الجمعة لست خلون من رجب؛ وفيه توفى الولد محمد ابن أمير المؤمنين الناصر - رحمه الله - والولد سليمان الأكبر. وفي عشر خلون من شوال من هذا العام، ولد الولد أبو مروان عبيد الله شقيق أمير المؤمنين المحكم المستنصر بالله - أيده الله!

وفيها، توفى الفقيه الزاهد أبو عبد الله محمد بن أحمد [بن] الزَّراد لأربع خلون من جمادى الأولى؛ مولده سنة ٢٤٢؛ وكان قد روى علم ابن وضاح. وتوفى الفقيه الهديث طاهر بن عبد العزيز الرعيثي. وتوفى أبو القاسم محمد بن عبد السلام بن قلمون ليلة الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر؛ وكان نبيلًا، مُرْسِلًا، حسن الخط؛ وولى الخزانة؛ وكان له لسان وبيان.

وفي سنة ٢٠٥، غزا بالصائفة إلى دار الحرب أحمد [بن محمد] بن أبي عبيدة [الوزير القائد] وفصل يوم الاثنين لعشر خلون من صفر. وخرج معه طبقات الناس من المجاهدين وأهل الديوان؛ وحشد إليه رجال الثغر؛ فدخل أرض العدو في جمع كبير، ونازل حصن قاشتُرْ سُوْرُسَ ١ [الأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول]. ووجد المسلمون في محاربة المشركين حتى كانوا قد أشرفوا على الظفر * بن كان في الحصن؛ فانحسرت النصرانية من جميع جهاتها مُتَدِيرِينَ لَكُفْرَتِهِمْ، ومُجْلِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِحَيْلِهِمْ وَرَجْلِهِمْ. فتداعى [بعض] أهل المشاهدة في الدين من أهل الثغر إلى إظهار الهزيمة وجروها على المسلمين؛ فانهمز كثير

١) G. فلولق (cf. Ibn al-Faradī, n° 1182).

٢) قصر موسى A. et B.

منهم. واثبت القائد أحمد بن محمد بن نفسه، وأظهر الصبر، ودافع مدافعة
الموطن. وقيل إنه كان قد اعتقد مذهباً في طلب الشهادة؛ [واعتنق القائد
المذكور] الأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. [واعتنق من المسلمين معه
من أثر الشهادة ورغب عن (خزي) الفرار. ولم يولّ المشركين دبراً، ولا أرام
نكوصاً ولا فراراً]. وانفذ سائر أهل الجيش، وصاروا يداً واحدة؛ (فسيّما)
وخرجوا إلى أرض المسلمين بدوابهم وأثقالهم [وأبنيتهم].

وفيها، غزا إسماعيل بن محمد الوزير إلى مدينة قرمونة؛ فحاصر فيها حبيب بن
عمر، وضائقه، وأخذ يحثفه. ثم خرج إليها الحاجب بدر بن أحمد؛ فتأدى على
حصارها حتى فتحها قسراً، ودخلها يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الآخر.

ذكر موت (اللعين) عمر بن حفصون

[وفي هذه السنة، ملك عمر بن حفصون، عيّد الكافرين، ورأس المنافقين،
والمؤفّق شعل الننة، وتلجأ أهل الخلاف والمعضية. فعُدّ هلاكه من أسباب
الإقبال، وتباشير الصنع^١، وانقطاع عليّ المكروه. (ولمّا توفّي) افتتحت أبدة
إليّرة، [وهي المعروفة بأبدة قرّة]؛ وكان فيها سليمان بن عمر بن حفصون؛ ١٧٩
فاستُرل عنها، وقدم به قرطبة [بحي بن إسماعيل في سؤال؛ فأنزل وتوسّع له.
وفيها، ولي الوزارة عبد الملك بن جمهور يوم السبت لإحدى * عشرة ليلة
خلت من سؤال. وفيها، توفّي سعيد بن عثمان بن سليمان الفقيه العتّاق^٢ في غيب الهرم
بنزّيش. وفيها، توفيت النّهّاء بنت الإمام عبد الرحمن بن المحكم - رحمه الله -
في رجب؛ فلم يتخلّف أحدٌ عن جنازتها. وتوفيت للناصر - رضى - ابنة نسى
بعائشة. وفيها، توفّي سعيد بن عبد الوارث الأيسر؛ وكان من أهل الشجاعة
والعناء في الخدمة. وتوفّي الفقيه محمد بن إبراهيم الحديث الحجارثي. وتوفّي عمر بن
أحمد بن فرج؛ وكان كاتب الراي؛ ووليّ السوق.]

١) A. et B. اليمن.

٢) Ibn al-Faraj, n. ٤٨٤: الأعتاق.

وفي هذه السنة، حشد أزدون بن إدفنش، وشانجه بن غربية صاحب
النصرانية، بجلبية وسبلونة، وخرجا في جموعهم واحتفال من كفرتهم [إلى مدينة
تأجرة بالثغر الأقصى؛ فتزلا عليها في غيب ذي الحجة، وأقاما عليها ثلاثة أيام].
وعانت النصرانية في ذلك الثغر، وأفسدت الزروع؛ ثم تنقلت إلى قطيعة. وبلغ
العدو [إلى نهر كالس، وجزائرة^١ مقيّة، وإحدى طرسونة. وخلف شانجه نهر
إبرة، وقاتل حصن بليّة، وفهراء على أهل الرض، وأحرق المسجد الجامع؛
فكان ذلك مما أحفظ^٢ الناصر وحركه لمجاهدته والانتصار منهم؛ على ما
سيأتي ذكره.

غزوة مطونية^٣

وفي سنة ٢٠٦، كان غزاة الحاجب بدر بن أحمد إلى دار الحرب، وهي
غزاة مطونية. وكان أمير المؤمنين الناصر - رحمه - لما اتصل به نطاؤل
المشركين على من كان بإزائهم من [أهل] الثغور [بامتناع الصوائف عن غزوم،
١٨٠. والإيقال في بلادهم بالحرب المتقنم^٤ التكرار]. أحفظه ذلك، وأذكى عزمه،
وأكد بصيرته في مجاهدة أعداء الله وأعداء دينه في هذا العام؛ فأمر^٥
بالاحتفال في الحشد وجمع الرجال^٦ والتكبير من الأجناد (والفرسان الأبطال).
وعهد إلى حاجبه بالفزو [بنفسه] في الصائفة. وتقدت كُتبه إلى أهل الأطراف
والثغور بالخروج إلى أعداء الله، [والدخول في معسكره، والجد في نكاية أهل
الكفر، والإيقاع بهم في أواسط بلادهم، وتجميع نصرانيّتهم. فنصّل الحاجب
بالجيوش، يوم الثلاثاء لخمس بقين من المحرم؛ وانتالت إليه الصاكر من كلّ
جهة في أقرب ثغور المسلمين؛ ودخل بهم دار الحرب، وقد اتعشد المشركون،
ونجموا من أقاصي بلادهم، واعتصموا بأمنع أجبلهم؛ فنازلهم الحاجب بدر بن

١) G. جزائرة. ٢) B. أغضب. ٣) Ce titre ne figure que dans B. ٤) A. R.:

بالاحتشاد والاحتفال في جميع الرجال.

أحمد بأولياء الله وأنصار دينه؛ فكانت له على أعداء الله وقائع اشتفت فيها صدور المسلمين، وانتصروا على أعداء الله المشركين. وقُتل في هذه الغزاة من حُائهم، وأبطالهم، [وصلاة الحروب منهم]، جُملة عظيمة لا يأخذها عدٌ، ولا يُحيط بها وَصْفٌ. وكان النّتح يوم الخميس لثلاث خلّون من ربيع الأوّل ويوم السبت [لخميس خلّون من ربيع الأوّل]، في معارك جليّة، لم يكن أعظم منها صنعا، ولا أكثر من أعداء الله قتيلا وأسيرا. وورد الكتاب بذلك على أمير المؤمنين الناصر - رضه - يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلّت من ربيع الأوّل؛ فأكثر من شكر الله [عز وجل] على ما من به، وفتح فيه. وقُرئ [كتاب النّتح] في الجوامع^١ وكُنس به إلى الأطراف.

[وفي يوم السبت لإثني عشرة ليلة خلّت من ربيع الأوّل، في العام المؤرخ، وُلد أبو الأصبغ عبد العزيز بن عبد الرحمن، شقيق أمير المؤمنين المستنصر بالله - أيده الله!]

غزاة الناصر (لدين الله) - رضه - إلى بلدة

وفي شهر ذي الحجة من [هذه] السنة، غزا الناصر [رضه] (بنفسه) مدينة بلدة من كورة ربة؛ [قبرز لها يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة؛ وفصل يوم الثلاثاء للنصف من ذي الحجة بعد بروزه بسنة وعشرين يوما]؛ وتخلّف في القصر (بقرطبة) ابنه وولّاه عهد وقبلة الآمال من بعده، أمير المؤمنين المحكم المستنصر بالله - [أبناء الله] - ومن الوزراء موسى بن محمد بن حنبل. فلما قرب الناصر - [رضه] - من مدينة بلدة، قُتِم من [ثقات] رجاله، [وأخفاء أجناده] من يمنين إسمكان زرعها وموضع المضطرب عليها؛ فالتى الزرع متأخرا؛ وآتته الأنباء بإمكان زرع فخص رعين؛ فرأى التمريج إليه بعد أن أمر بابتناء صخرة غوزان^٢، لتكون موقية على يسيط بلدة. ثم ارتحل إلى حصن

١) مساجد الجوامع. ٢) غوجان A. B.

دُوشِ اَمَانِشْ؟ فَازَلَهْ وَحَارَبَهْ حَتَّى افْتَحَهْ. ثُمَّ نَهَضَ إِلَى مَدِينَةِ بَلْدَهْ؛ فَاحْتَلَاهَا
يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَحَاطَتْ الْعَسَاكِرُ بِهَا؛ فَتَدَاعَى مِنْ
كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا إِلَى الْغُرُولِ بِأَنْفُسِهِمْ^١ وَذَرَارِعِهِمْ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا
مَغْلُوبِينَ عَلَى أَمْرِهِمْ؛ فَأَمَّتْهُمْ النَّاصِرُ، وَقَاتَلَ الْكَفَرَةَ الْمُنْفِلِينَ^٢ فِي الْمَدِينَةِ، حَتَّى
P. ١٨٢ أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِهِمْ؛ فَفُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَمُلِكَتْ الْمَدِينَةُ، [وَتَدَبَّ فِيهَا الرِّجَالُ]، ثُمَّ
انْتَقَلَ إِلَى حَصُونِ رَيَّةَ، يَنْتَقِرُهَا بِمَعْقَلٍ مَعْقَلًا، وَيَنْتَحِجُ مَا مَرَّ بِهِ مِنْهَا. وَنَزَلَ عَلَى جَبَلٍ
يُسَمَّى بِشَتْرٍ؛ فَمَاصَرَ أَهْلَهُ، وَقَطَعَ ثَرَاهِمَهُمْ، وَاسْتَلْغَ فِي نِكَابَتِهِمْ؛ فَسَأَلَهُ جَعْفَرُ بْنُ عُمَرَ بْنِ
حَنْصُونَ قَبْضَ رَهَائِهِ، اسْتِثْنَاءًا مِنْ طَاعَتِهِ^٣، عَلَى أَنْ يُؤَدِّيَ مِنَ الْجَبَايَةِ مَا فَرَضَ
عَلَيْهِ؛ فَأَجَابَهُ النَّاصِرُ إِلَى ذَلِكَ، وَقَبِضَتْ رَهَائِنُ جَعْفَرٍ [وَشِيعَتِهِ، وَصَارَتْ فِي
قَبْضَتِهِ وَدَاخِلَ مَعْكَرِهِ]. ثُمَّ قَتَلَ (الْناصِرُ لَدِينِ اللَّهِ) [عَنْ جَبَلٍ يَسْمَى بِشَتْرٍ]، وَدَخَلَ
الْقَصْرَ لِثَلَاثِ بَقِيَّاتٍ مِنَ الْحَرَمِ مِنْ سَنَةِ ٢٠٧ هـ، وَقَدْ اسْتَمَّ فِي غَزَاتِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.
وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، عَهَدَ النَّاصِرُ بِعَمَلِ النَّوَّارَةِ إِزَاءَ بَابِ الْقَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِبَابِ
الْعَدْلِ، وَإِقَامَةِ يَحْرَابِ مُصَلَّى الْمَصَارَةِ بِقَرْطَبَةٍ.

وَفِيهَا، تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَلْبٍ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، لِحُمْسِ خُلُونٍ مِنْ ربيعِ
الْآخِرِ. وَفِيهَا، تُوُفِّيَ لِلْناصِرِ ابْنُ يَسْمَى بِمُحَمَّدٍ، وَيَكْنَى بِأَبِي الْقَاسِمِ. وَفِيهَا، تُوُفِّيَتْ
رُقِيَّةُ ابْنَةُ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ. وَتُوُفِّيَ فِيهَا مُوسَى بْنُ أَزْمَرَ الْقَتْبِيُّ الْإِسْتِجِيُّ لِثَلَاثِ خُلُونٍ
مِنْ ربيعِ الْأَوَّلِ؛ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ وَالْمُخَطِّ الْحَسَنِ. وَتُوُفِّيَ فِيهَا
رَحْزَبُ اللَّهِ بْنُ رَبَاعِيٍّ عَبْدُ اللَّهِ الْحُشْنِيُّ الزَّاهِدُ، وَكَانَتْ لَهُ رِوَايَةٌ.

وَفِي سَنَةِ ٢٠٧ هـ، أَكْبَانَ احْتِلَالُ النَّاصِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَدِينَةِ بَشْتَرٍ، عَلَى مَا
تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْعَامِ قَبْلَهُ؛ وَدَخُولُهُ قَرْطَبَةَ قَافِلًا مِنْ غَزَاتِهِ فِي النَّارِجِ الْمُنْقَمِ
ذِكْرُهُ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، [اِفْتَتَحَ] حِصْنَ طَرُشْ؛ وَكَانَ فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُمَرَ بْنِ

١) بِأَنْفُسِهِمْ. ٢) الْمُنْفِلِينَ. ٣) نَزُوعًا إِلَى الطَّاعَةِ. A. B. ١) بِأَنْفُسِهِمْ. ٢) الْمُنْفِلِينَ. ٣) نَزُوعًا إِلَى الطَّاعَةِ. A. B.

حفصون؛ فأسلم المحصن إلى رجال [أمير المؤمنين] الناصر (لدين الله)، ودخل قرطبة؛ فأُنزل بؤيخ عليه. وكان غير داخل في الحرب والفتنة منخل آية؛ ١٨٣ وإنما كان صاحب كُتُب، وكان حسن الخط، ضعيف العقل. (قال عريب)؛ و[قد] صار بعد ذلك وراقاً.

[وفيها، ولي أمير المؤمنين الناصر محمد بن عبد الله بن محمد الزجالي خزانة المال لتسع خلون من شهر رمضان.

وفيها، توفي محمد بن أحمد بن زياد، يوم السبت لأربع عشرة خلت من رجب؛ وكان جاراً لمحمد بن وضاح الفقيه؛ فأوصى أن يُصلى عليه؛ فقام له بذلك ذكر. وفيها، مات محمد بن سليمان بن وأئوس الوزير، يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان. وفيها، مات حمدون بن يسيل]

وفيها، أمر الناصر بنقل موسى بن زياد، [ليلة السبت لاثني عشرة ليلة خلت من صفر]؛ وكان [قد] ولي الوزارة في أيام الإمام عبد الله، وكثرت مطالبته للناس، ورفع عليهم، [وتحسكهم]؛ وكان يجاهر بكراهة [أمير المؤمنين] الناصر، ويرفع عليه إلى جدّه [رحمهما الله]، ويفرى الإمام عبد الله برجاله؛ فحبسه [أمير المؤمنين] الناصر [في] يوم يئسه؛ ولم يزل محبوساً إلى أن أمر بقتله؛ وقُتل معه حبيب [بن عمر] بن سودة، وولده، ومحمد بن وليد [المعروف بالمغلي]؛ وكانت لهم ذنوب وجرائم [أُخردت عليهم].

غزاة موبش

وفي سنة ٢٠٨، كان غزاة أمير المؤمنين الناصر إلى دار الحرب، وهي غزاة موبش؛ فبرز - رحمه الله - لهذه الغزاة يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ٢٠٧؛ ثم فصل غارياً من قصر قرطبة يوم السبت لثلاث ١٧٤ عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٢٠٨، [وهو اليوم الثالث من شهر حزيران،

1) A. B. ببغض. 2) A. B. المغلي.

— ذلك بعد بروزه ثلاثين يوماً. وتختلف في القصر ولي عهد هذه الحكمة [أمير المؤمنين المستنصر بالله (أيده الله)] ومن الوزراء موسى بن محمد بن حدير. فلما كان في اليوم الرابع من فصوله، ونزل بسخاضة الفتح، ورد عليه بها كتاب فتح من قبل عامل مدينة النرج. يذكر أن المشركين من أهل جليقية أتوا في جمع كثير؛ فأغاروا على ما ألفوه في بسطهم من الثواب والسواج، ثم عرجوا على حصن منبرهم، بعرف بالقلعة؛ فأخذوا به طامعين في التغلب عليه؛ فاتخذ اليهم جميع أهل المدينة بنارهم وراجلهم. وواضعوم القتال يائست بصائرهم؛ فمنحهم الله - عز وجل - أكتاف الكفرة، وأطال أيديهم عليهم؛ فقتلوا وأسرؤا كثيراً منهم، وأتبعوم من أول النهار إلى آخره، والسيف يعمل فيهم، ويعتلى بجملته من رؤوسهم؛ فاشهر الناصر بما ورد، وتقال باسم الحطة التي كان فيها عند ورود الفتح عليه.

ونهض آمناً لوجهه، والمحشود والمساكر تتلاحق به من (سائر) آقطار الأندلس، وجميع جهاتها. ونزل (رحمه الله) على مدينة طليطلة، وخرج إليه أئمة بن الطريشة صاحبها، مبادراً إليه، وغازباً معه؛ وكان يظهر طاعة نخنها معصية. ثم تنقل (رحمه الله) في منازله، حتى نزل بمدينة النرج؛ فنظر لأهلها، وعزل بني سالم عنهم، إذ شكوا بهم. واستوزر [رضه] في هذه الغلة سعيد بن المنير. وقدمه قائداً وضابطاً لمدينة النرج، وأغراه مع نفسه، واستعمل على P. 1.50 الموضع ابن غزلان [القرني] صهره، [واحتفى عليهم محمد بن رسول الفقيه. فصلت أحوالهم]، وعم الرضى جميعهم؛ وخرج للجهاد أكثرهم. وانهض [أمير المؤمنين الناصر] - رحمه الله - في جيوش "تغص بها السبل، ويضيق بها الفضاء الأوسع، حتى احتل بقر مدينة سالم، وأظهر [رحمه الله] التوجه إلى الثغر الأقصى. [وقدمت المقدمة نحوه]. ثم عرج بالجيوش إلى طريق آلة والقلاع، وطوى من شاره ثلاث مراحل، حتى احتل بوادي دوير؛ فاضطربت المساكر

فيه، وبانت عليه. ثم أخرج صباح تلك الليلة [سعيد بن السخير الوزير، في] جرائد الخيل وسرعان النيران، إلى حصن وخشنة؛ فأخذ السير حتى قرب من الحصن، وسرح الخيل المغيرة بنة وبسرة، والمشركون في سكون وغفلة، [إذ] كان العليج الذي يلي أمورهم قد كاتب أمير المؤمنين (رحمه الله)، مكابدة له في إزاحته عن بلد بمواعيد وعدها من نفسه؛ فأظهر أمير المؤمنين (رحمه الله) قبول ذلك منهم، وأضر الكبد بهم؛ فغشيتهم الخيل المغيرة على حين غفلة، وأصابوا نغمهم وسواهم ودوابهم مسرحة مهيّلة؛ فاكنسحوا جميع ذلك، وانصرفوا إلى العسكر سالمين غانمين. فلما كان في صباح يوم الجمعة لاثني عشرة ليلة بقيت من صفر، اندفعت الخيل في أكل نعثة، وأهلب ترتيب، وأوكد ضبط، وأبلغ حزم وعزم، إلى حصن وخشنة؛ فنسرت عنه الكثرة، وأخلوه، ولاذوا بالغياض الأثنية، والصخور المنقطعة. ودخل المسلمون الحصن، وغنموا جميع ما فيه، P. 187 وأضرموه نارا. وبات أمير المؤمنين (رحمه الله) في محطته على وخشنة ليلة السبت؛ ثم رحل عنها في اليوم الثاني إلى حصن قاشت مؤرش، وهي ثنت اثنتين، بيضة الكثرة، وقاعدتهم، والموضع الذي كانوا تعودوا فيه الانطالة على من وردهم. فلما رأوا أن أنصار دين الله قد أطلّهم، وأولياءهم قد صدوا تحوّم، أخلوا الحصن وخرجوا هاربين عنه؛ فدخله المسلمون، وغنموا جميع ما فيه؛ وخرّبوا حصن الفيلة الجاور له، ولم يتزل لأعداء الله في تلك الجهة نعمة يأوون إليها. واضطرب العسكر بشرقي حصن قاشت مؤرش. وبات المسلمون ليلة الأحد بأسر ليلة كانوا بها، والمحمد لله. ثم انتقل أمير المؤمنين (رضه) في صبيحة اليوم الثاني من مكان المضطرب شرقي الحصن إلى غربيته، ولم يكن بين الموضعين إلا قدر ميل؛ فكرر العسكر في ذلك المكان يوم الأحد متفصّيا لآثار الكثرة، ومستبيحا لنغمهم. ثم ارتحل إلى مدينة لم أولية تعرف بقلونية، وكانت من أمهات منمنهم؛ فلم تمرّ الحيلوش إليها إلا على فرى منتظمة وعمارة بسيطة؛ فغنمت جميع ما كان بها، وقتلت من أدركت فيها، حتى أوفت العساكر على المدينة؛ فألفيت

خالصة، قد شرد عنها أهلها إلى الأجل المجاورة لهم، فغنم المسلمون جميع ما
 P. ١٨٧ أصابوا فيها، وعملت الأبدى في تخريب ديارها وكنائسها. وكسر الناصر (رحمه
 الله) عليها ثلاثة أيام، مطاولاً لنكاية المشركين، واتسافٍ بنصهم. ثم ارتحل
 (رحمه الله) من مدينة قلونية يوم السبت لحس بقين من صفر إلى ثغر تُطيلة،
 لغياث صريح المسلمين به، إذ كان العِلْجُ شائعاً قد ضايقهم، وتردد بكفرتهم عليهم؛
 فأخذ الناصر (رحمه الله) بالرفق في نهوضه، لئلا يعنف على المسلمين بحسب السير
 مع اتصال سفرهم؛ فاستقبل بالجيوش قطع المفاز الأعظم، مسيراً لواءى دوير،
 وقطع في ذلك خمس محلات، حتى احتل حوز تُطيلة؛ ثم قدم الخيل مع محمد
 ابن لُبّ عايلها إلى حصن قلعة الذي كان اتخذ شائعاً على أهلها. فلما قصدته
 الخيل، أخلاه من كان فيه، وضبطه المسلمون.

ثم نهض (رحمه الله) إلى حصن قلعة. وكان شائعاً قد اتخذ مَغِيلاً، وتبوءاً
 مسكناً. فلما فجأته العساكر، أخلاه العِلْجُ، وزال عنه؛ فغنم المسلمون بأسره؛
 وكسر الناصر (رحمه الله) عليه يومين حتى خرب جميعه، واتسافٍ كل ما كان
 حوالته. ثم رحل بالجيوش يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول إلى دى شره،
 وأجاز إليها وادى إبره؛ فخرج شائعاً من حصن أُرَيْط في جموعه وكفرتهم،
 متعريضاً لمن كان في مقدمة العسكر؛ فتبادر إليه ثُجَعانُ الرجال، تبادر رشق
 النبال؛ فانهزم الكفرة، وركبهم الخيل، تقتل وتخرج، حتى تواروا في الجبال،
 ولاذوا بالشعاب ^١ وأيقنوا بالدمار والهلاك ^٢. وحبر كثير من رؤوس المشركين؛
 فتلقوا بها أمير المؤمنين (رحمه الله)، ولا يعلم عنه للمعركة التي دارت بينهم
 وبين أعداء الله. واضطرب العسكر بهذا الموضع، وبات المسلمون ظاهرين على
 عدوهم، ومنسطين في قرأهم ومزارعهم.

وورد الخبر على الناصر (رحمه الله) باجتماع العِلْجَيْنِ أزدون وشائع،
 P. ١٨٨ واستعداد بعضهما ببعض، طامعين في اعتراض المفترمة، أو انتهاز فرصة في

الساقة. فأمر الناصر (رحمه الله) بتعثة العساكر، وضبط أطرافها؛ ثم نهض بها مؤغلاً في بلاد الكفرة؛ فتطلّوا على كدّى مشرفة وأجبل منيع؛ ثم تعرضوا من كان في أطراف الحيش، وجعلوا يتصاحجون، ويؤكّلون ليضعتوا من قلوب المسلمين؛ فعهد الناصر (رحمه الله) بالثّول والاضطراب وإقامة الأبنية. ثم تبادر الناس إلى محاربة الكفرة، وقد أسهلوا من تلك الأجبل؛ فواضعوم القتال، واقفم عليهم حثم أمير المؤمنين ورجاله وأبطال النّقر وحياته؛ يضعون أسلحتهم فيهم، ويطرون رماحهم عليهم، حتى انهزم المشركون، لا يلوون على مكان مضطربهم، ولا يهتدون لوجر منقلبهم، والمسلون على آثارهم، يقتلون من أدركوا منهم، حتى حجز الظلام بينهم.

ولجأ عند المزيعة أزيد من ألف عالج إلى حصن مؤيش، ورجوا النّشع فيه. فأمر الناصر بتقديم البطل وأبنية العسكر إلى الحصن؛ فأحيط به من جميع جهاته، وحوربوا داخله حتى تغلب عليه، واستخرج جميع العلوج منه، وقُدّموا إلى الناصر (رحمه الله)؛ فضربت رقاب جميعهم بين يديه، وأصيب في الحصن والمحلة التي كانت للكفرة بقرية من الأنعة والأبنية والمحلة المنفة والآنية ما لا يحصى كسرة؛ وأصيب لم نحو ألف وثلاثمائة فرس. وكسر أمير المؤمنين (رحمه الله) بهذه الحلة أربعة أيام، بغير جميع ما حوّلها من نعم المشركين وثمراتهم ومزارعهم؛ ثم انتقل (رحمه الله) يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول إلى حصن كان اتخذ شائجه على أهل بقية؛ فالقاد خالبا، قد فرّ عنه أهله؛ فعهد بهدمه، ولم يبرح أمير المؤمنين (رحمه الله) من محنته هذه حتى انتقل إلى حصن بقية من أطعمة الكفرة ألف مدي نفوية لأهله.

ثم انتقل * إلى حصون المسلمين بسكنها وبغظر في مصايح أهلها؛ فكُلّمها ١٨٦
ألنى بقرها معقلا للمشركين، هدمه وأحرق بسطه، حتى لئد اتصل الحريق في بلاد المشركين عشرة أميال في مثلها. واجتمع عند الناس من الأطعمة (والخبرات) ما عجزوا عن حمله، ولم يجدوا لها ثمنا يُباع به؛ وكان النّشع في العسكر [تبذل]

سنة أقيمت بديرهم؛ فلا يوجد من يشتريه؛ فجمعت الأطعمة وأدخلت النار إليها حتى أحرقت عن آخرها. [وقتل الناصر (رحمه الله) يوم الثلاثاء ثلاث بقين من ربيع الأول، حتى انتهى إلى مدينة أنثينة؛ فكرر (رحمه الله) بها يوماً، ووصل رجال النفر، وكسام، وحملهم، وأفين لهم في الرجوع إلى مواضعهم]. وبعث إلى قرطبة من رؤوس الكفرة [التي أصيبت في المعارك المذكورة] أعداداً عظيمة، حتى غدت الدواب عن [استيفاء] حملها. ودخل (رحمه الله) القصر بقرطبة يوم الخميس الثالث عشر من ربيع الآخر، وقد استكمل في غزائه هذه تسعين يوماً. أوفى هذه السنة، بعد الففل، عزل الناصر (رحمه الله) محمد بن محمد بن أبي زيد عن الشرطة العليا، ولأها ذرياً مولاه.

وفي هذه السنة، قتل جعفر بن عمر بن حفصون بجبل بيشتر، قتله أصحابه غيلة، ودخله أخوه سليمان وضبطه.

أوفىها، ولي العرض عبد الرحمن بن عبد الله الزجاجي.

وفىها، افتتحت المندات بحفر قرطبة^١ من كورة ربة، وبني حصن فاشتره ذكوان، وألزمه الرجال والقوة.

وفي هذه السنة، توفي أبو عمرو سعد بن معاذ بن عثمان بن حسان بن بجاير السعابي * القبة بقرطبة في جمادى الأولى؛ وكان معظماً في أهل العلم؛ وفيها، توفي عبد الغافر بن هاشم بن عبد العزيز.

وفي سنة ٣٠٦، كان [غزاة أمير المؤمنين الناصر (رحمه الله) إلى كورة ربة، وهي غزاة طرش]. وبرز لها (رحمه الله) يوم الخميس لسبع خلون من ذي الحجة سنة ٣٠٨، وهو اليوم العاشر من أيار، وفصل من قصر قرطبة [غارباً] يوم السبت لثمان خلون من المحرم [سنة ٣٠٩]، وهو اليوم العاشر من حزيران بعد بروزه إلى آجد وثلاثين يوماً. وتخلّف في النصر وليّ عهده أمير المؤمنين المستنصر

١) A. B. (i). قرطبة. Il s'agit du Gortama.

بِالله [أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ] فَسَارَ [رَضَهُ] فِي احْتِدَالٍ مِنْ جَبُوشِهِ، وَطُفَاتٍ مِنْ رَجَالِهِ.
 حَتَّى احْتَلَّ عَلَى حِصْنِ طُرُشٍ؛ وَكَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ تَحْدُ احْتَدَّتْ إِلَيْهِ، وَتَحَصَّنَتْ
 فِيهِ؛ فَأَحْدَفَتْ الْعَصَاكِرُ بِهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتٍ، وَعَهْدَ بِمُحَارَبَتِهِمْ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ
 وَنَصَبَ الْمَجَانِيقَ عَلَى مَرْتَقَى تَصِلُ مِنْهُ حِجَارُهُ إِلَى الْكَفَرَةِ. وَكَانُوا فِي أَوَّلِ السَّارَةِ
 لَمْ يَمُزُّوا لِلْعَرَبِ، وَيُظْهِرُونَ الْمُدَافَعَةَ، حَتَّى مَرَقَتْهُمْ الْحَرْبُ، وَقَلَّتْ عِدَّتُهُمْ،
 وَقَلَّتْ حُدُودُهُمْ؛ فَعَادُوا بِالْإِسْتِغْلَاقِ فِي دَاخِلِ حِصْنِهِمْ^١. ثُمَّ نَادَى التَّضْيِيقَ عَلَيْهِمْ،
 وَالْحِصَارَ لَهُمْ، حَتَّى أَخَذَهُمُ الْجَهْدُ، وَأَسْنَوْا عَلَى الْمَلَائِكَةِ؛ فَخَاطَبُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 ضَارِعِينَ إِلَيْهِ فِي تَأْمِينِهِمْ، عَلَى أَنْ يَسْلُكُوا الْحِصْنَ، وَيُخْرِجُوا عَنْهُ؛ فَأَجَابَهُمْ إِلَى
 ذَلِكَ، وَقِيلَ لِإِنَائَتِهِمْ؛ وَدَخَلَ رَجَالُهُ الْحِصْنَ، وَخَرَجَ عَنْهُ جَمِيعٌ مِنْ كَانَ بِهِ مِنَ
 النَّصْرَانِيَّةِ دَاخِلَهُ. وَفُتِلَتْ قِصَابُهُ^٢ وَأُلْقِيَتْ أَجْمَارُهَا فِي النَّهْرِ؛ وَبُيِّنَ فِي مَوْضِعٍ^٣
 الْكِبَرَةِ مَجْدٌ جَامِعٌ. وَنَظَرَ النَّاصِرُ (رَحِمَهُ اللهُ) أَيَّامَ مُحَاصَرَتِهِ لِحِصْنِ طُرُشٍ فِي
 نَوَاجِذِ التُّرُودِ وَالْأَجْنَادِ إِلَى حِصْنِ بَيْشَرٍ وَحِصْنِ أَقُوطٍ وَجَيْلِ الْحِجَارَةِ، لِحُجَارَةِ
 سَلْبَانَ وَحِصْنِ أَبِي عَمْرٍاءَ بْنِ حَقَّوْنٍ، وَالتَّضْيِيقَ عَلَيْهِمْ، وَالْإِنْقَاصَ لِعَدَّتِهِمْ.
 ثُمَّ قَتَلَ النَّاصِرُ (رَحِمَهُ اللهُ) مَنْ مَحَكَهُ عَلَى حِصْنِ طُرُشٍ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ
 لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ، وَدَخَلَ [فَصَرَ] قَرْطَبَةَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لثَلَاثِ عَشْرَةَ
 لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْهُ، وَقَدْ اسْتَمَّ فِي غَزَاتِهِ هَذِهِ تِسْعَةً وَسِتِّينَ يَوْمًا.

أَوْفَى هَذَا الْعَامِ، اسْتُنْزِلَ أَبُو سَعِيدٍ بْنُ نَاصِحٍ بْنُ مَسْتَنَةَ مِنْ حِصُونِ بَاغَةِ
 الْمَعْرُوفَةِ بِعَالِيَةِ وَرَبْرَشٍ. وَاسْتُنْزِلَ مُوسَى بْنُ يَزِيدٍ، أَخُو حِصْنٍ، مِنَ الصَّخْرَةِ
 الَّتِي كَانَ كَانَتْ بِهَا. وَاسْتُنْزِلَ أَبُو مُهَلَّبٍ مِنْ حِصُونِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِقَرْذِيَّةٍ وَإِسْبَرْغِيَّةٍ
 وَغَيْرِهَا، وَهُمْ جَمِيعُهَا.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، أَمَرَ النَّاصِرُ (رَحِمَهُ اللهُ) بِقَتْلِ الْعَاصِيِ ابْنِ الْإِمَامِ عَبْدِ اللهِ،
 وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ ابْنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ (رَحِمَهُمَا اللهُ)، إِذْ شَهِدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

على صاحبه بمطالبة الخلافة ونقض البيعة، وكثرا في ذلك؛ وكان لهما غلبان.
فقتلا ليلة الأربعاء ثلاث خلون من رجب.

وفي ليلة الجمعة لست خلون من رجب، مات الحاجب بدر بن أحمد؛
وولي الحجابة موسى بن أحمد بن حدير.

وفيها، مات محمد بن عبد الله بن أمية الوزير؛ وعبد الواحد بن محمد بن
عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني في شوال؛ وفيها، توفي النقيب محمد بن أحمد
المعروف بابن الزرّاد، ليلة الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة.

وفي سنة ٢١٠، كان أغزو أمير المؤمنين الناصر (رحمه الله) إلى كورة
P. 112 إليّيرة، وهي غزاة منّت ربيع. وبرز لهذه الغزاة يوم الخميس ثلاث خلون
من ذي الحجة سنة ٢٠٩، [وهو الرابع من نيسان، وفصل غاربا من قصر
قرطبة يوم السبت لعشر خلون من المحرم، وهو اليوم الحادي عشر من أيار،
بعد يروزه بسبعة وثلاثين يوما]. وتخلّف في القصر وليّ عهده الحكم المستنصر
بالله ((أبقاه الله))، ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حدير. وغزا معه في هذه
السنة الحاجب موسى بن محمد؛ فسار [رضه] حتى احتلّ بخصن منّت ربيع
يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم؛ وكان جبلا منفعّا، بعيد المرام،
كثير السكّان من عجميّة، قد لاذت به، وامتنعت فيه؛ وهو متوسط بين كورة
إليّيرة وكورة جيان، وعلى طريق مدينة بجّانة. فكان من سلك تلك السيل من
وارد أو صادر لا يسلم من عادية ذلك الحصن. وكانوا يسفكون الدماء،
ويسلبون الأموال، [ويغيثون السبل]. فأقام عليهم أمير المؤمنين (رحمه الله)
خنة وثلاثين يوما محاصرا، حتى آباد كثيرا منهم، [وقطع ثمرانهم، وغير نعمهم].
ثم أبقى على الحصن من رجاله وأجناده من استمرّ على محاصرته، حتى كان لا
يدخل إليهم داخل، ولا يخرج عنهم خارج. وتنفّس [عنه] إلى حصون كورة إليّيرة؛
فعمّ جميعها بالنكابة. ثم عرج منها إلى كورة ربة، ونزل على [جبل] بُهشتر يوم
السبت لسبع خلون من ربيع الأول؛ فحاربهم أشدّ محاربة، ونكاهم أنلغ نكابة،

وقطع ما [كان] بقي في أسناد المجمل من القمار، ورتب لمعاصرتهم أكابر القواد.
 وقصد (رحمه الله) كورة تاكرنا، فاستصلح أحوال أهلها، واستوثق من طاعتهم، ٩٣
 ونقل من رأى نقله إلى قرطبة من وجوههم. [ثم وصل نظره فيها بالنظر في كورة
 مؤزورا، وطالع في طريقه كورة إشبيلية وقرمونة، وقفل بعد إحكامه جميع الأمور
 في تلك الجهات، فاحل قصره يوم السبت لست خلون من ربيع الآخر، وقد
 استكمل في غزاته هذه خمسة وثلاثين يوماً.

[وفي هذه السنة، ولي الوزارة أبو سعيد عبد الملك بن محمد الشذوقي، يوم
 الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر. وولي فيها الوزارة أيضاً
 يحيى بن إسماعيل، وكانت بيد الشرطة الصغرى؛ فوليا مكانه محمد بن محمد بن
 أبي زيد، وذلك يوم السبت لحمس بقين من شوال.

وفيهما، عزل أفلح بن عبد الرحمن عن الخيل، ووليا صاحب المدينة محمد
 ابن عبد الله الخروبي أياماً يسيرة؛ ثم أعيد إليها أفلح.
 وفيها، ولي أحمد بن موسى بن حدير، ونهاره بن سليمان الحزانة، في شوال.
 وفيها، ولي أحمد بن عبد الله الخروبي المرص.

وفيهما، مات سالم بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن أبي الفقيه؛ وعبد
 الله بن أبي الوليد ابن أخت محمد بن الصنار الفقيه، وكانت له رواية عن
 نخون؛ ومحمد بن عبد الحكم؛ وفيها، توفيت عليّة بنت الإمام عبد الرحمن
 ابن الحكم (رحمه الله).

وفي سنة ٤١١، كان غزو أمير المؤمنين الناصر (لدين الله) [رضه] إلى
 مدينة بيشتر وحصون رية؛ [فبرز لغزاته هذه يوم الخميس لست خلون من ذي
 الحجة سنة ٤١٠، وهو اليوم السابع عشرين من آذار؛ وفصل غازياً يوم الإثنين
 منهل الحرم، وهو اليوم الثاني عشرين من نيسان، بعد بروزه بخمسة وعشرين
 يوماً؛ فسار [رحمه الله] حتى احتل على حصن بيشتر؛ وبادر سليمان بن عمر بن
 حصون بركاته، [راجياً لصرف عزمه عنه]؛ فأعرض الناصر عن مجاوبته،

أَوْقَعُوا مَا تَعْرِضُ لَهُ مِنْ مَكَائِدِهِ، وَأَخَذَ بِالْجِدِّ وَالْعَزَمِ فِي مُحَاصَرَتِهِ، أَوْقَطَعَ
بَاقِيَ ثَرَاتِهِ وَكِرْمَانِهِ، وَاصْطَلَامَ مَعَايِشِهِ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، يَصِلُ الْغَدُورُ
بِالرَّوَّاحِ فِي التَّغْيِيرِ وَالتَّدْمِيرِ وَالنَّكَائَةِ وَالْإِسْلَاحِ، وَفَعَلَ كَذَلِكَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ
حَصُونِهِ، أَكْحَضَ قَرْذَارِشَ، وَحَصَنَ نَخَارِشَ، وَحَصَنَ الْجِشَ، وَشَتَّ يِطْرَ؛
فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَضَنُ بْنُ عِمْرٍ بْنِ حَفْصُونَ، وَتَبَرَّأَ مِنْ حَصْنِ قَامَرَةَ؛ فَأَتَتْهُ أُمَيْرُ
الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرُ (رَحِمَهُ اللَّهُ)، وَأَقْرَبَهُ فِي بَعْضِ حَصُونِهِ، لِيَمَّا رَأَى مِنَ السِّيَاسَةِ
وَوَجْهِ الْمَصْلَحَةِ فِيهِ وَفِي سُلَيْمَانَ أَخِيهِ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى مَرْثَى شَاطِطٍ وَالْمُسْكَبِ، وَحَصَنَ
مَشْكِرِيلَ، وَنَهَضَ بِعَسَاكِرِهِ فِي وَعِيرٍ لَمْ يَتَقَعْمَهُ جَيْشٌ قَبْلَهُ؛ فَاسْتَنْزَلَ جَمِيعَ أَهْلِ
بَلَدِ الْحَصُونِ، وَاسْتَصْلَحَ تِلْكَ الْجِهَاتِ، [ثُمَّ قَصَدَ جَبَلَ يَشْتَرِ، وَقَدْ كَانَ أَقْلَهُ
أَرَادُوا التَّنَافُسَ بِلَيْمَانَ بْنِ حَفْصُونَ، وَضَبَطُوا الْقَصْبَةَ ثَوْنَهُ، وَأَطْلَقُوا مِنْ كَانَ
فِي حَبْسِهِ، وَانْتَهَبُوا أَكْثَرَ أَمْنِيَّتِهِ؛ ثُمَّ إِنَّهُ احْتَالَ مَعَ بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ، حَتَّى دَخَلُوا
الْمَدِينَةَ، وَفَعَلُوا لَهُ بِأَبْهَاءٍ؛ فَدَخَلَ مِنْهُ مَتَلْقِيًا، وَأَطْعَمَ السَّوَادَ فِي أَعْمَالِ الْفَائِزِينَ
عَلَيْهِ؛ فَتَارُوا مَعَهُ، وَبَادَرُوا إِلَى قَتْلِ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ؛ فَأَقْبَى أَكْثَرَهُمْ؛ وَسَلَّطَ اللَّهُ
بَعْضَ الْكَفَرَةِ عَلَى بَعْضٍ، لِيَسْحُوَ آثَارَهُمْ. وَبَقِيَ سُلَيْمَانُ يَجْلِسُ يَشْتَرِ مُشْغُولًا بِنَفْسِهِ،
مُرْتَابًا مِنْ حَوْلِهِ؛ فَاحْتَلَّ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَرَّةً ثَانِيَةً فِي غَزَاهُ هَذِهِ، وَذَلِكَ يَوْمَ
الْأَحَدِ لِأَرْبَعِ خُلُونٍ مِنْ رَيْبِ الْأَوَّلِ؛ فَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْكَفَرَةِ إِطْلَالٌ عِنْدَ
اضْطِرَابِ الْعَسْكَرِ عَلَى مَا كَانُوا تَعَوَّدُونَ مِنْ قَبْلُ؛ وَأَرْسَلَ عَلَى الْجَبَلِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
مَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ رِجَالِهِ، وَالزَّمَهُمْ مَوَاضِعَ فِي جَمِيعِ جِهَاتِهِ. ثُمَّ قَتَلَ، وَدَخَلَ
[الْقَصْرَ] مُقَرَّبَةً يَوْمَ السَّبْتِ لِعَشْرِ خُلُونٍ مِنْ رَيْبِ الْأَوَّلِ، وَقَدْ اسْتَمَّ [فِي غَزَاهُ]
تِسْعَةً وَسِتِّينَ يَوْمًا.

لَوْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، كَانَتْ وَقِيعَةٌ بِقَيْرَةٍ وَمُحَاصَرَةُ أَهْلِ بَنِي لَوْنَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ
ابْنِ لُبٍّ؛ حَتَّى تَغْلِبَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ، وَأَسْرَمَ الْعِلْجَ شَائِعَهُ؛ ثُمَّ قَتَلَهُمْ.
وَكَانَ مَعَ ابْنِ لُبٍّ فِي حَصْنِ بَقْيَرَةِ مُطَرِّفِ بْنِ مُوسَى بْنِ ذِي النُّونِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ
مُحَمَّدِ ابْنِ عِيَّةَ، وَوَجَّهَ رِجَالَهُمْ؛ فَغَدَمُوا فِي هَذِهِ الْوَقِيعَةِ بِأَجْمَعِهِمْ. وَشَنَعَ الْحَادِثُ

فيها على الناصر (رحمه الله)؛ فأخرج عبد الحميد بن يسيل قائداً إلى الثغر الألفي، بعد أن استوزره؛ وكان على خزانة المال؛ فنهض حتى احتل الثغر بجيوش كثيرة، أخرجت معه، وحشدت إليه من الثغر وغيره؛ فدخل مدينة نبطية وملكها.

وفيها، افتتحت قصبة مؤزور.

وفيها، ولي محمد بن أحمد بن حدير خطة العرض، وعزل محمد بن محمد ابن أبي زيد عن الشرطة الصغرى، وولاهما بجي بن بونس القبرسي^١.

وفيها، توفي عبد الرحمن ابن الإمام المنذر (رحمه الله). وتوفي جهور بن عبد الملك، وهو قائد شذونة. وفيها، قتل عبد الله بن محمد بن مروان الحليقي، صاحب أصليوس، دخل عليه بعض أهل الموضع، فقتلوه. وفيها ملك أردون بن إدقش صاحب جليقية، وولى مكانه فلويرة.

غزاة الناصر إلى بعلبونة

وفي سنة ٢١٢، كان غزاة أمير المؤمنين الناصر (الدين الله) [رضه] إلى ١٩٦ P. دار الحرب، وفي الغزوة المعروفة ببعلبونة؛ [فبرز (رحمه الله) هذه الصائفة مبكراً قبل ميقات الصوائف، إذ أحفظه ما دار على بني ألب وبني ذي النون بحصن بقرية؛ فبرز لغزاته هذه يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة، وهو اليوم الثاني عشر من شباط سنة ٢١١]. وفصل من قرطبة يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من الحرم [سنة ١٢، وهو اليوم السابع عشر من نيسان، وذلك بعد بروزه بثلاثة وأربعين يوماً]. فاحتل لأول خروجه بعلبة بالاش، وكسر بها يومين، مثلوماً على المجاهدين معه من أجاده ورعيته، والمخدودين من أنصار كؤره. ونخف [رحمه الله] بالنصر بقرطبة وإلى عهده الحكم المستنصر بالله (أفاد الله)، ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حدير. وأم الناصر رضه

١) Lecture douteuse. G. porte ici, comme plus loin: القبرسي.

في أول خروجه كورة عذير وكورة بلسية، وانصلح أهوال أهلها، واستل عبد الرحمن بن وضاح، ويعقوب بن أبي خالد [النوري]، وعامر بن أبي جوشن، وغيرهم، من مواضعهم التي كانوا متأثرين فيها، ومنعاصين عن التزول منها. لو أرتب القواد والمجوش على محمد بن عبد الرحمن بن الشيخ، إذ تمنع من التزول إليه والغزو معه؛ وكان يدينو العسكر من أهواز بلسية.

ثم نهض [أمير المؤمنين] الناصر (رحمه الله) في عساكر كعدد المحصى، حتى دخل نهر طيلة. وخرج إليه التجيئون وغيرهم، وتلقاه عمال النهر في جنود عتبة، وعدة كاملة؛ فدخل (رحمه الله) بلاد المشركون (يوم السبت لأربع خلون من ربيع الآخر) بأنند عزم، وأوكسد حزم، وأقوى نية في الانتقام لله (عز وجل) ولدينه من الأرجاس، الكفرة (الأنجاس). فحل من أول بلادهم حصن قلعة؛ وكان العليج شائجه قد أخلاه؛ فأمر بهدمه وإحراق جميع ما فيه وحوله؛ ثم تنقل عنه إلى موضع يعرف ببيطرة آتة؛ وكانت حوله حصون مانعة؛ فأخلاها الكفرة، وتخلقوا في بسطها جميع أنعمتهم وأطعمتهم، إذ عوجلوا عن انتقاله. ولجأ علوج منهم بأهلهم وولدهم إلى ثلاثة غيران في شفير جرف على النهر؛ فلم يزل أهل العسكر يعلقون إليهم فيها، وينشرون عليهم من أعاليها، حتى فتح الله تلك الغيران عليهم؛ فقتلوا العلوج وسوا الدار، وغنموا الأمانة. وكان ذلك أول ما أفاء الله - عز وجل - على أهل العسكر، وغنمهم إياه. وهلمت حصون الكفرة التي كانت في تلك الجهة؛ ولم يبق منها حصنة قائمة.

ثم تنقل - رحمه الله - من هذه الجهة، بعد أن كثر بها يوماً، إلى حصن فالجس؛ فأضرمت أرباضه ناراً. واستقصيت زروع دمه انتسافاً وتغييراً. ثم ارتحل رضى إلى حصن نغالبه؛ وكان من حصونهم الذرفة؛ فألنيت الأطمعة به كثيرة، والنعم فيه فائضة؛ فانتهب المسلمون جميع ذلك، ودأبوا في تخريب الديار، وتغيير الآثار. ثم ارتحل منه إلى حصن قرقل على وادي أرغون؛ ثم انتزع الناصر - رضى - على الإيغال في بلد، وانسل إلى موضع قرارم،

وجمع كفارهم، وفكائهم في عقر دارهم، ومكان آمنهم؛ فأخذ في الحزم، وعهد بضبط مجنّبات العسكر، ونقلهم من فتح المَرْكُوبِ في آثم نعبته وأهدب ترتيب، وذلك يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر؛ فدخلت الجيوش مواضع لم تتخل قبل ذلك، [وأحرقت الحصون، وهدمت الديار،] حتى نزل بقرية بشكونشة¹، التي إليها ينسب العليّج، ومنها أضله؛ فهدمت حبايتها، أحرقت كل شيء كان فيها.

فجمع العليّج شائجه كغزته، واستند بنصرانيته [من كل مكان، طمعا أن يقات منه] حتى توافى له جمع رجا أن يكافح المسلمين به؛ ففطّلت له خيل على تلك الأجل المنيعة على العسكر، [وذلك ليلة الأربعاء للنصف من شهر ربيع الآخر]؛ فأمر الناصر [رحمه الله] بالتعبئة للرجال، وشكّ العسكر، وإتقان النظر؛ وصاح النهوض والتفهم لوجهه، وإثقا بالله - عز وجل - ومتوكلا عليه؛ فسلكت الجيوش بين أجل شاححة وشواهي منقطعة. ورجا أعداء الله مع ذلك بانتهاز الفرصة والاعتراض للمسلمين في محبة أو ساقية؛ فلما توسط الجيش بعض تلك المواضع المتضايفة [على واد يعرف بوادي مبقعة]، هبطت للمشركين خيل من الأجل؛ فحالت بينهم وبين أهل العسكر [مناوشة بسيرة]. فعهد أمير المؤمنين - رحمه الله - برفع البطل والتعبئة للحرب؛ ونهض المسلمون إلى أعدائهم نهوض^٢ الأسود؛ فعبروا النهر إليهم، وصمموا بالحملة عليهم، حتى اتلعوم عن موضعهم، [وهزموم]، ووضعوا سيوفهم ورماحهم فيهم، حتى اضطروهم إلى مرتقى وعمر وجبل منقطع؛ فتنعم المسلمون عليهم، وسئل الله وعمره لم؛ فقتلوا جملة منهم، ونسقت الأرض بأجسادهم. واستمرت الخيل الصغيرة في يبطهم؛ فأصاب الفناء والسلام وضروب النعم، وانصرفوا سالمين، لم يصب منهم غير يعقوب بن أبي خالد التوري، ونثر بسير من الحشم فازوا بالشهادة، وختم الله لهم بالسعادة.

1) B. بشكونشة. Pent-détre: بشكونشة, Songhien?

واجتمع من رؤوس المشركين عددٌ عظيمٌ [منع من البعثة بها الى قرطبة بمنع الطريق وتعد المسافة.

ثم ارتحل أمير المؤمنين رضي الى محلة لنييرة؛ ثم الى محلة لعين؛ والجيش لا يترجموضع إلا اصطلة، وتعلقت زروعه، وهدمت قراء وحصونه، الى أن بلغ رضي مدينة بنسُلونة؛ فوجد لها خالصةً مفقرة؛ فدخلها - رحمه الله - وجال بنسه عليها، وأمر بهدم جميع بناها، وتخرب كبة الكفرة بها، التي كانت يبعثهم موضع نسكهم، حتى لقد جعلت فاعاً صنصناً. ثم سفل - رضي - منها الى صخرة قبس؛ وكانت بها كيسة قد شيد بها العليج، وأنشأ. وطاول الأيام بالناتق فيها. وانحصين لها؛ فلما حلت بها الجيوش وأخذت في هدمها، نطلع الكلب من جبل كان أسد إليه، طامعاً في حمايتها؛ فداخلة أولياء الله بأسرع من لحظة الطرف. حتى اقتلعوه مهزوماً مؤلياً، وصرع من فرسانه ووجوه أصحابه من كان عنه محامياً ودونه مسهلكتاً؛ وأخربت الكيسة وما أحاط بها، وعادت القرية ناراً موقدة.

ثم نقل منها الى محلة اساربه؛ وكان في مرء إليها فج يُقال له هرقة ضيق المسلك، وعمر الحجاز؛ فرام الكفرة انتهاز قرصة من المسلمين فيه؛ فأمر الناصر - رحمه الله - بالبعثة والاحتراس، ونهض على أتم التعنظ والضبط، حتى جاوزت العساكر ذلك المضيق، وخرجت عنه وتظاهر أعداء الله لأهل الساقة، مستعينين لأعلى جبل؛ فهضت الخيل إليهم، وهزمتهم، وقتلت طائفة منهم. وانتشعوا مديرين لا يلوون ولا يعرجون. ونفتم المسلمون بعزة القهر، وسرور النصر، حتى نزلوا محلة اساربه. ثم ارتحل الناصر - رحمه الله - منها الى محلة بقرية مبير؛ ثم نقل الى محلة بدى شره المجاورة لشت اشنيين؛ وكان موضع [استركاح] العليج شانجه، ومكان طانته؛ فحلت الجيوش بهذه المحلة يوم الأربعاء لثمان بقين من ربيع الآخر، وتظاهر الكلب على الجبل، قد جمع جموعه، وحشد رجاله، واستعاض بدود الله من آلبة والفلاح، طامعاً في معارضة المسلمين، بغير

بها عذره عند كثرته، وأهل ملته؛ فناشيم المسلمون الحرب، والتعم بينهم القتال؛ فيزعم الله إجموع المشركين، أو انقبضوا إلى أعلى جبلهم، وتفرقوا في شعراء متصلة بهم. وبات أهل العسكر في محنتهم، وانبطت العلاقات في القرى؛ فانتسفت ما فيها. [ثم انتقل الناصر إلى محنته بموضع يُعرف بـرؤية سريته، وهو يريد قلعة] وتظاهر العنق [بجموعه] مرة ثانية في الموضع الذي كان مشرفاً فيه، ومعتمداً به؛ فتبادر إليه النيران؛ فانهزم أقبح انهزام. أو قتل له رجال وغنرت له خيل.

ونقل الناصر - رحمه الله - إلى حصن قلعة؛ فالفاء خالياً، وأمر بهدمه. ثم تنقل إلى حصن بشيرة، وهو من حصون المسلمين المتحورة للمشركين؛ فعهد بإدخال الأطعمة عنهم، وتريق الأموال فيهم. واحتل بمدينة تطيلة، وكسر بها؛ وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من ربيع الآخر، ورحل عنها قافلاً، وجعل مروره بيني ذي النون؛ وكان يحيى بن موسى قد استراب، واتوقف عن الجهاد؛ فدارت عليه معزة الجيش، حتى أذعن منقاداً، وخرج خائفاً وجلاً، وتلقى أمير المؤمنين معترفاً بذنبه؛ فأوسعاه عفو؛ أو فعل مثل ذلك يحيى بن أبي الفتح ابن أخيه. ودخل أمير المؤمنين (رحمه الله) قرطبة يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الأولى، وقد استتم في غزاته هذه أربعة أشهر.

وفي سنة ٢١٢، كانت غزاة [أمير المؤمنين] الناصر (رحمه الله) إلى كورة ليرة، أو منازلة حصن اشبن، واستصلاحه [الأحوال] بكورة جيان وما والاها؛ [فبرز - رحمه الله - لهذه الغزاة يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٢١٢، وهو اليوم السابع من يسكان]، وفصل غازياً يوم الخميس لثمان بقين من صفر، [وهو اليوم السابع من آيار، وذلك بعد برونه باثنين وأربعين يوماً]؛ وتخلّف في النصر (بقرطبة) إلى عمه الحكم [المستنصر بالله]. ومن الوزراء أحمد [بن محمد] بن حدير، [وعلى المدينة محمد بن عبد الله الخروبي]؛

P. ٢٠٢ واستقدم سعيد بن السنير الوزير من كورة تدمير، ليغزو معه. وأخرج محمد ابن إسحاق مديلاً له؛ فاحتل في طريقه بحصن السيلون من كورة جبان، وأنزل عنه عبد الله بن سعيد بن هذيل، وعزله عن سائر الحصون. التي كانت يده؛ واستعمل على الجميع عبد العزيز بن مسلمة وعبد الله بن عمرو بن مسلمة، وعهد بهدم أكثر حصون جبان وفصاها، إذ كانت مستحكمة لأهل الشر والخلاف، وضرراً على أهل الطاعة والاستقامة؛ وكذلك ما فعل بحصون البيرة، حتى احتل بحصن اثنين [يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول]؛ وكان أهله على مكيدة باطنة، وإظهار طاعة تحتها مداهنة؛ فعرض عليهم الناصر النزول عن حصنهم [إلى البسط حوله]؛ فاضطربوا في أمرهم، ولانوا عن ردهم؛ فاحتلت العساكر بهم، [وأخذت بالجذ والعزم في محاصرهم]؛ وأحبط بهم من جميع جهاتهم، ونبت عليهم ستة حصون يقابل بعضها بعضاً، حتى عادوا في مثل حلقة الخاتم [ضيقة وحصاراً]. وبني الناصر على محاصرهم خمسة وعشرين يوماً، وهو بدأب مع ذلك في استصلاح أمور رعته، وتأمين سبلهم، وقطع المخاوف عنهم، وبشخص نفسه إلى كل جهة من جهاتهم.

وفي هذه الغزاة، استجلب الناصر [وليّ عهده وعاد أنه] الحكم [السنير بالله] من قصر قرطبة إلى معسكره، وهو في ذلك الوقت ابن عشرة أعوام وثمانية أشهر ونصف، إذ استوحش له، وتأتت نفسه الكربة إليه؛ فقدم عليه [أبناء P. ٢٠٣ الله] بهذه الحلة مع ثقات رجاله ورفتيانه؛ واستخلف [له] في القصر أخوه عبد العزيز ليُنقذ الكتب باسمه إلى وقت منصرفه. فأنس - رحمه الله - به، وسرّ بقره. وقفل الناصر من هذه الغزاة [يوم الجمعة] لست خلون من ربيع الآخر، بعد أن أرتب الوزيرين سعيد بن السنير وعبد الحميد بن بسيل على حصن اثنين، محاصرين لأهله [في كشف من الحشم]. ودخل القصر [بقرطبة] يوم الخميس لائنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر، [وقد استتم في غزاته خمسين يوماً].

وفي هذه السنة، ولي خلف النقي الكبير الطراز
 وفي شوال منها، ولي يحيى بن يونس القبري السوق. إذ احتل أحمد بن
 بهلول علة أنطقه عن الحركة؛ ثم ولي يحيى بن يونس المواريت في ذي القعدة،
 وولي عبد الله بن محمد الخروفي خزنة السلاح.
 وفيها، صلب على الرصيف باب قصر قرطبة الراي المعروف بأبي نصر؛
 وكان قد ذهب به الصوت في الرماية والإصابة أيام عمر بن حفصون؛ فصلب؛
 ثم رمى بالنبل حتى أصيبت جوارحه ومقارنله؛ وبقي في المجدع أياماً؛
 ثم أحرق.

وفيها، توفي ابن الناصر يسمى بمحمد. وفيها، مات ثابت بن حزم العوفي
 من أهل سرقطة، في شهر رمضان؛ وكان كثير الرواية، بصيراً باللغة؛ وله
 رحلة سمع فيها من بعض الفقهاء بالشرق. وفيها، هلك فلورة صاحب جليبة،
 وولي إذفتش؛ ثم ترهب، وولي أخاه رذيم مكانه في سنة ١٩٠.

وفي سنة ٣١٤، كان إغزاه الناصر (رحمه الله) قواده بالصوائف؛ ولم يكن
 له غزو (بنفسه) في هذا العام لحمل كان فيه، وقطع [شديداً]؛ فأخرج عبد
 الحميد بن بسيل الوزير إلى الثغر الذي كان به بنو ذى النون؛ فأوقع بهم،
 إذ كانوا قد مرقوا عن الطاعة، [وأكثروا الفساد في الأرض، والاستطالة على
 من جاورهم من المسلمين]؛ فقتل منهم من استحق القتل، [وانتاحت مدينة سربة؛
 وكان أهلها على خلاف وخلعان للطاعة؛ فدرت جبايتها من ذلك الوقت،
 وصارت بسيل سائر الكور المستقيمة الأحوال.] ثم صدر عبد الحميد [بن
 بسيل] من ذلك الثغر، وقد استقامت على يديه أحوال أهل؛ فأخرجه الناصر
 إلى مدينة بيشتر، محاصراً لسليمان بن حفصون [في جملة القواد المحاصرين له؛
 وأخرج - رحمه الله - أن فتح صاحب الخيل مولاة إلى سليمان بن حفصون أيضاً؛
 فأنزله وحاصره، وفتح حصن منته روي؛ وكان من أمنع معارقه].

ذكر قتل سليمان بن حفصون

وفي هذه السنة، قُتل سليمان بن عمر بن حفصون؛ وكان قد [ركب
و]أخرج [عن مدينة بَشْتَر] معارضاً^١ لبعض (الْحَنَم) المُغاورين له من العسكر؛
فبادرت إليه الخيل من الجهة التي كان فيها عبد الحميد [الوزير]؛ فصُرِع
سليمان عن قَرَمه؛ فاحتزَّ رَأْسه سعيد بن بَعْلَى العريف [المعروف بالسنة؛
وكانت قد واقعت في ذلك طعان على يدَي محمد بن يونس العريف وبعض
بنى مُطامر العجم]؛ وقُطعت يداؤه (ورجلاه)، وذلك يوم الثلاثاء مشهلاً ذى
الحجة من سنة ٢١٤. وبعث الوزير عبد الحميد برأسه وجثته ويديه مَبْعُضَةً
مُتَفَرِّقَةً؛ فرفعت على باب السُّدَّة [بقرطبة] في خشبة عالية؛ وكان النتح فيه
عظيماً ساراً لجميع المسلمين.

[وفيها، ورد الخبر بهلاك العِلَج شائعاً صَاحِب بَنَلُونَة].

وكان النعط في هذا العام شديداً، وَالْحَلُّ عامّاً؛ فاستسقى بالناس (الخطيب)
p. ٢٠٥ أحمد بن بَغِي * [صاحب الصلاة] مراراً؛ [ونفذت الكُتُب إلى الكُور في
الاستفاد]؛ فوافي نزول الفَيْث مع رفيع جثة سليمان بن حفصون صليبة على
باب السُّدَّة. فقالت في ذلك الشعراء أشعاراً كثيرة، منها [طويل]:

تَحَابَّ يَمُورُ الْفَيْثُ فِيهَا وَدِيمةٌ	يَمَاهُ الْعِدَى تَهْيِي بِهَا وَتَغُورُ
رِغْبَانِ فِيْنَا وَلِكْفَانٍ مِنَ الْحَبَا	وَلَكِنْ ذَا رِجْسٍ وَذَاكَ طَهُورُ
وَذَاكَ نَجِيعٌ لَيْسَ بِفَيْثِهِ النَّزَى	وَذَا نَاجِعٌ يَسْرِي بِهِ وَيَغُورُ
تَدَنَسَ الدُّنْيَا ^٢ بِهِ فَطَهَّرَتْ ^٣	بُطُونُهَا مِنْ رِجْسِهِ وَظُهُورُ

[وفيها، ولي محمد بن عبد الله الرَّجَالِيُّ الوزارة يوم السبت للنصف من
جمادى الأولى.]

١) بِغَاوِرًا. B. ٢-٢. ٢) بِذَلِكَ فَطَهَّرَتْ.

وفيها، غُزِلَ أَسْلَمُ بن عبد العزيز عن قضاء الجماعة بِفَرْضَةِ لِعَلَّةِ أَفْعَدْتَهُ .
وَوُلِيَ أَحْمَدُ بن بَقِيّ القضاة مع الصلاة .

وفيها، وُلِيَ أَحْمَدُ بن عبد الوَهَّاب بن عبد الرَّؤُوف بِخِزَانَةِ المَال . وَوُلِيَ
عَبْدُ اللَّهِ بن عبد اللَّهِ الرَّجُلِيُّ العَرَضَ . وَوُلِيَ بِخِزَانَةِ السِّلَاحِ حُسَيْنُ بن مُحَمَّدٍ بن
عَاصِمٍ ، وَأَحْمَدُ بن بِحْبِي بن حَمَّان ، وَعَبْدُ الوَهَّاب بن مُحَمَّدٍ بن عبد الرَّؤُوف .
وفيها، تُوُفِيَ أَصْبَغُ ابن الأمير السَّنِير . وفيها، تُوُفِيَ مُحَمَّدُ بن عمر بن لُبَّابَةَ
اللقبي، ليلة الاثنين لخمس بقين من شعبان ؛ وكان مولده مستهلَّ رجب سنة ٢٢٦ ؛
وكان عالماً بالفنِّيا، حَسَنَ الدين، مستقيم الحال من حدائقه الى وقت وفاته .
وفيها، تُوُفِيَ مُحَمَّدُ بن عبد اللَّهِ الحَرْثِيُّ، صاحبُ المدينة، مستهلَّ صفر؛
وَوُلِيَ المدينة مكانه عيسى بن أحمد بن أبي عُبَيْدَة بعد وفاته الى ثمانية أيام .

وفي سنة ٢١٥، كان غزو [أمير المؤمنين] الناصر [رَضَ] الى مدينة بُبْشَر
لِحُجَارَةِ حَقِص بن عمر بن حنصون ؛ [فبرز لهذه الغزاة يوم الخميس لثلاث
عشرة ليلة . خلت من صفر سنة ٢١٥، وهو اليوم التاسع عشر من ربيعان، ٢٠٦
وفصل غازياً يوم الاثنين للنصف من شهر ربيع الآخر، وهو اليوم الحادى عشر
من أيار، وذلك بعد بروزه بإثنين وثلاثين يوماً] . وأغزى مع نفسه وَلِيَّ عَهْدِهِ
الْحَكَمَ [الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ]، وهو ابنُ اثنتى عشرة سنة، وتسعة أشهر ونصف، وتخلَّف
فى القصر عبد العزيز [شقيق وَلِيَّ العَهْدِ، ومن الوزراء أحمد بن مُحَمَّد بن
حَدَّير، وعلى المدينة أحمد بن عيسى مُخْلِفاً لِأبيه عيسى بن أحمد الوزير] . فنزل
الناصر [بجيوته وخيله وعُدَّه] على [مدينة] بُبْشَر يوم الثلاثاء لسبع بقين من
ربيع الآخر، وزاد عزماً فى النبات عليها، والمجدى فى محاصرتها، وأرسل بها
[من القواد] مَنْ يلازمها، وتنقل منها الى مدينة الحنَّش؛ فاستقر من كان فيها،
وأخلاها من ساكنيها، وأمر بهدم أسوارها وتعنية آثارها؛ [وباشر ذلك وَلِيَّ
عَهْدِهِ مع الحاجب موسى بن مُحَمَّد مَوْلَاهُ .

ثم أَمَّ الناصرُ حصنَ شَتَّ يَطْرُ وما قرب منه من الحصون؛ فنارَ لهم،

وقطع غارم وكرومهم، [واضطلم معايشهم]؛ ثم تنقل بجيوشه الى مدينة مألقة؛
 [فنظر بمنزل ذلك في الحصون المجاورة لها]، وولى مدينة مألقة عبد الملك بن
 العاصي، وألزم معه جملة من الحشم لمغاورة أهل تلك الحصون، وأمره بحمل
 السيف على كل داخل إليهم أو خارج عنهم. ثم صدر الى مدينة بشتري؛
 ١٠٢٠٧ فاضطرب عليها ثانية أمن ناحية لماية، *ورأى أن البنيان بها من أنكى الأمور
 (للكفرة) وأشدّها عليهم؛ فأمره ببنيان صخرة للأول تعرف بالمدينة، [وقدم لذلك
 أحمد بن محمد بن إلياس، وصرف إليه كورة تاكرتا، وما اتصل بها من لماية.
 وألزم عبد الحميد بن يسيل الوزير مكاناً يشرف منه على مجمع الشرق، ويجترس
 فيه بالمنشرين من أهل العسكر في العلاقات وطلب المرافق، والمختلئين إليه
 من كل موضع]. وأقام بحكته هذه سبعة أيام، لم يتبع فيها (للكفرة) مرتفقاً ولا
 معاشاً. [ثم انتقل الى محلة طنجيرة؛ فعهد بالبنيان فيها، وأقام بها حتى كمل بها
 شأن مدينتي الزمها سعيد بن المنذر الوزير. ورأى الناصر صرف وليّ عهده إلى
 قصر قرطبة إشاراً لصباته ومعاودته الى تأديبه؛ فوجه مع ثقات رجاله، وفيهم
 دُرَيْش بن عبد الرحمن، صاحب الشرطة العليا، ومحمد بن أحمد بن حذير
 العارض؛ فبلغوه النصب وأنصرفوا عن باب الشدة الى العسكر؛ ولم يتقدم أحد
 منهم الى داره، ولا دخل منزله، ولا رأى أحداً من أهله]. ثم قفل [رحمه
 الله - يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة]، ودخل [قصر]
 قرطبة يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الآخرة، وقد استكمل في غزائه
 (هذه) خمسة وستين يوماً.

[وفي هذه السنة، أغرى الناصر دُرَيْش بن عبد الرحمن، صاحب الشرطة،
 مولاة، الى ابن الزيات؛ فلما قرب منه، خرج هارباً؛ وظفر دُرَيْش في وجهه
 هذه بهابل، فائدي كان لابن حنصون، وبأصحاب له؛ فألزم وأوثقهم بالحديد،
 وقدم بهم قرطبة؛ فصلبوا في المرج الذي بين يدي النصب، وذلك يوم الأحد
 لسبع خلون من شهر رمضان.

وفيه، وُلِّيَ قُطَيْبُ بْنُ أَصْبَغٍ الْوِزَارَةَ، وَعَبَّاسُ ابْنُ الْخِزَانَةِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ
مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَثْرَوِيُّ * الْعَرَضُ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّجَالِيُّ *
[المَوَارِيثُ].

ذِكْرُ افْتِتَاحِ مَدِينَةِ بَيْشْتَرِ

وَلَمَّا اشْتَدَّتْ الْحَاصِرَةُ عَلَى حَقْصِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَنْصُونَ [بِمَدِينَةِ بَيْشْتَرِ] :
وَأَحْبَطَ (بِهِ) بِالْبُنْيَانِ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَرَأَى مِنَ الْجِدِّ وَالْعَزْمِ فِي أَمْرِهِ مَا
عَلِمَ إِلَّا بِقَاءِ لَهُ مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمَذَى تَعَلَّقَ فِيهِ، كَتَبَ إِلَى [أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ] النَّاصِرِ،
يَسْأَلُهُ نَأْمِيَّتَهُ وَالصَّنْجَ عَنْهُ، عَلَى أَنْ يُخْرِجَ عَنْ الْجَبَلِ مَنْسَلَمًا لِأَمْرِهِ، رَاضِيًا
بِحُكْمِهِ. فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ النَّاصِرُ الْوَزِيرَ [أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ] بْنِ حُدَيْرٍ، وَتَوَلَّى هُوَ وَسَعِيدُ
ابْنِ الْمُنْذِرِ إِنْزَالَهُ مِنَ [مَدِينَةِ] بَيْشْتَرِ. وَدَخَلَهَا رَجُلٌ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (النَّاصِرُ)
[وَحُصْنُهُ]، يَوْمَ الْخَبِيسِ لِسَبْعِ يَمِينٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ (مِنْ السَّنَةِ). وَاسْتَقْبَلَ حَقْصُ
[وَأَلَّهُ] وَاجْمَعُ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، وَقَدِمَ بِهِمْ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَزِيرُ إِلَى
قَرْطَبَةَ مَعَ أَهْلِهِمْ وَوَلَدِهِمْ. وَدَخَلَهَا حَقْصُ فِي مَسْجِدِ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَوْسَعَهُ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ صَنْعَهُ وَعَقُوهُ، وَصَارَ فِي جَمْعَةٍ حَنْبِهِ وَجُنْدِهِ. وَبَنَى [الْوَزِيرُ] سَعِيدُ بْنُ
الْمُنْذِرِ بِمَدِينَةِ بَيْشْتَرِ ضَابِطًا لَهَا، وَبَانِيًا لِمَا عَهْدَ إِلَيْهِ مِنْ بَنِيَانِهِ [وَأَحْكَامِهِ مِنْهَا].
وَفِيهَا، مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِمَدِينَةِ إِسْتِجَّةَ. وَتَوَفَّى
الْوَزِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّجَالِيُّ فِي شَعْبَانَ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَتَوَفَّى
الْعَارِضُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حُدَيْرٍ فِي آخِرِ هَذَا الْعَامِ؛ وَكَانَ حَدَثًا، قَدْ تَوَجَّهَ
ذِكْرُهُ، وَتَمَكَّنَ مَحَلُّهُ؛ فَعَظُمَ أَسْفُ الْحَاجِبِ عَنْهُ وَالْوَزِيرِ أَبِيهِ عَلَيْهِ؛ وَوَلَّى النَّاصِرُ
خُطَّتَهُ أَخَاهُ مُوسَى بْنَ أَحْمَدَ بْنِ حُدَيْرٍ، وَهُوَ صَغِيرٌ، لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ، نَعَزِيَّةً لِأَبِيهِ
وَعَمِّهِ عَنِ الْمُنْقُودِ * وَإِحْيَاءَ لَذِكْرِهِ. وَفِيهَا، مَاتَ أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُدُ بْنُ هُدَيْلٍ *
ابْنُ مَسَّانٍ مِنْ أَهْلِ طَلَبُطْلَةَ بِقَرْطَبَةَ؛ وَكَانَ رَاوِيَةً لِلنَّسَائِيِّ وَغَيْرِهِ، وَحَمَلَ عَنْهُ
الْحَدِيثَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ قَرْطَبَةَ].

وفي سنة ٣١٦، كان غزاه [أمير المؤمنين] الناصر إلى مدينة بْبَشْتَر، بعد
افتتاحها، لتدبير أمرها وإحكام ضَبْطِهَا [فصل من قَرْطَبَة دون بُرُوز، يوم
الثلاثاء للنصف من المحرم، وهو السابع من آذار] وأغرى مع نفسه وليّ عهده
الحكَمَ السُّنْصِرَ بالله، وتخلّف في النصرانية عبد العزيز لِنَفْذِ الكُتُبِ إليه،
ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حُدَيْر، وعلى المدينة أحمد بن عيسى مخلفاً لآبيه
عيسى بن أحمد، وكان الحاجب موسى بن محمد عليلاً، فلم يَغْزُ في هذا العام.
وكانت الطريق على مدينة إِنْجَة، ثم إلى أَشُونَة. واحتلّ بحصن بْبَشْتَر يوم
الأحد لعشر يمين من المحرم، فدخل المدينة، وجال في أفطارها، وعائِن من
[أشرفها و] حصانتها، وعلو مرتفأها، وانقطاع جبلها من جميع جهاته، ما أيقنَ
معه ألا نظير لها في الأرض حصانة ومنعة ولا تساع فرارة. فأكثر من حمد الله
- عز وجل - على ما افتتح [له] منها، وبسر له فيها، والتم الصوم أيام مقامه
بها. ثم دبر بُنيان قصتها على أحسن ما دبره وأحكمه في غيرها، وفرّق رجاله
على هدم كل حصن كان حوالبها وعلى الديارات ^١ الخارجة عنها. وأمر ببش
جيفتي عمر بن حفصون وابنه، فكشفت قبورها، فألقيا مدفونين على ظهورها،
كما يتدافن النصارى، وشهد ذلك عامة النُفُها الغازين مع الناصر (رحمه الله)،
P. ٢١٠ وأيقن [جميع] من شهد ذلك * بهلاكهما على دين النصرانية، فاستخرجاه من
لحودها، وأتى بأعظُمهما [الرجلة] إلى باب السُّدَة بقَرْطَبَة، فرفعت في جذوع
عالية إلى جنب [الملحد] سليمان بن عمر، وصاروا عِظَة للناظرين، وقرت بهم
عيون المسلمين.

وقد الناصر أمر مدينة بْبَشْتَر والضبط لها وإكمال البنيان فيها سعيد بن
المُنْدِير. واستنزل أهل حصون شَت يبطر وبارش وجُطُرُون وغيرها من
المعاقِل، وهبطوا من أجَلهم، وتفرقوا في بسطهم، واستقصيت الحصون خراباً
ونسافاً ولم يبقَ للنصرانية بتلك الجهة حصنٌ مذكور، ولا مَعْقِلٌ مضمور. وعادت

١) الديار A. B.

كُورَةُ رَيْثَ، عَلَى كَثْرَةِ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْحَصُونِ الْمَانِعَةِ وَالْمُعَاقِلِ الْغَائِمَةِ، لَيْسَ فِيهَا جَبَلٌ مَضُوطٌ، وَلَا بَيْتٌ عَدُوٌّ مُحَذَرٌ. وَاحْتَمَلَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فِي حَصُونِ تَاكُزْنَا وَحَصُونِ مَغِيلَةَ، إِلَّا مَا وَجِبَ التَّمَكُّنُ بِهِ مِنْهَا. وَنَظَرَ فِي إِزْعَاجِ مَنْ رَجِبَ إِزْعَاجُهُ إِلَى قُرْطُبَةَ، مَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ تَائِقَةً إِلَى الْفَنَةِ، لِيَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَرَعِيَّةً سَاكِتَةً وَادِعَةً. وَقَدَّمَ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنِ يَسِيلَ الْوَزِيرَ إِلَى كُورَةِ شَسُونَةَ، لِيَهْدِمَ حَصُونَهَا، وَيَسْبِطَ أَهْلَهَا، وَجَمْعَهُمْ إِلَى مَدِينَةِ قُلْسَانَةَ، الَّتِي هِيَ قَاعَةُ الْكُورَةِ. وَأَمَرَ بِاسْتِزَالِ بَنِي دَاوُودَ عَنْ الْحَصُونِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، وَوَلَّاهَا مِنْ عُمَّالِهِ وَثِقَاتِ رِجَالِهِ مَنْ يَحْسِنُ السَّيْرَةَ فِي رَعِيَّةِ تِلْكَ الْحِجَةِ. وَكَانَتْ سَفَرُهُ أَيْمَنَ سَفَرَةٍ، وَأَجْمَعَهَا لِكُلِّ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ. وَاتَّخَذَهُ اللَّهُ! ثُمَّ قَفَلَ يَوْمَ الْأَحَدِ لِحِمْسِ خَلُونٍ مِنْ صَفَرٍ؛ فَدَخَلَ مَبْنَى النَّاعُورَةِ يَوْمَ السَّبْتِ لِأَحَدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ صَفَرٍ، وَقَدْ اسْتَمَّ فِي سَفَرِهِ هَذِهِ سَنَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا.

وَفِيهَا، افْتَتَحَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْفَائِدُ النَّرْسِيُّ مَدِينَةَ لَقَتْ مِنْ تَذْمِيرٍ، وَمَدِينَةَ قَلْيُوشَةَ؛ وَاسْتَزَلَّ عَنْهَا وَعَنِ الْقِصَابِ الَّتِي كَانَتْ حَوَالِيهَا بَنِي الشَّيْخِ، وَقَدَّمَ بِهِمْ ٢١١ إِلَى قُرْطُبَةَ، يَوْمَ السَّبْتِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ شَعْبَانَ. وَاسْتَزَلَّ فِي هَذَا الْعَامِ بَنُو أَبِي جَوْشَنَ مِنْ مَعَارِقِلِ بَلَنْسِيَّةَ، وَكَانُوا فِي ثَمُوسَتَيْنِ رَجُلًا، وَقَدْ أَهْلُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الْفَنَةِ، وَتَعَرَّضُوا لَمَّا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ النِّفْمَةِ؛ فَأَمَرَ النَّاصِرُ بِتَسْيِيرِ أَهْلِ الْحِجَرَانِ مِنْهُمْ، وَالتَّشْرِيدِ بِهِمْ؛ فَقَدَّمَ مِنْ اسْتَحْقَ الْقَتْلِ مِنْهُمْ إِلَى الْمَرْجِ بَيْنَ يَدَيِ قَصْرِ قُرْطُبَةَ، وَضَرَبَتْ رِقَابَهُمْ فِيهِ يَوْمَ دَخُولِهِمْ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، عَزَلَ قُطَيْبُ بْنُ أَصْبَغَ عَنِ الْوِزَارَةِ، وَوَلَّى أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ الرَّؤُوفِ الْمَدِينَةَ وَعَزَلَ عَنْهَا عَيْسَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ؛ وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا كَانَ عَزَلَ جَمِيعَ خُرَّانِ الْمَالِ، وَكَانُوا خَمْسَةً، وَهُمْ: سَعِيدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حُدَيْرٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ حُدَيْرٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْمُنْتَوَلِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَخَالِدُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ شُهَيْدٍ، وَعَيْسَى بْنُ قُطَيْبٍ؛ وَوَلَّى النَّاصِرُ مَكَانَهُمْ أَرْبَعَةَ خُرَّانٍ، وَهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ جَهْوَرٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّجَالِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي قَابُوسَ.

وفيها، امر الناصر بإقامة دار السكنة داخل مدينة قرطبة، لضرب الدنانير والدرهم؛ وولى الخطبة أحمد بن موسى بن حذير يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان؛ وأقام الضرب فيها من هذا التاريخ من خالص الذهب والفضة؛ وصح في ذلك أحمد بن موسى ونحفظ. وكانت مثاقيله ودرامه عياراً معضاً.

وفيها، خرج أحمد بن إلياس القائد غازياً إلى كور القرب؛ فافتتح مدينة ماردة، ومدينة شتيرين بلا حرب، ونزلوا إليه بالأمان، ووفاهم غاية الإحسان. [وفي هذه السنة، رأى الناصر أن تكون الدعوة له في مخاطبات والمخاطبات له في جميع ما يجري ذكره فيه، بأمير المؤمنين، لما استحقه من هذا الاسم الذي هو له بالحقيقة، ولغيره بالانتحال والاستعارة؛ فهو أبسر أمراء المؤمنين والهداة الفاضلين، والأبرار المتقين، من كل متخبط في المشرق والمغرب، وفائم بالحق، وسالك لسيل الهدى والرشد]؛ فعهد إلى أحمد بن يحيى [القاضي] صاحب الصلاة بقرطبة بأن تكون الخطبة يوم الجمعة مستهل ذي الحجة [بذلك]. ونفذت الكتب إلى العمال [فيه، بما اجتمعنا نسخته لما فيها من إعاب القول، واستيفاء الحجة، وظهور الحقيقة. وانسخة الرسالة النافذة في ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإننا أحق من استوفى حقه، وأجدر من استكمل حظه، وليس من كرامة الله ما ألبسه، للذي فضلنا الله به، وأظهر أثرنا فيه، ورفع سلطتنا إليه، وبسر على أيدينا إمرأته، وسهل بدولتنا مرامه، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا، وعُلو أمرنا؛ وأعلن من رجاء العالمين بنا، وأعاد من ائحرافهم إلينا، وإيتبارهم بدولتنا. والحمد لله وحده النعمة والإعلاء بما أنعم به، وأقل الفضل بما تفضل علينا فيه؛ وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا مستحل له، ودخيل فيه، ومتمم بما لا يستحقه. وعلمنا أن النماذج على ترك الواجب لنا من ذلك حق أصغناه، وإسم ثابت أسقطناه. فأمر الخطيب

بَيَّضَ عَيْدُكَ أَنْ يَقُولَ بِهِ، وَأَجْرُ مَخَاطِبَاتِكَ لَنَا عَلَيْهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!
وَكُتِبَ [يَوْمَ الْخَمِيسِ] لِلْيَمَنِيِّينَ خُلُتَا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ٢١٦.

[وَفِيهَا، * عَزَلَ أَفْلَحُ وَدَرِيٌّ مَوْلَايَا النَّاصِرَ عَنِ الْخَيْلِ وَالشُّرْطَةِ. وَوُلِيَ الْخَيْلَ ٢١٣
عِيْدُ اللَّهِ الرَّجَالِيُّ، وَالشُّرْطَةُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي قَابُوسَ. ثُمَّ أُعِيدَ أَفْلَحُ إِلَى الْخَيْلِ،
وَدَرِيٌّ إِلَى الشُّرْطَةِ بَعْدَ شَهْرٍ.

وَفِيهَا، تَوَلَّى إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ اللَّيْثِيِّ خُطَّةَ الْعَقْلِ.

وَفِيهَا، عَزَلَ غَالِبُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّؤُوفِ عَنْ خُطَّةِ الصِّبَاغِ، وَوَلِيَهَا
مُحَمَّدُ بْنُ عِيْدُ اللَّهِ بْنِ مُضَرَ، فِي انْسِلَاخِ حِمَادِي الْآخِرَةِ. ثُمَّ عَزَلَ عَنْهَا ابْنُ مُضَرَ،
وَوَلِيَهَا خَلْفُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ فَرْجِ الْكَاتِبِ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِلْعَاجِبِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ،
وَذَلِكَ لِأَحَدِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خُلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ.

وَفِيهَا، تَوَفَّى مُحَمَّدُ بْنُ الْإِمَامِ الْمُتَنَبِّهِ، وَتَوَفَّى أَحْمَدُ بْنُ بَحْيٍ بْنِ قَاسِمٍ بْنِ
هَلَالِ النَّقْبِيِّ، وَكَانَ مُتَنَبِّضًا، خَيْرًا، صَالِحًا، بَصِيرًا بِالْوَنَائِقِ وَعِلَلِهَا، وَتَوَفَّى عِيْدُ
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ النَّقْبِيِّ، وَكَانَ يَلِي الصَّلَاةَ بِكُورَةِ رَبَّةَ، وَتَوَفَّى مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامِ الْقُرَشِيِّ
الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الشَّهَابِ سِنَةَ بَكُورَةِ شَدُونَةِ، وَهُوَ وَعَائِلُهَا.

وَفِي سَنَةِ ٢١٧، [كَانَ ظَهْوَرُ الْحُلِّ، وَاحْتِسَاسُ الْغَيْثِ، وَغَلَاةُ الْأَسْعَارِ،
فَعَهْدُ النَّاصِرِ بِالِاسْتِسْقَاءِ بِجَامِعِ قُرْطُبَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِلْبَلَةِ بَقِيَتْ مِنَ الْحَرَمِ، وَذَلِكَ
فِي شَهْرِ أَذَارٍ. وَاتَّصَلَ الْاسْتِسْقَاءُ فِي الْجَامِعِ وَمُصَلَّى الرِّضِّ وَمُصَلَّى الْمُصَاصَةِ.

وَفِيهَا، كَانَتْ غَزَاةُ النَّاصِرِ إِلَى (مَدِينَةِ) تَطْلَيُْوسَ، لِمُحَارَبَةِ أَهْلِهَا وَابْنِ
مَرْوَانَ الْمُتَنَبِّئِ عَلَيْهِ فِيهَا، [فَبَرَزَ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - لَغَزَاتِهِ هَذِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ
لِعَشْرِ خُلُوفٍ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ عَشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَ، وَفَصَلَ
مِنْ قَصْرِ قُرْطُبَةَ] يَوْمَ السَّيْتِ لِأَحَدِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خُلَتْ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرَةِ، [وَهُوَ
الْيَوْمُ الرَّابِعُ عَشْرِينَ مِنْ آبَارٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ بَرُوزِهِ بِأَحَدٍ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا]. وَ[أَغْرَى]

مَعَهُ [وَلَّى عِيْدَهُ] الْحَكَمُ [الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ]، * وَابْنَهُ مَنِّزَرًا، وَتَخَلَّفَ فِي الْقَصْرِ ابْنُهُ ٢١٤.
عِيْدُ الْعَزِيزِ [لَتَنْفِذِ الْكُتُبِ إِلَيْهِ، وَمِنْ الْوُزَرَاءِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حُدَيْرٍ، وَعَلَى

المدينة أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف]. وكان احتلاله بالجيش على
 [مدينة] بَطْلَيْوس يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر. [وواضعهم الحشم
 القتال في أفنتهم وعلى أبواب دورهم، وتغصوا عليهم داخل أرباضهم، وقتلوا منهم
 في ثاني احتلالهم عليهم جملة يُعْتَرُ رؤوسهم إلى قُرْطُبَة. وقُطِعَت غارم، وأُحْرِقَ ما
 أخلوه من ديارهم خارج سورهم؛ وبقيوا محصورين في المدينة]. وأقام عليهم الناصر
 عشرين يوماً؛ ثم أتى عليهم أحمد بن إسماعيل في قطيع من الجند؛ وانتقل إلى
 جهة ماردة؛ فأصلح الأحوال بها، [وولاهما محمد بن إسماعيل، وندب معه عدة
 من الحشم]. ثم عاد - [رحمه الله] - إلى [مدينة] بَطْلَيْوس؛ فاضطربت عساكره
 عليها [من غير الجهة التي كانت اضطربت فيها أولاً]؛ وتولى من نكائهم وألبس
 محاصرتهم، ما أذاقهم به وبال عصيانهم، [وعاقبة غيهم]، وضلالهم. ثم أرتب
 عليهم أحمد بن إسماعيل [فائداً في جيش كثيف، ورجال متفين، وعدة كاملة]،
 وأمره بالنشد في حصرهم، والاستبلاغ في مضايقتهم. وانتقل ناعصاً إلى مدينة
 باجة؛ [فتزلما يوم الأحد مستهل جمادى الآخرة]، واضطربت عساكره عليها،
 ونفدتم بالإعذار إلى عبد الرحمن بن سعيد [بن مالك] الذي كان بها، ودعاه إلى
 P. ٢١٥ الطاعة؛ فلاذ والتوى؛ فقصبت المجانيق عليه، وخوِّب أشد محاربة، [وقتل
 من رجاله عدد كثير. وانحطت بعض أبراج المدينة بن كان عليها؛ فضررت
 رقباهم بين يدي المظلل]؛ فاستأمن عبد الرحمن بن مالك، [وأهله، وجميع]
 أهل باجة أمير المؤمنين (الناصر)، وخضعوا لأمره، ونزلوا على حكمه؛ فأوسعهم
 أمانه، [وأخرجوا عن المدينة]، ونقلوا إلى قُرْطُبَة. ودخلها الناصر، وولاهما عبد
 الله بن عمر بن مسلمة، وندب معه فيها قوة، [وأكلف له الجمع والعنة]،
 وأمره بابتناء قصبة [فيها]، يتقرب بها العايل ويسكنها.

وكان مقام الناصر على باجة خمسة عشر يوماً. [ثم انتقل منها فاصداً إلى مدينة
 أكتونية بقرى الساحل الغربي من البحر المحيط؛ فاجل بها يوم الإثنين لسبع
 بقين من جمادى الآخرة؛ وكان قد افتتح في طريقه حصن الوقاع، وأصاب فيه

اختلف بن بكر صاحب أكتونة أميلاً وعدة وسلاحاً، فغرم ذلك التحشم وأهل
العسكر، وصار لهم نفعاً. ثم تلقى رسل خلف بن بكر أمير المؤمنين، مظهراً للإلانة،
ومتزاماً للطاعة، ومنوئلاً ببعد الدار والقاصية، وأخرج إلى الناصر التزائل، وأقام
له الوطائف، والتزم إذرار الجاية الكامنة؛ وأظهر أهل ذلك الجانب فيه رغبة
شديدة، ووصفوه بسيرة حميدة؛ فأقره الناصر عليهم. وفرض عليه من الجاية
ما التزم إبراده له في كل عام، وعهد إليه بخمن السيرة، والرفق بالرعية، والآن
يقبل نازعاً، ولا يكتف هارباً؛ فالتزم جميع ما أمر به، ووفى عند ما حُدَّ له.
وقتل [الناصر عن مدينة أكتونة يوم السبت للثين بقينا من جمادى
الآخرة]، ودخل القصر [قرطبة يوم الأحد] لأربع عشرة ليلة خلت من رجب،
وقد استم في غزاه ثلاثة وتسعين يوماً.

مُطالعة [أمير المؤمنين] (الناصر) لببشتر في الشتاء

وفي هذه السنة، كانت للناصر خروجه من قصر الناعورة، مُطالعة لببشتر
ومعاًين لما قام من الشبان بها، وما تم من ترتيبه فيها. [وكان خروجه من مدينة
الناعورة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال، ونزوله بجبل لبشتر يوم
الخميس لعشر بقين منه. فدخل المدينة، وجال فيها. وأحكم ما له قصد من
أمرها؛ ثم صدر عنها في اليوم الثاني، ودخل القصر بالناعورة يوم الثلاثاء لأربع
بنين من شوال]؛ وكانت مدة توجهه وانصرافه ثلاثة عشر يوماً.
ومرددت النوحات في هذا العام بوقائع كانت على أهل بطليوس؛ وبعث
أحمد بن إسحاق من أهلها سبعين أسيراً، فقلوا صنواً بين يدي قصر قرطبة.
وافتححت [فيه] مدينة شاطبة من بكنسية، واستنزل عنها عامر بن أبي
جوشن [على يدي دُرَيْي بن عبد الرحمن صاحب الشرطة؛ واشترط عامر بسكنى
شنت بريئة، حتى يأخذ في انتقال ثقله وعياله إلى قرطبة].
وفي هذه السنة، ولي الناصر عبد الملك بن عمر بن شهيد، وعيسى بن أحمد

ابن أبي عقبة الوزارة، وسعيد بن سعيد بن حدير الشرطة الوثلي؛ ولم تكن
قل هذه الحطة، وفيها، ولي خالد بن أمية بن شهيد الخزانة ولاية ثانية، وولي
عبد الرؤوف بن أحمد بن عبد الوهاب حطة العرض.

وفي سنة ٢١٨، كان افتتاح مدينة بطليوس [وذلك أن أهلها وابن مروان
صاحبها، لما أخذوا الحصار، وطاولتهم الحرب، وفي رجاءهم، واشتد عليهم،
P. ٢١١ وقطعت ثرائهم، ورأوا عزماً لا فترة فيه، وجداً لا بقاء لهم عليه، استأمنوا
الناصر، وعادوا بصفحة؛ فأوسعهم ما أوسع أمثالهم قبلهم]. واستقل ابن مروان
الحقيقي وأهله، وذوي الشوكة من صبه، [وأسكنهم قرطبة، وألحقهم في الملاحق^١
السنية]؛ وملك المدينة وولأها عماله، [وصارت بسيل كورة].

وفيها، أخرج الناصر (لدين الله) أهل الثقة من خدمته، [والأملنة والنصحيح
من فقهاء بصره] إلى أهل طليطلة، معذراً إليهم، داعياًهم إلى الطاعة
[والدخول فيما صارت إليه الجماعة، إذ كانوا لا يوتون جباية، ولا يلتزمون
طاعة، ولا يتناهون عن منكر ولا معصية]؛ فلأدوا بمعاذير الخاصة، وجاوبوا
الناصر بما لم يصح إليه من غشهم وتمرصهم؛ فاستعزم على غزوهم، وشمر لمناهضتهم
[وانزال بأسه بهم. وبرز للغزو في الصائفة إليهم في صدر ربيع الآخرة سنة ٢١٨،
وفي شهر نيسان من العام المؤرخ]. وقدم الوزير سعيد بن المنقير إلى مدينة
طليطلة في جيش كبير وعدد جم، وأمره بالاحتلال عليها والمخاصرة لها، حتى
يلحق الناصر بجيوشه وصوف حشمه [بها]. فخرج إليها الوزير [يوم السبت لثمان
بني من ربيع الآخر، وأخذ السير نحوها]، حتى نزل بساحتها. [وأخذ في ما
حد له من محاصرتها بأبلغ عزم وأسم حزم]؛ ثم فصل أمير المؤمنين إلى [مدينة]
طليطلة [يوم الخميس] لثلاثين خلثا من جمادى الأولى، [وهو لخامس عشر من
من أيار]؛ وأغزى مع نفسه ولي عهده الحكم المستنصر بالله ومندراً ابنه؛

^١ وألحقهم في الملاحق G.

وتخلف في النصار أبنه عبد العزيز لتنفذ الكتب إليه، ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حذير، وعلى المدينة أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف. ٢١٨
فلما احتل (رحمه الله) في طريقه بحلة القدر، وقرب من حصن مؤرة الذي كان اتخذه أهل طليطلة شجاً على المسلمين، واسترحاً للفسدين، وقدموا عليه منهم مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب، فسلم إليه من أنذره وخوفه، وأمره بالخروج عن الحصن وإسلامه. فبدر إلى ذلك يداراً لم يجد منه بدءاً، ولا في الامتناع طمعاً، ونزل عن الحصن. وأمر الناصر بضبطه، ثم نهض بجيشه المؤيدة، وعزيمته الماضية، حتى احتل محلة جرنكش قرب طليطلة، وذلك يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى. فأشرف من محلة هذه على سفلة طليطلة ونهرها، وأرجتها وكرومها، ودبر رأيه في أمكن المواضع من محاصرتها، وأقرب الجهات الآخذة بمخاض أهلها، فرأى التول بحلة السفرة على باب المدينة أبلغ في النكاية، وأشد في المضايقة، فارتحل إليها في اليوم الثاني، وأخذ في نكاية العصاة، بما لم يجز لهم على ظن. وأقام بهذه المحلة سبعة وثلاثين يوماً، يوالى فيها بنكايتهم، وقطع ثراهم، [وتخريب قراهم، وانساقب رعيهم، ونحطيم زروعهم] ثم أمر بالبيان في جبل جرنكش لمدينة سماها بالنجح، [وأرتب لبيانها سعيد بن المنذر الوزير]، وأمر بنقل الأسواق إليها، والسدين لها، [اتكثر مرافق أهل العسكر بها]، وأرتب محمد بن سعيد بن المنذر [على باب الفنطرة في جمل من الحتم، وعهد إليها بالاسلأغ في محاربة النوم. وقدم على الناصر بمحله على طليطلة صاحب حصن قبيلش وصاحب حصن النهمين، ٢١٩
معنصبتين بطاعته، فأمر بنقلهما إلى قرطبة، والتوسع عليهما، ومكافأة نزوعهما وقصدها]. ثم قفل [الناصر عن مدينة طليطلة يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة]، ودخل النصار [بقرطبة يوم الاثنين] لأربع خلون من رجب، وقد استتم في غزاته أحداً وستين يوماً.
[وفي هذه السنة، ولي الموارث طرفة بن عبد الرحمن صاحب المطبخ، وولى خزانة السلاح أحمد بن أبان بن هاشم، وحفص بن سعيد بن جابر.

وفيها، مات للناصر ابن يَسَى بِمَحْمَد. وفيها، مات أُمَيَّة بن مُحَمَّد بن أُمَيَّة ابن عيسى بن شَيْد. وفيها، تُوُفِيَ هَاتِم بن مُحَمَّد التَّجِيبِي. وفيها، تُوُفِيَ مُحَمَّد بن ابراهيم بن الْحَبَاب الفقيه، صاحب الوثائق، يوم الإثنين لثلاث خَلَوْنَ من شهر رمضان؛ وتُوُفِيَ صَبَّاب بن مَبْع قاضي إِسْطِيسِيَّة؛ وتُوُفِيَ أَبُو غَالِب مروان بن عُيَيْد الله بن يَسِيل.

وفي سنة ٢١٩، [أُبْرِز السَّرَادِق والآبِيَّة إلى الْمُضْطَرَب المعروف بِقُصص السَّرَادِق بِجَوْفِي النهر الأعظم؛ ثم برز الناصر إلى هذه المَحْطَة لغزاة نَوَاهَا إلى مدينة طَلَبُطَّة؛ ولم يَنْمُ عِزْمُهُ عَلَيْهَا إِذْ اسْتَفْنَى بِالْقُوَادِ الْمَرْبِيَّينَ عَلَى الْمَدِينَةِ، الْحَاصِرِينَ لِأَهْلِهَا؛ وَأَكْنَفَ لِلْقُوَادِ بِهَا الْخَيْلَ وَالْعُدَّةَ، وَأَمَدَّهُم بِالسَّلَاحِ، وَأَكْدَّ بَصَائِرَهُمْ فِي الْحَدِّ وَالْعِزْمِ وَالْإِسْلَاحِ فِي نَكَايَةِ الْمُفْسِدِينَ الْمُغْتَرِبِينَ مِنْ أَهْلِهَا].

(وفي سنة ٢١٩، كَاتَبَ مُوسَى بْنُ أَبِي الْعَاقِيَةِ، صَاحِبُ الْغَرْبِ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرَ، وَرَغِبَ فِي مَوَالِيهِ، وَالدَّخُولَ فِي طَاعَتِهِ، وَأَنْ يَسْتَجِيلَ لَهُ أَهْوَاءُ أَهْلِ الْغَرْبِ الْمَجَاوِرِينَ لَهُ؛ فَتَقَبَّلَهُ أَحْسَنَ قَبُولٍ، وَأَمَدَّهُ بِالْخَلْعِ وَالْأَمْوَالِ. P. ٢١) وَفَوَّى أَيْدَهُ عَلَى مَا كَانَ بِمَحَاوِلِهِ مِنْ حَرْبِ ابْنِ أَبِي الْعَيْشِ وَغَيْرِهِ. فَظَهَرَ أَمْرُ مُوسَى مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي الْغَرْبِ، وَتَجَمَّعَ لَهُ كَثِيرٌ مِنْ قِبَائِلِ الْبَرْبَرِ، وَتَغَلَّبَ عَلَى مَدِينَةِ جَرَّاءَةَ، وَأَخْرَجَ عَنْهَا الْحَسَنَ بْنَ أَبِي الْعَيْشِ بْنِ إِدْرِيسَ الْعَلَوِيِّ؛ وَجَرَتْ بَيْنَهَا حُرُوبٌ عَظِيمَةٌ.

وفيها، انْتَحَتِ النَّاصِرُ مَدِينَةَ سَبْتَةَ؛ فَشَكَّهَا بِالرِّجَالِ، وَأَتَقَنَّا بِالْبِيَانِ، وَبَنَى سَوْرَهَا بِالْكَدَّانِ، وَأَلْزَمَ فِيهَا مِنْ رَضِيَّةٍ مِنْ قُوَادِهِ وَأَجْنَادِهِ؛ وَصَارَتْ مِفْتَاحًا لِلْغَرْبِ وَالْعِدَوَةِ مِنَ الْأَنْتَلَسِ، وَبَابًا إِلَيْهَا كَمَا هِيَ الْحِزْبَةُ وَطَرِيفُ مِفْتَاحِ الْأَنْتَلَسِ مِنَ الْعِدَوَةِ. وَقَامَتِ الْمُخْطَبَةُ فِيهَا بِاسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ، لِثَلَاثِ خَلَوْنَ لِرَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْعَامِ الْمَوْرُخِ).

[وفيها، اتَّصَلَ بِالْقُوَادِ الْحَاصِرِينَ لَطَلَبُطَّةَ أَنَّ الْعِدُوَّ بِذَلِكَ الْجَانِبِ عَمِلُوا عَلَى الْخُرُوجِ لِإِقْتِرَاصِ غَرَّةٍ فِي بَعْضِ ثَغُورِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَفَرَّ إِلَيْهِمُ الْوَزِيرُ أَحْمَدُ بْنُ

محمد بن حذير من فرطية في جملة من الحشم ومن خلف من المسلمين؛ فلما بلغ أعداء الله خروجهم، توقفوا عن حركتهم، وقرؤا في بلادهم؛ وكفى الله المؤمنين مصرتهم. فلحق القائد أحمد بن محمد بن حذير طلبة، ونازلها مع القواد المرتين فيها.

وفيها. خرج بالأنطول أحمد بن محمد بن إلياس، ويونس بن سعيد قائدين في البحر، يوم السبت للبتين خلفا من جمادى الأولى، في عدة، ومراكب جملة، ورجال كثير، وصوف من البحرين والمقاتلين؛ فجازا مرسى الجزيرة، واحلأ العدو، وحاصرا ابن أبي العباس، إذ كان على مخالفة لمن دخل في طاعة أمير المؤمنين من أهلها، ومحاربة لموسى بن أبي العافية ولبنه ومقيم دعوته والداخل في طاعته؛ ثم حال الشتاء بينها وبين الصنادي على المحصار والمطاولة؛ فقتلا بالأنطول ومن فيه.

وفيها، عزل أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرزوف عن المدينة، وقدم إلى الوزارة؛ وولى * المدينة يحيى بن يونس القبري^١؛ وذلك في غرة جمادى الأولى. ثم عزل يحيى بن يونس عنها، وكانت فيه جدّة ومحاربة لأهل الحرم، وولياها عبد الحميد بن بسيل الوزير في شوال.

وفيها، ولى خطة العرض عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرزوف، وولى الضباع محمد بن عبد الله بن مضر، وعبد الله بن معاوية بن بزيّل مشركين. وفيها، ولى الناصر، من تحت يدى ولى العهد المستنصر بالله، أحمد بن هاشم بن أحمد بن هاشم مولا عمالة عبلة وفتيانة من البصرة.

وفيها، مات أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن خالد بن عبد الله بن حسين بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو مولى عثمان بن عفان (رضه)؛ وكان قاضي الجماعة بفرطية، وله رحلة وسباع؛ وكانت فيه صلابة وإنفاذ للعق على وجوهه؛ وعزل عن القضاء قبل وفاته إذ أخذه

المكبر، وضعف عن التعود للأحكام؛ وكانت وفاته يوم الأربعاء لست خلون من شعبان، وهو ابن سبع وثمانين سنة.

ومات في هذا العام فضل بن سلمة الفقيه البجائي، وكان له سماع وثألف حسن؛ وتوفي محمد بن قطيس الفقيه الحديث بالبصرة؛ وتوفي أحمد بن حامد الزجاجي في جمادى الأولى.

وفيها، ماتت السيدة ابنة الإمام عبد الله لثمان بقين من ذى الحجة؛ وكانت قد نافرت أمير المؤمنين الناصر أيام حدائته وقبل إفضاء الخلافة إليه، وهو حينئذٍ ولد في القصر بين يدي الإمام عبد الله جده؛ وطالبت وأذنت عند أبيها عبد الله الإمام؛ فلما ولي الناصر، لم تشك في معاقبته لها، ومجازاته لسوء معاملتها؛ فكان الأمر على خلاف ظنها؛ وقرب الناصر مكانها، ورفع منزلتها، واختصها في جملة من اختص من أهله وبنات أعمامه، حتى صارت أقرىهن محلاً.

وفيها، توفي عبيد الله بن يفر، وكان منصرفاً في العالات والقيادة، وذلك يوم السبت لثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة. P. ٢٢٢

وفي سنة ٢٢٠، كان غزو الناصر إلى [مدينة] طَبَطْلَة، [غزاه الثانية التي فتحت فيها عليه. فبرز له الغزاة في صدر جمادى الآخرة سنة ٢٢٠، في شهر حَزِيرَان من العام المورخ، وفصل يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من رجب، وهو اليوم الحادي عشر من شهر، مع ولي عهده الحَكَم السُّنْصِصِر بالله أمير المؤمنين. وتخلّف في القصر ابنه عبد العزيز لتنفذ الكتب إليه؛ ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حُدَيْر، وعبد الحميد بن بَسِيل، وكان صاحب المدينة].

وكان أهل طَبَطْلَة، لما أخذهم الحصار، واشتد عليهم النضيق، ولازمهم القواد، فد استجاشوا بالمُشْرِكِينَ، واستجدوهم، ورجوا نصرهم لهم؛ فلم يُغْنُوا عنهم قتيلاً، ولا كشفوا عنهم عذاباً، ولا جلبوا إليهم إلا خزيًا وهوانًا. وخرج القواد المحاصرون لهم إلى الكفرة؛ فهزموهم، وفرقوا جموعهم، وانصرفوا مولين.

على أعقابهم، خاذلين لمن انتصر بهم، أورجا الفيلث من قبلهم]. فلما ينس
أهل طليطلة أن ينصرم أحد من بأس الله الذي عاجلهم، وانتقامه الذي
طاولهم، عاذوا بصبح أمير المؤمنين، وسألوه تأمينهم، وضرعوا إليه في اغتفار
ذنوبهم، فخرج لاستئصال أهل طليطلة، وتوطيد طاعته فيها، وإحكام نظره بها.
في التاريخ الذي قلنا ذكره، [فتزل عليها بحلة جرنكش، يوم الأربعاء لحس
بقين من رجب، وقد كان بدر إليه ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث مثلما،
وتلقاه قبل نزوله بها، * معترفاً بحيلة، ومستغيلاً من زكته، فغنا عنه الناصر، ٢٢٢
وعاد عليه بفضله. ثم آمن أهل طليطلة، وخرجوا إلى العسكر، ونالوا المرافق
فيه، وابتاعوا المعايض التي طال ما أجهدم عدوها، ومنعهم الحصار منها،
فعرفوا غبطة ما صاروا إليه من الأمن بعد الخوف، والسعة إثر الضيق،
والانسياط بعد طول الانقباض]. ثم ركب الناصر [إلى مدينة طليطلة] في اليوم
الثاني من نزوله بحلته عليها، ودخلها، وجال في أقطارها، فرأى من حصانتها،
وشرف قاعدتها، وانتظام الأجنل داخل مدينتها، وامتناعها من كل الجهات
بواديا ووعرها، (وطيب موائها وجوهرها)، وكثرة البشربها، ما أكثر (له) من
شكر الله (عز وجل) على ما منحه فيها، وسهل له منها، وعلم أنه، لولا ما أخذ
به من الجدة والعزم في أمرها، لبا ملكث مع حصانتها ومنعتها (مع اتساعها وانساح
أقطارها)، ولما اعتاده أهلها من مداخلة المشركين [وموالاهم]، والاستعداد
على الخلفاء بهم، فكم أغبت الملوك، وامتنعت من العسكر، وانصرفت عنها
الصوائف بغير نجاح، ولكن فضل الله (عز وجل) الذي أعطاه أمير المؤمنين،
وصنعه له، وتأيدته إياه أجرى افتتاحها على يديه. ثم دبر فيها بناء محكماً
متقناً، ليكون مستقراً للقواد المسلمين فيها، وزماماً على ساكنيها، وأرتب على
البيان بها دُرَيْي بن عبد الرحمن قائده، وملاها رجالاً وعدة وسلاحاً. وركب
إليها الناصر، وأمر بهدم ما وجب هدمه في المدينة، وتردد عليها ثمانية أيام حتى
أكمل فيها ما دبره، وهذب ما أراده. وفتحت أسوار البيان الذي أمر به؛

P. ٢٢٤ واطمأنت * بأهل المدينة المدار، وفتحوا المحانث، وانتشروا في الأسواق؛
وانبسطوا في أفنيهم وأبواب مساجد، آمين، والحمد لله. ثم قفل الناصر عن
محلته بطليطلة، يوم السبت لست خلون من شعبان، ودخل الناصر بقرطبة يوم
السبت لعشر بقين منه، وقد استتم في غزاته سنة وثلاثين يوماً.

أوقبها، صنع الناصر لضروب رجاله ومواليه وصنوف أجناده وحشيه ممن
شاهد فتح طليطلة معه، وأفق ذلك تطهيره لبعض به الأصاغر.

وفيها، عزل عن خزانة المال محمد بن عبد الله بن حذير، وعبد الرحمن
ابن عبد الله الزجالي، ونقل أحمد بن عيسى بن أبي عبدة عن الخزانة إلى
قيادة بجانة. وأقر من الخزانة خالد بن أمية بن شهيد، ومحمد بن جهور بن
عبد الملك، وولى مكان المعزولين عنها سكن بن إبراهيم، وأحمد بن محمد
ابن مشير.

وفيها، ولى الخال سعيد بن التام خطة العرض.

وفيها، ولى المدينة قطيس بن أضح لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال.

وفيها، ولى العرض محمد بن قاسم بن طلس. وفيها، ولى السكة يحيى بن
القبري^١، وذلك يوم السبت لأربع خلون من شوال، وعزل هذا النهار عنها
أحمد بن محمد بن موسى بن حذير.

وفيها، توفي أحمد بن أبي نوفل القريشي، وهو أحمد بن محارب بن قطن
ابن عبد الواحد بن قطن بن عصمة بن أنيس بن عبد الله بن جحوان بن
عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن زهير، وكان منبضاً مترهداً،
وبلغ من السن خمساً وسبعين سنة.

وفيها، مات الحاجب موسى بن محمد بن حذير، للنصف من شهر صفر ليلة
الأحد، بعد صلاة المغرب، وبلغ من السن خمساً وستين سنة. وفيها، توفي
* عيد الله بن عبد الله الزجالي، وكان على الموارث والبيان، في رمضان،

وهو ابن إحدى وأربعين سنة. وفيها، مات أحمد بن محمد الزجالي، وكان قد تصرف في الخدمة، وله أدوات وحركة، وتوفي فيها عمران بن أبي عمر المنطبي، وكان قد كفت بصره، وهو من المتطرفين المنطبيين، وصحب الملوك، وخفت على أمير المؤمنين الناصر، وكان يوصله ويخضره بحاليس راحته، وهو أعمى.

وفي سنة ٢٢١، وصل الخبر إلى قرطبة بولاية أبي المنصور بن المعتز مدينة سجلماسة، وهو غلام ابن ثلاث عشرة سنة، فمكث في ولايته شهرين، وقام عليه ابن عمه محمد بن التتج، وأخرجه منها، وتملكها، وتسمى بأمر المؤمنين، وتلقب بالشاكر لله، وذلك بعد مدة نحو من عشرين سنة، وضرب الدنانير الشاكرية.

وفي سنة ٢٢٢، وصل الخبر إلى قرطبة بوفاة أمير إفريقية عبيد الله الشيعي الملقب بالمهدي، وتقدم ذلك أبي القاسم الملقب بالقاسم بأمر الله.

وفي سنة ٢٢٢، وصل إلى مدينة فاس مبسور الصقلي فائد أبي القاسم الشيعي أمير إفريقية، فحاربه أهل فاس سبعة أشهر، ولم يقدر عليهم، ثم حاصر ابن أبي العافية، واستعان عليه ببنى إدريس، فانجلى ابن أبي العافية إلى الصغراء، وصار جميع ما كان لابن أبي العافية لبني إدريس، وقد تقدم خبر بني إدريس.

وفي سنة ٢٢٤، ظهر أبو يزيد مخلد بن كبداد بإفريقية على أبي القاسم الشيعي، وذلك في جبل أوراس، وقبلة فلاح كثيرة يسكنها هؤارة وغيرهم، وهم على رأي الخوارج.

وفي سنة ٢٢٥، أمر الناصر ببناء مدينة الزمراء، وكان يصرف فيها من الصخر المنجور سنة آلاف صخرة في اليوم، سوى التلبط في الأساس، على ما أذكره بعد.

1) Les développements relatifs aux années 324 et 325 manquent dans B.

P. ٢٢٦ وفي سنة ٢٢٧، * قام بالغرب الأقصى أبو الأنصار بن أبي عَفِير البرغواطى بعد موت أبيه، وكان يفتى بالعهد والوعد، وهو الذى بعث زُمُورًا البرغواطى رسولاً الى الحَكَم السُّنْصِص بالله، ابن أمير المؤمنين الناصر.

وفي سنة ٢٢٩، استتم القائد أحمد بن محمد بن إلياس مدينة سَكَنان، وشحنها بالرجال، واتخذ فيها الأَطْعِمَة والأَسْلِحَة؛ فأخرج الناصر إليها أحمد بن بَعْلَى قائداً فى ضروب من الحَكَم، ضمهم إليه؛ فنفذ إليها فى صفر من هذه السنة؛ فلما كان فى غُرَّة جمادى الأولى منها، وفى فَتَح من قَبْل أحمد بن بَعْلَى القائد بسَكَنان الحديثة؛ بدخول كان له منها الى جهة من عَمَل الطاغية رُدْمِير؛ فقتل وسى وأسر، وأرسل مع كتابه الى قرطبة مائتى عِلج أسراء؛ وكان هذا أول فَتَح لابن بَعْلَى أَذْل به الطاغية رُدْمِير.

وفي سنة ٢٣٠، فى المحرم من هذه السنة، طلع كَوَكَب الزُّبَابى فى الأُفق الغربى بقرطبة إزاء المغرب، مُعْرِقاً عنها، يكاد يَنصَل بالفلكة العُلبا فى رَأْي العين؛ وكان أول ليلة لاح فيها للأبصار ليلة السبت لثلاث بقين من المحرم منها، وفى ليلة سِت عشرة خَلَّت من أَكْثَوَسِر؛ وغادى طلوعه مستعلياً مكبراً فى السماء حتى توارى^{١)}.

وفي سنة ٢٣١، فى يوم الخميس لحس خَلَوْن من صفر منها، دخل الوزير القائد أحمد بن إلياس الى قرطبة قافلاً عن غزائه الى الثغر التى خرج إليها فى غناب شَوَّال من سنة ٢٣٠ قبلها، الى ثلاثة أشهر ويومين من خروجه عنها؛ ودخل فى سفرته هذه كُورَة تَدْمِير؛ فأزال الالتيات^{٢)} الواقع من أهلها إزالةً، وقدم برهائن بعضهم؛ وكان أثره جبلاً. وقبها، كان الهدء العظيم بنهر قرطبة، التالم لتَنطَرنها.

1) Le développement relatif à l'année 330 manque dans B.

2) B. اُخْلَل.

وفي سنة ٢٢٢، أغزى الناصر لدين الله القائد أحمد بن محمد* بن إلياس P. ٢٢٧ إلى جليقية؛ فدخل دار الحرب؛ ففهم، وأحرق حملة من حصونهم هناك، وقفل راجعاً.

وفيها، كانت زلزلة عظيمة بقرطبة، لبلة الاثنين لتضع خلون من ذي القعدة؛ فلم يَرَفْ قط مثلاً ولا سَمِعَ من قوتها؛ ووقعت بعد العشاء الآخرة؛ فدامت ساعة؛ ففرح أهل قرطبة لها فرحاً شديداً، ولجئوا إلى المساجد فيها، وضجوا بالدعاء إلى الله تعالى في كشفها، حتى أغاثهم وصرفها عنهم. وفي صبح لبلة الزلزلة، هبت ريح عاصف ردتها أخرى؛ فافتلعا كثيراً من شجر الزيتون والبن وغيرهما من الأشجار والنخيل، وأطاراً كثيراً من قُرْمَدِ السَّف. ونزل إنبر ذلك مطرٌ وأبل طسق الأرض، وسرد غليظ؛ فقتل كثيراً من الوحش والطير والمواشي، وأتلف ما أصاب من الزرع، وأساء التأثير.

وفي سنة ٢٢٢، «في المحرم، هبت بفرطة ريح عاصف من ناحية القبلة ونزل برد غليظ.

وفيها^١، ظهر بأثونة رجل يزعم أنه من ولد عبد المطلب وأن أمه مريم ابنة فاطمة؛ وادعى مع النسب أنه نبي وأن جبريل ينزل عليه، وسن لأنبائه سناً، وشرع لم شرائع، منها خلق الرأس وغير ذلك مما لا يعقل؛ ثم وقع عليه البحث، فحفي أثره.

وفيها، أخرج الناصر قاسم بن محمد قائداً إلى عدوة الغرب بحرب بني محمد الإدارة الحسينيين للذي^٢ بدا من خلافهم عليه في هذه السنة، ونقصهم للطاعة، بعد ما قدم الكُتُب إلى محمد بن الحبر عظيم زبانة وغيره من ولاته بالغرب، يأمرهم بالاستعداد لذلك والمعونة عليه. وأجاز قاسم البحر إلى ستة في النصف من ربيع الأول؛ فلما تبين ذلك لكبير بني محمد، وهو أبو العيش بن

1-i) Xanque dans B.

2) الذين (D. الذي A.

عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضه). P. ٢٢٨. أسرع الى تحقيق الطاعة * للناصر؛ فعقد له الأمان على نفسه، وأنفذ اليه ابنه محمد بن أبي العيش الى قرطبة، مؤكداً لطاعته؛ فاحتفل السلطان لدخوله احتفالاً عظيماً، وركب الواقد محمد مع مستقيلو من قبل الناصر القائدين أحمد بن يعلى في أهبة^١ راقت العيون وملأت الصدور، ووصل الى قصر الزهراء، وفعد له الناصر أفخم فعود؛ فأوصله الى نفسه، وأبلغ في تكريمه؛ ثم خرج عنه في مثل الهيبة التي دخل عليها. ودخلت بدخول محمد بن أبي العيش في هذا النهار على الناصر رُسلُ لبي عمه الأدارسة أمراء الغرب. وانعقد في هذا النهار كتاب أمان محمد بن إدريس. ودعا الناصر أيضاً محمد بن أبي العيش؛ فبالغ في تكريمه، وأقام بقرطبة بقية هذه السنة في تكريمه. وانصرف الوفد المذكور بعد التزامهم للطاعة للناصر، وذلك في خبر طويل.

وفي عقب سؤال، قدم رسول الخيزر بن محمد بن خزر الزناني أمير الغرب ومعه رسول حميد بن بصل الزناني، يُعرفان الناصر بما كان من دخولهما مدينة تافرت، وأنها أقاما فيها الدعوة له.

وفي منسلخ سؤال، قدم على الناصر رسولان من أبي يزيد مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار، القائم بإفريقية على أبي القاسم الشيعي، برسالة منه يخبر بتغلبه على القيروان ورفادة وعملهما، وإيقاعه بأصحاب الشيعي فيها، وما يعتقده من ولاية الناصر، ويأوي إليه من اعتقاد إمامته. واتصلت كتب أبي يزيد ورُسله على قرطبة من ذلك الوقت الى حين وفاته.

وفي سنة ٢٣٤، جلس الناصر لدين الله لوداع رُسل أهل القيروان الواردين عليه من قبلهم وقبل أبي يزيد مخلد بن كيداد البقرني الناصر بأرض إفريقية P. ٢٢٩. في ذلك الوقت، محسباً في جهاد ملوك الشيعة المنتزعين على إفريقية * من آل

١) أهبة B.

عَيَّدَ اللهُ الدَّاعِيَ؛ وَكَانَ لَهُ فِي الْيَوْمِ عَلَيْهِمْ وَقَائِعُ شَبْعَةٍ؛ فَوَصَلُوا إِلَى النَّاصِرِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَهُمْ ثَلَاثَةٌ نَفَرًا، أَوْجَهَهُمْ تَعِيمُ بْنُ أَبِي الْعَرَبِ النَّيْسَبُورِيُّ؛ فَكَتَبَهُمْ بِمَا تَقَضَّيَهُ رِسَالَتُهُمْ، وَدَفَعَ إِلَيْهِمْ أَجْرِيَّةً مِّنْ أَرْسَلَهُمْ، وَأَذِنَ لَهُمْ فِي الْإِنْصِرَافِ إِلَى بِلَدِهِمْ، وَوَصَلَهُمْ وَكَسَاهُمْ؛ فَانْصَلَقُوا لِسِيْلِهِمْ.

وَفِيهَا، وَصَلَ إِلَى قَرْطَبَةِ رُسُلُ مَلِكِ الرُّومِ الْأَكْبَرِ قُسْتُنْطِينُ بْنُ لِيُونٍ صَاحِبِ الْقُسْطَنْطِينَةِ الْعَظِيمَةِ، بَكْتُبٍ مِّنْ مَلِكِهِمْ إِلَى النَّاصِرِ؛ فَقَعَدَ النَّاصِرُ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ بِفَصْرِ قَرْطَبَةِ^١ لِدُخُولِهِ عَلَيْهِ، وَلَمَّا تَكَامَلَ بِالْبَابِ مِنْ وَقُودِ الْبِلَادِ، بَعْدَ أَنْ أُمِرَ بِاسْتِنْبَاهِهِ بِالْعُدَدِ وَالْأَجْنَادِ. وَاسْتَوَى النَّاصِرُ عَلَى سَرِيرِهِ؛ وَقَعَدَ عَلَى يَمِينِهِ ابْنُهُ الْحَكَمُ؛ وَقَعَدَ سَائِرُ أَوْلَادِهِ عَنْ يَمِينِهِ وَيسَارِهِ؛ وَقَعَدَ الْوُزَرَاءُ وَالْحُجَّابُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ صُفُوفًا. فَدَخَلَ الرُّسُلُ، وَقَدَّمَ قَدَمَا الْهَدَايَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَقَدَّمَ دَهْنًا لِهَوْلِ مَا عَانَوْهُ مِنْ جَلَالَةِ الْمُلْكِ وَوُفُورِ الْجَمْعِ؛ فَصَنَعُوا^٢ بَيْنَ يَدَيْهِ الْخَلِيفَةَ؛ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ لَا يَدْفَعُوا إِلَيْهِ كِتَابَ مُرْسَلِهِمْ قُسْتُنْطِينُ. وَكَانَ الْكِتَابُ مَصْنُوعًا بِلَوْنِ سَمَاءِي، مَكْتُوبًا بِالذَّهَبِ.

وَفِيهَا، كَانَ السَّبِيلُ الْعَظِيمُ بِقَرْطَبَةِ؛ وَبَلَغَ الْمَاءُ فِي النَّجْعِ الْمَعْرُوفِ بِبَرْجِ الْأَسَدِ؛ فَهَدَمَ مِنْ آخِرِ الْقَنْطَرَةِ، وَثَلَمَ الرَّصِيفَ وَغَيْرَهُ.

وَفِيهَا، قَدِمَ عَلَى النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ كَلْبٍ مِنَ الْفَيَّرَوَانِ؛ فَحَكَى أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ بْنِ عَيَّادِ اللهِ الشَّيْعِيَّ هَلَكَ بِالْمَهْدِيَّةِ، وَهُوَ مُحْصَرٌّ مِنْ أَبِي زَيْدٍ؛ وَأَنَّ شَيْعَتَهُ قَتَلَتْ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ مَكَانَهُ، وَأَنَّهُ فَارِسٌ شَجَاعٌ، أَيْئُ النَّفْسِ؛ أَقْدَمَ عَلَى أَبِي يَزِيدَ وَجَمْعِهِ، وَلاَقَاهُ بِمَدِينَةِ سُوَيْدٍ؛ فَانْهَزَمَ أَبُو يَزِيدَ أَمَامَهُ إِلَى الْفَيَّرَوَانِ.

وَفِي عَقِبِ صَفَرٍ مِنْهَا، وَلِيَ خَزَانَةَ السِّلَاحِ عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ هَاشِمِ الْمُتَوَفَّى فِي الْحَرَمِ مِنْهَا.

وَفِي سَنَةِ ٢٣٥، كَانَ ابْتِدَاءُ بِنَاءِ مَدِينَةِ سَالِمٍ بِالْأَنْفَرِ الْأَوْسَطِ. * وَفِي كِتَابِ ٢٣٠.

١) الزمراء. ٢) فصنعوا.

ابن مسعود: في سنة ٢٣٥، اجتمع الناصر مدينة سالم القديمة التعليل بالشفر الأوسط الشرقي، المواجهة لبلد قشتيلة (دمرها الله تعالى)، وفي يومئذ خالصة مقبرة. وأرسل لذلك غالباً مولاة في جيش جرده معه من الحضرة، وأنفذ العهد إلى قواد الشفر بالاجتماع إليه لئبانها؛ فصارعوا إلى أمره، وبُنيت أحسن بناء؛ ونُقِل إليها البناؤون من بلاد الشفر للاختطاط لديارها والرباط بها؛ فتم ذلك في صفر من هذه السنة. وأطمانت الدار بين منزلها من المسلمين؛ واكمل بناؤها وعمرانها على مرور الأيام؛ ففزع الله المسلمين بها، وصبرها شجاً في حلق الكافرين. قال: ووافي في إثر كتاب القائد ابن حدير وابن هاشم كتاب من قبل عامر بن مطرف بن ذي النون إلى الناصر بما فتح الله له في المشركين، وقتل العبد الكثير منهم، وبعثه برووسهم؛ فتمت الفتوح، وعمت الفروح، وعز الإسلام، واستبشر الآنام، وطابت الأيام، بمحمد ولي الإنعام، الذي منه يرجى النعام، عز وجهه!

وفيها، كان القحط الكائن بقرطبة.

وفيها، وصل إلى قرطبة أيوب بن أبي يزيد مغلد بن كبداد اليفرنى الأياضى رسولا من والده أبي يزيد؛ ففقد له الناصر قعوداً؛ فأوصله إلى نفسه، وكرم لقاءه، وأمر بإنزاله في قصر الرضافة؛ وقد أعد له فيه من الثرى والوطاء¹⁾ والغطاء والآنية والآلة²⁾ ما يعد لأمثاله³⁾؛ فأقام هنالك تحت نزل واسع وكرامة موصولة.

وفي سنة ٢٣٦، في يوم الجمعة التاسع من المحرم منها، ورد كتاب قد مؤلى الناصر، القائد يومئذ بطليطلة، يفتح فتحه الله على يده في أعداء الله أهل جليقية؛ ففرى في المسجد الجامع بقرطبة والزقراء؛ وبعث من ذلك برووس وخيل أصبت³⁾ لأعداء الله.

1) Manque dans A. 2) ما أتيته. B. 2-2. 3) أخذت. B.

وفيهما، عزل الناصر عبد الله بن محمد * عن السكة، وخط عليه لتنصر P. ٢٣١
ما كان فيه وأمر بجمته. وقدم عبد الرحمن بن يحيى بن إدريس الأعمى، ونقل
السكة من مدينة قرطبة إلى الزرقاء.

وفيهما، خرج الكاتب جعفر بن عثمان المصعني إلى مئونة وذواتها لإصلاح
ما فسد من حالها.

وفيهما، وصل حميد بن بصل اليكسائي إلى قرطبة فاصداً إلى الناصر من
بلد من المغرب؛ فاستقبل بالجيوش والزينة؛ وكرم الناصر مؤيدته، وأجل مؤيدته.

وفي سنة ٢٢٧، في النصف من المحرم، فقد الناصر بنصر الزرقاء فعوداً
بهيماً؛ فدخل إليه حميد بن بصل؛ ثم وصل بعد منصور وأبو العباس، ابنا
ابن أبي العافية، ودخل معهما حمزة بن إبراهيم، صاحب جزائر بني مرزغان؛
فوصلهم وكسهم، وأذن لهم في الانصراف إلى بلادهم.

وفيهما، حلب بقرطبة علي بن عشرة، من أهل أشبونة، بعد أن قطعت
يداه ورجلاه؛ وكان من المفسدين في الأرض يقطع السبل.
وفيهما، كانت وقعة أرييفرة على العدو (دمره الله).

وفي سنة ٢٢٨، كان قدوم رسل ملك الروم الأكبر صاحب القسطنطينية
على الناصر، راجياً منه إيفاع السوافة واتصال المكانيه؛ فتأهب الناصر لورودهم
عليه، وأمر بتفقيهم في الجيش والعدة؛ وجلس لم الناصر المجلس المشهور الذي
ما نبياً مثله لملك قبله في جلاله الشأن، وعزة السلطان؛ ووصف ذلك
بطول. ودفعوا كتاب ملكهم في رقي مصوغ صاهي مكتوب بالذهب؛ وكان
على الكتاب طابع ذهب، وزنه أربعة مثاقيل، على الوجه الواحد منه صورة المسيح
(عليه السلام)، وعلى الآخر صورة قسطنطين البلك وصورة رآله.

وفيهما، أمر الناصر أحمد بن يعلى وحميد بن بصار اليكسائي بالخروج إلى

بن محمد الأديسة الحسين أمراء المغرب فصلا * من ضم إليهما من الجيش P. ٢٣٢

الى الخضراء؛ وكان خروجهما من قرصة للنصف من رجب. وفي غيبه، قدم على الناصر رسول من بعض المحسنيين. يذكر طاعنهم إليه، وانقيادهم لأمره في هدم^١ مدينة تطاون التي أنكر عليهم بناءها؛ فعند لم في أول شعبان، وأمر بجوارتهم؛ ثم وصل محمد بن أبي العيش المحسني الى الناصر من أبيه أبي العيش؛ فأقبل عليه الناصر، وأبلغ في تكريمه؛ ثم ورد الخبر بوفاء أبي العيش، فأوصل الناصر ابنه محمدًا الى نفسه، وعزاه عن والد، وعقد له على عمله، ووصله، وخلع عليه وعلى الوافدين معه، وصرفهم. فخرج محمد مبادرًا الى عمله بالقرب. وكان، عند وفاة أبيه أبي العيش، قصد ابن عمه قنن الى بلدته؛ فاحتوى على ماله وأهله. ولما بلغ البربر إقبال محمد بن أبي العيش الى بلد من قبل الناصر، رجعوا الى عيسى بن قنن، وقد خرج عن بيكباس؛ فقطعوا به، وكسروه، وسلبوه ما كان أخذه لابن عمه، وقتلوا أكثر أصحابه؛ فلم يخلص إلا في سبعة فوارس.

وفيها، وصل الى قرطبة أحمد بن الأضرابلسي رسول البوري بن موسى بن أبي العافية بكتاب يذكر أنه صح عنه أن الخير بن محمد بن خزر الزناني وصل الى تاهرت، فحاربها؛ فاستنصر أهلها ببسور قائد الشيعي؛ فالتفوا؛ فدارت الدائرة على ابن خزر أول نهارهم، ثم كانت الكرة لزنانه؛ ودخل الخير أمرهم مدينة تاهرت وملكها في غمرة ذي الفعدة، وأخذ قائد الشيعي أسيرًا في عدة من أصحابه؛ ووقع في يد عبد الله بن بكار البقرتي الذي توجه الى الشيعي برأس أيوب بن أبي يزيد؛ فأرسل به الى بعلی بن محمد بن صالح البقرتي ليقتله بواله p. ٢٢٣ بعدما كان أخذ كل ما عنه؛ فلم يرض بعلی بذلك، ولا رآه كغفًا لعبته، فكيف لوالده؛ ودفعه المذكور الى رجل من البربر كان قد قتل ابنه، فقتله به. ودخل بعلی بن محمد ومران، فملكها.

^١ ويعطونه هدم B.

وفيهما، جرت فصة الولد عبد الله بن الناصر التي أراد الله بها ابتلاء أبيه فيه؛ فعجل الوثوب به وبأصحابه آخر هذه السنة؛ عجل عليهم فيها بأقطع العناب؛ فقتلهم؛ وتأتى بابه عبد الله مدينة إلى أن طوَّقه الحُسام في آخر سنة ٢٢٨؛ وكان الحكم آخره ذكر عنه أنه يريد القيام على أبيه؛ فقليل قوله فيه. وكان عبد الله من أهل العلم والذكاء والنبل.

وفي سنة ٢٢٩، أخرج الناصر قائده أحمد بن يعلى نحو جليقية، وجاء في انتهاز فرصة من العدو؛ فأعانه الله عليها، واقحم على غلته؛ فافتتح ثلاثة حصون، وسى نحواً من ألف سية، وانصرف آخر رجب من السنة. وفيها، ورد الخبر بهلك زهير بن أرتون صاحب جليقية؛ فملكك الخلافة أنه أرتون، ونازعه أخوه غزية؛ فجرب بينهم اختلاف أظفر الله به المسلمين. وفيها، وصل إلى قرطبة ابن البوري بن موسى بن أبي العافية أمير الغرب. وورد رسول الأمير الخير أمير زناتة وكبير أمراء الغرب إلى الناصر، يذكر ما أتاح الله له من دخول مدينة تاهرت، وظفره بيسور وعبد الله بن بكار البقرقي قواد الشعب؛ فقرأ كتابه بجامعي قرطبة والزعماء. ثم ورد كتاب عبد الرحمن ابن عبد الله الزجاجي من جهة شنونة، يذكر أن بني محمد الإدارة بالغرب رحلوا إلى حميد بن يصل قائد الناصر، ونزلوا عليه، والتفوا به؛ فكانت الدائرة على بني محمد، وانصرفوا مغلولين.

وفي سنة ٢٤٠، كانت للمسلمين غزوات على الروم، نصرهم الله فيها. منها فتح على يد قائد بطليوس بجليقية، هزمهم أقبج مزينة، قتل جملة من حُباهم ٢٢٤ ومنازلهم، وسى من نساءهم وذرائعهم نساءً على ثلاثمائة رأس؛ ووصل ذلك السى إلى قرطبة ثلاث خلون من المحرم؛ وفتح آخر على يد أحمد بن يعلى قائد الناصر؛ وفتح آخر على يد ريش قائد الناصر على حلييرة؛ وفتح آخر على يد يحيى بن هاشم النجيب.

وفي غُسرَةِ جُمادى الآخرة، وهو الثامن من أَكْتُوبر، هَبَّت بِقَرْطَبَةِ رِيحٍ عاصِفٌ، وتتابع البرق، واشتدَّ الغُول، ونزلت صاعقةٌ في دار أحمد بن هاشم ابن عبد العزيز، فقتلت امرأة، وأبطلت أخرى.

وفي سنة ٢٤١، كان للمسلمين غُزُوٌ في الروم، نصرهم الله فيه، وفُتُوحات ومُنُوحات.

وفي آخر جُمادى الأولى، وردت الأخبار بأنَّ زهير بن مَناد الصنهاجى عامل الشيعى على تاهرت أسر سعيد بن خَزَر زعيم زناتة وكبيرها. وفي هذا الوقت، ورد كتاب ابن بعلَى قائد الأستُول بقبضه لرمز محمد ابن إدريس الحسينى كبير أمراء الأدارسة.

وفي آخر جُمادى الآخرة، وصل الى قرطبة فتوح بن الحُخَيْر بن محمد بن خَزَر كبير أمراء زناتة بأرض الغرب، وأفدًا الى الحضرة، ومعه وجوه أهل تاهرت ووهزان؛ وأدخلت بين يديه الرؤوس التى احتزها للنفوذ المشاركة ووجوههم من رجال إسماعيل الشيعى العيىدى، بَقَعُمُها رأسُ مَبْسُور الخصى ورأس محمد بن مَبْسُون وغيرهما من رؤوس أعلام الشيعة، وعشرة من بُودهم، أدخلت مُكَنَّةً، معها عدة من ملبوسهم؛ فُرُغَت هذه الرؤوس والبُود والطبول على باب قصر قرطبة، وأقيمت له ولبن جاء معه الكرامات الواسعة.

وفي سنة ٢٤٢، قدمت رُسُلُ هُونُو ملك الصَّقَالِيَةِ على الناصر. وقبلها، خرج القائد أحمد بن بعلَى غازيًا الى جِلْفِيَّة؛ فمِنَعَه الله فى الكُفَّار القتل للرجال؛ والسبي للذرية والعيال، وإحراق القرى، وانساف النعم؛ ففُرِيَ كتابه يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ربيع الأول بقرطبة؛^١ وفُرِيَ معه كتابُ القائد غالب، يذكر عظيم ما فتح الله عليه ومنعه من نكاية المشركين؛ ثم دخلت الرؤوس الى قرطبة، ومعها التوابيس والصُّلْبَان، ففُتِرَت عيونُ أهل الإسلام.

١) د. B: مَعْرُتُو.

وفي سنة ٢٤٢، ولي الناصر مدينة طليطلة القائد أحمد بن يعقوب، وصرف عنها محمد بن عبد الله بن حدير.

وفيها، فصل القائد حميد بن بصل، المستأمن إلى الناصر، بالجيش الذي ضمه إليه إلى بلاد الغرب، وخرج معه الفرقي السليماني المستأمن إلى الناصر أيضاً، الذي كان أميراً على مدينتي تنس^١ وأرشفول وما بينهما من أرض إفريقية، فأخرجه عنها قواد السبعي. وإسعه علي بن يحيى، ينسب إلى علي بن أبي طالب (رضه). فكان خروجهما من بين يدي الناصر بعد أن خلع عليها خلع الوداع، بعد خلع نفقت له عليهما يوم قبل وصولهما من دراربع الديباج والخز وعائم الشرب المذمومة وغير ذلك. ودفع لحفيد سبعة عشر ألفاً للنفقة على الجند، ومن أحمال الكسوة سبعة أحمال.

وفيها، وصل إلى قرطبة وفد أزداجة من البربر الذين انحسروا إلى الطاعة، فكساهم الناصر ووصلهم. وورد كتاب فتح من حميد بن بصل قائد الناصر بالعدوة بما فتح الله عليه من مدينة آسلان وانتشار الدعوة الأتوية بنواحيها. وفيها، قدم الحجاج، فذكروا أنه وقع بفسطاط مصر حريق عظيم احترق فيه ستة عشر ألفاً بين دار ومسكن.

وفي سنة ٢٤٤، وردت قواد الثغور لسبع خلون من ربيع الآخر على الناصر، وفيهم غالب، ومطرف، ومحمد بن يعقوب، وعبيد الله بن أحمد بن يعقوب، وهذيل ابن هاشم الثعبي، ومروان بن رزين، وعامر بن مطرف بن ذي النون، يذكرون أنهم دخلوا إلى أرض العدو، وفصدوا حصناً من بلد قشيلة^٢ ٢٢٦. فغلبوا على أرباضه، وقتلوا جماعة من أهله، وقتلوا عنه، فواقمهم جوع البصراية، فأيد الله المسلمين، وانهمز المشركون أمامهم مقدار عشرة أميال، يقتلونهم كيف شاؤوا، فاحصى أنه قتل منهم مقدار عشرة آلاف. وكانت هذه الواقعة بينهم لليلة

١) A. et B. تونس.

بقيت من ربيع الآخر منها؛ فقرأ كتابهم بهذا الفتح المجليل بفرصة؛ ثم وردت إلى قرطبة الرؤوس المختزة في هذه الهزيمة نحو خمسة آلاف رأس؛ فأمر الناصر برفعها على الخشب حول سور قرطبة.

ولسع خلون من جمادى الأولى، كانت بقرطبة زلزلة عظيمة ظاهرة الهزة؛ وعادت زلزلة أخرى مثلها يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منها، وذلك عند الظهر.

وفيها، ثقف الناصر أمور الخدمة السلطانية، ووزعها بين وزرائه؛ فقلد الوزير جهور بن أبي عبدة النظر في كتب جميع أهل الخدمة؛ وقلد الوزير عيسى ابن ططيس النظر في كتب أهل الثعور والسواحل والأطراف وغير ذلك؛ وقلد الوزير الكاتب عبد الرحمن الزجاجي النظر في تنفيذ كل ما يخرج من العهد والتوقيعات، ويستد به الأمر أو الرأي وغير ذلك؛ وقلد الوزير محمد بن حدير النظر في مطالب الناس وحوائجهم، وتنجيز التوقيعات لهم. فالتزم القوم ما أُلزموا؛ فاعتدل بهم ميزان الخدمة، وسهلت مطالب الرعية.

وفيها، ورد كتاب يعلى بن حميد قائد العدة من قبل الناصر بما فتح الله عليه في قائد الشيعي معدي بن إسماعيل صاحب إفريقية من هزيمته له وقتله من قتل من رجاله وغير ذلك. ووصل إلى قرطبة ابن عم حميد بن يصل، ومعه ستة وثلاثون من وجوه كتامة وغيرهم من القبائل المشايخين إليه من عسكر p. ٢٢٧ الشيعي؛ فأمر الناصر بانزالهم، وجلس لهم على سريرته بقصر الزهراء يوم الثلاثاء. لأربع خلون منه؛ فوصلوا إليه؛ فرأوا مقامًا جليلاً، وكلموه، فرد عليهم جيلاداً، وأحسن موعدهم، وأمر بالخلع عليهم، ووصلوا بصلوات جزلات، وأمرُوا بالرجوع إلى القائد حميد بن يصل.

وفيها، أمر الناصر بإطلاق اللعن على ملوك الشيعة بجميع منابر الأندلس، وإنفاذ كُتبه بذلك إلى العمال بسائر الأقطار.

وفي سنة ٢٤٥، وَطَىْ غَالِب، قائِدُ أُسْطُولِ الناصر، أَرْضَ سَوَاحِلِ إفْرِيقِيَّةٍ من عَمَلِ الشَّعْبِيِّ.

وفيها، قَلِمَ مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنٍ رَسُولًا كَانَ مِنَ الناصر إِلَى الطَّاغِيَةِ أَرْثُونَ ابْنِ رُذَيْرِ بْنِ جَلِيفِيَّةٍ، وَمَعَهُ حَسَّاءُ بْنُ شَبْرُوطِ الْيَهُودِيِّ، بِكِتَابِهِ إِلَى الناصر، رَاغِبًا مِنْهُ فِي الصَّلَاحِ؛ فَأَسْعَفَهُ الناصرُ فِي ذَلِكَ عَلَى اخْتِيَارِ وَلَدِهِ الْحَكَمِ، وَاشْتَرَطَ عَلَى الطَّاغِيَةِ شُرُوطًا؛ وَانْقَصَرَفَتْ رُسُلُهُ بِذَلِكَ.

وفيها، قُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَيْشِ الْإِدْرِيسِيُّ أَمِيرُ الْغَرْبِ.

وفيها، خَرَجَ قَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى حُمَيْدِ بْنِ بَصَلٍ الْقَائِدِ الناصرِ بِالْغَرْبِ مِنْ قَرْطَبَةٍ بِأَحَدِ عَشَرَ حِمْلًا مِنَ الْمَالِ وَأَحْمَالِ الْعُدَّةِ، تَقْوِيَةً عَلَى النَّبْزِ عَنِ الدَّوْلَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ بِالْغَرْبِ، وَذَلِكَ لِحَسَنِ خَلْقِهِ مِنْ صَفَرِ مِنْهَا. وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النِّصْفِ مِنْهُ، وَرَدَ كِتَابُ حُمَيْدٍ بِدُخُولِهِ مَدِينَةَ رِيلِيَّانَ.

وفي سنة ٢٤٦، قَدِمَ إِلَى الناصرِ أَمْرَاهُ بَنِي رَزِينَ وَمِنْ الثَّفَةِ إِلَيْهِمْ؛ فَوَصَلَ إِلَى الناصرِ كَبِيرُهُمْ مَرْوَانَ بْنَ مُنْبِلٍ بَنِي رَزِينَ النَّائِبَ بِالسَّهْمَةِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِمْ؛ فَأَذْنُوا وَأَكْرَمُوا.

وفيها، بَرَزَ الْقَائِدُ غَالِبُ النَّاصِرِيِّ إِلَى فَخْصِ الشَّرَاقِ غَارِبًا إِلَى دَارِ الْحَرْبِ؛ فَفُتِحَ عَلَيْهِ فِي بِلَادِ الْمُشْرِكِينَ؛ وَفُتِحَ الْحَصُونُ وَقُتِلَ الْمُنَاقِلَةُ وَانْتَسَحَ بِسَيْطِ عَدُوِّ اللَّهِ غَرْجِيَّةُ بْنُ شَائِبَةَ مَلِكِهِمْ، وَخَرَّبَ ثَرَاءً، وَرَجَعَ بِالْمُسْلِمِينَ ظَاهِرِينَ. وَكَذَلِكَ بَرَزَ الْقَائِدُ أَحْمَدُ بْنُ بَعْلَى لِلْغَزْوِ إِلَى بِلَادِ الْعَدُوِّ نَائِبًا لِلْقَائِدِ غَالِبِ؛ فَوَرَدَ كِتَابُهُ أَنَّ يَوْمَ الْاَحَدِ لِحَسَنِ بَنِينَ مِنْ رَيْعِ الْآخِرِ بَقِيَ عَظِيمٌ تَهَيَّأَ لَهُ فِي غَزْوِهِ إِلَى جَلِيفِيَّةٍ، وَأَنَّهُ نَحَنَ فِي قَتْلِهِمْ، وَحَزَّ مِنْ رُؤُوسِهِمْ أَرْبَعَةً، وَاسْتَأْجَرَ مِنَ الْمَاشِيَةِ وَالْكَرَاعِ مَا نَمَاتَ الْإِحْصَاءَ.

وفي سنة ٢٤٧، أَوَّلَ الْحَرَمِ، أَمَرَ الناصرُ صَاحِبَ الشَّرْطَةِ الْقَائِدَ أَحْمَدَ بْنَ بَعْلَى بِالْخُرُوجِ غَارِبًا إِلَى الْأُسْطُولِ إِلَى بِلَادِ الشَّيْخِ مَعْدَّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ صَاحِبِ

إفريقية؛ فبرز ابن بعلّى إلى محلة الرّيش لغزائه هذه يوم الخميس لثمان خلون منه؛ وكان بروزه فحماً، خرج إليه من النظّارة من أهل قرطبة رجالهم ونسائهم وأبنائهم وولداهم خلق لا يحصى إلا خاليتهم؛ فانتشروا بأكتاف الرّيش على عادتهم؛ فأخذ السفلة منهم والغزاه يتقاذفون بالحجارة حاكين إصنّى القتال؛ فدخل في عرضهم قوم من الصّنجيين من جند السلطان حشوا الضراب بينهم، حتى حمى وطبسه، وقد تكفّ صنيهم من النظّارة الرجال والنساء خلق عظيم. فلم يك إلا ساعة، ودارت بينهم جولة ظهر فيها أحد صنيهم؛ فمالوا على مغلوبهم، وانسطوا عليهم؛ فامتد الصّنجيون بغالب شرم وجهيهم إلى نهب مغلوبهم من الرجال، ونحطّوهم إلى من حولهم من النظّارة، وانسطوا على النساء؛ فلبسوا ثيابهنّ، وفضحوا كثيراً منهنّ؛ فجعل المجردات من النساء يتوّارن في الزرع المكتل، حياء من الناس، وترقباً لوقت تفرقهم. وشرح ذلك بطول.

وفي جمادى الآخرة منها، ورد كتاب قائد الأسطول أحمد بن بعلّى من مدينة آسلان من عمل بليسان، يذكر أن جوهرًا قائد معدّ بن إسماعيل صاحب إفريقية قتل بعلّى بن محمد بن صالح البفريّ صاحب مدينة آفكان غدرا، وأن ابن عمه انتصب مكانه بإقامة (١) من جلّة (١) قومه له، * ورجع القائد المذكور إلى قرطبة معه ولّد ابن قرّة، ابن عم بعلّى بن محمد المتقدّم الذكر، المقدم بعده في قومه بنى بقرن؛ فبولغ في إكرامه.

وفي سنة ٢٤٨، في أول ربيع الآخر منها، خرج علي بن مجي الحسنى إلى شرشل مكايه من العدة قائداً، بن انضم إليه من الحشم، لمكافحة أصحاب الشيعى صاحب إفريقية.

وفي أول ذى القعدة منها، أرسل الناصر إلى نفسه حريز بن منير في جماعة من وجوه الموالى والعرفاء ورجال الجند، بأمرهم جميعاً بالخروج إلى مدينة

سنة من أرض العنوة، مع بدر التقي الكبير صاحب السيف، لتنفيد العدد فيها من أجل جولان جوهر قائد سمعة الشيعي صاحب التمرتان بأرض العنوة؛ فنقدوا لأمره، ومكثوا كذلك إلى أن أمنت الحادثة؛ فانصرفوا مع القائد بدر، آخر ذي الحجة من السنة.

وفي سنة ٢٤٩، كان اجدهاء علة الناصر، وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر، وذلك نصف النهار منه، طرقت أمير المؤمنين الناصر علة الصعبة من الريح الباردة؛ فأزجفت به، وخيفت عليه، وأكبت الأطباء على معالجته، إلى أن ظهر عليه تخفيف^١؛ فنجس^٢ القعود لحاصته في العشر الأول لجبدي الأولى. فوصل إليه النيران الأكابر، وصاحب الطراز، وخواص أكابر العبد كمظفر وذويه؛ فاستبشر أهل المملكة بما بدا لهم من انحطاط مرضه، وسألوا الله كمال عافيته؛ والنصاء قد سقى بموت من علة؛ فلم تنارقه، تعف^٣ حيناً وتثقل حيناً، إلى أن قصت عليه في سنة ٥ التي بعد هذه.

بعض أخبار الناصر (رحمه الله) على الجملة.

كان الناصر (رحمه الله) ملكاً أزال^٤ السلاوة؛ وحسم الأعداء، وفهر الأعادي، وعدل في المحاضر والبادي؛ فدأس الأسوس؛ وعرس الغروس،^٥ وأخذ المصانع والقصور، وترك أعلاماً باقية إلى التفتيح في الصور. فأعجز بالزهراء كمن بها من قصر مشيد، وأثار ملوك صيد؛ قد عادت معايدتها بغيرهم^٦ دارة، وأثارها ثوبهم طامسة؛ تنفى الرياح جنتها، ونكى النجوم على عرصاتها. ولما ولي الناصر لدين الله، اعتز^٧ ركن الدين، وأحمى ذمار المسلمين، وقام المجاهد على ساق، وخمدت نار الخلاف والشقاق، ودخل الناس

١) Dory, Corr. propose تخفيف. 2) Glose marginale dans B. : التنجس. الكلف.

3) A. et B. أدال. 4) معايدهم بمعاها B. 5) أعال.

فِي طَاعَةِ أَفْوَاجًا، وَاسْتَنْفَرُوا^١ إِلَى دَعْوَةِ أَفْرَادًا وَأَزْوَاجًا. فَنَاهَيْكَ مِنْ فَضْلِ
أَعْطَاهُمْ، وَعَدْلٍ أَكْسَفَهُمْ بِهِ وَغَطَّاهُمْ، وَتَكْرِمَةٍ أَنَالَهُمْ بِهَا، وَسَرَرَةٍ أَبَدَى لَهُمْ
مُعَيَّاهَا؛ قَدْ مَلَكَ سِتَّةَ وَمَا بَلَيْهَا مِنَ الْأَفْطَارِ، وَطَرَدَ عَنْهَا مُلُوكَ الْأَدَارَةِ طَرْدَ
الْلَّيْلِ النَّهَارَ، وَبِثَّ عُمَالَهُ وَقَوَّادَهُ فِيهَا. وَطَاعَتْ لَهُ الْبَرَابِرُ فِي جَمِيعِ نَوَاحِيهَا،
وَاعْتَصَمُوا بِحُجَّتِهِ، وَلَاذِلُوا بِفَضْلِهِ وَعَدْلِهِ. وَكَانَ اصْطَنَى مَوْلَاهُ بَذْرًا، وَجَعَلَ شَيْئًا
لِمُلْكِهِ وَبَذْرًا، وَقَلَّدهُ خُطَّةَ الْحِجَابِ، وَجَعَلَ لَهُ السُّفَى وَالْإِجَابِ؛ فَتَدَّ مُلْكُهُ
بِقُوَّةِ سَاعِدِهِ،^٢ وَسَعَدَ مُسَاعِدُهُ^٣؛ ثُمَّ قَدَّمَ مُوسَى بْنُ حُدَيْرٍ؛ فَكَبَّلَ بِهِ الْمُلُوكَ
وَأَتَسَقَى^٤، وَاتَّفَقَ لَهُ مِنَ الْحِدْمَةِ مَا اتَّفَقَ؛ فَفَادَ عَسْكَرًا مَجْرًا، وَجَرَّ الدُّنْيَا جَرًّا.

ومن قول ابن عبد ربه فيه [بسيط]:

قَدْ أَوْضَحَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ مِنْهَاجَا وَالنَّاسُ قَدْ دَخَلُوا فِي الدِّينِ أَفْوَاجَا
وَقَدْ تَزَيَّنَّتِ الدُّنْيَا لِمَا كُنْهَهَا كَأَنَّمَا أُلْبِسَتْ وَشِيًّا وَدِيَّاجَا
يَا ابْنَ الْخَلَائِفِ إِنَّ الْمَرْنَ لَوْ عَلِمْتَ نَدَاكَ مَا كَانَ مِنْهَا الْمَاءُ نَجَاجَا
وَالْحَرْبُ لَوْ عَلِمْتَ بِأَسَا تَصُولُ بِهِ مَا مَجَّتْ مِنْ حُمَاكَ الَّذِي افْتِجَا
مَاتَ النِّفَاقُ وَأَعْطَى الْكُفْرُ ذِمَّتَهُ وَذَلِكَ الْخَيْلُ الْإِجَامَا وَإِسْرَاجَا
وَأَضْبَحَ النَّصْرُ مَعْنُودًا يَا لَوِيَّةِ تَطْلُوِي الْمَرَاحِلَ تَهْجِيرًا وَإِدْلَاجَا
إِنَّ الْخِلَافَةَ لَنْ تُرْضَى وَلَا رُضِيَتْ حَتَّى عَقِدْتَ لَهَا فِي رَأْسِكَ النَّاجَا

* ومن مناقبه، أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي الْقَصْرِ الَّذِي هُوَ مِنْ مَصَارِيعِ أَجْدَادِهِ وَمَعَالِمِ
أَوَّلِيَّتِهِ بَنِيَّةٌ إِلَّا وَلَهُ فِيهَا أَمْرٌ مُحَدَّثٌ، إِمَّا بِتَجْدِيدٍ أَوْ بِتَزْيِيدٍ. وَمِنْ مَنَاقِبِهِ، كَثْرَةُ
جُودِهِ الَّذِي لَمْ يُعْرِفْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ مِنْ أَجْوَادِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، حَتَّى قَبِلَ فِيهِ
(رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ) [كامل]:

1) B. واستنبوا. 2-2) Manque dans A.

3) A. واتسقى. On peut également penser à

يا ابن الخلائف والمولى للمعالي والجند يعرف فضله للمستقل
نوفت بالخلفاء بل أحملتهم حتى كأن نبيهم لم ينسل
أذكرت بل أنيت ما ذكر الوري من فعلهم فكانه لم يفعل
وأنيت آخرهم وشاؤك فأنيت للآخرين ومذكرك للأول
نأبي فعالك أن تعدد لآخر منهم وجودك أن تعدد لأول

وكم للناصر (رحمه الله) من غزوات مذكورة، وفتوحات مشهورة، يبنى في
الأغقاب فخرها، ولا ينجلي على مري الأغقاب أثرها.

وقد نظم ابن عبد ربه في غزواته أرجوزة من سنة ٢٠١ إلى سنة ٢٢٢ -
وقد أطال الشعراء في مدحه، وأطنوا في شكره؛ ^(١) ولولا أن الناس مكثفون بما
في أيديهم منها، لأعدنا هنا ذكرها أو ذكر بعضها؛ ولكن المنع هنا الاختصار؛
والإيجاز والاختصار ^(٢).

. حكاية. ومما ذكر من إفضاله، مع بعض عماله، قال حيان بن خلف:
كان محمد بن سعيد المعروف بابن السليم قد احتجج أموالاً كثيرة بنصرته في
كبار الولايات في المدة الطويلة؛ فعلم ذلك منه الناصر؛ فعرض له يمراراً في
أن يسأله فيه عن طيب نفس منه، ^(٣) وهو ملكه، ولو شاء لأخذه منه، ولكن
أبي ذلك كرم طبعه ^(٤). فقال في مجلسه يوماً: «ما بال رجال من خاصتنا
يوسعون في دنيانا، فطغفوا بجنحتون الأموال، ويضيمون تعبدنا ^(٥)، وهم يرون
غلظ مؤونتنا في الإنفاق على شووننا التي يقدرتنا عليها صلاح أحوالهم ورفاهية
عيشهم. ويعلمون أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضه)، قسطاس ^(٦) الموازين، P. ٢٤٢
فاسم عماله أرباحهم في ^(٧) تجارتهم؛ فجعلها ^(٨) في بيت المال، وهو من هو، وهم
من هم، والأشوة في فعله!» فسكت ابن السليم عنه وغالطه ^(٩) في تعريضه كأنه

1-1) H. résume ainsi: تركنا ذلك اختصاراً. 2-2) Manque dans H.

3) A. تعبدنا (Corr. لعبدنا). 4-4) A. قسطاً من.

5-5) A. عمالهم فصبرها. 6) A. وغالطه.

بعض غيره. فازداد الناصر حنفاً عليه وغبطاً؛ فقال له يوماً في بعض مجالس الخاصة معه، وقد أخذ الشراب منه، وثنى تفاعاً بكيين في يده: «وددت أن اثنى هاكذا رأس من أعرف له مالا كثيراً غله دوننا. ولم يسهم بيت المال منه!»، فطار عقل ابن السليم، ولم يختلجه الشك في أنه المعنى به؛ فقام بين يديه، وقال: «يا أمير المؤمنين! طال ما عرضت لي! فسكت؛ بلى والله! إن عندى مالا كثيراً. وهو دون حظك فيه، حطته بالتقير، وأعددت للدفر العنور، ولست والله أعطيك منه دَرهماً، فما فوقه، ورأيتك في جبل إلا أن تسحل» (وأعوذ بالله!) أن تمد يدك إليه بغير جاذبة يتي عليك! فإن الأنفس محضرة الشئ». قال: فحجل الناصر وأطرق بثلو قول الله تعالى: «إِنْ يَسْأَلُكُمْ فَيُخَيِّكُمْ تَبَخَّلُوا وَبَخَّلُوا أَضْعَانَكُمْ»¹. ثم أقبل على ابن السليم برأسه ويكمن جاشه، إلى أن اعتدل مجلسه؛ فجعل يسمن في الشرب طلباً للشكر للذي خامرته من الدفر. فقال له الناصر: «خفف عنك، يا محمد؛ فلا سيل إليك!»، فلما سكر ابن السليم تهوَّع؛ فذف، وابتدعه الوصفاء بالطست والمناديل؛ فأقبل الناصر وأخذ برأسه بمسكه، ويقول له: «استفرغ ما في معدتك ونأ أن بنفسك!». فأنكر ابن السليم كلامه بين الخدم، وصرف إليه رأسه، وإذا به الناصر. فما قال: «تمالك أن خر إن رجله يقيها»، ويقول: «يا ابن الخلائف! إلى هنا انتهيت من يرى!»، وعمل يدعو له، ويعظم شكره؛ فقال له الناصر: «لئن أخرج كفاً من شأني معك الليلة: تأنباً بإخافة وإطافاً بحقوق». ثم أمر له بكسوة، وانقلب إلى أهله. فكان هذا مما بعد من كرمه وفضله. فلما مضت أيام، أرسل ابن السليم إلى الناصر بمائة ألف دينار دزائم؛ فقبلها الناصر، وشكر فضله² وعوضه بكبير الولايات، وصحبة من النعمة العريضة إلى حين وفاته.

حكاية. ومازح الناصر (رحمه الله) يوماً وزيره أبا القاسم لباً؛ فقال له:

1) B. تسحل. 2) Allusion à Coran, IV, 128.

3) Coran, XLVII, 37. 4) B. فعله.

« يَا لُبُّ آفَحُ الزَّرِيرَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ جَهْوَرٍ ! » فامتنع عليه ؛ فقال لابن جَهْوَرٍ :
« فَأَهْجُهُ أَنْتَ ، إِذْ أَبَى هُوَ مِنْ هَجْوِكَ » . فقال : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أُنَوِّعُ عَرَضِي
مِنْهُ ، وَأَصُونُ نَفْسِي عَنْهُ ! » فقال الناصر : « فَأَنَا أَهْجُوهُ » . فقال [سريع] :

لُبُّ أَبُو النَّاسِمِ دُوَّ لِحَيْفٍ طَوِيلُهُ فِي طَوِيلِهَا يَمِيلُ

ثُمَّ قَالَ لابن جَهْوَرٍ : « لَا بُدَّ لَكَ مِنْ تَذِيلِ هَذَا الِشَيْءِ ؛ فَدَعِ الْإِعْتِذَارَ » . فقال :

وَعَرَضُهَا يَمِيلَانِ إِنْ كَثُرَتْ وَالْعَقْلُ مَا فَوْنٌ وَمَذْخُولُ
لَوْ أَنَّهُ أَحْتَاجَ إِلَى غَمْلِهَا لَمْ يَكْتَفِ فِي غَمْلِهَا الْيَبِيلُ

فَضَحِكَ النَّاصِرُ ، وَقَالَ لِلْبُّ : « إِنَّهُ قَدْ سَبَّ لَكَ الْقَوْلُ ؛ فَقُلْ ! » فقال لُبُّ :

قَالَ آمِينَ اللَّهُ فِي خَلْفِهِ لِي لِحْيَةٌ أَزْرَى بِهَا الطُّوْلُ
وَابْنُ عَيْتَرٍ قَالَ قَوْلَ الَّذِي مَا كُؤْلُهُ الْفَرْطِيلُ^١ وَالنُّوْلُ
لَوْلَا حَيَاتِي مِنْ إِمَامِ الْهُدَى نَخَسْتُ بِالْخَيْسِ « شَوْ قَوْلُ^٢ »

فَلَمَّا بَلَغَ لُبُّ إِلَى قَوْلِهِ « شَوْ » سَكَتَ ؛ فَقَالَ لَهُ النَّاصِرُ : « قُلْ ! » . فَأَتَمَّ لَهُ عَلَى
غَوْ مَا أَضْمَرَ ؛ فَقَالَ لَهُ : « أَنْتَ هَجَوْتَهُ ، يَا مَوْلَايَ ! » فَضَحِكَ النَّاصِرُ ، وَأَمَرَ
لَهُ بِصَلَاةٍ .

وَكَانَ النَّاصِرُ قَدْ خَرَجَ يَوْمًا عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقٍ^٣ فِي هَيْئَةِ جَلِيلَةٍ^٤ وَالْمُوزَرَاءُ
قَدْ حُتُّوا بِهِ ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي ذَلِكَ مُرْتَجِلًا^٥ [سريع] :

بَدْرٌ بَدَا مِنْ تَحْتِهِ أَبْلَقُ يَحْدُ فَبِوِ الْمَغْرِبِ الشَّرِيقُ
لَوْ يَعْلَمُ الْأَبْلَقُ مَنْ قَوْفُهُ^٦ لَا خَالَ مِنْ عَجَبٍ بِهِ الْأَبْلَقُ
إِمَامٌ عَدْلٍ بَاسِطٌ كَفُّهُ يَرْزُقُ مِنْهَا اللَّهُ مَنْ يَرْزُقُ
عَادَ بِهِ الدَّقْرُ الَّذِي قَدْ مَضَى وَجَدَ وَاللَّهُ^٦ بِهِ الْمُخْلَقُ

١) A. B. الثَّرَطِيلُ .

٢) C'est le roman *In Éilo* (= *in culo*).

٣-٤) Manque dans A.

٥) من قصيدته .

٦) A. B. تحتها . La bonne leçon est donnée par C.

٧) A. B. وجد الله .

وكان، لما تَرَعَرَعَ ابنُه الحَكَمُ بن عبد الرحمن، ولأه العهد من بعده. وكان له أخ اسمه عبد الله؛ فحسد على ذلك، واجتمع عليه قوم، وأراد قتل أخيه؛ وأنفق مع أصحابه أن يبادروه؛ فافنضحو وقتلوا جميعاً، كما تفهم. وأما الولد عبد الله، فذكر أنه أخرجه أبوه الناصر ثاني يوم عيد الأضحي؛ فذبح بين يديه^١ (رحمه الله)؛ وكان عالماً فاضلاً^٢.

وكان الناصر أمر ببناء الصومعة العظيمة في سنة ٣٤٠، وشرع في بنائها؛ وفي الشهيرة التي لا صومعة تعد لها. وكان الذي دعاها إلى بنائها..... حدث في القديسة؛ فهدمت إلى قواعدها..... وبنيت بصخر الحجارة المنقولة إليها على السجل؛ وجمع لها..... فجاءت فائقة الصنعة. وقد كانت الأولى ذات مَطلع واحد؛ فصبر لهُ مَطلَعَيْن، وفصل بينهما بالبناء؛ فلا يلتقي الراقون فيها إلا بأعلاها. ولكل مَطلع منها مائة درج وسبعة أذراع؛ وطولها ثمانون ذراعاً بالترشائي إلى وقوف المؤذن؛ وفي أعلى ذروة المنار ثلاث رُمانات تُغشي السواظر بشعاعها، وتخطف الأبصار بالناعما؛ الأولى مفروغة من الذهب، والوسطى من النفضة، والثالثة من الذهب أيضاً؛ وفوقها سوسانة من الذهب الحَضْ مُسدسة؛ وفوق السوسانة رُمانة صغيرة من الذهب؛ ثم طَرَفُ الرُجج، وفيه ناريج مَكُتوبٌ بالذهب. وزينة كل رُمانة من الثلاثة المذكورة قنطار واحد فا دونه، وتوزر كل واحدة ثلاثة أذرع ونصف. وكل بناء الصومعة في جُمادى الأولى؛ فذلك ثلاثة عشر شهراً^٣.

وكان الناصر زاد في المسجد الجامع بقرطبة زيادته المشهورة،^(٣) المتصلة بزيادة ابنه الحَكَمُ بعده^(٣)، وفيها القبو الكبير الذي يصطَفُ المؤذنون أمامه يوم

1—1) Seulement dans C.

2) Tout le passage qui précède depuis le début de l'alinéa est inédit et ne figure que dans le ms. C, où quelques fins de lignes du début sont à peu près effacées.

3—3) Ce passage d'une importance extrême pour l'étude archéologique de la grande-mosquée de Cordoue est seulement donné par C.

المجتمعة للأذان، وهو من أعجب البيان. وإذا قد وقع ذكر المسجد الجامع
بقرطبة؛ فالواجب أن نذكر أول من أخذته ومن تولى بناءه من ملوك بني أمية.
على سبيل الاختصار؛ فنقول:

ذِكْرُ مَسْجِدِ قُرْطُبَةِ الْأَعْظَمِ

ذكر الرازي عن النبي محمد بن عيسى أنه قال: لما افتتح المسلمون الأندلس.
استدلوا بما فعل أبو عبيدة وخالد (رضيهم) عن رأي أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب (رضه) من مشاطرة الروم في كنائسهم ينقل كنيسته دمشق وغيرها مما
أخذوه صلحاً. فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة في كنيستهم العظمى التي كانت
بداخلها. وبنى المسلمون في ذلك الشطر مسجداً جامعاً. وبنى الشطر الثاني
بأيدي الروم، وهُيئَ عليهم سائر الكنائس. فلما كثر المسلمون بالأندلس،
وعمرت قرطبة ونزلها أمراء العرب بمجوشهم. ضاق عنهم ذلك المسجد، وجعلوا
يعلقون منه سقائف؛ فقال الناس من الضيق مشقة عظيمة. فلما دخل عبد
الرحمن بن معاوية الأندلس، وسكن قرطبة، نظر في أمر الجامع، * ونوسبته، ٢٤٥
وإتقان بنائه؛ فأحضر أعاجم قرطبة، وسألم تبع ما بقي بأيديهم من الكنيسته
المذكورة، وأوسع لهم البذل فيه. وفاء بالعهد الذي صولحوه عليه؛ وأباح لهم بناء
كنائسهم التي كانت هُيئَ عليهم في وقت النسخ بخارج قرطبة. وخرجوا عن الشطر؛
فأخذوا^١ وأدخله في الجامع الأعظم^٢. وكان شروع عبد الرحمن الداخل في هدم
الكنيسة وبناء الجامع سنة ١٦٩؛ وتم بناؤه. وكلت بلاطائه، واشتملت أسواره
في سنة ١٧٠؛ فذلك مدة من علم كامل؛ فقيل إن النفقة التي أنفق الإمام
عبد الرحمن، بطول هذه السنة في بناء الجامع ثمانون ألفاً بالوارة. وفي ذلك
يقول البلوي (رحمه الله) [طويل]:

١) Manque dans A.

٢) الأعظم A.

٣) واحد A.

وَأَمَرَزَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَوَجْهِهِ ثَمَانِينَ أَلْفًا مِنْ لُجَيْنٍ وَعَمَّجِدٍ
فَأَنْقَضَهَا فِي مَسْجِدِ أَسْهُ الشَّقَى وَنَهَجَهُ دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

ثم زاد أنه هشام صومعة، كان ارتفاعها أربعين ذراعاً إلى موضع الأذان
وفي آخر المسجد سقائف لصلاة النساء؛ وأمر ببناء البيضاة بشرقي الجامع.
وأقام الجامع على قبته تلك إلى أيام عبد الرحمن بن الحكم؛ ثم زاد عبد
الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداغل الزيادة المنتظمة
بالأزجل، طولها خمسون ذراعاً، وعرضها مائة وخمسون، وعدد سواربها ثمانون
سارية؛ وكان الفراغ من هذه الزيادة في جُمادى الأولى سنة ٢٢٤. ثم زاد
الأمير محمد بن عبد الرحمن أن أمر بإنفاق طُرُك الجامع، وسبق نقوشه،
وبإقامة المقصورة، وجعل لها ثلاثة أبواب؛ فلما كمل ما أمر به في الجامع،
دخله وصلى فيه ركعات خضع فيها. فقال في ذلك موسى بن سعيد أطول:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَبْدَى الْإِمَامُ التَّوَاضُّعَا فَاصْبَحَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ خَاشِعَا

بَنَى مَسْجِدًا لَمْ يَبْنِ فِي الْأَرْضِ مِثْلُهُ وَصَلَّى بِهِ شُكْرًا لَدَى الْعَرْشِ رَاكِعَا

٢٢٦ ١٠ فطوبى لمن كاتب الأمير محمد له إذ دعا به إلى الله شافعَا

ثم زاد الأمير المنذر بن محمد البيت المعروف ببيت المال في الجامع؛ فوضع فيه
الأموال الموقوفة لغياب المسلمين؛ وأمر بتجديد السقاية وإصلاح السقائف.
ثم زاد أخوه الأمير عبد الله بن محمد ساباطاً معقوداً على حناباً، أوصل به ما
بين القصر والجامع من جهة الغرب؛ ثم أمر بشارته من آخر هذا الساباط إلى
أن أوصلها بالمحراب؛ وفتح إلى المقصورة باباً كان يخرج منه إلى الصلاة؛ وهو
أول من اتخذ ذلك من أمراء بني أمية بالأندلس (رحمهم الله).

رجع الخبر إلى ذكر الناصر. قيل إنه أنفق في صومعة المسجد وفي تعديل

1) B. ويرفعه. 2) Vocalisé dans B. 3) A. جامعاً.

4) La correction de Dozy ليعيثُ semble injustifiée.

المجد وبنان الوجوه للبلاطات الأحد عشر بلاطاً سبعة أمداد وكتلين ونصف
كيل من الدراهم الفايضية. وجُملة ما أنفق عبد الرحمن الناصر في بناء مدينة
الزُّهراء وقصورها خمسة وعشرون مئدياً من الدراهم الفايضية وستة أفيرة وثلاثة
أكبال ونصف.

ذِكْرُ بِنَاءِ مَدِينَةِ الزُّهْرَاءِ بِقُرْطُبَةٍ (أَعَادَهَا اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ بِنَصْلِهِ)

ابتدئ بِنَاؤها في أيام الناصر من أوّل سنة ٢٢٥. وكان يُصَرَفُ فيها كلُّ
يوم من الصَّغَرِ المنجور سنة آلاف صخرة يسوى التليط في الأسوس؛ وجُلِبَ إليها
الرُّخَامُ من قرطاجنة إفريقية ومن تونس؛ وكان الأتماء الذين جلبوه عبدُ الله بن
بُوُس، وحسن القرطبي، وعليُّ بن جعفر الإسكندراني؛ وكان الناصر يصلُّهم على
كلِّ رحلة بثلاثة دنانير، وعلى كلِّ سارية شمانيّة دنانير مجلّماصة. وكان فيها
من السواري أربعة آلاف سارية وثلاثمائة سارية وثلاث عشرة سارية، المجلّوة
منها من إفريقية ألف سارية وثلاث عشرة سارية. وأهدى إليه ملكُ الرُّوم مائة
وأربعين سارية؛ وسائر ذلك من رخام الأندلس. وأمّا الخوض الغرب المنفوش
• الدَّهَبُ بالنمائل، فلا قيمة له، جَلَبَهُ ربيعُ الأُسُف من القُسطنطينية من مكان ٢٤٢
إلى مكان حتى وصل في البحر؛ ووضعهُ الناصر في بيت المآم في المجلس الشرقي
المعروف بالمونس؛ وكان عليه إثنا عشر تمثالاً من الدَّهَبِ الأحمر مرصع بالذَّر
النفيس العالي ممّا صنّعه بدار الصنعة بقصر قرطبة. وكان المتولي لهذا البنيان
المذكور أنّه الحَكَم، لم يتكلم الناصر فيه على أمين غيره. وكان يُخَبَرُ في أيامه
كلُّ يوم يرسم حيتان البحيرات ثمان مائة خبزة، وهذا من أعظم الأشياء إلى
ما فوق ذلك.

وكان الناصر قد قسم الحياية على ثلاثة أثلاث: ثلث للجنّد، وثلث للنساء،
وثلث مدّخر. وكانت حياية الأندلس يومئذٍ من الكور والفري خمسة آلاف ألف

وأربعمئة ألف وثمانين ألف دينار؛ ومن المُسَخَّص والأسواق سبع مائة ألف دينار وخمسة وستين ألف دينار.

ومما قيل في آثار مدينة قُرطبة وعظمتها حين تكامل أمرها في مدة بني أمية (رحمهم الله تعالى) إنَّ عدَّة الدور التي بداخلها للرعية دون الوزراء وأكابر أهل الخدمة مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار؛ ومساجدها ثلاثة آلاف؛ وعدَّة الدور التي بقصرها الزَّهراء أربعمئة دار، وذلك لسكْنى السلطان وحاشيته وأهل بيته. وعدد الفتيان الصَّغَالِية ثلاثة آلاف وسبع مائة وخمسون. وعدَّة النساء بقصر الزَّهراء الكبار والصغار وحَدَمُ الخِصْنَةِ سِتَّة آلاف وثلاثمئة امرأة؛ وكان لهنَّؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رِطْل ينقسم من عشرة أرطال للشخص إلى ما دون ذلك، سوى الدجاج والمجمل وصنوف الطير وضروب الحَبَّان. وعدد حماماتها ثلاثمئة حمام؛ وقيل إنها المبرزة للنساء^١. وكان عددُ أرباض قُرطبة (أعادها الله للإسلام) في ذلك الوقت ثمانية وعشرين رَافِضاً، منها مدينتان: الزَّهراء والزاهرة. وأما البنية التي كانت في المجلس البديع، فإنها كانت من نَعَف قَيْصَر اليُونَانِي صاحب القُسْطَنْطِينَةِ، بعث بها للناصر مع نَعَف كثيرة سنية. فنبعان من لا بيد مُلْكُهُ ولا ينقطع عِزُّهُ!

وفي سنة ٢٥٠، تُوَفِّي الناصر (رحمه الله)، وذلك في صدر رمضان منها. ووُجِدَ بخطه تأريخٌ قال فيه: «آيام السرور التي صَفَتْ لِي حِينَ تَكْدِير^٢ في مدة لُطَائِي^٣ يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا.» فمُدَّت تلك الآيام؛ فوُجِدَ فيها أربعة عشر يوماً. فأعجبَ أيُّها الغافل^٤ لهذه الدنيا، وعَدَمَ صفاتها، ومُغْلَهَا^٥ بكمال الأحوال لأوليائها. إنَّ الخليفة الناصر ملك خمسين سنة وسبعة أشهر وثلاثة أيام، ولم يَصِفْ له من الدنيا إلا أربعة عشر يوماً! فنبعان ذى العزة الغالبة، والمملكة الباقية، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ!

١) للناس. ٢) Manque dans A.

٣) محلها. ٤) الغافل. ٥) B.

ومن رثاء جعفر بن عثمان المصعني. قال [طويل]:

ألا إن آياتاً هتت بإمامها لجائرة مشتتة في احتكامها
فلم يؤلم الدنيا عظام خطوبها وأحداً منها إلا قلوب عظامها
تأمل فهل من طالع غير آفل لهم وهل من قاعد لقيامها
وعاين فهل من عاين برضاها من الناس إلا ميت يفيطها
كان نفوس الناس كانت بنفسه فلما توارى أنقست بحماها
فطار بها ناس الأسي وتفاصرت بد الصبر عن أعواها وأحداها

خلافة المحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله

نسبه: المحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد

الرحمن بن المحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل. كنيته: أبو المطرف. ٢٤٩ هـ.

أمه: اسمها مَهْرَجَان. عمره: ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر. بُويع بعد موت أبيه ثلاث خلون لرمضان سنة ٢٥٠. وتوفي ليلة الأحد لثلاث خلون من صفر

من سنة ٢٦٦؛ فكانت دونه خمس عشرة سنة، وسبعة أشهر، وثلاثة أيام. لقبه:

المستنصر بالله. صنته: أبيض مشرب بحمرة، أعين، أفنى، جهوري الصوت، قصير

الساقيين، ضخيم الجسم، غليظ العنق، عظيم السواعد، أققم.

قضاته: منير بن سعيد البلوطي قاضي أبيه؛ ثم أبو بكر محمد بن السليم.

نقش خاتمه: المحكم بقضاء الله راض.

وافتح خلافته بالنظر في الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة؛ وهو أول عهد

أنفذه؛ وقد ذلك حاجبه وسبغ دونه جعفر بن عبد الرحمن الصقلي، وذلك

لأربع خلون لرمضان من السنة، وهو اليوم الثاني من يوم خلافته. فكان أول

ما عهد إليه تقديم النظر في سوق الصخور التي هي أس البنان؛ فأتى بانتقالها

في رمضان المذكور. وكان قُطِرَ قرطبة قد كثر به الناس؛ فضاق الجامع عن

حملهم، ونالهم التعب في ازدحامهم؛ فسارع المستنصر الى الزيادة فيه؛ فخرج لتقديرها، وتفصيل بيانها، وأحضر لها الأشياخ والمهتسين؛ فحثلوا هذه الزيادة من قبلة المسجد الى آخر الفضاء ما قام بالطول لأحد عشر بلاطاً. وكان طول الزيادة من الشمال الى الجنوب خمسة وتسعين ذراعاً؛ وعرضها من الشرق الى الغرب مثل عرض الجامع سواء؛ وقطع من هذا سياط القصر المتخذ لخروج الخليفة الى الصلاة الى جانب المنبر بداخل المقصورة؛ فجاءت هذه الزيادة من أحسن ما زيد في المسجد «قل وأشدته وأتقنه».

• ذكر الحبس الذي حبس المستنصر بالله على الجامع بفَرْطبة. لما كملت زيادته، حضر الفقهاء والعُدول الشُّهداء وأعيان الناس * ووجوههم وقضاةهم وأئمتهم. فحمد الله، وأثنى عليه، وجدد شكره على توفيقه، لإجراء هذه البيعة الكريمة على يديه، وأنه تلقى هذه النعمة العظيمة بأن حبس رُبْع جميع ما جرته إليه الوراثه عن أبيه أمير المؤمنين في جميع كُور الأندلس وأقاليمها على نفور الأندلس كافة تُفرق عليهم غلات هذه الضبايع عاماً بعد عام على ضعفائهم إلا أن تكون بفَرْطبة مجاعة، فتفرق فيهم إلى أن يجبرهم الله. وجعل التَبَضُّ والنظَر في هذا الحبس الى خارجهِ وسبب دوله جعفر؛ وجعل دَفَعَ ذلك الى وزيره وكانه عيسى بن قُطَيْس. وأشهد الحاضرين على ذلك، وأشهد أيضاً بعني كل مملوك له من الذُكران، وخرج غازياً الى بلاد المُشركين.

وفي سنة ٢٥١، غزا الحَكَم المستنصر بالله بلاد الروم؛ ففتح بها حصوناً كثيرة ومدناً جليّة، وسى وغم، وانصرف غانماً ظافراً. وفيها، وفد عليه أبو صالح زَمُور الرَغَوَاطي رسولاً من مَلِك رَغَوَاطة أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار؛ فسأله الحَكَم عن أنساب رَغَوَاطة ومداهيم؛ فأخبره بما تقدم في الجزء الأول.

وكان المحكم قد أنفذ الكتب في محرم من سنة ٢٥١ الى جميع الولاة والنواب
والعمال بأقطار الأندلس، يأمرهم باوتباط الخيل، والقيام عليها، والاستعداد
بالعدا والأيلحة والآلات يرسم الجهاد في سبيل الله.
وفيها، عزل عبد الله بن بدر عن شرطة المدينة بقرطبة، وولاهها محمد بن
جهور، وأنفذ له بجلاء بذلك بخط يده.

٢٥١

وفيها، استنحب جعفر الصقلي النقي الكبير الناصري.
وفيها، وفد على المستنصر بالله أرذون بن إذفوش الأندلسي، من ملوك
الحلافة، المنازع لابن عمه شانجه بن رديمير سابقه الى ولاية ملكهم، فبالغ في
إكرامه في خير طويل. وكان للنصحاء في ذلك مقامات وأشعار يطول انكتاب
ذكرها. انفق قول عبد الملك بن سعيد من قصيدته [اكمل]:

مَلِكُ الْخِلَافَةِ آيَةُ الْإِقْبَالِ	وَسُوءُهُ مَوْصُولَةٌ بِشَوَارِي
فَالْمُسْتَنْصِرُ بِعِزِّهِ وَبِرَفْعِهِ	وَالْمُشْرِكُونَ بِذِلِّهِ وَسَفَالِ
أَلَفَتْ مَأْيَدِيهَا الْأَعَاجِمُ نَعْوَهُ	مَتَوَقِّعِينَ لَصَوْلَةِ الرَّئِيسَالِ
مَنْ أَمِيرُهُمْ أَسَاءُ أَخْذًا	مِنْهُ أَوَّارَ ذِمَّةٍ وَحِبَالِ

وفيها، وصل قرطبة أرسال شانجه بن رديمير، منازع الطائفة أرذون ابن
عمه ملك الحلافة. ومعهم عبد الرحمن بن جحاف قاضي بلنسية، وأيوب بن
الضويل وغيرهما، فتوصلوا كلهم الى المستنصر في ربيع الآخر. وأوصلوا كتاب
شانجه بن رديمير بحجاب ما خوطب فيه وبيعته التي عفاها على نفسه وجميع أهل
ملكته لأمر المؤمنين المستنصر بالله، في خير طويل.

وفيها، بُدِئَ الخليفة المحكم وَلَدٌ ذَكَرَ مِنْ حَفِظَتِهِ الَّتِي سَمَّاها جَعْفَرًا أُمِّ وَلَدِهِ؛
قِسَاءَ عَبْدِ رَحْمَنِ. وَسَرَّ بِهِ سروراً عظيماً. إِذْ كَانَ لَا يُولَدُ لَهُ. وَقَالَتْ فِي ذَلِكَ
الشَّعْرَاءُ وَالْأَدْنَاءُ. فَأَكْثَرُوا.

وفيها، ظهر ثقب الجلالة بكل جهة.
وفيها، كلن المد الطائين بنهر قرطبة.

وفي سنة ١١٥٢، كانت غزوة شنت أشتين، غزاها الحكم المستنصر بالله.

وفي سنة ١٢٥٣، كانت قرطبة مجاعة عظيمة؛ فتكفل الحكم بضعتها
ومساكنها بما نعيم أرمافيم، وأجرى نفاقه عليهم بكل رخص من أرياض قرطبة
وبالزمراء.

وفيها، قرى بالجامعين: قرطبة والزمراء، فتح ورد من قبل سعد الجعفرى
مولى الخليفة الحكم، القائد بالجوف، يذكر ما أتاحه الله على يديه في أهل
جليلة، وأفاده على المسلمين بسعد إمام الزركي.

وفيها، كان ازدحام الناس بالمجد الجامع بقرطبة وتضاعفهم حتى كادت
النفوس تتلف؛ فأمر المستنصر بالله بتوسيعه والزيادة فيه؛ فأتى القاضي منير
ابن سعيد إلى المجد الجامع، ومعه صاحب الأحباس والفقهاء والمُدُول بما
اجتمع قبله من أموال الأحباس؛ فنظروا في الزيادة فيه.

وفيها، أنفذ المستنصر بالله أحمد بن نصر لبيان مدينة بنجر طليطلة،
وتشيدها، وتوثيق أمورها؛ وجعل بين يديه أحبال أموال.

وفيها، تحرك الحكم من قرطبة إلى السيرة توتعا لما يصدر من صاحب
إفريقية المحاذر لأقل الأندلس، ولما أتت ما استكملها بها من الحصانة ومطالمة
جال^١ رابطة القبط ومشاركة حال الرعايا بتلك الجهة.

وفيها، كان خبر اللص الذي سرق بيت المال الذي للسيل^٢ بداخل
المجد الجامع بقرطبة في شوال.

وفي سنة ٢٥٤، نزل الغيث بقرطبة؛ فرويّت الأرض، وطاب الحرف،
وسرت النفوس.

1) Manque dans A.

2) Manque dans B.

وفيها، ولد هشام بن الحَكَم. قال ابن حَيَّان: كان الخليفة الحَكَم شديد الكَلَف يَطْلُب الولد لعلَّ يَتَّه بِقُبُورِهِ فِي بَعْضِ خُلُواتِهِ مَا شِئِمَالُ أُمِّ وَلَدِهِ عَلَى حَمَلٍ؛ فَسَرَّ بِهِ، وَبَقِيَ بِتَرْقِيهِ؛ فَأَتَتْهُ بِهِ أَوَّلَ خِلَافَتِهِ؛ ثُمَّ مَاتَ يَطْفَلًا؛ فَأَحْزَنَهُ. فَلَمَّا بُشِّرَ بِهَذَا، فَرَحَ بِهِ؛ فَاسْتَبَشَرَ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ وَزِيرُهُ بِبُشْرَاهُ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي التَّهْنِئَةِ بِذَلِكَ أَيْمَانًا، وَهِيَ [وَأَفْرَأ]:

هَبْنَا لِلْأَنَامِ وَلِلْإِلَامِ	كَرِيمٌ يَسْتَفِدُّ عَلَى كِرَامِ
مُرْجَى لِلخَلَافَةِ وَمَوْ مَاهُ	مَأْمُولٌ لِأَمَالِ عِظَامِ
أَضَاءَ عَلَى كَرِيحَتِهِ ضِيَاءُ	فَلَمْ تَعْلَمْ بِغَائِبِ الظُّلَامِ
وَلَمْ لَا يُنْضَاهُ بِجَانِبِهَا	وَيَنْ ضُلُوعِهَا بَدْرُ النِّهَامِ

قال: فلما ولدت جاريته جَعْفَرُ ابْنُهَا هِشَامًا الْمَلِكُ بِالْمَوْيِدِ، يُشَرُّ الخليفة الحَكَمُ بِطُلُوعِهِ، وَجَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ عِنْدَ فِي خُلُوةٍ؛ فَارْتَاحَ لِارْتِيَاكِهِ؛ فَقَالَ عَلَى الدَّبِيَّةِ يَهْنِئُهُ [مَنْ رَح]:

إِطْلَعَ الْبَدْرُ مِنْ حِجَابِهِ	وَاطْرَدَ السَّيْفُ مِنْ فِرَاقِهِ
وَجَاءَنَا وَارِثُ الْمَعَالِي	لِيُثَبِّتَ الْمُلْكَ فِي نِصَابِهِ
بَشَّرْنَا سَبْدُ الْبَرَايَا	بِنِعْمَةِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ
لَوْ كُنْتُ أُعْطِيَ الْبَشِيرَ نَفْسِي	لَمْ أَقْضِ حَقًّا لِمَا أَتَى بِهِ

وفيها، كَمَلَتِ النِّفَةُ الْمُتَنَاءُ عَلَى الْيَحْرَابِ فِي الزِّيَادَةِ بِالْمَسْجِدِ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْهَا.

وفيها، شُرِعَ فِي تَنْزِيلِ النِّسْفِيَاءِ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ؛ وَكَانَ مَلِكُ الرُّومِ بَعَثَ بِهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ الْحَكَمِ. وَكَانَ الْحَكَمُ قَدْ كَتَبَ لَهُ فِي ذَلِكَ. وَأَمْرُهُ بِتَوْجِيهِ صَانِعِهَا إِلَيْهِ، أَفْتَدَاهُ بِمَا فَعَلَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي بُيَاقِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ؛ فَرَجَعَ وَقَدْ أَحْكَمَ بِالصَّانِعِ، وَمَعَهُ مِنَ النِّسْفِيَاءِ ثَلَاثَانِ وَعِشْرُونَ قَنْطَارًا، بَعَثَ بِهَا مَلِكُ الرُّومِ هَبِيَّةً؛ فَأَمَرَ الْحَكَمُ بِإِنْزَالِ الصَّانِعِ، وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِ، وَرَتَّبَ مَعَهُ حَمَلَةً مِنَ

مَالِكَةَ لَتَعْلَمَ الصَّنَاعَةُ؛ فَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ مَعَهُ فِي التَّسْفِيسِ الْمَجْلُوبِ، وَصَارُوا يَعْمَلُونَ مَعَهُ؛ فَلَبَدَعُوا، وَأَزْبَنُوا عَلَيْهِ، وَاسْتَعْرَضُوا بَعْدَ ذَلِكَ مَتَرْدِينَ دُونَ الصَّانِعِ الْتَائِمِ، إِذْ صَدَرَ رَاجِعًا عَنِ الْإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُ، بَعْدَ أَنْ أَجْزَلَ لَهُ الْمُتَنَصِّرُ الصِّلَةَ وَالْكِسَوةَ. وَتَدَاعَى إِلَى هَذِهِ الْبَيْتَةِ كُلُّ صَانِعٍ حَازِقٍ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ. وَرَكِبَ الْحَكَمُ الْمُتَنَصِّرُ بِاللهِ فِي الْعِشْرِ الْوَسْطَى لَشَوَالٍ مِنَ الزَّهْرَاءِ إِلَى الْجَامِعِ، وَدَخَلَ، P. ٢٥٤ وَنَظَرَ إِلَى الزِّيَادَةِ وَمَا نَمَّ فِيهَا؛ وَأَمَرَ بِإِفْلَاحِ السَّوَارِي * الْأَرْبَعِ الَّتِي كَانَتْ فِي عِضَادَةِ الْجِرَابِ الْقَدِيمِ الْفَائِقَةِ الَّتِي لَا تُظَاهَرُ لَهَا؛ وَصِيَانَتِهَا إِلَى أَنْ تُوضَعَ فِي الْجِرَابِ الْمَجْدِيدِ عِنْدَ إِنْقِافِ إِحْكَامِهِ وَإِكْمَالِهِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٥٥، فِي الْمَحَرَّمِ، أَمَرَ بِوَضْعِ الْبَيْتِ الْقَدِيمِ إِلَى جَانِبِ الْجِرَابِ، وَنَصَبِ الْمَقْصُورَةِ الْقَدِيمَةِ. وَنُصِبَ فِي رِيفَةِ هَذِهِ الزِّيَادَةِ مَقْصُورَةٌ مِنَ الْخَشَبِ، مَنُوشَةُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، مُشَرَّقَةُ الذَّرْوَةِ، طَوَّلُهَا خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَعَرْضُهَا اثْنَانِ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا، وَعُلُوُّهَا إِلَى الشَّرَفَاتِ ثَمَانِيَةِ أَذْرُعٍ. وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ هَذِهِ الزِّيَادَةِ وَنَصَبِ الْمَقْصُورَةِ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ.

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِسَمَانِ خَلَوْنَ مِنْهُ، قُرِئَ كِتَابُ فَتَحٍ مِنْ قِبَلِ سَعَادَةِ الْحُجَيْفَرِيِّ، الْفَائِدِ بِمَدِينَةِ الْفَرَجِ، بِذِكْرِ مَا فَتَحَ اللهُ لَهُ وَأَتْبَعَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ الْمُشْرِكِينَ. وَفِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ خَلَوْنَ مِنْ رَيْبِ الْأَوَّلِ مِنْهَا، نَفَّذَتْ الْكُتُبُ إِلَى عَمَالِ النَّعْرِ الْأَدْنَى وَالْأَقْصَى فِي أَرْبَاطِ الْخَيْلِ، وَالنَّكْبَرِ مِنْهَا، وَجَوْدَةِ الْقِيَامِ عَلَيْهَا لِمَا يَوْمَلُ مِنَ الْمَجْهَادِ بِعَوْنِ اللهِ.

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لثَلَاثِ خَلَوْنَ مِنْهُ، قُرِئَ بِقُرْطُبَةِ وَالزَّهْرَاءِ كِتَابُ فَتَحٍ وَرَدٍ مِنْ قِبَلِ الْوَزِيرِ بِحْيِ بْنِ هَاشِمٍ، وَكِتَابُ فَتَحٍ وَرَدٍ مِنْ قِبَلِ حَرِيزِ بْنِ هَاشِمٍ، بِذِكْرِهِمَا مَا مَنَحَهُمُ اللهُ وَفَتَحَ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ قِبَلِ أَعْدَاءِ اللهِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَهَضَ إِلَى مَا قَبْلَهُ مِنْ بِلَادِهِمْ، فَفَنَلُ وَسَبَى، وَكَسَحَ وَأُتْبِحَى، وَانْصَرَفَ سَالِمًا غَنِمًا.

وَفِي أَوَّلِ رَجَبٍ مِنْهَا، وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ قَصْرِ أَبِي دَارِسٍ عَلَى الْمُتَنَصِّرِ

بالله، يذكر فيه ظهور أسطول الجوس ببحر القرب بقرب من هذا المكان، واضطراب أهل ذلك الساحل كله لذلك، لتفشم عادتهم بطروق الأمدلس من قبله فيا سلف، وكانوا في ثمانية وعشرين مركباً، ثم * ترادفت الكتب من تلك ٢٥٥ السواحل بأخبارهم، وأنهم قد أضروا بها، ووصلوا إلى يسيط أشبونة. فخرج إليهم المسلمون، ودارت بينهم حرب، استشهد فيها من المسلمين وقتل فيها من الكافرين. وخرجت أسطول إشبيلية، خافضين عليهم يوازي شلب، وحطموا عدة من مراكيم، واستنفذوا من كان فيها من المسلمين، وقتلوا جملة من المشركين، وانهمزوا إثر ذلك خاسرين. ولم تنزل أخبار الجوس تصل إلى قرطبة في كل وقت من ساحل القرب، إلى أن صرفهم الله تعالى. وفيها، أغرى المحكم القائد غالباً، ففتح الله له في المشركين، وانصرف سالماً غانماً.

وفيها، أمر المحكم لابن قطيس بإقامة الأسطول بنهر قرطبة، واتخاذ المراكب فيها على هيئة مراكب الجوس (أهلكهم الله) تأملاً لركوبهم إليها.

وفي سنة ٢٥٦، عهد الخليفة المحكم بخطابة العبال بكور الأندلس، يعينهم على جرأتهم ويحذرهم من سطوته وعفوته، إذ اتصل به أن بعضهم قد استزادوا زيادات فاحشات يعاملون بها الرعية ظلماً لهم؛ فانكر ذلك عليهم. وفيها، كانت غزوات للمسلمين انجلت عن هزائم للمشركين.

وفيها، ولي أمير المؤمنين المحكم محمد بن عبد الله بن أبي عامر الذي رأس بعد وتلقب بالمنصور، وكالة أبي الوليد هشام بن المحكم، وفوض إليه في جميع شؤونه؛ فتحركت حاله في الدولة.

وفي النصف من شوال، قعد الخليفة المحكم على السرير بالزهرام قعوداً بهياً احتفل فيه، وأوصل إلى نفسه رسولين وصلاً من أمراء الغرب الإدارية؛

فأوصلا كنائسهم، يذكرون أنهم على محبة صادقة ومودة مستعكة مع التزامهم للطاعة واحتقادهم للولاية؛ قادتى رسولهم، والطف جوائهم.

وفى يوم الجمعة لأربع بقين من شوال، قرئ كتاب فتح ورد من قبل القائد غالب، يذكر - فيما الله له فى كفره قشيلة من القتل والأسر - نصر الخليفة بذلك ودخلت الرؤوس قرطبة.

وفى يوم السبت بعد، أئند الخليفة المحكم كنبه الى القواد وللعمال بأقطار ملك، بانكار ما اتصل به من أن بعضهم يسفك دماء بعض بلا عهد ولا مشورة، وأن ذلك عظم عنه، ونبرأ الى الله من أفتم عليه.

وفىها، أجرى الماء الى سقايات الجارع والبيصاتين اللتين مع جانيه: شرقية وغربية، ماء عذبا جليه من عين يجبل قرطبة، خرق له الأرض، وأجره فى قناة من حجر متفنة البناء، تحككة الهندسة، أودع جوفها أنابيب الرصاص لتعطفه من كل دس. وإثليى جرى الماء من يوم الجمعة لعشر خلون لفر من السنة؛ وفى جرى الماء الى قرطبة يقول محمد بن شبيب فى قصيدة له، منها [بسيط]:

وفد حرق بطن الأرض عن تطف من أعذب الماء نعو البيت تجربها
طهر الجحوم إذا زالت طهارتها رى القلوب إذا حرت صوابها
قرنت فخرا بأجر قل ما أقرنا فى أمه أنت راعيا وحاميا

وإبنى بفرى الجامع دار الصدقة، اتخذها ١) معهدا لتفريق صدقاته ٢) (رحمه الله تعالى). ومن «منعكات أفعاله وطيبات أعماله، اتخذها المودين بعلين أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالى المسجد الجامع وبكل ربض من أرباض قرطبة؛ وأجرى عليهم المرتبات، وعهد إليهم فى الاجتهاد والنصح، ابتغاء وجه الله العظيم؛ وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا، منها حوالى المسجد الجامع ثلاثة، وباقيها فى كل ربض من أرباض المدينة. وفى ذلك يقول ابن شبيب [بسيط]:

وَسَاحَةُ الْمَسْجِدِ الْأَعْلَى مُكَلَّلَةٌ مَكَانِيًا لِلْبَيْتَيْنِ مِنْ تَوَاحِيهَا
لَوْ مُكِنَتْ سُورَ الْقُرْآنِ مِنْ كَلِمٍ نَادَتْكَ يَا خَيْرَ نَالِيهَا وَوَارِعِيهَا

وَوُجِدَ بِحِطِّ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ: «ابْنُ بِيَّانِ الْحَاجِّ (صَاحِبِ ٢٥٧ هـ) الْأَحَدُ لِأَرْبَعِ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ٢٥١، وَكُلَّ سَنَةِ ٢٥٥. وَبَلَغَتْ التَّقْدِيرُ فِيهِ إِلَى مِائَتَيْ أَلْفٍ وَاحِدٍ وَشَيْئِينَ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ وَسَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ دِينَارًا وَدِرْهَمًا وَنِصْفًا» (وَقَعَ «وَنِصْفًا» فِي الْأَصْلِ الْمَقُولُ مِنْ هَذَا. وَقَالَ إِنَّهُ نَقَلَ مُتَدْرِسًا، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَرَّفَ بَعْدَ ذَلِكَ صِحَّةَ مِنَ التَّلَفَاتِ أَنَّ «وَنِصْفًا» صَحِيحٌ؛ وَكَذَلِكَ قَالَ وَقَعَ بِحِطِّ الْحَكَمِ - (رَحِمَهُ اللَّهُ).

وَفِي سَنَةِ ٢٥٧، فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، احْتُلِيَ الْوُزَيْرَانِ الْفَائِدَانِ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الْجَنْفَرِيُّ بِجُيُوشِ الثُّغَرِ بِالصَّائِفَةِ عَلَى حِصْنِ قَلْعَةٍ؛ فَأَقَامَا بِسَاحَةِ مُدَّةٍ اسْتَظْهَرَا بِهَا عَلَى تَحْكِيمِ بَيَانِ الْحَرَامِ فِيهِ وَالزِّيَادَةِ فِي ارْتِفَاعِ الْبُرْجِ الثَّامِنِ بِذُرُوتِهِ فَانْتَهَيَا مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْإِرَادَةِ، وَقَتْلَا بِالْعُسْكَرِ، وَقَدْ وَثَقَا لِلْحِصْنِ بِالْأَمَّةِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٦٠، فِي مُحَرَّمٍ مِنْهَا، قَعَدَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ عَلَى الْمَرْبَرِ بِقَصْرِ قُرْطُبَةَ عَلَى جَزْيِ الْعَادَةِ مِنَ الْأَحْفَالِ وَالزِّيْنَةِ؛ فَأَوْصَلَ إِلَى نَفْسِهِ عَبَسَى بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَالِي وَحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ سُلَيْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَسَنِيِّنِ أُمَرَاءَ الْقَرْبِ؛ فَأَوْصَلُوا كِتَابَ مُزِيلِهِمْ، وَذَكَرُوا مَا مِمَّنْ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ، وَطَلَبُوا بَعَثَهُ رَمَاءَ تَنْبُوَّةٍ لَمْ يَلَا بِتَوْقَعُونَهُ مِنْ حَرَكَةٍ فَائِدَ مَعَدَّةِ السُّبُحِيِّ نَعُومٍ؛ وَتَقَرَّبُوا بِإِعْدَادِ خَيْلٍ وَجَمَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَقِيلَتْ مِنْهُمْ.

وَفِي صَدْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا، وَقَعَ الْإِرْجَافُ بِعُزْكَ الْجُيُوشِ الْأَرْمَنِيِّينَ (لَعَنَهُمُ اللَّهُ)، وَظَهُورِهِمْ فِي الْبَحْرِ، وَرَوْسِهِمْ سَوَاحِلَ الْأَنْدَلُسِ الْقَرْيَةِ عَلَى عَادَتِهِمْ؛ فَأَزْعَجَ السُّلْطَانُ قَائِدَ الْبَحْرِ بِالْمَخْرُوجِ إِلَى الْمَرِيَّةِ، وَالتَّاقِبَ لِرُكُوبِ الْأَسْطُولِ مِنْهَا إِلَى إِفِيلِيَّةٍ، وَجَمَعَ الْأَسَاطِيلَ كُلَّهَا لِلرُّكُوبِ إِلَى نَاحِيَةِ الْقَرْبِ.

• ذَكَرَ مَقْتُلَ زَيْرِي بْنِ مَنَادٍ، قَائِدِ الشَّيْعَةِ عَلَى جَبْهَتِهَا • وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ،
 ٢٥٨ P. لَانْتَحَى عَشْرَةَ لَيْلَةٍ بَنِيَتْ لَشَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا، وَرَدَ • الْخَبَرُ عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ بِأَنَّهُ يَقْتُلُ
 زَيْرِي بْنِ مَنَادٍ طَائِلَ مَعَدِّ الشَّيْعَةِ وَقَائِدَهُ عَلَى الْغَرْبِ، قَتَلَهُ جَعْفَرُ وَبِحِجَى ابْنًا عَلَى
 الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْأَنْدَلُسِيِّ، الْخَالِفَانِ عَلَى مَعَدِّ فِيمَنْ اسْتَظْهَرَا بِهِ عَلَيْهِ مِنْ زَنَانَةٍ،
 وَجَدَّوهُ بِنَاحِيَةِ الْغَرْبِ فِي حَرْبٍ دَارَتْ بَيْنَهُمْ شَهِدَهَا بَنُو خَزَرٍ وَغَيْرُهُمْ مِنْ رُؤَسَاءِ
 الْقَبَائِلِ الْقَائِمِينَ عَلَى زَيْرِي بِدَعْوَةِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ بِأَنَّهُ؛ فَفُتِحَ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَكْثَرُ
 النَّوْاحِ. وَوَصَلَ عَلَى الْبَغْدَادِيِّ كَاتِبُ جَعْفَرِ الْمَذْكُورِ بِكِتَابِهِ إِلَى الْمُسْتَنْصِرِ وَذَكَرَ
 اهْتِجَاجَ الْحَرْبِ الْعَظِيمِ بَيْنَ أَهْلِ الدَّعْوَتَيْنِ بِالْغَرْبِ.

• ذَكَرَ ١) فِرَاقَ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْأَنْدَلُسِيِّ صَاحِبِ السَّيْلَةِ لِمَعَدِّ
 ابْنِ إِسْمَاعِيلَ الشَّيْعِيِّ صَاحِبِ إِفْرِيْقِيَّةَ، وَتَقَرُّبِهِ إِلَى الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ بِانْقِصَامِهِ إِلَى
 زَنَانَةِ الْمُتَعَاشِينَ إِلَى دَعْوَةِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَتَأَلُّبِ جَمَاعَتِهِمْ عَلَى زَيْرِي بْنِ مَنَادٍ
 الصِّتْهَاجِيِّ طَائِلِ مَعَدِّ الشَّيْعَةِ عَلَى حَرْبِ بِلَادِ الْغَرْبِ وَقَتْلِهِمْ لَزَيْرِي عِنْدَ
 انْقِصَاضِهِ عَلَيْهِمْ صَادًا ٢) لَمْ عَنْ طَرَفِهِمْ، مُتَقَرِّبِينَ بِقَتْلِهِ إِلَى الْحَكَمِ • وَسَبَقَ
 جَعْفَرُ وَبِحِجَى أَخُوهُ وَقَتْلُوهَا بِالْمُبُورِ ٣) إِلَى الْأَنْدَلُسِ مُهَيِّئِينَ ٤) رَأْسَ زَيْرِي، خَالِعِينَ
 لِلدَّعْوَةِ الشَّيْعِيَّةِ، مُتَقَلِّدِينَ لِلدَّعْوَةِ الْأُمَوِيَّةِ الْجَمَاعِيَّةِ. فَكَانَ لَهَا فِي ذَلِكَ قَبُولٌ
 وَرِفْعَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْخَلِيفَةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ الْوَرَّاقُ خَبَرَهَا؛ قَالَ: وَهِيَ ابْنَةُ عَلِيٍّ بْنِ حَمْدُونَ؛
 وَجَدَّهَا الْأَكْبَرُ عَبْدُ الْحَمِيدِ كَانَ الدَّخَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ مِنَ الشَّامِ، وَنَزَلَ بِكُورَةِ
 الْبَيْرَةِ؛ ثُمَّ تَنَقَّلَ حَفِيدُهُ حَمْدُونَ، جَدُّ جَعْفَرِ هَذَا، إِلَى بَحَايَةِ، وَصَحِبَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ
 الشَّيْعِيَّ الدَّاعِيَّ، وَدَخَلَ فِي مَذْهَبِهِ. فَلَمَّا تَغَلَّبَ الشَّيْعِيُّ عَلَى إِفْرِيْقِيَّةَ، ظَهَرَ عَلَى بْنِ
 حَمْدُونَ؛ ثُمَّ أَزْدَادَ ظُهُورًا فِي أَيَّامِ عَمِيدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ وَحُطُّوَّةَ، وَصَّاهُ إِلَى ابْنِهِ أَبِي
 ٢٥٩ P. الْقَاسِمِ وَرَأَى عَلَيْهِ؛ فَازْدَادَ حُطُّوَّةَ لَدَيْهِ، وَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى أَرْضِ الْغَرْبِ؛ فَأَمَرَهُ
 بِنَاءِ مَدِينَةِ السَّيْلَةِ، وَوَلَّاهُ عَلَيْهَا؛ فَبَنَى بِهَا إِلَى أَنْ هَلَكَ فِي فِتْنَةِ أَبِي يَزِيدَ،

١) مَقْدَمُونَ. ٢) صَاد. ٣) بِالْمُبُورِ. ٤) ذَكَرَ خَبَرَهُ.

سقط من جُزف عالٍ، فاندقت يده ورجلاه، سنة ٢٢٤. وتولى جعفر هذا ابنه
 المسيلة من بعده؛ فلم يزل متولياً لها، ربيع المتزلة عند سلطانه إلى أن قتل
 محمد بن الحخير بن خزر الزناني القائم بدعوة بني أمية زيري بن مناد في مخاف
 جعفر من صاحب إفريقية؛ فبادر إلى الفرار بنفسه مع أخيه يحيى وجميع أهله
 وماله سنة ٢٢٥؛ فصار عند بني خزر أمراء زنانية؛ فشق جعفر الصحراء معهم
 قاصدين ليزيري؛ فالتقوا معهم، ودارت بينهم حربٌ صعبة انجلت عن قتل
 زيري وخلي من رجاله؛ واحتوى الزنانيون فيها على جميع عسكر زيري، وأدركوا
 ثأرم منهم. ولما أنتم لهم لأمر أمراء زنانية وجعفر بن علي على ما أعلوه من
 الفتح في عسوم زيري بن مناد، بادر جعفر برسالة الحكم إلى الأندلس، حلياً
 بنفسه عليه، معنصاً بدعوته؛ ثم أرسل إليه أخاه يحيى؛ ثم سار إليه بنفسه،
 فخطى عنه.

قال ابن حنّاد: وفي ربيع الآخر من سنة ٢٢٥، التقى يوسف بن زيري
 الصنهاجي، المشتهر اسمه بلقين، مع محمد بن الحخير أمير زنانية؛ فهزمه بلقين
 ابن زيري، وقتل جماعة من أهله ورجاله. فلما آين محمد بن الحخير أن عدوه
 قد أحاط به، انكأ على سيفه، فذبح به نفسه، أثقة من أن يملكه بلقين؛ فأتى
 بأمر عظيم سار ذكره بأرض الغرب. وملك بلقين بن زيري إثر ذلك الغرب،
 وقتل زنانية، وهدم مدينة البصرة (١) وغيرها من مدن الغرب (٢)، ولم يبق عتاتاً
 عن مدينة سبته؛ ومنها رجع، وإليها كان انتهأوه؛ وصدر طائراً عنها.

وفي ذي القعدة منها، خاطب المستنصر بالله قواده وعلماله بكور الأندلس

في استقدام كبارها وأعلام رجالها لمشاهدة دخول يحيى بن علي * بن حمدون
 وبني خزر أمراء زنانية القادمين برأس زيري بن مناد الصنهاجي قائد معد بن
 إسماعيل الشيعي وبرووس أعيان أصحابه. فلما كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة
 ليلة خلّت من ذي القعدة منها، خرج صاحب السكة والمواريث، وقاضي

إشيلة محمد بن أبي عامر لتلقى جعفر بن عليّ وبجى أخيه، ومعه أربعة من
عِناق الخيل وبغل أشهب، مستفاد من دواب الخليفة، بسروج الخلافة ولحمها،
ومعه الأخيصة الديباجة وغير ذلك. فاحلّ ابن أبي عامر بالمرسى الذي خرج
فيه جعفر ومقره من مائة. ثم وصل بعد ذلك للوافدين خيل وبغال من قبل
الخليفة، وموايج وكسوات وعمارات ليعال جعفر؛ ثم قدموا إلى قرطبة يبروز
عظيم، واحتفال لدخولهم جسيم، حتى وصلا الخليفة. وقد ذكرت الشعراء شأن
فراق جعفر وأخيه بجى لسلطانها معد بن إسماعيل ومسيرها إلى الخليفة المحكم،
واعترافهما بحقه فيما مدحت به الخليفة المحكم وأكثر في ذلك. وقال يوسف
ابن هارون [كامل]:

وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِغَفْلَةِ الْمُسْتَنْصِرِ إِذْ أَكْفَتَ الْجَيْشَ اللَّهُامَ لِجَعْفَرٍ
وَلَوْ أَنَّ مِنْ أَهْوَاءِ أَنْبَرَزَ وَجْهَهُ قَامَتْ لَوَاحِظُهُ مَقَامَ الْعَسْكَرِ

وفي يوم السبت لليلتين بقينا من ذى القعدة منها، جلس الخليفة المحكم
فوق السرير جلوساً بهياً، وأوصل إلى نفسه أجناد الكور ووجوه أهلها، الذين
استدعاهم لمشاهدة جعفر بن عليّ ومن أتى معه من أمراء زناتة، وأمرهم
بالانصراف إلى بلادهم؛ فانصرف جند دمشق، وهم أهل البيرة، وجند حنص،
وهم أهل كورة إشيلة، وجند قنشرين، وهم أهل جيان، وجند فلسطين،
وهم أهل شذونة، وغير هؤلاء.

وفي سنة ٢٦١، هاجت بالغرب حروب مع حسن بن قسّون الحسيني وقواد
الحكم المستنصر بالله.

بعض أخبار حسن بن قسّون الحسيني أمير الغرب مع قواد الأتراك في هذه
السنة. كان المستنصر بالله دعا محمد بن قاسم الناظر في الحكم، وأمره بالخروج
إلى مدينة سبّة في رمضان من هذه السنة، قائداً على من يرضيه إليه من طوائف
الأجناد، للذي بدا من نقض حسن بن قسّون، وانخراجه إلى دعوة معّد صاحب

إفريقية واستدعاه من دنا منه من أحزابه، مشعباً بهم فيما اعتمد عليه من نفاقه على المحكم، وإعلانه بإبناح الدعاء للشيعي معذ على متاير عماله، فأوصى المحكم قائده محمد بن قاسم باستمالة جدّه، وجنّده في مفاورة ابن قنون، وأمره: «إن أظهر الله تعالى، أن يأخذ بالعنف والصبح، وإصلاح البلاد، واستصلاح الرعيّة؛ وأمره أن يستعين بن دخل في الطاعة الأموية، فكان عبوره البحر إلى سنة لإحدى عشرة بيت من شوال منها؛ وتكاملت الحيوث والأساطيل بسنة. وفي يوم السبت لأربع ختّون من ذي القعدة ورد كتاب على المستنصر بالله بفتح طنجة، فتحها قائده على البحر عبد الله بن رماحس¹، يذكر أنه نازلها بالأسطول غرة ذي قعدة، ودعا أهلها إلى الطاعة والعودة إلى الجماعة؛ فأسأوا الردّ عليه؛ وكان حسن بن قنون داخلها يندّ عرائسهم؛ فلما كان يوم الخميس، خرج حسن لقتال العسكر الخارج إليه من سنة² إلى تطاوين³، وأبرر من طنجة عدداً كبيراً من جنده الغربيين وأنصاره؛ فانهزموا أمام جيش المحكم، وروا مديرين؛ فلما رأى ذلك حسن، فرّ هارباً في خصة من أصحابه، لا يلوي على أحد، ولم يعرج على ما كان له ولا أصحابه بضجة من أموال وأخية وأمنعة؛ فلما أمعن في فراره، وأسلم أهل طنجة، خرج شيخهم ابن الفاضل إلى القائد ابن رماحس مع جماعة وجوه طنجة، وهم: «يادون»⁴ الفاضل والأبهر المؤمنين⁵ المحكم. ثم نقلهم ابن الفاضل إلى القائد رماحس وعلم به الأمان لأهل بله؛ فأعطاه إياه، ودخل طنجة، ونهب ما كان بها لعن بن قنون وأصحابه؛ وأند القائد كتابه بالفتح إلى الخبة.

ورد كتاب القائد محمد بن قاسم على المستنصر بالله تسع بيت من ذي القعدة، يذكر أنه التقى مع حسن بن قنون؛ فدارت بينهما حرب شديدة، أجلت عن هزيمته، وقتل كثير من شيعته؛ وفرّ قيس بن مغي معه إلى جبل حصين؛ فتنبعه

1) B. معارية.

2) A. B. رياحيف. Il s'agit de l'amiral Ibn Rimalis, bien connu par ailleurs.

connu par ailleurs.

3-3) Manque dans B.

المجد، وانفضوا عليه؛ فدارت بينهم حرب يسيرة؛ ثم انهزم أيضاً، وخلف أنفاله، وفر، لا يلوى على شيء؛ فصار الجمل بأيدي المجد، ونهبوا ما فيه؛ ثم نهضوا في اليوم الثاني إلى مدينة دلول^١؛ ففتحها الله لهم. ولحق بهم القائد محمد بن قاسم في العسكر؛ فنصد مدينة آصبلًا، فدخلوها؛ ودخل المفائد إلى جامعها، فوجد فيه رنبراً جديداً موسوماً باسم الشيعي معاذ بن إسماعيل؛ فأمر بإحراقه ناره. بعد أن خلع من أعلاه اللوح المنقوش فيه اسم معاذ، وكان فيه من الفسوخ ما في ذكره أمر كبير؛ فأمر باقتلاعه، وأرسله مع كتاب الفتح إلى المستنصر. وانصرف العسكر إلى مدينة دلول؛ فأمر بهدم أسوارها، وتدمير بيوتها نارا، وتركها غرة. واستولى العسكر على ما كان بها، واستوسعوا في قطعيتها وما ترك فيها حسن المذكور.

وفي سنة ٢٦٢. قُتل القائد محمد بن قاسم بأخص مهران على يدني حسن ابن قنن، يوم الأحد لسبع بقين من ربيع الأول؛ وقُتل في ذلك اليوم حمزة من المجد الذين كانوا معه نحو الخمسمائة من الفرسان الأبطال الأندلسيين الأتجاد، ومن رجالهم نحو الألف.

وفي غرة جمادى الآخرة، دخل إلى قرطبة جمع من مصوذة ممن كان مع حسن بن قنن، وم سبعون رجلاً، نزعوا إلى الطاعة. P. ٢٦٢

وفيها، استدعى المستنصر بالله غالب بن عبد الرحمن، وأمره بحرب حسن ابن قنن الحسيني عندما تفاقم أمره، وقبلي المجد. وورد على المستنصر بالله كتاب فتح من قبل التواد بمدينة آصبلًا، أنهم التوا مع حسن بن قنن، فدارت بينهم حرب شديدة انتهت فيها حسن وقُتل كثير من حباه، وقدم إلى قرطبة حنون بن إدريس صاحب مدينة العنوة الأندلسية من قاس، ورسول عبد

1) Vocalisé dans B. C'est sans doute le Zolul de Bakri.

2) Manque dans A.

الكرم صاحب مدينة القرويين من فاس، يرغبان في طاعة أمير المؤمنين
المستنصر، والقيام بدعوتهم؛ فكتبوا رسولهما، وأجل موعودهما.

وفي شعبان منها، خطب القائد غالب بأنه بعث إليه عشرة آلاف دينار
إصلاات الخارجين إليه من أصحاب حسن بن قسطن، يوزعها عليهم بحسب
مناذيرهم؛ وقرن بها من فاخر الكسوة والسيف المعللة عدد كبير الخلع عليهم.
وفيها، أرسل المستنصر بالله الوزير يحيى بن محمد النخعي إلى المغرب
بمسير، مدداً للقائد غالب، وجامعاً للبد معه على الخلع لطافة حسن بن قسطن؛
فكان ذلك في خريف طويل.

وفي أواخر ذي القعدة، ورد على المستنصر كتاب القائد غالب يذكر ضاع
الله تعالى في افتتاحه حصن الكوم، وقرب الخذلان عنه حسن بن قسطن مع
صهره صاحب البصرة علي بن خلف وغيرها.

وفي منتصف ذي الحجة، ورد كتاب صاحب الشرطة، فاض الضمائم
بالمغرب محمد بن أبي عامر، يذكر تعيينه الناس يوم الخميس، وتيام الخطبة في
المصلبات هناك للمستنصر بالله، وسرور المسلمين بذلك، وإبهاجهم به.

وفيها، كانت حروب مع الحمسين بطول ذكروها، نجحت عن مقتل خلق

كثير من أصحاب حسن بن قسطن الحمسي؛ وحز من رؤوس مشاهيرهم مائة
وأمر؛ وبترك أكثرهم صريعاً. وقُتل في الموقعة محمد بن أبي العيش الكنانى^١
وكان من حسن محل أخيه نارة ومحل أبيه نارة أخرى.

وفي سنة ٢٦٢. افتتح غالب، قائد الحشم المستنصر بالله، مدينة البصرة
التي كان انتزى فيها محمد بن حنون الحمسي، وذلك أن أهل البلد قاموا عليه،
وقتلوا نائبه وخيلته عليهم، وأبندروا لمخاطبة القائد غالب، يستجلبونه إليهم؛
فوصلهم، وملك المدينة، وخطب الخليفة بجزءها، وأدرج كتاب أهلها طي
كتاب.

وفي يوم الخميس منتصف صفر، ورد كتابُ غالب على المُستنصر، يذكر مُنصرَقَه عن بلد البصرة وأخذَه رَقَبَتُهُمْ، ويذكر أَنَّهُ قد صار الى الطاعة جميعُ أهل القُرب وعامة قنابل البزَر، ولم يبقَ فيه غيرُ الخائن حَسَن بن قَتُون، وأَنَّهُ قد صار من ضيق أمره في غُمة. ووصل أَهْلُ البصرة الى قُرطبة الدافعين لِأَمِيرِمْ حَسَن، الدخِلين في الطاعة.

وفيها، ورد آخرُ السارِّ على المُستنصر بالله بإذعان الحَسَن بن قَتُون الحَسَنِي، ودخوله في طاعته، فنَهَد الخليفة^١ صلاة الجمعة منسلخ جُمادى الآخرة؛ فنهَد بجامع قرطبة، وأَعاد الوزراء بخضوع حَسَن بن قَتُون المتري عليه القُرب، وأَنَّهُ ورد عليه كتابُ غالب بذلك، وأَنَّهُ يُوجِبُهُ إِلَيْهِ الله عِلِّيَّ بن حَسَن المذكور، وَأَنَّ الخُطبة قامت بدعوته في قلعة حَجَر السَّر؛ فأشهر الوزراء وقُودَه، وغُبطوه وأَعْلَوْا بالشُكر لله تعالى والدعاء للخليفة. وأُصالح في ذلك.

وفي سنة ٢٦٥، قدم على المُستنصر قائدهُ غالبُ بن عبد الرحمن قاتلاً من رَعْدَوَة القُرب، ومعه حَسَن بن قَتُون وشيعته يُتَوَّأَدِرِس الحَسَبُون مَلِكُ القُرب،^٢ ٢٦٥. ٢. استنزلون من مقرهم الى الأندلس، حاقين بشيعة المُشهر بِجَنُون، وأَسْبَهُ أَحْمَد بن عيسى. صاحبُ مدينة الأندَلَام وما وِلَايَتِهِ، ومعه إِخْوَتُهُ وَبَنُو عَمِّهِ وَنَوْمٍ وَأَقْلُومٍ؛ فَأَمَرَ بِحَسَالِ مَوْلَاهُ الْأَشْرَافِ من الغُمة. في ظلام ليلة الخميس لأربع خَلُون من الظُّرْم. الى الدُّور التي أُخْلِيَتْ لَمْ يَفُزْطَةُ؛ فَأَرْسَلَ النُّومُ مَعَهُم رِقَابَهُمْ من قَتِيَانِهِمْ وَمَوَلِيَّيِهِمْ. حَتَّى أَذْنَهُمْ الى الدُّور البُعْدَةِ لَمْ، بعد أَن فُرِشَتْ بِجَالِسِهَا بِشَيْءٍ يَتَوَلَّى ذِكْرُهُ.

وفيها، كَانِ اعتلال الخليفة الحَكَم، في ربيع الأول؛ واحتجب عن جميع مَنكته الى أَن تَخَفَ وَصَبَهُ، وظلَّ للحاصَّة يوم الجمعة لليلة بقيت من ربيع الآخر منها. وفي عَقِبِ ربيع المذكور، أَغْنَى الحَكَمُ نَحْوًا من مائة رَقعة من عبيد، له

١) Marque dans A. 2-2) B. أَدْنَهُمْ.

فيه لبعضهم^١ تديراً، وللباقين^٢ عتق بآل وموَجَل، خُصَّ به جميعهم من الرِّق؛ وعُقدت بذلك وثائق. فكان أول من أوقع شهادته فيها أبو الوليد هشام بن الحكم، ثم النُّقهاء أهل الثُّورى، ثم العدول.
وفيها، حبس الحكم حوائت الرَّاَجِيت بفرطبة على المُعَلِّين لأولاد النُّصَفَاء.

وفيها، أسقط الحكم سُدس جميع المغاير عن الرعايا جميع كُور الأندلس، شُكراً لله على أنظاره له.

وفيها، كان جيشان العدو - خذله الله - ومنازلته بعض حصون المسلمين. وفيها، كان الظفر بأبي الأحوص مقيم بن عبد العزيز الشَّجِيي؛ فقبض عليه رثيق، وبعثه مكبلاً إلى فرطبة مع عشرة من أصحابه؛ وكان بظاهر المشرَكين وبُغْلُزِم على عَوْرَات المسلمين؛ فأخذَه الله.

وفي سنة ٢٦٥، خرج من فرطبة جَعْفَر ومجبي، ابنا علي بن حَمَّاد بن الأندلسي، فالتفتا إلى الغرب من العدو، وبين أيديهما الآلِية والعلول مُدْبِئِينَ^٣ للوزير مجبي بن محمد بن هاشم.

وفيها، كان الإعلان ببيعة أبي الوليد هشام بن الحكم، وأن يؤخذ له من الخاصة والعامة بفرطبة وسائر كُور الأندلس، وما إلى طاعته من بلاد الغرب. وذكره في الخطبة على المنابر في الجمعة والأعياد، وذلك بمثل جمادى الآخرة؛ فقد أمير المؤمنين الحكم بنصره، وانفتح الكلام بما عزم عليه من نقليد آتية عهده الخلافة من بعد؛ فالتزمت بيعته، وأُخرجت سائر من كُتب البيعة ليؤقَّع شهادته كسُلِّ من التزمها؛ وبوَلَّى إعطاءها للناس على مراتبهم المنصور محمد بن أبي عامر، وهو يومئذ صاحب الشرطة والمُؤَارِث. وبُشِّرَ التَّيَّ الجَعْفَرِيُّ الكاتب.

١) بعضهم. ٢) باقيهم. ٣) مدبئين. B. مزبئين. A.

وفيهما: خرج الوزير يحيى بن محمد بن ماثم قائداً الى سرقسطة، وبني
يديه الضبول والبود.

وفيهما، نفذ عهد الحكم في الوزير صاحب المدينة جعفر بن عثمان المصعفي
بإطلاق أبي الأخوص الشيباني من سجن المظنق مع أصحابه؛ فصنع الحكم عنهم.

وفي سنة ٢٦٦، حوّل عبيد البغلة ذئب، صاحب السواد، المعروف بالثاني،
منسوباً الى قالي قلا من ديار المشرق.

وفيهما، مات محمد بن يحيى الأحمري. وأبو مروان الأديب المرادي. وعبد
الملك بن سعيد؛ فكانت سنة الأقدار.

وكل بناء المسجد سنة ٢٢٠؛ كان الأمير الذي سمعه الحكم مُدخلًا من
عُود الصندل الأحمر والأصفر والأشوس والعاج والعود البشري؛ فام على الحكم
(رحمه الله) خمسة وثلاثين ألف دينار وسبعة دنانير وخمسة دنانير؛ وكان
نماؤه في خمسة أعوام.

ووجد بخط المستعصرات تاريخ وفاء فاشيه وقضى إليه مُنير بن سعيد
السلوطي. وأنه توفي يوم الخميس اليَستين بقينا من ذي نعدة من سنة ٢٢٠؛ وكان
مولده سنة ٢٧٢؛ فكان عمره اثني وثلاثين سنة. وكان في هذا القاضي مُنير
دُعابة يُعرض بها ويُعرض له بها؛ فكانت اليه قوم من أهل الجماعة
والخرف [خفيف]؛

فَلِإِقْضَى الْجَمَاعَةِ السَّلُوطِي مَا تَرَى فِي خَرِيدَةِ كَالْخُوطِ
نَاكِهًا لَشَوَابِ قَوْمٍ ظِرَافٍ قُلْ تَرَى سَيِّئِي بَذَا مِنْ سُنُوطِ

فوتع لهم في كتابهم: «لا مُنْزَدة». فقال له من حضر: «ما هذا؟». فقال: «أردتُ لا أرى ذلك». فقالوا: «لا تُنْهَمُ عَنْكَ إِلَّا غَيْرُهُ». فقال: «كُلُّ جُجَارِبٍ عَلَى مُعْتَقَلِهِ!». فكان له (رحمه الله) نَوَائِدُ مُنْجَعَةٍ، وغرائبُ مُسْتَمْلَعَةٍ.

ذِكْرُ اتِّصَالِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بِخِدْمَةِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ

قال بعض المؤرخين: كان اتصال ابن أبي عامر بالحكم فيها حدثني به ابن حسين الكاتب والأديب أبو إسحاق بن محمد الإفريقي وغيرهما من المشيخة أن الحاجب جعفر بن عثمان المصعني، القائم بدولة الحكم، خلا في بعض الأيام بالفاضل محمد بن إسحاق بن السليم، تشككا إليه ابن السليم شجوة بمحمد بن أبي عامر ووصف له حاله. فلما طلب الحكم له وكيلاً لولد عبد الرحمن الدارج في حياته، ذكر له جعفر ابن أبي عامر بخبر، ووصف لأمر عبد الرحمن جماعة اختارت منهم ابن أبي عامر، وذلك باختيار جعفر له؛ فقصه الحكم لخدمتها وخدموا منها عبد الرحمن.

فلما مات عبد الرحمن، بقي في خدمة أمة الميمنة، وكانت قد وأسست هشام بن الحكم؛ فصرف ابن أبي عامر لوكالته، وكان غنمه أولاً لوكالة الولد عبد الرحمن يوم السبت لسمع خلون من ربيع الأول سنة ٢٥٦ هـ، وأجرى عليه في ذلك الوقت خمسة عشر ديناراً في الشهر مرتباً بالوازنة، فبدأ من قصه وحسن نظره ما عرف له؛ ثم استأثر الله بعبد الرحمن؛ فصرفت إلى ركنة هشام يوم الأربعاء لأربع خلون لرمضان سنة ٢٥٩ هـ، وكان قد تقدم للنظر في أمانة دار السنكة يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت لشوال من سنة ٥٦ هـ، كانت ولايته أولاً لوكالته، وأضاف له الخزانة؛ ثم قدمه على خطة الموارث يوم ٢٦٨ هـ. المحبس لسمع خلون من المحرم سنة ٢٥٨ هـ، واستنفاذ على كورة إشبيلية ولسكة وأعمالاً يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٥٨ هـ المذكورة. وفي سنة ٢٦١ هـ، قدم الحكم المستنصر بالله محمد بن أبي عامر على الشرطة الوضعية في حمادى الآخرة، وأجاب به إلى الأمانات بالعنوة؛ فاستصلحها وأعمال أهلها؛ وجعله فاضل النفاذ بالغرب من العنوة؛ وأمر عماله وقواده ألا يتعدوا شيئاً دونه، إلا سؤره؛ ثم أضاف إليه الحكم النظر في الحشم، وهو في عنه التي مات فيها بالفالج.

وقيل أيضاً إنَّ سَبَبَ ظَهْرِهِ كَانَ يَخْدُمُهُ لِلدَّيَّةِ صُبْحَ الْبَشْكِيَّةِ، أَمْرٌ
عَدِ الرَّحْمَنُ وَهَشَامٌ، فَكَانَتْ أَقْوَى أَسْبَابِهِ فِي تَغْيِيلِ الْمُنْكَ عَمَّا قَبِيلَ إِلَيْهِ^{١)}؛
فَإِنَّهُ اسْتَمَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ بِجَمْسِ الْخِدْمَةِ، وَتَوَاقَفِ الْمَسَرَّةِ، وَسَعَةِ الْبَذْلِ فِي بَابِ
الْإِنْخَافِ وَالْمِيَادَانِ، حَتَّى اسْتَهْوَاهَا، وَغَلَبَ عَلَى قَلْبِهَا؛ وَكَانَتْ الْغَالِبَةُ عَلَى مَوْلَاهَا،
وَأَنَّ أَيْ طَامِرٍ يَجْتَهِدُ فِي يَرِّهَا وَالشَّابِرَةِ عَلَى مُلَائِفَتِهَا؛ فَيُبْدِعُ فِي ذَلِكَ، وَيَأْتِيهَا
بِأَشْيَاءٍ لَمْ يُفْقِدْ مِثْلَهَا. حَتَّى لَقَدْ صَاعَ لَهَا قَصْرًا مِنْ رِضْوَةٍ وَقَدْ وَلَّاتِ السَّكَنَةَ^{٢)}،
عَمِلَ فِيهِ مُدَّةً، وَأَتَقَى فِيهِ مَالًا جَسِيمًا؛ فَجَاءَ بِدُبْعَا، لَمْ تَرَ الْعَبِيُونَ أَعْجَبَ مِنْهُ؛
وَحِيلَ ظَاهِرًا لِأَعْيُنِ النَّاسِ مِنْ دَارِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ، وَتَكَفَّلَ النَّاسُ مِنْهُ مِنْظَرًا
بِدُبْعَا، لَمْ تَرَ الْعَبِيُونَ أَعْجَبَ مِنْهُ؛ فَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِشَأْنِهِ دَفْرًا، وَوَقَعَ مِنْ قَلْبِ
الْمَرْأَةِ مَوْفَعًا لَا نَحِيَّةَ فَوْقَهُ؛ فَتَزَيَّدَتْ فِي يَرِّهِ، وَتَكَفَّلَتْ بِشَأْنِهِ، حَتَّى تَحَدَّثَ
النَّاسُ بِشَقْفَتِهَا بِهِ. وَقَالَ الْحَكَمُ تَوَمَّنَا لِعَيْنِ رِثَانِهِ: «مَا الَّذِي اسْتَلْطَفَ بِهِ عِنْدَ
الْقَتَنِ خَرْمًا حَتَّى سَلَكَ قُلُوبَهُمْ، مَعَ اجْتِمَاعِ زُخْرُفِ الدُّنْيَا عِنْدَهُمْ، حَتَّى رَسَرَتْ لَا
يَعْنُونَ إِذَا قَتَلَتْهُ، وَلَا يُرْضِيهِمْ إِلَّا مَا أَمَامَهُ؛ إِنَّهُ نَسَاجِرٌ عَلَيْهِمْ، أَوْ خَادِمٌ لِبَيْتٍ؛
وَأَيُّ لِحَافَةٍ عَلَى «مَا بَيْنَهُ»؟ ثُمَّ سَعَى بِهِ إِلَى الْحَكَمِ، وَقَبِلَ عَنْهُ إِنَّهُ قَدْ أَسْرَعَ فِي
إِتْلَافِ^{٣)} مَالِ السَّكَنَةِ الْمَوْقُوفِ فِيهِ؛ فَأَمَرَ الْحَكَمُ بِإِحْضَارِهِ لِشَارِعِ سَلَامَتِهِ^{٤)}؛
فَظَهَرَ الْإِسْرَاعُ إِلَى ذَلِكَ، وَقَدْ اسْتَهْلَكَ^{٥)} حِمَّةً مِنَ الْأَمْوَالِ^{٦)}؛ فَأَتَى نَفْسَهُ فِي
جَعْبِهَا^{٧)} عَلَى الْوَزِيرِ ابْنِ حَذِيرٍ فِي إِسْلَافِهِ إِبَاهَا^{٨)}؛ وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ؛ فَيَأْسَرُهُ فِيهِ،
وَحُلَّ الْمَالُ إِلَيْهِ مِنْ وَقْتِهِ؛ فَتَمَّ بِهِ مَا فِيهِ، وَارْتَمَتْ الْفِلْطَةُ عَنْهُ؛ فَأَكْذَبَ
الْحَكَمُ مَا رُفِعَ إِلَيْهِ عَنْهُ، وَازْدَادَ عَجَبًا بِهِ. وَأَقْرَأَ عَلَى حَالِهِ؛ فَرَدَّ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ
الْمَالَ لِابْنِ حَذِيرٍ مِنْ حَبْنِهِ، وَأَصْبَقَ بِالْحَكَمِ، وَصَارَ فِي عِزَادِ كُفَّائِهِ.

وَأَسْعَلَ قَلْبُ الْحَكَمِ آخِرَ أَيَّامِهِ، بِأَمْرِ الْعِدْوَةِ وَمَنْ جَرَدَهُ إِلَيْهَا مِنْ عَسَاكِرِهِ
لِحَرْبِ الْأَدَارِسَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَاعْتَمَّ لِمَا خَرَجَ مِنْ يَدِهِ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ.

1) Manque dans A.

2) Manque dans A.

3) Manque dans A.

4) B. برامته. 5-5) كثيرا منه. 6) B. جبره. 7) A. وقع.

فَقَدَّ ابْنَ أَبِي عَامِرٍ قِصَاءَ النُّصَاةِ بِالْقُرْبِ، وَجَعَلَهُ عَمِيَّتًا عَلَى الْعَسْكَرِ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِي مِهْمَاتِهِ؛ فَسَارَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ إِلَى هُنَالِكَ؛ فَجَعَلَتْ سِيرَتُهُ^١، وَصَحْبَ جَيْشِهِ وَجُوهَ الْعَسْكَرِ وَأَشْيَاخَ الْقَبَائِلِ وَمُلُوكِهِمْ؛ فَكَانَتْ تِلْكَ الْحَرَكَةُ أَوَّلَ ظَهْوِهِ، وَبَعْدَ رَجُوعِهِ مِنْهَا، لَمْ يَزَلْ يَزِدُّ دَادَ تَبَلًا، وَيَرْتَفِعُ مَتَرَةً، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ يَخْدُرُ إِلَى دَارِ جَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ السُّعْفِيِّ وَزَيْرِ الدَّوْلَةِ وَمَرْوَحٍ، وَيَخْتَصُّ بِهِ، وَيَدْعِي نَصْبَهُ.

وَفِي سَنَةِ ٢٦٦، تُوِّىَ الْحَكَمُ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ بَعْدَ انْتِصَالِ عِلِّهِ؛ وَجَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ بِدَيْرِكَ سُلْطَانَهُ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ، لِبَلَّةِ الْأَحَدِ لِفَلَاحِ خُلُونِ لِرَمَضَانَ مِنْ السَّنَةِ الْمُرُوثَةِ.

خِلَافَةُ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ وَالدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ

١) نَسَبُهُ: تَقَدَّمَ فِي خِلَافَةِ أَبِيهِ وَجَدَهُ^٢. كُنْيَتُهُ: أَبُو الْوَلِيدِ. لَقَبُهُ: الْمُوَيْدُ بِاللَّهِ. أُمُّهُ: صُبْحُ الْبَشْكُيْنِيَّةِ، أُمُّ وَلَدِهِ؛ وَكَانَ سَيِّدُهَا الْحَكَمُ بِسَيِّمِهَا جَعْفَرٌ، وَكَانَتْ مَغْنِيَّةً^٣ حَظِيَّةً عِنْدَهُ، وَتَوَفَّيَتْ فِي خِلَافَةِ ابْنِهَا هِشَامٍ. بَوُيعَ لَهُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِأَرْبَعِ خُلُونٍ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ٦٦ بِعَهْدِهِ مِنْ أَبِيهِ، وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةِ سَنَةٍ وَثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ؛ وَخُلِعَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ثَلَاثَ عَشْرَةِ لَبَّةً بِفَيْتٍ مِنْ حِمَادِيِّ الْآخِرَةِ، سَنَةِ ٢٩٩؛ فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ الْأُولَى، إِلَى أَنْ قَامَتِ الثَّقَلَةُ، ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ. وَفِي الْخِلَافَةِ الثَّانِيَةِ سِتِّينَ وَعَشْرَةَ أَشْهُرًا الْجَمِيعَ الَّذِي كَمُلَ لَهُ فِي الْمَرَّتَيْنِ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَشَهْرَانِ وَعَشْرَةُ أَيَّامٍ. صَفَتُهُ: أَيْبَضُ، أَشْهَلُ، أَعْيَنُ، خَفِيفُ الْعَارِضَيْنِ، لِعَيْتُهُ إِلَى الْحُمْرَةِ، حَسَنُ الْجِسْمِ، قَصِيرُ السَّاقَيْنِ، مَائِلٌ إِلَى الْعِبَادَةِ وَالْإِنْتِبَاضِ، مُقْبِلٌ عَلَى نِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَدَرْسِ الْعُلُومِ، كَثِيرُ الصَّدَقَاتِ عَلَى أَهْلِ الْيَسْرِ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

١) آثاره. ٢) يدبره. ٣) Manque dans B. ٤) Manque dans B.

قُضِيَتْهُ: مُحَمَّدُ بْنُ السَّلِيمِ، أَلْفَاءُ قَاضِيًا لِأَيِّهِ فَأَقْرَهُ عَلَى وَلايَتِهِ؛ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ
ابْنُ زَرْبٍ؛ ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ بَجِي النَّمِجِيِّ عُرِفَ بِابْنِ بَرْطَالٍ، وَغَيْرُهُمْ.
نَقَشُ خَاتَمِهِ: «هشام بن الحكم، بالله يَمْنَعُكُمْ». وَتَوَلَّى عَقْدَ الشَّهَادَةِ عَلَى
النَّاسِ فِي الْمَعَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَتَبَهُ وَصَاحِبُ شُرْطَتِهِ الْوُسْطَى وَالسَّكَّةَ وَالْمَوَارِيثَ أَبُو
عَامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ، بَعْدَ مَا كَانَ قَاضِيًا الْجَمَاعَةَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ السَّلِيمِ
يَأْخُذُهَا عَلَى مَنْ شَهِدَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْأَعْيَامِ وَأَبْنَائِهِمُ وَالْوُزَرَاءِ وَطَبَقَاتِ أَهْلِ الْخِدْمَةِ
وَرِجَالِ قُرَيْشٍ وَأَعْلَامِ أَهْلِ الْخَضِرَةِ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ السَّادِسِ مِنْ جُلُوسِ هِشَامٍ، وَهُوَ الْعَاشِرُ لِعَصْرِ سَنَةِ
٢٦٦، قُلِدَ الْخَلِيفَةُ هِشَامُ حُجَابَتِهِ وَزِيرَ أَيْهِ الْأَخَصُّ أَبُو الْحَسَنِ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ
الْمُضَحِّقِي. وَفِي هَذَا الْيَوْمِ، أَنْهَضَ الْخَلِيفَةُ هِشَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ إِلَى خُطَّةِ
الْوِزَارَةِ، نَقَلَ إِلَيْهَا عَنْ شُرْطَتِهِ الْوُسْطَى وَأَجْرَاهُ رِسَالًا لِحَاجَتِهِ جَعْفَرُ فِي تَدْيِيرِ
P. ٢٧١ دَوْلَتِهِ؛ فَنَادَاهُ مُحَمَّدُ شَاوَأً، وَجَرَى إِلَى غَايَةِ بَرْزٍ فِيهَا ثَوْبُهُ، سَابِقًا فِي الْخَلِيفَةِ،
وَتَخَلَّفَ جَعْفَرُ عَنْ مَدَاهِ.

وَمِنْ أَخْبَارِ جَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ الْمُضَحِّقِيِّ: هُوَ أَبُو الْحَسَنِ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ
نَاصِرِ بْنِ قَوْزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كُسَيْلَةَ الْقَيْسِيِّ. كَانَ لَطِيفَ الْمَثَلَةِ مِنَ الْحَكَمِ
الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ، قَدِيمَ الصُّعْبَةِ، قَرِيبَ الْخَفَاصَةِ؛ وَكَانَ أَوَّلُ سَبَبٍ ذَلِكَ تَأْدِيبَ
وَالِدِهِ عُثْمَانَ بْنِ نَاصِرٍ لِلْحَكَمِ فِي رِصَابِهِ، وَاسْتَعْتَمَهُ فِي أَيَّامِ وَالِدِهِ النَّاصِرِ، وَاسْتَكْبَهَ،
وَرَفَاهُ إِلَى خُطَّةِ الشُّرْطَةِ الْوُسْطَى وَالنَّظَرِ فِي عَدَدِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْكُورِ. فَلَمَّا أَنْصَحَتْ
الْخِلَافَةَ إِلَى الْحَكَمِ، قُلِدَهُ، بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ خِلَافَتِهِ، خُطَّةُ الْإِمَارَةِ، وَأَمَضَاهُ عَلَى
الْكُتَابَةِ الْخَاصَةِ؛ ثُمَّ جُمِعَ لَهُ الْكُتَابَةُ الْعُلْيَا بِالْخَاصَةِ، وَوَلَّى أَبْنَاءَهُ الْأَعْمَالَ الْكِبَارَ.
وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ أَحَدَ شُعْرَائِهِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، الْمُتَنَصِّرِينَ فِي أَنْوَاعِ الشُّعْرِ
مِنْ الْمَدِيحِ وَالْأَوْصَافِ وَالْفَزَلِ، غَايَةً فِي كُلِّ ذَلِكَ فِي الرِّقَّةِ وَالْإِبْدَاعِ وَالْحُسْنِ.
وَقَدْ نَقَدَّمَ قَوْلُهُ مُرْتَجِلًا: «هَبَا لِلْإِمَامِ وَاللَّامِ» وَقَوْلُهُ مُرْتَجِلًا: «نَضْلَعُ الْبَدْرُ
مِنْ حُجَابِهِ ١)» وَغَيْرَ ذَلِكَ.

1) Voir supra, p. ٢٣٧.

قال ابن بسام: كان جعفر بن عثمان رجلاً بلغ المشي، وسُرعَ مُرْفَعٌ من
دَفْرِهِ ما انتهى، دونَ مَحْدٍ تَنَزَّعَ من دَوَاجِهِ، ولا فَخْرٍ نَشَأَ بين مَقْدَاهِ ١ وروحه.
نَسَمًا ثَوْنًا سَابِقَةً، وارتقى الى رَتَبِهِ لم تكن لَبَنَتِهِ ٢ مَطَابِقَةً؛ فلم يزل يستقل
ويصطليح، ويستقل من مَطْلِحِ الى مَطْلِعٍ، حتى التاح في أَفْقِ الخِلاَقَةِ، وارتاح
إليها بعطفها كَشَوَانِ السَّلَاقَةِ؛ وحج الإمام، وانسكب برأيه ذلك الغمام.
فأدرك بذلك ما أدرك، ونصب لأمانيه الحبال والشرك، واقتنى وأدخر،
وأزرى بمن يسواه وبخر، واستعطفه محمد بن أبي عامر، ونَجَّمَهُ غَايِرٌ لم يَلُغْ، ٢٧٢
وسرّه مكتومٌ لم يَبْلُغْ؛ فما أقبل عليه ولا عَطَفَ، ولا جنا من رَوْضَةِ دنياه زَهْرَةً
أَمَلِي ولا قَطَفَ؛ وأقام في تدير الأندلس، وهو يَجْرِي من السعد في مِيدَانِ
رَحْبٍ، وبكرع من العز في مشرب عَذْبٍ. وكان له أدبٌ بَارِعٌ، وخطبٌ إلى
نَظَمِ المحاسن مُسَارِعٌ. فمن ذلك ما بعثه عليه إِبْنُ دَفْرِهِ وإِسْعَادُهُ، وقاله حين
أَلَهَتْهُ سَلَمَاءُ وسُعَادَةُ [طويل]

لِعَبْنِكَ فِي قَلْبِي عَلَى عُبُونٍ وَبَيِّنَ ضُلُوعِي لِلشُّجُونِ فُسُونُ
لَئِنْ كَانَ جِسْمِي مُخْلَقًا فِي يَدِ الْهَوَى فَحُكِّ غَضٍّ فِي الْفَوَادِ مَصُونُ
وله، وقد أصبح يوماً عاكفاً على حُبَّاءٍ، هَانِئًا بِإِجَابَةِ دُنْيَاءٍ، مَرْتَشِّفًا ثُغُورَ
الْأَنْسِ مِنْتَسِمًا رِيَاءٍ، وَالْمَلِكُ يُفَارِزُهُ بِطَرَفِ عِلِيلٍ، وَيُهِيمُ مِنْ أَنْسِهِ كُلِّ نَحِيلٍ،
وَالسَّعْدُ قَدْ عَفَدَ عَلَيْهِ أَيْ إِكْلِيلٍ، بِصِفِّ لَوْنٍ مُدَامِهِ، وَمَا يَعْرِفُ مِنْهَا دُونَ
يُدَامِهِ؛ فقال [كامل]:

صَفَرَاهُ تَبَرَّقَ فِي الرُّجَاجِ فَإِنْ سَرَتْ فِي الْجِسْمِ دَبَّتْ مِثْلَ صَلِّ لِادِغِ
عَبَّتِ الزَّمَانُ بِحُسْبَاهَا فَتَسَرَّتْ عَنْ عَيْنِهِ فِي ثَوْبِ نُورٍ سَائِغِ
خَفِيَتْ ٣ عَلَى سُرَايِيهَا فَكُنَّا نَمَا بِحُدُونِ رِيسَا فِي إِنْسَاءِ فَارِغِ
واسم في حجابته، ومرَّ بين سَمْعِ الدهر وإِجَابَتِهِ، وَالنَّفُوسُ الْعَلِيَّةُ مِنْ تَنَاجِي
حَالِهِ مِنْغِيرَةٍ، وفي تَكْيُفٍ سَعْدٍ مِنْجَبَةٍ. ولم يزل لنجاد تلك الخِلاَقَةِ مُعْتَقِلًا، وفي

١. مقداره B. ٢. لَبَنَتُهُ B. ٣. خَفِيَتْ A.

مطالعها مستغلاً، الى آت ثوفاً المحكم، فانضم عنده الحكم، وانبرت اليه
النواب، وتعددت له الخطوب بسهام صواب، واستولى عليه الكل، وأسرت
اليه الذوايل والأمل، وتجاوز الإذبار، وساوره من المكروه ما فيه اعتبار؛
P 273 وانتقل الى المنصور ذلك الأمر، واختص به كما اختص يزيد أخوه الفخر،
وأنا في تلك الخلافة كما شب قبل اليوم عن طوقه عمرو؛ فاعتقل بتلك
النجاد، واستبد به دون أولئك الأتجاد، وانبرى الى المصحف بصدر كان قد
أوغره، وجدر سام طال ما استنصره؛ فأباده ونكه، وسلب جامه وانتهبه، واقتص
من تلك الإساءة، واغص حلقه بكل مسامة، وألهب جوانحه حرناً؛ ونهب له
مدخراً ومختزناً، ودمر عليه ما كان حاطاً، وأحاط به من مكروهه ما أحاط؛
فبنى بين في مهوى النكة، وجوى تلك الكربة، ينقله المنصور معه في غزواته،
ويعتقله بين أظفار النضيق أو في لهواته، وهو يستعطف ويستميل، فلا
يتحقق له رجاء ولا تأمل، الى أن تكورث شمسه، وقاضت بين أنياب المحن
نفسه؛ فاعتيل في المطبق، ونفذ فيه أمر الله وسق.

بعض أخبار المنصور محمد بن أبي عامر في ابتدائه

تس: هو أبو عامر محمد بن أبي حفص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن
عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك، الداخل الى
الأندلس مع طارق؛ وكان له في فتحها أثر جميل؛ وكان في سقومه وسيطاً؛ وقد
ذكره محمد بن حسين الشاعر العالم بأخبار الأندلس في بعض أمداحه للمنصور
هذا، فقال [طويل]:

وَكُلُّ عَدُوٍّ أَنْتَ تَهْدِيهِ عَرْشَهُ	وَكُلُّ فَتْرُوحٍ عَنْكَ يُفْتَحُ بَابُهَا
وَأَنْتَ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ	حُلًى فَتَحَ قَرْطَاجَتَهُ وَأَنْشَأَهَا
جَبَاهَا أَبُو مَرْوَانَ جَدُّكَ فَايْضاً	بِكَفَرٍ تَلِيدٍ طَعَنَهَا وَضَرَاهَا
فَإِنْ سَعَتْ فِي الشِّرْكِ مِنْ بَعْدِ قَتْعِهِ	فُتُوحٌ فَمَصْرُوفٌ إِلَيْكَ ثَوَابُهَا

* وجدّه عبد الملك هو الذي دخل مع طارق ونزل الجزيرة الخضراء. لأوّل ٢٧٤ هـ.
 الفتح؛ فساد أهلها، وكثّر عيبه فيها؛ وتكررت فيهم البهاعة والوجاعة؛ وجاور
 الخلفاء منهم بقرطبة جماعة أحدهم أبو عامر محمد بن الوليد، الذي عُرِفَ آلُ
 عامر طرّاً به. وساد بعده ولد عامر، وتنفّس عند الخلفاء، وولّى الأعمال، ومات
 بقرطبة؛ وباشيه نفّس محمد السكك، ورغم الأعلام. وكان عبد الله السككي
 يأبى حنص، والد محمد المنصور، من أهل الدين والزهد في الدنيا والنعوذ عن
 السلطان؛ سمع الحديث، وأدى الفريضة، ومات منصرفاً من حجة بمدينة
 إشبيلية المغرب؛ وأصغر التيسمين المعروفين بقرطبة بني برطال؛ فنكح بربّة
 بنت بجي بن زكرياء؛ فولدت له أبا عامر المنصور، وأخاه بجي. وكانت أمُّ
 عبد الله، والد المنصور، بنت الوزير بجي بن إحقاق، وزير الناصر لدين
 الله وطيبه.

وكان محمد هذا حسن النشأة، ظاهر النجابة، تتفرّس فيه السيادة؛ سلك
 سبيل القضاء في أوّلته، مفتنياً آثار عمومت وخولته؛ فطلب الحديث في حدّاته،
 وقرأ الأدب، وفيد اللغات على أبي عليّ البغدادي، وعلى أبي بكر بن القوطية؛
 وقرأ الحديث على أبي بكر بن معاوية القرويني، راوية السامعي، وغيره من رؤساء
 أهل المشرق؛ وبرع بروحاً أدناء، مع نوازع سغب وبادر حظّ، من المحكم
 المستنصر؛ فقرّبه وصرفه في مهمّ الأمانات وأصنافها؛ فاجتهد وبرز في كلّ ما
 قلده، واضطلع بجميع ما حمّله.

وكان المحكم، لشدة نظره في الخلتان، يتخيّل في محمد بن أبي عامر أكثر
 الصفات الجنيعة إلى النسب والبلدة. وكان يعبّد القائم عليهم^١ من الجزيرة
 الخضراء، أصغر الكنّين. فيقول لخاصته: «ألا ترون صنفة كفيته؟» فإذا قالوا
 له: «أريخ نفسك منه!» يقول: «لو كانت به شجرة، لكانت تكمله صفاته».
 فكان * من قدر الله أن حدثت الشجرة بمحمد بعد موت المحكم بضربة غالب ٢٧٥ هـ.

1) Manque dans A.

الناصري له، وبها تم الأثر فيه؛ كما أن الحكم قد كان وقف في الأثر على البقعة التي بُنيت فيها الزاوية؛ وكانت ملوك مروانية تتخوف ذلك، وكان الهجيم^١ شأنها الخليفة الحكم؛ فنظر في أمرها، وهي البقعة المعروفة بألش (بفتح اللام)، وهي بغري قرطبة؛ ووجد انتقال الملك إليها؛ فأمر حاجبه جعفرًا بالسبق إليها والشروع في بنائها طمعاً في مزية سعداء، وأن لا يخرج الأمر عن يده؛ وأبقى عليها مالا عظيماً؛ فكان من غريب الأمور أن محمد بن أبي عامر نولي النظر في شأنها مع من نظر فيها، وهو يومئذ في حال الثروة والاحتياج، ولا يعلم يومئذ به. فسبحان من يؤتي ملكه من يشاء.

ثم رُفِعَ^٢ إلى الحكم أن البقعة بغري ذلك الموضع، وأنها شرقي مدينة قرطبة؛ فأنفذ يثنته محمد بن نصر بن خالد للوقوف عليها، وأنهى إلى منزل أبي نصر المسمى بألش (مضمومة اللام)، وأصاب هنالك عجوزاً ميسرة وافقت على حد الارتداد، وقالت له: «سمعنا قديماً أن مدينة تسمى هنا، ويكون على هذا البئر زول ملكها». فعاد إليه محمد بن نصر بالحيلة؛ فلم تطل المدة حتى بناها ابن أبي عامر، وتوالت أرجاء ذلك البئر قرارة. وكان المنصور على بقعة^٣ من سرعة انتقال الملك إليه، لا ينك في ذلك لأنه تمكن من مطالعة ما كان عند الحكم؛ فوقف على الحيلة.

ولم يزل الحكم يقدم محمداً ويؤثره، إلى أن ولي العبد ابن هشام؛ فزاد مقداره لحاصه بولي العهد ومكانه من السيدة والدته؛ فاحتاج الناس إليه وغشوا بأبهم فأناس من سلف من أصحاب السلطان سعة إسعاف، وكرم لقاء، وسهولة حجاب، وحنين أخلاقي، فعرض جأه، وغير أبه. وأوسع في بناء داره بالرفافة، وأخذ الكتاب الحماة، وأصبح سراً الصحابة، وكانت مائدت موضوعة لمن يناب داره. وعنه تراءى إلى وراد ما سألته؛ وهو في هذا كله يقدو إلى دار جعفر بن عثمان الصنعفي وبروج، ونصبح ساءه ويختص به.

يقول B. (١) رفع A. et B. (٢) الجهر A. (٣)

ثم انصابت علة الخليفة المحكم من الفاليج، وجعفر بدير سلطانه. ووقع
 إرجاف موت المحكم؛ فأشار محمد بن أبي عامر على جعفر بن عثمان بالتركاب
 ولئى العهد هشام فى ذلك اليوم فى الجيش، إرهاباً لأهل الخلاف؛ ففعل موركب
 فى الناس ركبته المشهورة، ومحمد بن أبي عامر بين يديه، قد كساء الحر، ونقله
 الى أكابر أهل الخيمة. وأمر ولئى العهد هشام فى ذلك اليوم (وهو العاشر لصفر
 من سنة ٦٦) بإسقاط ضريبة الزيتون المأخوذة فى الزيت بقرطبة، وكانت الى
 الناس مستكرمة؛ فسروا بذلك أعظم حرور، ونسب شأنها الى محمد بن أبي
 عامر، وأنه أشار بذلك؛ فأحبوه لذلك. ولم نزل الهمّة تَعْنُو، والجُدُ يجْطِيه،
 والقضاء يساعده، والسياسة الحسنة لا تفارقه، حتى قام بدير الخلافة، وأقعد
 من كان له فيها إنافة، وساس الأمور أحسن سياسة، وداس الخطوب بأحسن
 ديانة؛ فانتظمت له الممالك، وأنضحت به المسالك، وانتشر الأمن فى كل
 طريق، واستشعر الأمن كل فريق. وأسقط جعفر المصنعين، وعمل فيه ما أَرَادَه.
 فأول عُرْوَة فصمها من عُرَى المملكة عُرْوَة الصّقالية الختم بالنصر موضع
 الخلافة؛ وكانوا أنهى حُلّ المملكة، وأخصّ عددها؛ عني الخلفاء مجمعهم والاستنكار
 منهم؛ وكانوا خاصة الناصر والمحكم بعده، حتى لقد ظهرت منهم فى زمن المحكم أمور
 ربيحة أغضى عنها مع إشارة العدل " وإطراح الجور بالجملة ". وكان يقول:
 « مُمُّ أَمَّاوُنا وَثِقَانَا على الحرّم؛ فهينى للرعية أن تليّن لهم، وترفق فى معاملتهم؛
 فسلم من معرّهم، إذ ليس يمكننا فى كل وقت الإنكار عليهم. »
 ولما مات المحكم، كان الصّقالية أكثر جمعاً وأحد شوكة، يظنون أن لا
 غالب لهم وأنّ الملك بأيديهم. وكانوا ينفأ على ألف محبوب؛ فحبك بما يتبعهم؛
 وكان رأسهم فائق المعروف بالنظامين، صاحب البرد والطرار؛ وبله صاحب
 جرد صاحب الصاغة واليازره؛ وإيهما كان أمر الغلمان النحول بخارج القصر.
 وكان قد جرى بين فائق وجوذر مع الحاجب جعفر المصنعين إثر موت المحكم

ما أذكره: وذلك أنه لما سَوَّى الحَكَم، خفى موه على وزيره جعفر وسائر أهل
المملكة لظول برده في العتمة، ونزَّه يعلم ذلك في وقته خادماه الخاصان به:
فائق وجوذر؛ فاستظهرا بكمكان ذلك. وتقدَّما في ضبط الدار. وحلوا للتشاور،
وقد عرَّما على رد الأمر للمغيرة بن الناصر. أخى مولاها الحَكَم، خشية من انتشاره
على أنه هشام، لصغر سنه، وإنكار الناس لثقبه على أن يقرَّ ابن أخيه هشامًا
على العهد بعده؛ فبمنا على المغيرة بسوق الخلافة إليه، ونفيا لمولاها مارثقاب
كبر ولد، ويكون الملك في أيديهما بحال، وكان رأيا حسنا لو أراد الله به.
فلما اتفقا على ذلك، قال جوذر لفائق: «ينبغي أن نُحضِر جعفر بن عثمان
الحاجب، فنضرب عنقه؛ فذلك يتم أمرنا». فقال له فائق: «سبحان الله يا
أخي! تشير بقتل حاجب مولانا وشيخ من مشيختنا دون ذنب، ولعله لا
يخالقنا فيما نريد، مع افتتاحنا الأمر بسفك الدم». فأرسلا في جعفر بن عثمان؛
فحضروا ونفيا إليه الحَكَم، وعرضا عليه ما أجمعا عليه من الرأي. فقال لهما
جعفر: «هذا والله! أسد رأي وأوفق عمل؛ والأمر أمركا؛ وأنا وغيري فيه تبع
لكما. فاعزما على ما أردتما، واستعينا بمشورة المشيخة؛ فهي أسي للخلاف، وأنا
أسير إلى الباب، فأضبطه بنفسى؛ وانظرا أمركا إلى بما شئتما». وخرج عنهما؛
فقبضوا باب النصار، وتقدم في إحضار أصحاب الماشية مثل زياد بن أفلح
مولى الحَكَم، وقاسم بن محمد، ومحمد بن أبي عامر، وهشام بن محمد بن عثمان،
وأشباهم؛ واستدعى بني يزرال، إذ كانوا بطائفة من سائر الحمد. واستحضر
سائر قواد الأجناد الأحرار؛ فاجتمع له من هذه الطوائف ما شدد ركنه وقوى
أيده؛ فمضى لم الخليفة، وعرفهم مذهب الصفاية في نكث بيعة هشام؛ وأقبل
بشيت أصحابه، وقال لهم: «إن حبسنا الدولة على هشام، أمنا على أنفسنا، وصارت
الدنيا في أيدينا؛ وإن انتقلت إلى المغيرة، استبدل بنا، وطلب شفاء أحماده». فأنار
عليه أصحابه بقتل المغيرة قبل أن يبلغه موت أخيه، فتممكة الحيلة. فعمل

رأهم : فتَوَاتَّقُوا^١ فيما بينهم النهوض إلى قتله ؛ فكثروا وجنوا ؛ فبدرم محمد بن أبي عامر وقال : « يا قوم إني أخاف فساد أمركم ، ونحن نبيع لهذا الرئيس (وأشار إلى جعفر) : فبيعني ألا يختلف عليه . وأنا أتعلم ذلك عنكم إن أجذبتني إليه^٢ ؛ فحَبِّصُوا عليه^٣ ! » فأعجب جعفرًا والجماعة ما كان منه . وولَّوه شأنه ، وقالوا له : « أنت أحق بتولي كبره لمصاصتك بالحليفة هشام وممالك من الدولة . » فأرسل جعفر معه طائفة من الجند الأحرار ، وبقى بهم لذلك .

مقتل المغيرة بن عبد الرحمن الناصر رحمه الله

فركب محمد بن أبي عامر إلى المغيرة من ساعته ، وركب معه بدر القائد مؤلى الناصر في مائة غلام من غلمان السلطان ، ووقف لهم خارج باب دار المغيرة . وأحاط يسوأة من أصحاب محمد بجوانبها ، وأقنعهم محمد عليه ؛ فوجه مطيئنا على غير استعداد ؛ فنعى إليه أخاه الحكم ، وعرفه بجلوس ابن هشام في الخلافة ، وأن الوزراء خشيوا خلافه . فأنفذوه لامنعان القصة . فاشتد دُغْرُهُ^٤ ؛ ثم استرجع عليه ، واستبشر بسُلك ابن أخيه ، وقال : « أغلِبْهُمْ إني سامعٌ مُطِيعٌ^٥ » . وأقبل يسئلف ابن أبي عامر ، وبناشد الله في دمه . وسأله المراجعة في أمره . حتى رُقَّ له محمد ، وكتب إلى جعفر يصدقُه عنه ويصف له الصورة التي وجد عليها من السلامة والطهانية . ويستأذنه في شأنه . فردَّ عليه جعفر يلومه في التأخير ، ويعزم عليه في التصميم . ويقول له : « غررتنا من نفسك ؛ فأنفذ لشأنك ؛ أو فانصرف ، نرسل يسوأك . » فحس محمد لجوابه ، وعرض الرقعة على المغيرة ، وجعلها بينه ، وزال عن وجهه . وأدخل عليه تلك الطبقة ؛ فقتلوه خنقًا في مجلسه ، وعلَّقوا جسده في مخدع يتصل بمجلسه ، كهيئة المُخْتَنِق من تلقاء نفسه ، وذلك كله بمعينة حرمة . ثم أشاعوا أنه خنق نفسه ، لما أكرهوه على الركوب لابن أخيه ؛ فطاح تمه على هذه الصورة .

١) اتقوا . ٢) اغتلى . ٣) احتبس . ٤) اشتد دُغْرُهُ . ٥) فداهم .

وكان يومَ قُتِلَ سِيعاً وعشرين سنة. ثمَّ نَقِمَ مُحَمَّدٌ بِاخْتِائِ ذلك. وأمرهم بدفعه في مجلسه، وأن يسُدُّوا أبوابهم، فقاموا بذلك على ولده وبعثته. وعاد ابنُ أبي عامر إلى جعفر بالقِصَّة؛ فطابت نفسه، وصبرَ محمداً إلى جانبه. وشكره. ووصل الحَديثُ على المَغيرة إلى جَوْدَرٍ وفائق؛ فدَهِشَا، وسَقَطَ في أيديهما. وقال جَوْدَرٌ لفائق: «قد نصحتُ لك، فلم تسمع مني!» وكان أَكَلُ دَهاءٍ منه. فانكفأ إلى جعفر. فأظهر له السلامة والاستبشار بما أُنَادَ. والاعتذار بما رأياه. وقال له: «إِنَّ المَحْرَجَ أَذَلُّنا عَمَّا أُرشدك الله إليه. فنجراك الله عن ابنِ مَوْلانا خيراً، وعن دولتنا وعن المسلمين!» فأظهر لها بعض التَّبول. وانضمَّ جعفر في الشغل بأمر البيعة أُنَامَا. وفي سنة الصَّفالية ما لا يَهَيِّيه معه عيشة، وفي أنفسهم له أَمْرٌ لَوَغُرَ.

٢٢٠ وأجلس جعفر * هشام بن الحَكَمَ للبيعة بالخلافة صبيحة يوم الإثنين لأربع خلون من صفر سنة ٢٦٦؛ ودعا الناسَ ابنُ أبي عامر للبيعة؛ فلم يجتف عليه اثنين. فكان لابنُ أبي عامر في أَخْذِها أَثَرٌ كبير. يذُكِّره الناسُ، وعلا شأنه ومكانه، واعتد في الناس صيته.

بعض أخبار الصَّفالية مع ابنِ أبي عامر

وذلك أَنَّهُ لما تمكنت الوحشة ما بين جعفر والصَّفالية؛ انصرفوا عنه. وكرموا ولاية هشام. فأخذ جعفر جُنُوزَهُ منهم. وأَذكى العيون؛ وبلغه أَنَّ جَوْدَرٍ وفائقاً يديران على حوله. ويدسَّان في ذلك إلى بعض من في قيادتهما من وجوه الغلمان والفُجوة؛ وكان الدخول والخروج إليهما على باب الحديد؛ فأمر الحاحب جعفر النصحى بَسْمَ المَحْجَر. وصبر دخول الناس على باب السُّدَّة. فحسم شرَّ الصَّفالية. وصبرهم تحت الرِّقَّة. ونظر جعفر في إرالة الغلمان الفُجوة عن رَسْمِ هَذَيْنِ الصَّنِيعَيْنِ بمواطاة محمد بن أبي عامر؛ وقدس محمداً إلى من ظلمهم

له؛ فتقدم عليهم محمد بن أبي عامر؛ فكان بطأ عَفَبَهُ منهم خمسائة غلام،
فاشتد بهم أزره، ونخم أمره، وقدمهم في الإنزال والعطاء؛ فأحسوا^١؛ ثم انقلب
بنو يَرْزَال إلى محمد بن أبي عامر، وصاروا في قيادته. فاعتز بالطائفتين، وقهر
عدوه، وتبعه سائر الحنيد. فهان أمر الصقالية عنه.

ثم ان جَوْدَرًا القتي استأذن السلطان في الخروج إلى داره مستعنياً من
الحنيد، وهو يظن أنه لا يُجاب إلى ذلك؛ فأنذنه في الخروج؛ فاشتد وعيد
أصحابه. وزاد كلامهم؛ وكان أجدرهم على ذلك دُرَيّ القتي الصغير، لما فيه من
النبرد والجهالة؛ فحرك جعفر ابن أبي عامر لإزالته والراحة منه،^٢ وقال:
«حاول عليه!»^٣ فدخل إلى رعيته بياسة، وأمره بالشكوى به وبعماله، ووعدهم
العدوى عليه والإراقة من جوره؛ فسارعوا إلى ذلك. ورفع الحاجب جعفر قصته

إلى السلطان، وقد أحكم ابن أبي عامر شأن التدبير عليه؛ فخرج التوفيع^٤ ١٠٢٨١
بالتجمع بين دُرَيّ وبينهم، والنظر في مصالحهم؛ فاستدعى دُرَيّ إلى بيت الوزارة؛
فلما أشرف على الدار، ورأى من أعدد فيها، أحسن بالشر؛ فخنس راجعاً؛ فبعثه
ابن أبي عامر، وقبض عليه؛ فقبضاً؛ فقبض دُرَيّ بابن أبي عامر، وقبض على
لجته؛ فصاح محمد بن أبي عامر بمن حضر من الحنيد؛ فاحتشم الأندلسيون دُرَيّاً،
وأسرع بنو يَرْزَال إلى إجابته؛ فتقدموا إلى دُرَيّ، فأوجعوه ضرباً؛ ولحفته ضربة
بصفح السيف، أزالته عقله، وحيل للوقت إلى داره؛ فغويجل من ألبته بالقتل.
وأمر في الوقت فائقاً وجماعة من كبارهم بالخروج إلى ديارهم والتزامها؛ فخرجوا
إليها. وانحصدت شوكة الصقالية حينئذ، وفل حذم؛ ونحرد ابن أبي عامر
أطلبهم، فاستخرج منهم أموالاً جمة. وآلت حال فائق إلى أن حير إلى الجزائر
الشرقية؛ فمات هناك.

وفي خروج الصقالية من القصر، بقول سعيد الشتريني الشاعر السريع:

أُخْرِجَ مِنْ قَصْرِ إِمْلَرِ الْهِنْدِيِّ كُلُّ أُنْتَى مُنْبَطِحٍ جَائِرٍ
 قَسَنَ رَأْسًا مِنْهُمْ قَالَ لَا سَكَنَ إِلَّا فَعَلَ النَّاسُ بِالسَّائِرِ^(١)
 فَغَنَتْ ظَهْرُ الْبَيْسِكِ الْمَرْتَضَى قَدْ خَفَتْ مِنْ تَقْلِيمِ الظَّاهِرِ
 وَنَالَ مَاءَ الْعِلْمِ مِنْ وَجْهِهِ مَذْ^(٢) زَالَ مِنْ جَهْلِهِمْ^(٣) الْخَائِرِ
 فَلَا زَمَ الْإِقْرَاءَ^(٤) فِي قِصْرِهِ مَعَ الْوَزِيرِ الْخَيْرِ الظَّاهِرِ
 وَقَدْ جَعَلَ الْمُصْغَفِيُّ أَمْرَ الْقَصْرِ وَالْحَرَمِ، بَعْدَ إِخْرَاجِ هَؤُلَاءِ النِّبَاتِ، سَكْرًا
 صَاحِبِهِمْ؛ فَسَكَنَ أَنْفُسَ الصَّفَالِيَّةِ، وَأَجْرَاهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ؛ فَأَصْغَوْا إِلَيْهِ إِلَى أَنْ
 اسْتَجَابَهُمْ جَوْدَرُ النَّتَى عَظِيمُهُمْ عِنْدَ الظُّهُورِ الَّذِي هَمَّ بِهِ.
 فَلَمَّا تَمَّ لِابْنِ أَبِي عَامِرٍ تَدْيِيرُهُ فِي الصَّفَالِيَّةِ، جَعَلَ يَتَوَصَّلُ إِلَى مَقَلَدِ جَيْشِ
 الْمَمْلُوكَةِ، وَالْقِيَامِ بِجِهَادِ الْعَدُوِّ دُونَ الْجَمَاعَةِ؛ وَكَانَ الْعَدُوُّ جَاسَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.
 ٢٠٢٢ وضع في انتهاز الفرصة فيهم؛ فَأَرَفَ^(٥) ابْنُ أَبِي عَامِرٍ مِنْ ذَلِكَ، وَأَشَارَ عَلَى الْحَاجِبِ
 جَعْفَرٍ بِتَحْيِيزِ الْجَيْشِ وَالْإِعْتِدَادِ لِلْجِهَادِ، وَعَرَضَ الْقِيَامَ بِهِ عَلَى جَمِيعِ الْأَكْبَادِ؛
 فَكَلَّمَهُمْ كَعَمَّ^(٦) إِلَّا ابْنَ أَبِي عَامِرٍ؛ فَإِنَّهُ بَادَرَ إِلَيْهِ عَلَى أَنْ يَخْتَارَ مَنْ يَخْرُجُ مَعَهُ
 مِنَ الرِّجَالِ. وَنَجَّهَ لَمْزُوهَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ. فَاسْتَكْرَ ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ؛
 فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ: «خُذْ يَضَعْنَهَا وَأَمْضِ! وَلْيَحْضُنْ عَنَّا وَك!» فَخَامَ
 الْمُعْتَرِضُ عَنْ ذَلِكَ، وَسَلَّمَ الْجَيْشَ وَالْمَالَ إِلَى ابْنِ أَبِي عَامِرٍ.

مُزْوَرَّةُ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْأُولَى

فَخَرَجَ ثَلَاثَ خُلُوفٍ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٢٦٦، وَدَخَلَ عَلَى الثُّغُرِ الْمُجَوِفِيِّ.
 فَيَا زِلْ حَصْنَ الْحَامَةِ مِنْ جَلَبَتِيَّةٍ؛ فَحَاصِرُهُ، وَأَخْذَ رِبْقَتَهُ، وَغَنَمَ وَسَى؛ وَقَتَلَ
 بِالسَّبْيِ وَالْعَنَاقِ إِلَى قَرْطَبَةَ إِلَى ثَلَاثَةِ وَخَمْسِينَ يَوْمًا. فَعَظُمَ السَّرُورُ بِهِ، وَأَخْلَصَ
 الْحَزَنُ لَهُ، لَمَّا رَأَى مِنْ كَثْرَةِ جُودِهِ، وَكَرَمِ عِشْرَتِهِ، وَسَعَةِ مَائِدَتِهِ؛ فَأَحْبَبُوهُ وَالتَّفَنُّوا
 بِهِ؛ وَكَثُرَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِمْ وَإِفْضَالُهُ عَلَيْهِمْ، إِلَى أَنْ أَدْرَكَ بِهِمْ سُوْلُهُ، وَبَلَغَ مَأْسُوْلُهُ.

١. أَمْلَرِ. ٢. مَالٍ مِنْ ظُهُورِهِ. ٣. فَعَلَ النَّاسُ بِالسَّائِرِ. ٤. ١-٢. ٥. ١-٢.

ذكر تكذيب الحاجب جعفر بن عثمان

وذلك أنه لما سمع الحال بمحمد بن أبي عامر، واستب أمره، أعمل الحيلة والتدبير في إسقاط جعفر بن عثمان، والانفراد بالدولة؛ فلم يجد لذلك سبباً أقوى من مظاهرة الوزير أبي تمام غالب الناصري، صاحب مدينة سالم والثغر الأدنى، شيخ الموالى قاطبة، وفارس الأنكلس يومئذ غير مدافع له؛ وكان بينه وبين الحاجب جعفر بن عثمان عداوة ومافسة. والثالث حال غالب صدر دولة هشام في سنة ولادته لما ملك جعفر أمرها، وبأن نصير غالب في مدافعة أعداء الله، وخاف أن يصل أمره إلى الخلاف والمعضبة؛ فأشار ابن أبي عامر في استصلاحه ورغى يمازجه. ولم يزل ابن أبي عامر يقوم بشأنه. ويخدمه داخل الدار عند السيدة أم هشام وسائر الحرم، حتى تم مراده فيه كى يستعين به ^{في سنة ٢٦٦} على إهلاك الضعيف؛ فأنهض غالباً إلى خطة الوزاريين، وأنفذ إليه كتاب الخليفة بذلك، وأمره بالاجتماع مع ابن أبي عامر على التدبير على الصوائف، على أن يدير ابن أبي عامر جيش الحضرة، ويدير غالب جيش الثغر.

غزوة ابن أبي عامر الثانية

وخرج محمد بن أبي عامر بالصائفة يوم انقضى من سنة ٢٦٦؛ فاحشع مع غالب بمدينة مجريط. وأصل معه من النظار على جعفر ما أصاب به الكفة من قلة؛ وأنفقوا ووافقا. وخدم ابن أبي عامر غالباً في سفره هذا خدمة ملك بها نفسه؛ قال إليه غالب بكليته. واستمر في غزوها، وافتتح حصن مؤلف، وظهر فيها على سبي كثير، وغنم المسلمون أوسع غنمة. وكان أكثر الأمر فيها لغالب؛ فتجافى عنه لابن أبي عامر. وسار معه إلى ثغره، ومنه فارقه؛ بعد أن أبلغ في مواطاة محمد بن أبي عامر على عدوه جعفر بما أراده؛ وقال غالب لابن أبي

عمر عند وداعه: «سيعظم لك بهذا النفع إسمٌ عظيم وذكرٌ جليل، يشغلهم السرور به عن الخوض فيما يحدث من فتن». فأبأك أن تخرج عن الدار حتى تعزل ابن جعفر عن المدينة وتقلدها قوتاً^١» فاعتقد محمد ذلك.

وخطب غالب الخليفة هشاماً بحسن مناب ابن أبي عامر في هذه الغزوة، ونسب السعي والاجتهاد إليه، وشكره، وشد عضده عند الخليفة، وعاد محمد ابن أبي عامر إلى حضرة قرطبة منصرفاً بالسبي والغنائم. فاستمال محمد بهذا النفع قلوب العامة والخاصة، وتعرفوا فيه بسن النبوة، فبعد صيته، وهان عليه أمر جعفر وغيره، وشرع في قذمه. فخرج أمر الخليفة يوم وروده بصرف محمد بن جعفر بن عثمان عن المدينة^٢ وتقليدها ابن أبي عامر. فخرج محمد نحو كرسبها في هذا اليوم، والمخلع عليه، ولا عند جعفر علم بذلك؛ وكان محمد بن جعفر جالساً في مجلسها في أبيه، إذ صعد ابن أبي عامر نحوه؛ فولى محمد بن جعفر ناكساً على عقبه، وأصبح بدأته.

وملك ابن أبي عامر الباب بولاية الشرطة؛ والتجيش يشوذه له؛ والدار بعناية الحرّم به؛ فلك على جعفر بذلك وجوة الحيلة، وخلاؤه، وليس في يده من الأمر إلا أنفه. فضبط محمد المدينة ضبطاً أنسى أهل الحضرة من سلف من أفراد الكفأة وأولى السياسة، وقد كانوا قبله في بلاء عظيم، يتحارسون الليل كله، ويكادون من روعات طرّاق ما لا يكاد أهل الثغور من العدوّ. فكشف الله ذلك عنهم بمحمد بن أبي عامر وكفايته، وتترّفه عما كان ينسب لابن جعفر. فسد باب الشناعات، وقمع أهل الفسق والذنابات، حتى ارتفع البأس، وأمن الناس، وأمنت عادية المنعزّمين من حاشية السلطان؛ حتى لقد عثر على ابن^٣ عمّه له يعرف بعفّالجة^٤؛ فاستحضره في مجلس الشرطة وجلّده جلداً شديداً كان فيه حمامه؛ فانقبع الشر في أيامه حملة. واستخف ابن أبي عامر على

^١ على ابن له. ^٢ Marquis d'Alcañiz. ^٣ qui donne simplement له.

المدينة ابن عمه عمرو بن عبد الله بن أبي عامر؛ فملك في أجل الشريعة،
بل أرى عليه في ذلك.

وكتب جعفر غالباً يستخلصه، ويستقبله، ويخطب إليه لانيته؛ فجددت
بينهما اللفة؛ وجرى عقد في المناكحة. وانكشف ذلك لابن أبي عامر؛ فكتب
غالباً ينسده العهد، وألقى أهل الدار عليه في فسح المصاهرة؛ فكتبوه في ٢٨٥
ذلك؛ فانصرف إلى ابن أبي عامر، وحل عقد جعفر في نكاحه، وانكح ابن أبي
عامر أسماء ابنته؛ فكانت أحظى نسائه.

غزوة ابن أبي عامر الثالثة^١

فلما تم هذا العقد، خرج إليها؛ فدخل على طليطلة غرة صفر من سنة
٢٦٧؛ فاجتمع مع صفه غالب؛ فعضمه وجرى إلى موافقته. ونهضا معاً؛
فاتتعا حصن المال وحصن زنتي^٢، ودوخا مدينة شلمغة وأخذوا أرباضها.
وقتل ابن أبي عامر إلى قرطبة بالسبي والغنائم، وبعث عظيم من رؤوس
المشركين، إلى أربع وثلاثين يوماً من خروجه؛ فزاد له السلطان في التنويه،
وأبغضه إلى خطة الوزارة، سوى فيها بينه وبين غالب، ورفع رأيته إلى ثمانين
ديناراً في الشهر، وهو راتب الحجابة. واستقدم السلطان غالباً لاستبداء أسماء
إلى زوجها محمد؛ فبالغ في إكرامه؛ ووقع زفافاً أسماء في مشهد بعد العهد بثله
شهرة وجلالة؛ وزنت إليه ليلة النيروز من قصر الخليفة؛ فهو الذي تولى مع
حرمة أمرها. وكانت أسماء عند توصف بحمال بارع وأدب صالح؛ وحظيت عند
ابن أبي عامر؛ فلم يفارقها. وقلده الخليفة خطة الحجابة مع جعفر مشتركاً. ثم
خط الخليفة على جعفر بن عثمان المصحفي، وصرفه عن الحجابة يوم الإثنين
ثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٢٦٧؛ وأمر بالقبض عليه وعلى ولد

١) Ce titre manque dans A, qui l'incorpore au texte un peu plus loin.

٢) Leçon fournie par D. — A donne رنتى, sans points diacritiques.

وأشابه: وعلى ابن أخيه هشام؛ وصرفوا عما كان بأيديهم من الأموال، وطلبوا
بالأموال. فتوصل ابن أبي عامر بحاضبتهم إلى استصفاء أموالهم، وانتهاك حرمهم،
وترديد النكبات عليهم، حتى مرقهم كل مرق. وسارع إلى قتل هشام ابن أخي
جعفر في السطوق، إذ كان أشد آل عثمان عدوة له؛ وأخرج إلى أهله ميتاً.
P. ٢٨٦ واستمرت النكبة على جعفر سبعين عدة، يُحبس مرة ويُطلق أخرى. ومما حفظ
له في ابن أبي عامر، مُستعطفة له [متقارب]:

عفا الله عنك ألا رحمة	تجود بعنوك إن أبعدا
كن جل ذنب ولم اغتيد	فأنت أجل وأعلى يسدا
ألم تسر عبداً عدواً طوره	ومولى عفا ورشيداً هدى
ومُنيداً أميراً تلافيته	فقاد فأصلح ما أنسدا
أفلي أقالك من لم يزل	يقك وتصرف عنك الردى

وكان جعفر بن عثمان في محنة أخوّر الناس، أزامهم للذل، وأحيم في
الحياة؛ انتهى به الاستحذاء لمحمد بن أبي عامر، والطمع في الحياة، أن كتب
إليه بعرض نفسه عليه لتأديب ابنه عبد الله وعبد الملك؛ فقال ابن أبي عامر:
«أراد أن يستجيلي ويستغلي عند الناس، وقد عهدوا مني بأبيه مؤملاً؛ ثم
برونه اليوم ببيخليزي معلماً.»

ثم جدّ ابن أبي عامر في مكروهه، وأدقّ حسابه، وأمر بإحضاره إلى مجلس
الوزراء بقصر الخلافة، ليُنظر بين أيديهم فيما أدرى عليه من الخيانة؛ فتروّد
إلى هذا المجلس مراراً، وأقبل آخر مرة إليه، وارتقى الصاغط يزعمه، والبر
والسنن فد هاضماً، وقصراً خطاه، والموكل به يحسونه ويستحسونه؛ فيقول له جعفر:
«يا بني رفقاً؛ فسئورك ما تريد؛ وبأليت أن الموت يبيع، فأغلى الله سومة!»
حتى انتهى به إلى المجلس، والوزراء جلوس، فجلس في آخر المجلس دون أن

يسلم؛ فسرع اليه الوزير محمد بن حفص بن جابر، وكان من حزب ابن أبي عامر؛ فعتقه، واستجعله، وأنكر عليه ترك التسليم، وجعفر مريض عنه. فلما أكثر عليه، قال له جعفر: «يا هذا جهلت المرة، فاستجهلت عالمها وكثرت اليد، فنصرت بسوءيها.» فاضطرب ابن جابر من قوله، وقال: «هذا هو البهت بعينه! وأنى آياديك الفراء التي مننت بها؟ أيد كذا أم يد كذا؟» وعدد أشياء؛ فأنكرها عليه المحاجب، وقال: «هذا لا يعرف؛ والمعروف ذمعي عن بسناك القطع، وشفاعتي فيها إلى الماضي (رحمه الله) حيث استخوتك في مال كذا.» فأصر ابن جابر على المجد؛ فقال جعفر: «أنشد الله من له علم بما ذكرت أن ينكم!» فقال الوزير ابن عباس: «قد كان بعض ما ذكرته؛ وغير هذا أولى بك، يا أبا الحسن!» فقال: «أخرجني الرجل، قلت.» ثم أقبل الوزير محمد بن جهور على محمد بن جابر، فقال له: «أوما علمت أنه من كان في تحت السلطان، تعاقى السلام على أوليائه لأنهم إن ردوا عليه، أخطأوا السلطان لتأمينهم من أخافه؛ وإن تركوا الرد، أخطأوا الله، وتركوا ما أمر به؟ فكان الإمساك أولى؛ ومثل هذا لا يخفى على أبي الحسن.» ففعل ابن جابر وأسفر وجه جعفر ونهل. ثم أخذ القوم في مناظرته على المال؛ فقال: «قد والله استندت ما عندي من الطارف والتاليد، ولا حطع رقي في درهم، ولو قطعت إرثاً إرثاً!» فصرفت إلى محب في مطلق الزمراء؛ فكان آخر العهد به. وله، وقد أودعه المنصور المطلق، والشجون شرع إليه وتبقى، معزياً لنفسه، ومجتزياً في يومه بإسعاد أميه؛ فقال [مقارب]

٢٨١

أجاري الزمان على حاله	حجارة نفسي لأنفاسها
إذا نفس صاعد شفاها	توارث به بين جلايسها
وإن عكفت نكبة الزمان	عكفت بصدري على رأسها

ومن بديع ما حفظ له في نكته، قوله (رحمه الله) يستريح من كرتة [الطويل]:

صَبَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ لَمَّا تَوَلَّيْتُ وَالزَّمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتْ
فِيمَا عَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اصْطَبَارُهُ وَالنَّفْسِ بَعْدَ الْعِزِّ كَيْفَ اسْتَدَلَّتْ
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا النَّفَى فَإِنْ طَلِمَتْ تَأَقَّتْ وَإِلَّا تَسَلَّتْ
وَكُنْتُ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيْزَةً فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الْمَذَلِّ ذَلَّتْ
وَقُلْتُ لَهَا يَا نَفْسِ مَوْنِي كَرِيْمَةً فَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَنَا نِمْ وَلَّتْ

وكان من هلاكه في محبته هذا على يقين؛ وذلك أنه لما أمر به إلى المطبق، ودفع أهله وولده وودائع البرقة، وقال: «هذا أنت إجابة الدعوة؛ وأنا أرتقبه منذ أربعين سنة!» فسئل عما ذكره؛ فقال: «رفع على فلان أيام الناصر وسعى به إليه؛ فأشرفت على أعماله؛ فآل أمره إلى ضربه وتغيير نعمته وإطالة حبسه. فبينما أنا نائم ذات ليلة؛ إذ أتاني آت؛ فقال لي: «أطلق فلاناً؛ فقد أجبته دعوته فيك؛ ولهذا أمرت أنت لا بد لأقبيه!» فاستبعت مدعوراً؛ وأحضرت الرجل، وسألته إخلالي؛ فامتنع علي؛ فاستحلته على إعلامي بما خصني به من الدعاء؛ فقال: «نعم! دعوت الله أن يثبتك في أضيق السجون كما أعزيتني حقيقة.» فعلمت أنه قد وجبت دعوته؛ وتدمت حيث لا يمنع الدم، وأطلقت الرجل؛ ولم أزل أرتقب ذلك في السجن. فالت في السجن إلا أياماً، وأخرج سيقاً، وأسلم إلى أهله. فقبل: قتل حَقّاً في البيت المعروف بيت البراغيث في المطبق؛ وقبل: نُسْتُ إليه شريرة مسومة.

قال محمد بن إسماعيل، كاتب المنصور: «سرت مع محمد بن مسلمة إلى الزهراء لتسليم جند جعفر إلى أهله وولده، والحضور على إنزاله في ملحق؛ فنظرت إليه ولا أنرفه، وليس عليه شيء يواريه غير كساء خَلَقَ لبعض البوئين، ستره به. فدعا له محمد بن مسلمة بغسل؛ فغسله (والله!) على قَرْدٍ بابٍ أفتتح من ناحية الدار، وأنا أعتبر من تصرف الأقدار؛ وخرجنا بنفسه إلى قبره، وما معنا إلا إمام المسجد المتمدني للصلاة؛ وما نجاس أحد على النظر إليه.» ثم قال: «وإن لي في شأنه لغبراً ما سمع بمثله طالب وعظم ولا وقع في مسمع

ولا تصور للعظيم؛ وقفت له في طريقه، أيلم منه وأمره، أروم أن أناوله قصة كانت به محقصة؛ قول الله ما تمكنت من الدنو منه بجيلة، لكثافة موكبه، وكثرة من حاف به؛ وأخذ الناس السكك عليه وأغواة الطرقي، ينظرون إليه ويسلمون عليه، حتى ناولت قصتي بعض كتابه الذين نصبهم جناحي موكبه لأخذ القصص؛ فأنصرف، وفي نفسي ما فيها من الشرق بحاله والغصص؛ فلم تطل المدة حتى غضب عليه المنصور، واعتقله، ونقله معه في الغزوات ذليلاً وحمله. وأنفق أن نزلت بجليقية في بعض المنازل إلى جانب رغبائه في ليلة نهي فيها المنصور عن وقد النيران ليغني على العدو أثره، ولا يتكشف له خبره؛ فرأيت - والله! - ابنه عثمان يسفه دقيقاً قد خلطه بماه يقيم به أوكده، ويُسك به رفق بضعف حال، وعدم زاد ومال، وسمعته يقول [طويل]:

٢٩. تاملت صرق الحوائث فلم أزل أراها توافي عند مقصدها الحرأ
 • فله أيام مضت لسيولها فإني لا أنسى لها أبداً ذكراً
 تجافت بها عنا الحوائث برمة وأبنت لنا منها الطلاقة والبشراً
 ليالي لم يذر الزمان مكاننا ولا نظرت منا حوائث الشرأ
 وما هذه الأيام إلا سحاب؛ على كل أرض تخطر الخبر والشرأ

وكان مما أعيين به ابن أبي عامر على جعفر بن عثمان المصعفي ميل رحلة^١ الوزراء إليه وإشارم له عليه، وسعهم في ترقيه، وأخذهم بالعصية فيه؛ فإنهم، وإن لم تكن لهم حمية أعراية، فقد كانت سلفية سلطانية، يقتنى النعم فيها آثار سلفهم، ويمنعون بها ابتذال شرفهم؛ غادروها يسيرة، وخلفوها عادة أئيرة، تشاح الخلف فيها تشاح أهل الديانة، وصانوا بها مراتبهم أعظم صيانة؛ ورأوا أن أحداً من التوابع لا يدرك فيها غاية، ولا يلحق لها راية. فلما أحظى المستنصر بالله جعفر بن عثمان وأصطنعه، ووضع من أثرته حيث وضعه، حسدوه ودموه، وخصص بالمطالبة وعمو. وكان أسرع هذه الطائفة إلى مهاودة المنصور عليه، والانحراف

١) Manque dans A.

عه إليه، آل أبي عبدة وآل سُيَيْد. وآل جَهْوَر، وآل فُطَيْس؛ وكانوا في الوقت أزيمة الملك وقوام الخِزْمَة، وصايح الأئمة؛ فأحطوا محمد بن أبي عامر مُشايعةً، ولأشباب المصْحَفِي شَارِعَةً، وشادوا بِنَاءً، وفادوا إلى عَصْرِهِ سَنَاءً، حتى بلغ الأمل، والتحف بِسَاءٍ واشتدَّ. وعند التَّيَام هذه الأمور لابن أبي عامر، ٢٩١. استكان جعفر بن عثمان للعائنة، وأيقن بالنكة، وزوال المرتبة، وكفَّ عن اعتراض محمد وشركه في التدبير، وانقبض الناس عن الرواح إليه والتكبر. وأتالوا على ابن أبي عامر؛ فحُفَّت مَرَكَبُهُ، وغار من سماء العزة كَوَكَبُهُ، وتوالت عليه سَعْيُ ابن أبي عامر وطَلَبُهُ حتى محاه، وهتك رِظَالُهُ وأضحاء. ومن قوله [كامل]:

لَا تَأْمَنَنَّ مِنَ الزَّمَانِ تَغْلِبًا إِنَّ الزَّمَانَ بِأَهْلِهِ يَشْتَلِبُ
وَلَقَدْ أَرَانِي وَاللَّبُوثُ تَهَائِي وَأَخَافُنِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ التَّغْلِبُ
حَسْبُ الْكَرِيمِ مَهَانَةٌ وَمَذَلَّةٌ أَلَّا يَسْزَالَ إِلَى لَيْثِهِمْ بَطْلُبُ

وكان قوله هذه الأبيات لما سبق إلى مجلس الوزارة للمعاصرة، وواثق الضابط يزرعجه ويستعفه، وهو يقول له: «رُفْقًا بِي، يا واثق، فستدرك ما نخبه وتشتبهه، وترى ما كنت ترجيه!»^(١) وقد تفقَّه ذلك^(٢).

استبداد ابن أبي عامر بالملك وتغلبه عليه

لما قتل ابن أبي عامر جعفر بن عثمان، انفرد بشأنه، وروى الفَرَضُ الأبعد من ضَبْطِ السُّلْطَانِ والحِجْرِ عَلَيْهِ والاستبداد بالملكة وأمور الدولة؛ جرى في ذلك مَجْرَى المتغلبين على سُلْطَانِ بني العباس بالمشرك من أمراء الدُّيُولَمِ، حتى أورد ذلك عَقِبَهُ، فأخذ ابن أبي عامر في تغيير سِيرِ الخُلَفَاءِ العِرَاقِيَّةِ في استعْجَالٍ

الأمر لنفسه. وسبك الدولة على قلبه؛ فأداه ذلك إلى مُضَادَّةٍ «ما كانوا عليه»
 فمَوْضٍ باللين غِلْظَةً، وبالسكون حركة، وبالإناؤ بَطْشَةً، بالسوَادَةِ مُحَارَبَةً؛
 فجعل أهل الرأي من مَصَادِرِ أموره وموَارِدِهَا يَنْقُصُونَ بخروجها عن حيزِ
 الصواب وقانون «التدبير لها»؛ وربما قَاوَصَ حِلْمَهُمُ الرَّأْيُ، فيُشِيرُونَ عليه من
 الوجه الذي عرفوه، والقانون الذي حِيدَوه؛ فيعدل عن ذلك إلى المذهب
 الذي شرعه، والطريق الذي نهجه، والخطر الذي لا يجهل اقتحامه؛ فيبث
 القَوْمَ من حُسْنٍ ما ينع له.

قال التَّنَخُّ بن مخافان «قَرَدٌ نَابَةٌ على من تقممه، وصرفه واستخدمه» فإنه ٢٠٢
 كان أمضام سناناً، وأذكاراً جناناً، وأنهم جلالاً، وأعظمهم استقلالاً. قال
 أمره إلى ما آل، وأوم العنول بذلك البال؛ فإنه كان آية الله في إتفاق
 سعيه، وقزيب من الملك بعد بغيه؛ بهر برفة القدر، واستظهر بالآناة وسعة
 الصدر، وتحرك فلاح نجم الهدو، ونمك فاحق بأرضه لواء عدو، بعد خمول
 كابد منه غصصاً وشرقا، وتغرر مأمول طارد فيه سهراً وأرقاً، حتى أنجز له
 الموعد، وقر نحه أمام تلك السعود. فقام بتدبير الخلافة، وأقعد من كان له
 فيها أناة؛ وسام الأمور أحسن سياسة، وداس الخطوب بأحسن ديانة؛
 فانتظمت له الممالك، وأنضحت به المسالك؛ وانتشر الأمن في كل طريق،
 وانتشر اليمن كل فريق. وملك الأنلس بضعا وعشرين حجة، لم تدخ
 لسعادتها حجة، ولم ترخر لمكروها بها حجة؛ لبست فيها البهاء والإشراق، وتفتت
 عن مثل أنفاس العراق. وكانت أيامه أحمد أيام، وسهام يائه أسد سهام. غزا
 شانياً وصائفاً، ومضى فيما يروم زاجراً وعائفاً؛ فأوغل في تلك الشغاب، وتغلغل
 حتى راع ليث الغاب، ومشى تحت ألويته صيد القائل، واستجرت في ظلها
 يرض الظبي وسمر الدوابل؛ وهو يقتضي الأرواح بغير سوم، ويقتضي الصفاح ٢١٢

1-2) Le ms. B. permet de rétablir ce passage qui, par suite d'une déchirure, est lacunaire dans A.

على كل روم، ويتلف من لا ينساق للخلافة ويتقاد، ويحتطف منهم كل كوكب وقاد، حتى استبد وانفرد، وأرس إلى من الطاعة ما نفر وشرد. وانتظت له الأنلس بالعدوة، واجسعت له اجتماع قرين في دار الندوة؛ ومع هذا، فلم يخلع اسم الحجابة، ولم يدع السبع الخليفة والإجابة، ظاهر يخالفه الباطن، وأسم تنافره مواقع الحكم والمواظن. وأذل قبائل الأنلس بإجازة البربر، وأخل بهم أولئك الأعلام الأكابر؛ فإنه قاوتهم بأعدادهم، واستكثر من أعدادهم، حتى تغلبوا على الجمهور، وسلبوا منهم الظهور، ووثبوا عليهم الوثوب المشهور، الذي أعاد أكثر الأنلس قفراً يباباً، وملأها وخناً وذئاباً، وأعراها من الأمان، برهة من الزمان. وعلى هذه الهيئة، فهو وابه المظفر كانا آخر سعد الأنلس، وحد السرور بها والنأس. وغرواته فيها شائعة الإثراء، رائعة كالسيف ذي الأثر، وحبه وإفر، ونسبه معارف. ولذا قال بنغر [طويل]:

رَمَيْتُ بِنَفْسِي قَوْلَ كُلِّ كَرِيمَةٍ ^١	وَحَاطَرْتُ وَالْحُرَّ الْكَرِيمَ مُخَاطِرُ
وَمَا صَاحِبِي إِلَّا جَنَانٌ مُسَبِّحٌ	وَأَسْمُرُ خَطِيءٌ وَأَبْيَضُ بَاسِرُ
وَأَنْتَ لَرَجَاءِ الْجَبُوشِ إِلَى الْوَعَى	أَسُودُ ثُلَاقِيهَا أَسُودُ خَوَادِرُ
لَسْتُ بِنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ رِيَادَةٍ	وَكَاثَرْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَنْ أَكَاثِرُ
وَمَا يَشُدُّ بَيَانًا وَلَا يَكُنْ زِيَادَةً	عَلَى مَا بَنَى عَبْدُ الْمَلِكِ ^٢ وَتَاوِرُ
رَفَعْنَا الْمَعَالِي بِالْعَوَالِي حَدِيثَةً	وَأَوْرَثْنَاها فِي الْقَدِيمِ مَعَارِفُ

• وكانت أمه تيمسية، فصار الشرف من طرفه؛ والتحف بيطرقه. قال النطلي [طويل]:

تَلَاثَتْ عَلَيْهِ مِنْ تَجِيمٍ وَيَعْرَبُ	شُمُوسٌ تَلَالَا فِي الْعَلَى وَيُدُورُ
مِنْ الْحَمِيرَيْنِ الَّذِينَ أَكْفَهُمْ	سَحَابٌ تَهَيَّ بِالسَّيِّدِ وَيُجُورُ

وتصرف قبل ولايته في شتى الولايات، وجاء من التحدث بسمي أمره

١) كريمة. ٢) عبد العزيز. A. et B.

بايات، حتى صَحَّ زَجْرُهُ، وجاء بصبغه قَجْرُهُ، وتَوَثَّرَ عنه في ذلك أخبار، فيها
عَجَبٌ واعتبار. وكان أديباً مُحَسِّناً. وتَالِماً مُحَسِّناً. فمن ذلك قوله، عني نفسه
بذلك يضر والمجاز، ويستدعي صدور تلك الأفعال [خفيفاً]

مَنْعَ الْعَيْنِ أَنْ تَذُوقَ الْمَتَا - حَيْثُ أَنْ تَمَرَّجَ الصَّنَا وَالْبَقَلَا
لِي ذُبُونٍ بِالْشَّرْقِ عِنْدَ أَنَا - قَدْ أَحَلُّوا بِالْمَشْعَرَيْنِ الْحَرَامَا
إِنْ قَضَوْهَا نَالُوا الْأَمَانِي وَالْآ - جَعَلُوا ذَوَاتَهَا رِقَابَا وَعَلَمَا
عَنْ قَرِيبٍ تَسْرَى خِيُولَ مَشَام - يَبْلُغُ النِّيلَ خَطُومَا ١) وَالشَّامَا

وفي سنة ٢٦٨، أمر المنصور بن أبي عامر ببناء قصره المعروف بالزاهرة،
وذلك عند ما استنحل أمره، وأنفذ جمعه، وظهر استبداده، وكثر حساده،
وخاف على نفسه في الدخول إلى قصر السلطان، وخشى أن يقع في أشطان.
فتوثق لنفسه، وكشف له ما ستر عنه في أمره، من الاعتزاز عليه؛ ورفع الاستناد
إليه؛ وبما إلى ما سمعت إليه الملك من اختراع قصر يزل فيه، ويحمله بأهله
وذريه، وينضم إليه رياسته، ويتم به تديره وسياسته، ويجمع فيه قتيانه
وغلمانه. فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة، الموصوفة بالنصور الباهرة.
وأقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الأعظم، وندى فيها كل اقتدار مُعْجَز ٢) ٢٦٥
ونظم. وشرع في بنائها في هذه السنة المؤرخة، وحشد إليها الصنائع والفعلة،
وجلب إليها الآلات الجليلة، وسرلها بها يرث العيون كيلة؛ وتوسع في
اخطاطها، وتوَلَّع بانتشارها في البسطة وانساطها، وبالغ في رفع أسوارها، وثابر
على تسوية أنحادها وأنوارها. فأتسعت هذه المدينة في المدة القريبة، وصار
من الأنباء الغربية. وبني معظمها في عامين.

وفي سنة ٢٧٠، انتقل المنصور بن أبي عامر إليها، ونزلها بخاصته وعائته؛
قَصَّوْهَا وَتَحْتَهَا بِمَجْمِيعِ أَسْلِحَتِهِ، وَأَمْوَالِهِ وَأَمْنَتِهِ، وَأَتَّخَذَ فِيهَا الدُّوَارِينَ وَالْأَعْمَالِ،

١) وطُومَا R.

وعمل داخلها الأفرام، وأطلق بساحتها الأزحار.. ثم أقطع ما حولها لوزرائه
وكتابه، وقواده وحجابه؛ فافتنوا بأكافها كبار الدور، وجلبات القصور،
وأخذوا خلالها المستغلات المفيدة، والمنازه الشديدة. وفات بها الأسواق،
وكثرت فيها الأرفاق؛ وتنافس الناس في التزول بأكافها، والحلول بأطرافها،
للدنو من صاحب الدولة، ونساق الغلو في البناء حوله، حتى اتصلت أرباضها
بأرباض قرطبة، وكثرت بحوزتها العبارة، واستقرت في محوحتها الإمارة. وأفرد
الخليفة من كل شيء إلا من الإسم الخلفي، وصير ذلك هو الرسم العاقي. ورتب
فيها جلوس وزرائه، ورووس أمرائه، وندب إليها كل ذي خطة بخطته. ونصب
P. ٢٩٦ على بابها كرتي شرطته، وأجلس عليه والياً على رسم كرتي الخليفة، وفي رصنة
تلك الرتبة المنيعة. ونسب إلى الأقطار بالأنفلس والعنوة بأن تعمل إلى مدبته
تلك أموال الجبايات، ويقصدها أصحاب الولايات، ويتأهبها طائب الخوانج،
وحذر أن يعموج عنها إلى باب الخليفة عاجج. فاقضيت لئبها الثبات والأوطار،
وانحشد الناس إليها من جميع الأقطار. وتم لعمد بن أبي عامر ما أراد، وانتظم
بلكة أمانيه المراد؛ وعطل قصر الخليفة من جمعه، وصبره بمغزل من سامعه
ومطبعة، وسد باب قصره عليه، وجد في خبر ألا يصل إليه، وجعل فيه ثقة
من صناعه بضبط النصر، ويبسط فيه النهي والأمر، ويشرف منه على كل داخل،
ويمنع ما يحذره من الدواخل؛ ورتب عليه الحراس والبوابين، والسار والمتابين،
يلازمون حراسة من فيه ليلاً ونهاراً، ويراقبون حركاتهم سراً وجهاراً؛ وقد حجر
على الخليفة كل تدبير، ومنعه من تلك قبيل أو دير. وأقام الخليفة هناك مهجور
الفناء، محجور الغناء، حتى التزكر، عليل الفكر، مسدود الباب، محجور الشخص
عن الأحباب، لا يراه خاص ولا عام، ولا يخاف له بأس ولا يرجى منه إنعام،
ولا يتهمد منه إلا الإسم السلطاني في السكة والدخق، وقد نسخه وليس أبهت،
وطس بهجته. وأغنى الناس عنه، وأزال أطاعهم منه، وصيرم لا يعرفونه،
وأمرم أنهم لا يذكرونه.

واشتد ملك محمد بن أبي عامر منذ نزل قصر الزاهرة، وتوسع مع الأيام
في تشييد أبنيتها، حتى كملت أحسن كمال، وجاءت في نهاية الجمال، نقاوة البناء،
وسعة البناء، واعتدال الهواء رقيق أديمه، «وصفالة جوار اعتل نسيبه»، وقضرة
لسان، وبهجة للنفس فيها افتتاح. وفيها يقول صاعد اللغوي [بسط]:

يا أيها الملك المنصور من بين
يقزوة في قلوب الشرك راتعة
أما ترى العين تغري فوق مرمرها
أجرتها قطبا الزاهي بجريتها
تخال فيه جنود الماء رافلية
تحثها من قنن الأيك زاهرة
بدية السلك ما يتفك ناظرها
لا يحسن الدهر أن ينشئ لها مثلاً
والسجى نسا غير الذي اتسبا
بين المنايا تناعى السر والقضا
زهوا فتعجى على أحسانها الطربا
كما طموت فست العجم والعربا
مستلشات ترك الذرع واللبا
قد أورقت فضة إذ أنثرت ذهبا
بشلو على السحر منها آية عجا
ولو تفتت فيها نفع طلبا

ودخل عليه عمرو بن أبي الحباب في بعض قصوره من النية المعروفة
بالعائرية، والروض قد تنحت أنواره، وتوشت بجاده وأغواره، وتصرف فيها
الدهر متواضعا، ووقف بها السعد خاضعا، فقال [بسط]:

لا يوم كالنوم في أيامك الأول
هواؤها في جميع الدهر متليل
ما إن يبالى الذي يحل ساحتها
بالسعد الأتعل الشين بالعيل
بالعائرية ذلت الماء والظليل
طبيا وإن حل فصل غير متليل

وما زالت هذه المدينة راقية، والعمود يلتها متناسقة، تملوحها الشوح
وتغادها، وتجلب إليها منكسة أطاها، لا ترحف منها راية إلا إلى فتح، ولا
يصدر عنها تدبير إلا إلى فتح، إلى أن حان يومها العصب، وقضى لها من
المكروه أوفر نصيب. فتموت فقيدة، وحلت من بهجتها كل عقيدة.

وأشاع ابن أبي عامر أن السلطان فوّض إليه النظر في أمر الملك، وتحتل
 ٢٨ B. ٢ له عنه لعبادة ربه. وأثبت ذلك في الرعية حتى اطمأنوا إليه، مع قوة ضبطه
 وسرعة بطلته. فانتظم له ذلك كله وأكثر منه. بعد أن حصّن قصر الخليفة في
 هذا الوقت بالسور الذي أدار حوله، وعمل الخندق المطيف به من جانبيه،
 والأبواب الوثيقة بالأحراس والسّيار الذين وضعهم بأنفابه. ومنع الخليفة من
 الظهور، ووكل بأبوابه من يفتح وصول خبر إليه أو أمر من الأمور إلا عن إذنه،
 فإن عُثِرَ على أحد من الناس في تجاوز هذا الحد، عاجله وتكل به. والأخبار
 عنه في هذا المعنى واسعة جداً، غيّر أن الاختصار في ذلك أن ابن أبي عامر
 بلغ من ذلك مَلَفًا لم يبلغه قط مُتَغَلِّبٌ على خليفة، لأنه احتوى على الملك كله،
 وصبر الخليفة قُبْضَةً في يد، حتى أنه لم يكن يُنْقَذُ له أمر في داره ولا حرّره إلا
 عن إذنه وعلمه. وجعل متولى قصره من قبله من يتقرب به، وصبره عيناً على
 السلطان، لا يخفى عليه شيء من حركاته وأخباره.

ولما ترقى ابن أبي عامر إلى هذا القدر، عمل في مكروه القائد الكبير غالب
 الناصري صهره، والتوسطه لأسباب هدمه. فرأى أن ينبغي عليه رضاء له من
 أصحاب السيوف والحجارة المشهورين، لأن غالباً كان يستطيل على ابن أبي عامر
 بأساب النروسية، ويأبىه «بمعاني النجاعة»، ويعلموه من هذه الجهة التي لم ينتقم
 لابن أبي عامر بها معرفة. فلم يجد لذلك مثل جعفر بن علي بن حنين
 المعروف بابن الأندلسي شدة بأس، وربط جاش، ونباهة ذكر، وجلالة قدر.
 فجدّ في استجلابه، وهو مقيم بالعدوة. وآل على من أطاع الخليفة هشاماً من
 زنانه، فبعث ابن أبي عامر إليه، وتواترت كتبه إليه، فأسلم العدل إلى أخيه
 ٢٩٩ B. يحيى، وعبر إلى الأندلس. فنجح، فنزل قصر العقاب، بعد أن أعد له ما يصلح
 فيه. فاستوزره أبي عامر، فعض شانه^٢، وأحلّه محلّ الأخ في الثقة، وقدمه على
 الكفاة^٣؛ فوجد عنه ما أحبه. وفوق ما قدره؛ فاعتدل بالبرابرة أمره، وقوى

١) الكفاة B. ٢) منابه، corrigé en منابه A. ٣) وبغايته A.

ظهوره، وكانت هذه القطعة من البرزخ نحو السبابة. وما زال بعد ذلك يستدعيهم
 وينصن الإحسان إليهم، والتوسعة عليهم، إلى أن أسرعوا إلى الأندلس، وأثابوا
 على ابن أبي عامر، وما زالوا يتلاحقون، وفرسانهم ينوون، يحجى الرجل منهم
 يلبس الخلق على الأعجف، فيبدل له لباس الخنزير الأزرق وغيره، ويركب
 الجواد العتيق، ويسكن قصرًا لم يتصور له في منامه مثله، حتى صاروا أكثر
 أجناد الأندلس. ولم تزل طائفة البرزخ خاصة ابن أبي عامر ويطائفة، وهم أظهر
 الجند نعمة، وأعلام متبركة.

ولما علم غالب بإذناء جعفر، علم الغرض فيه، ففسد ما بينهما، ووقع بينهما
 معارك وقتل كان الظفر فيها لابن أبي عامر على غالب. ومات، وهو يقاتله مع
 النصارى، وكان قد استجلبهم إليه في خبر طويل. فوجد غالب مقتولاً في مجال
 الخيل، وابن أبي عامر كاد أن ينهزم له. فقبل إن قريوس سرجه قتله. وقبل
 غير ذلك، فكان ذلك أكبر سعد ابن أبي عامر، ولم يبق له بعد ذلك من
 يخاف منه.

ولما فرغ ابن أبي عامر من غالب، دبر الحيلة في حنق جعفر بن علي،
 الذي أقامه أكبر معين في أمر غالب، فواطأ على قتله أبا الأحوص معن بن
 عبد العزيز النخعي فارس العرب، في طائفة من أصحابه الأندلسيين، فقتلوه
 غيلة، ثم قتل ابن أبي عامر بعد ذلك أبا الأحوص، وانفرد وحده.

وفي سنة ٢٧١، تسمى ابن أبي عامر بالمنصور، ودعى له على المنابر به،
 استيفاء لرسوم الملوك، فكانت الكتب تنفذ عنه: من "الحاجب المنصور أبي عامر".
 محمد بن أبي عامر إلى فلان. وأخذ الوزراء بتفيل يده، ثم تابعهم على ذلك
 وجوه بني أمية، فكان من يدخل عليه من الوزراء وغيرهم يقتلون به، وسؤلونه
 عند كلامه ومخاطبته. فانقاد لذلك كثيرهم وصغيرهم، وإذا بدا لأبصارهم طفل
 من ولده، قاموا إليه، فاستبقوا ليده تفيلًا، وعموا أطرافه لقبًا. فساوى محمد بن
 أبي عامر الخليفة في هذه المراتب، وشاركه في تلك المذاهب. ولم يجعل فرقًا بينه

ومنه إلا في الاسم وأخذه في تصدير الكتب عنه، حتى تامت حاله في الجلالة،
وبلغ غاية العز والقدرة.

قال حيّان بن خلف: وقرأت في بعض الكتب أن محمد بن أبي عامر، لما
حجب هشاماً عن الناس واستد بالامر دونه، ظهرت فيهم بقرطبة أقوال معرصة
أفسوا بينهم فيها ألياناً فاحشة. فمن ذلك ما قيل على لسان هشام الخليفة في
شكواه لم [وافرا]:

أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَفْلِي بَرَى مَا قَلَّ مُنْتَعِماً عَلَيْهِ
وَسُئِلَكَ بِاسْمِهِ الدُّنْيَا جَمِيعاً وَمَا مِنْ ذَاكَ شَيْءٌ فِي يَدَيْهِ

ومما قيل في تقديم هشام، وهو صغير لم يبلغ الحلم، وفي قاضيه ابن
السليم [سريع]:

اقْتَرَبَ الْوَعْدُ وَحَانَ الْهَلَاكُ وَكُلُّ مَا تَكْرَمُهُ قَدْ أَنَاكَ
خَلِيفَةً يَحْضُرُ فِي مَكْتَبِ وَأَمْرٌ حَتَّى وَقَاضِي بَنَّاكَ

يريد بذلك شغف أم هشام بـ ابن أبي عامر، لأنها كانت تنهم به، وفي
أوصيته إلى حيث وصل من الحال التي لم يتمكن لأحد قبله ولا بعده مثلها،
فلب هشاماً ملكه وجنده وماله.

وفي سنة ٢٧٣، قُتِلَ جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأنثليسي؛
وذلك أن المنصور عزم - برغمه - على إكرام جعفر المذكور ليلة الأحد لثلاث
P. ٢٠١ * خلون من شعبان من السنة، مكرماً منه، وحيلة لقتله؛ فانتخبه ساقى المجلس
بكأس؛ فقال له ابن أبي عامر: «اسفها آخر الناس علي». فأمسك الساقى حيرة
لكثرة من ضم المجلس من العلوية؛ فرجوه ابن أبي عامر وقال: «ناولها الوزير
أبا أحمد! عليك لعنة الله!» فقام جعفر؛ فتناولها على قدمه، واستغفنه الطرب
حتى قام برقص؛ فلم يبق أحد بالمجلس إلا فعل كفعله، وأميلت إليه الكؤوس

حتى ثقل وانصرف في جوف الليل مع بعض غلمانه؛ فخرج اليه معن وأصحابه؛ فلم يكن فيه امتناع لها كان عليه من الشكر؛ فأخذته السيوف حتى برد، وحر رأسه ويده اليمنى، وحبالا إلى ابن أبي عامر سراً. فأظهر ابن أبي عامر الحزن عليه.

وفي سنة ٢٢٥، جهز النصور جيشاً كبيراً، وبعثه إلى العنوة؛ فحاصر حسن ابن قنون الشريف الحسنى. وكان حاول الخروج من الدعوة المروانية؛ واجتمع اليه خلق من أهل الغرب، وظهر أمره؛ فوصله الجيش العزمى^{١)}؛ فلم يجد ملجأ إلا الاستسلام للأمان. فأتت قائد الجيش، وحمله إلى قرطبة مرقباً. فلم ينضى ابن أبي عامر أمانه، وأمر بنته ليلاً في الطريق بغياً وتعدياً، لأن أماناً فانه أمانه؛ فقال من شاهد قتله أن ميت عليهم ريح عاصف في تلك الليلة التي قتل فيها غدرًا ذلك الشريف، صبتهم على وجوههم، وسلبتهم أثوابهم، وأحسنت رداء حسن المنقول؛ فلم يجدوه، وأظلم عليهم الأفق حتى خافوا على أنفسهم.

وفيهما تفرق بنو إدريس في البلاد، وملك ابن أبي عامر الغرب، وأخرج منه من كان بقي به من الإدارة. فبقي في ذلك [كامل]:

فِيمَا أَرَى عَجَبٌ لِمَنْ يَتَعَجَّبُ	جَلَّتْ مُصِيبَتُنَا وَصَاقَ السَّذَمُ
إِنِّي لَأَكْذِبُ مُفْلَتِي فِيمَا أَرَى	حَتَّى أَقُولَ غِلَطْتُ فِيمَا أُخْبِ
• أَيْكُونُ ^{٢)} حَيًّا مِنْ أُمِّيَّةٍ وَاحِدٍ	وَيَسُوسُ تَحْتَهُ الْمَلِكُ هَذَا الْأَخَذُ
تَبَشَّى عَسَاكِرُهُمْ حَوَالِي هَوْدَجِ	أَغْوَادَهُ فَيَهْنُ فَرْدٌ أَشْهَبُ
أَبْنَى أُمِّيَّةٍ أَيْنَ أَفْهَارِ الدُّجَى	يَنْصَحُكُمْ وَمَا لَوْجُوهَا تَنْقَبُ

ثم قام بعد ذلك في الغرب على ابن أبي عامر زيري بن عطية المفاوخي، ونكث طاعته بعد الحب الشديد والولاء الأكيد؛ وطعن على ابن أبي عامر تغلبه

1) Manque dans A. 2-2) Leçon fournie par la Hulla d'Ibn al-Abbar.
A et B: من اجاء. Dans le ms. B, le second et le troisième vers sont intervertis.

على هشام ولسه ملكه. فأنفذ له ابن أبي عامر ورضعاً الفتى في جيش كثيف؛ فقاومه بالقرب؛ ودارت بينهم حروب عظيمة. ثم أردفه ابن أبي عامر بولده عبد الملك، وهبط ابن أبي عامر إلى الجزيرة الخضراء، يمدّم بالقواد والأجاد. وسار عبد الملك بن أبي عامر من طنجة إلى زيري بن عطية؛ ودارت بينهم حرب، لم يسمع بمثلا قط. ثم انهزم زيري ومن معه، ونجا متخذاً بالجراح. وملك ابن أبي عامر بلاد الغرب إلى سنة ٢٦٧.

«وكان أول من ملك سنة من بني أمية وملك منها الغرب» عبد الرحمن الناصر؛ «وسبب ذلك أنه» وجه إليها أسطولا. فلما حلت بسبته، أعلن أهلها بدعوت، وبادروا إلى طاعته، يوم الجمعة صدر ربيع الأول من سنة ٢٦٩. ثم تابعت البلاد بالطاعة؛ ثم تكاثر ورود وفودها عليه وعلى الحكم ابنه؛ ثم الثالث طاعتها على ابن أبي عامر؛ فوجه ورضعاً فتاه؛ فسكن في جبل أبي حبيب عاماً في الأخية؛ ثم وجه بابنه عبد الملك إليها؛ فالتقى بزيري وهزمه، وغدره ابن عيه الخير بن مقاتل؛ فطعنه برمح في قفاه وهرب. ومات بعد ذلك زيري من الجرح بعد ما لقي جوعاً صنهاجة، أصحاب إفريقية، وهزمهم.

وانصرف عبد الملك بعد ما استقامت له الطاعة بالغرب؛ فوجد آباء في غزاه بلاد البشاشة. منصرفاً عنها. والتقى به بـسـرـقـسـطة؛ وهي التي تسمى بفزاز؛ P. ٢٠٢. الأياض، سنة ٢٧٩.

وفي سنة ٢٧٩، قتل المنصور بن أبي عامر عبد الرحمن بن مطرف صاحب سرقسطة والتغر الأعلى؛ وسبب ذلك أنه، لما فكر عبد الرحمن في شأن من أنقله ابن أبي عامر من كبار رجال الدولة، علم أنه لم يبق غيره، وخشى أن تلحقه بالجماع. فسؤل له القدر الشاح التدير على محمد؛ وقرب عليه ما أخذ ولده عبد الله بن المنصور.

١-1) A-A. وكان سبب ذلك بني أمية مغرب الدولة أن A-1-1. 2-2) Manque dans A.

ذكر تدبير عبد الرحمن بن مطرف مع عبد الله بن

المنصور في القيام عليه

وذلك أن عبد الله بن محمد بن أبي عامر كان متبهاً بسرقطة عند عبد الرحمن، متغير النفس على أبيه لإحفظائه عبد الملك أخيه. وكان عبد الله يرى أنه أشجع وأفهم وأرجل وأغرس من أخيه عبد الملك، وأن أبناء عين الظالم له في التسوية بعبد الملك، فكيف في تقديمه عليه. فكان في قلبه على أبيه سعي نار، أذكاهما عبد الرحمن بن مطرف وأضرهما. فتوطأ على الوثوب بالمنصور في أول فرصة، على أن يقام ملك الأندلس، فالحضرة لعبد الله، والفرار لعبد الرحمن. وشرعاً في إحكام سبل ذلك والناس وجهه، وساعدها عليه جماعة من وجوه أهل قرطبة من المجتهد والمحدث وغيرهم، فيهم الوزير عبد الله بن عبد العزيز المرواني صاحب طليطلة. فانبثت أراجيف شبيعة فحقق المنصور صحتها، ولم يشك فيها، فاستدعى ابنه عبد الله من سرقطة، واستأنف له كثيراً من التقديم والمبرة، خديعة ومغالطة، وصرف المرواني عن طليطلة صرفاً جميلاً، ثم صرفه عن الوزارة بعد مديته، وألزمه داره. ثم خرج ابن أبي عامر غازياً إلى قشتالة، فتوافقت إليه أمداد الثغور، فيهم عبد الرحمن بن مطرف ورجال سرقطة، فلما صاروا بوادي الحجارة، أطلق أهل الثغور على الشكوى بعبد الرحمن، بدريسة من ابن أبي عامر لم في ذلك، حيلة منه، وذكروا أنه محتبس أرزاقهم، ويحتج لنفسه. فصرفه المنصور عن سرقطة منسلخ صفر من سنة ٧٩ المذكورة، وقلدها مكانه (ابن أخيه عبد الرحمن بن يحيى) الملقب بسماحة، إطاعة لقومه الشجيين في المحافظة. ولست عبد الرحمن في العسكر متردداً إلى أن قبض عليه يوم الثلاثاء لانتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. وخط عليه المنصور، وأمر بحسابه، ثم قتل بعد ذلك بالزاهرة بين يدي المنصور.

واستدعى المنصور ابنه عبد الله الى عسكره خوفاً أن يحدث حدثاً بأنته ؛
فوافق العسكر فرقى به أبوه ، وأمل استصلاحه ، وقد تباعد ذلك عليه لعظم
سريره وشدة رجليه . ونازل المنصور أثناء ذلك مدينة شنت أششين ؛ فلما
اشتغل المسلمون بالقتال ، فرّ عبد الله بن المنصور من العسكر في ستة نفر من
غلطانه ؛ فلحق بعدو الله غزيرة من فرسانه صاحب آلبة ؛ فقتله وأجاره على أبيه ؛
فتحرك المنصور لغزو غزيرة ومطالته بإسلام ابنه إليه ، وأقسم له أنه لا يمنع
عنه حتى يبيحه من ذلك . وأصر غزيرة على الامتناع من ذلك ؛ فهزم المنصور
غزيرة ، وفرض جمعه ، واشتق بلد آلبة ، وأفتح حصن وخضمة عوة ، أسكنه
المسلمين ؛ فصرع غزيرة في مسالته على ما شاء من شروطه في عبد الله وغيره ؛
فعند له المنصور على ذلك ؛ فوكل غزيرة بعبد الله جماعة من العلوج ؛ وحيل
عبد الله وأصحابه على البغال . وخرج سعد الخادم يستقبل عبد الله ؛ فدنا من
سعد وهو على بقل فارو ، مرتفع الحيلة ، عليه ثوب وثني عجيب الصنعة ، وهو
متطيق ، قوي الرجاء في الإقالة . فقل سعد بده ، وأنه ؛ وهو عليه الخطب ؛
ثم تخلف عنه بقرب الوادي الجوفي ، ووكل به من قتله ؛ فحقت به المؤكلون
وأعلموه بموته

ذكر مقتل عبد الله بن المنصور

ولما أعلموا بأن حلّ به ما كان يحذره ، أمروه بالتزول ؛ فلم يمنع لهم .
وترجّل ، ومشى الى السيف متطيقاً ؛ فظهرت منه عند الموت صرامة ، عجب لها
من شأقته ؛ وتقدم إليه ابن خفيف الشرطي ؛ فضرب عنقه صبراً عند غروب
الشمس من يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٢٨٠ .
وأُنشد المنصور رأس ابنه الى الخليفة مع كتاب التتبع ؛ ودُفن جده في الموضع
الذي قُتل فيه . وكان يوم قُتل ثلاثاً وعشرين سنة ، وذلك في غروته
الخامسة والأربعين . ثم إن ابن أبي عامر استقل سعداً وابن خفيف ، ولم يزل

حافداً عليهما، حتى قتلها بعد الامتناع. وأرداد ابن أبي عامر بما فعله بانه
هبة، ولم يثقل قلبُ الناس منه ذعراً.

ومما حكى في أمر عبد الله المقتول، قال الوزير أبو عمر بن عبد العزيز:
لما قتل المنصور ابنه، ارتاع الناس لذلك، وأوحشهم فعله؛ فتكلموا في ذلك
كثيراً، ورجعوا فيه الظنون، ولم يتوجه لأحد فيه سبب بقضى بقتله. ثم تحرك
المنصور إثر ذلك في بعض غزواته، فلما احتل بقلعة رباح؛ قال الخبير: دُعينا
إلى الطعام؛ فلما كُنَّا في وسط الطعام، وقد استفاض الحديث في عبد الله
المقتول، فقال من حضر على لسان واحد: أيُّد الله المنصور! لقد صرّت من قتله
في غايه بعدم الصبر في مثلها. فأسبب ذلك؟ قال: «لا أعلم له سبباً إلا أني
لما عرضت أمه، علفت بها، وتمكّن من قلبى حبها تمكناً لم أقدر أن أسلو عنه.
فابتغتها، متجاوزة النهاية في ثمنها، وجعلتها عند قريبة لى. وكنت كل يوم أخطر
عليها أتعرّف استبراءها؛ فلما أحسّت بجيئى لها، وكلفى بها، توخّط رضاءى،
وذكرت لى أنها قد استبرأت، وهي كاذبة في ذلك، تريد بذلك موافقة مساري
واستعجال مرادى؛ فدخلت بها، وهي لم تستبرأ؛ فكت شاكاً فيه». وكان
مولد سنة ٢٥٨.

حكاية زطرزون البربرى مع المنصور. - وجرت للمنصور غيب ذلك مع
رجل من أعيان البربر اسمه زطرزون بن يزار البرزالي فادّرت؛ وذلك أنه قال
يوماً، وقد بسطه في بعض المجالس: «يا مولاي لِمَ قتلَ عبد الله ابنك؟»
ووصف ثجاعته وخصاله؛ فقال له المنصور: «لا يسؤك ذلك! فلو لم أفعل
لقتلنى. ما كان من ولدى! وبهذا انتهت أمه وكانت أمة سوء. وقد قالوا إن
الأرحام الرديّة تُفسد الذريّة». فقال الجاهل زطرزون: «كذا يا مولاي؟»
«فحرام أمه وحرم أبيه؟» ففجّل المنصور وقال: «شقيناً بهذا الملعون في
حياته وبعد موته!» وعلم ما كان عليه زطرزون من الجهالة؛ فاعترضه عنه.
وصارت كلمه مأثورة في الناس مدة طويلة.

وكان المنصور آية من آيات فاطرة دعاء ومكرًا وسباسة: عدا بالمصاحفة على الصقالية حتى قتلهم وأذلهم؛ ثم عدا بغالب الناصري على المصاحفة حتى قتلهم وأبادهم؛ ثم عدا بجعفر بن الأندلسي على غالب حتى قتلهم؛ ثم عدا بنفسه على جعفر وقتله؛ ثم انفرد بنفسه وصار ينادي صُوفَ الدفْرِ: «هَلْ مِنْ سَبَّارٍ؟» فلما لم يجد، حمل الدمر على حكمه؛ فانتقاد له وساعده؛ فاستقام أمره، منفردًا P. ٣٠٧ بملكه لا سلف له فيها. ومن أوضح الدلائل على سعة آتاه لم يكتب قط في حرب نهدها، وما توجهت قط عليه هزيمة، وما انصرف عن موطن إلا قاهرًا غالبًا، على كثرة ما زاول من المحروب، ومارس من الأعداء، وواجه من الأسم. وإنها لخاصة ما أحسب شره فيها أحد من الملوك الإسلامية. ومن أعظم ما أعين به، مع قوة معه، وتمكن جده، سعة جوده وكثرة بذله؛ فقد كان في ذلك أعجوبة الزمان؛ وأول ما أنكا على أرائك الملك وارتفق، وانتشر عليه لواء السعد وخلف؛ خط صاحبه المصحفي، وأثار له كأمين حقه الخفي، حتى أصاره للهموم ليسا، وفي غيايات السجون حيسا؛ فكتب إليه يستعطفه [بسيط]:

هَبْنِي آسَاتُ فَأَتَيْتُ الْعَفْوَ وَالْكَرَمُ إِذْ قَادَنِي نَعْوَكَ الْإِدْعَانُ وَالنَّدَمُ
يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ أَلْيَدِي إِلَيْهِ أَمَا تَرْجُو لِشَيْخٍ نَعَاهُ عِنْدَكَ الْقَلَمُ
بَالَتْ فِي السَّخَطِ فَأَضْنَعُ صَنَعَ مُقْتَدِرِ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتَرْجَعُوا رَحِمُوا

فما زاده ذلك إلا حنقا وحقدا، ولا أفاده الآيات إلا تضرعا ووقدا. فراجعه بما أنبأه، وأراه مرمته، وأطبق عليه محبته، وضيق^١ مروجه من المحنة ونفسه^٢:

الآن يَا جَاهِلًا زِلْتُ بِكَ الْقَدَمُ تَبِعِي التَّكْرُمَ لَمَّا فَانَكَ الْكَرَمُ
أَغْرَيْتَ^٣ بِي مَلِصًا لَوْلَا تَنَبُّهُ مَا جَازَى لِي عَنْهُ نَطَقٌ وَلَا كَلِمُ
فَأَيُّامٍ مِنَ الْعَيْشِ إِذْ قَدْ صِرْتَ فِي طَبَقِي إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتَقِيمُوا تَقِيمُوا
نَفْسِي إِذَا سَخَطْتَ لَبِثَ بِرَاضِي وَلَوْ تَشَقَّعَ فِيكَ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ

١. أغرب له. ٢. عطفه ونفسه. B. 1-1.

وكان من اخبار المنصور الدخلة في أبواب البتر والقرية، ببيان المسجد
 الجامع والزيادة فيه سنة ٣٧٧. وذلك أنه، لما زاد الناس * بقرطبة، وانجلب ٣٠٨
 إليها قبائل البربر من العنوة وإفريقية، وتنافس حالها في الحلالة، خافت الأرياض
 وغيرها، وضاقت المسجد الجامع عن حمل الناس؛ فشرح المنصور في الزيادة
 بشرقية حيث يتمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربي بقصر الخلافة. عهداً ابن
 أبي عامر هذه الزيادة على بلاطات تمتد طويلاً من أول المسجدة إلى ما آخره؛
 وقصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة المبالغة في الإمتنان والوثاقة دون الزخرفة؛
 ولم يقصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة ما عدا زيادة المحكم. أول ما عمله
 ابن أبي عامر تطيب نفوس أرباب الثور والمستغلات الذين اشترت منهم
 للهدم هذه الزيادة، بإنصافهم من الثمن أو بمعاوضة. وصنع في صحنه الحجب
 العظيم قدره، الواسع فتاوه. وابن أبي عامر رتب إحراق الشمع في المسجد الجامع
 زيادة للزيت؛ فطابق بذلك الثوران. وكان عدد سواري الجامع، الحاملة لسمائه
 واللاصقة بمبانيه وقبابه ومناوره، ما بين كبيرة وصغيرة، ألف سارية وأربعمئة
 سارية وسبع عشرة سارية. وعدد ثريات الجامع، ما بين كبيرة وصغيرة، مائتان
 وثمانون ثرية؛ وعدد الكؤوس سبعة آلاف كأس وأربعمئة كأس وخمس وعشرون
 كأساً. وزينة مشاكي الرصاص للكؤوس عشرة أرباع أو نحوها؛ وزينة ما يحتاج
 إليه من الكنان للفنائل في كل شهر رمضان ثلاثة أرباع القنطار؛ وجميع ما
 يحتاج إليه الجامع من الزيت في السنة خمسمئة رُبع أو نحوها، بصرف منه في
 رمضان خاصة نحو نصف العدد. ومما كان يخص رمضان المعظم ثلاثة قناطير
 من الشمع، وثلاثة أرباع القنطار من الكنان المقصّر^١، لإقامة الشمع المذكور؛
 والكبيرة من الشمع تُوقد بجانب الإمام يكون وزنها من خمسين إلى ستين رطلاً؛ ٣٠٩
 يخترق * بعضها بطول الشهر، ويعم الخرق لجمعها ليلة الحفلة. وكان يخدم
 الجامع المذكور بقرطبة في دولة ابن أبي عامر وينصرف فيه من آنية، ومقرئين،

وَأَمَّا ، وَمُؤَدِّينَ ، وَسِدَّةَ ، وَمُوقِدِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُتَصَرِّفِينَ مائة وتسعة وخمسون شخصاً . وَيُوقَدُ مِنَ الْبَحُورِ لَيْلَةَ الْحَتَمَةِ أَرْبَعُ أَوَاقٍ مِنَ الْعَتَبِ الْأَشْبَبِ وَثَلَاثِي أَوَاقٍ مِنَ الْعُودِ الرَّطْبِ .

ومن ذلك : بُيَانُ قَنْطَرَةٍ عَلَى نَهْرِ قَرْطَبَةِ الْأَعْظَمِ . اجْتَدَا الْمُتَصَوِّرُ بُيَانَهَا سَنَةَ ٢٨٧ ، وَفَرَّغَ مِنْهَا فِي النِّصْفِ مِنْ سَنَةِ ٢٨٩ ؛ وَانْتَهتِ النِّفْقَةُ عَلَيْهَا إِلَى مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ فَعَظُمَتْ بِهَا السَّفْعَةُ ، وَصَارَتْ صَدْرًا فِي مَنَاقِبِهِ الْجَلِيلَةِ . وَكَانَتْ قِطْعَةً أَرْضٍ لِشَيْخٍ مِنَ الْعَامَّةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْقَنْطَرَةِ عُدُولٌ عَنْهَا ؛ فَأَمَرَ الْمُتَصَوِّرُ أَمَنَاءَهُ بِإِرْضَائِهِ فِيهَا ؛ فَخَضَرَ الشَّيْخُ عِنْدَهُمْ ، وَأَخَذَ حَذَرَهُ مِنْهُمْ ؛ فَسَاوَمُوهُ بِالْقِطْعَةِ وَعَرَفُوهُ وَجْهَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا ، وَأَنَّ الْمُتَصَوِّرَ لَا يَرِيدُ إِلَّا إِنْصَافَهُ فِيهَا . فَرَمَاهُمُ الشَّيْخُ بِالْفَرَضِ الْأَقْصَى عَنْهُ (فِيمَا ظَنَّهُ^١) إِلَّا أَنْخَرَجَ عَنْهُ بِأَقْلٍ مِنْ عَشْرَةِ دِينَائِرٍ ذَهَبًا ، كَانَتْ عَنْهُ أَقْصَى الْأَمْنِيَّةِ ، وَشَرَطَهَا صِحَاحًا . فَاعْتَمَمَ الْأَمَنَاءُ غَفْلَتَهُ ، وَنَفَدَوْهُ الثَّمَنَ ، وَأَشْهَدُوا عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ أَخْبَرُوا الْمُتَصَوِّرَ بِخَبْرِهِ ؛ فَضَحِكَ مِنْ جَهَالَتِهِ ، وَأَنِفَ مِنْ غَيْبِهِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُعْطِيَ عَشْرَةَ أَمْثَالِ مَا سَأَلَ ، وَتُدْفَعَ لَهُ صِحَاحًا كَمَا قَالَ . فَقَبِضَ الشَّيْخُ مِائَةَ دِينَارٍ ذَهَبًا ؛ فَكَادَ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ عَقْلِهِ وَأَنْ يُجِئَ عِنْدَ قَبْضِهَا مِنَ الْفَرَحِ ؛ وَجَاءَ مُعْتَفِلًا فِي شُكْرِ الْمُتَصَوِّرِ . وَصَارَتْ قِصَّتُهُ خَبْرًا سَائِرًا .

ومن ذلك أَيْضًا : بُيَانُ قَنْطَرَةٍ عَلَى نَهْرِ إِنْجَةَ ، وَهُوَ نَهْرُ شَيْلٍ ؛ فَتَجَسَّمْ لَهَا أَعْظَمُ مَوْتَةٍ . وَسَهَّلَ الطَّرِيقَ الْوَعْرَةَ وَالشَّعَابَ الصَّعْبَةَ .

ومن ذلك : إِنَّهُ خَطَّ يَدَهُ مُصْغَفًا كَانَ يَحْمِلُهُ مَعَهُ فِي أَسْفَارِهِ ، يَدْرُسُ فِيهِ P. ٢١٠ * وَيَتَبَرَّكُ بِهِ . وَمِنْ قُوَّةِ رَجَائِهِ ، إِنَّهُ اعْتَنَى بِجَمْعِ « مَا عَلِقَ بِوَجْهِهِ مِنَ الْغُبَارِ فِي غَزَوَاتِهِ وَمَوَاطِنِ جِهَادِهِ ؛ فَكَانَ الْكَلَمُ بِأَخْذُونَهُ عَنْهُ بِالْمَنَادِيلِ فِي كُلِّ مَنَزَلٍ مِنْ مَنَازِلِهِ ، حَتَّى اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ صُرَّةِ ضَخْمَةِ عَهْدِهِ بِنَصِيِيرِهِ فِي حَنُوطِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ؛ وَكَانَ يَحْمِلُهُ حَيْثُ مَا سَارَ مَعَ أَكْنَانِهِ ، تَوْقَعًا لِحُلُولِ مَبْنِيَّتِهِ ؛ وَقَدْ كَانَ اتَّخَذَ الْأَكْفَانَ مِنْ أَطْيَبِ مَكْسِيَّتِهِ مِنَ الضَّبْعَةِ الْمُرُورَةِ عَنْ أَبِيهِ ، وَغَزَلِي بَنَاءَهُ . وَكَانَ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَبْقِيَ فِي طَرِيقِ الْجِهَادِ ؛ فَكَانَ كَذَلِكَ .

1) Manque dans B.

2) A. et B. جميع.

وكان المنصور متسبباً بصعته باطنه، واعترافيه بذنبه، وخوفه من ربه، وكثرة جهاده. وإذا ذكر بالله ذكر، وإذا خوف من عتابه ازدجر، ولم يزل منتزهاً عن كل ما يفتن به الملوك سوى الخمر؛ لكنه أفلح عنها قبل موته بسنتين. وكان عدل المنصور في الخاصة والعامة، وإطراحه المهادنة، وسطه الحق على الأقرب فالأقرب من خاصته وحاشيته، أمراً مضروباً به المثل.

ومن عدله أنه وقف عليه رجل من العامة يوماً يجلسه؛ فناداه: «يا ناصر الحق! إن لي مظلمة عند ذلك الوصف الذي على رأسك!» وأشار إلى النسي صاحب الدرة، وكان له فضل محلي عند ابن أبي عامر؛ ثم قال: «وقد دعوتني إلى المحاكم فلم يأت!» فقال المنصور: «أوعيد الرحمن بن قطيس بهذه الميزة من العجز والمهانة، وكنا نظنه أمضى من ذلك؟ أذكر مظلمتك، يا هذا!» فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينها قطعها من غير نصف؛ فقال المنصور: «ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية!» ثم نظر إلى الصقلي، وهو قد ذهل عقله؛ فقال: «ادفع الدرة إلى فلان، وانزل صاغراً، وباوخصمك في مقامه، P. 711 حتى يرفعك الحق أو بضعتك!» ففعل، ومثل بين يديه؛ ثم قال لصاحب شرطته الخاص به: «خذ بيد هذا الظالم الفاسق، وقدمه مع خصمه إلى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجب الحق من حن أو غيره!» ففعل ذلك، وعاد الرجل إليه شاكرًا؛ فقال له المنصور: «قد انتصت أنت؛ فاذهب لسيلك. وبقي انتصافي أنا بمن تهاون بتركتي.» فناول الصقلي بأنواع من البدلة، وأبعد عن الخدمة.

ومن ذلك، قصة فناء الكبير المعروف بالبيورقي مع الناجر البقري؛ فأنهما تنازعا في حصومة توجهت فيها اليمين على النسي المذكور، وهو يومئذ أكبر خدام المنصور، وإلى أمر داره وحرمة؛ فدافع الحاكم، وظن أن جأحه يمنع من إحلافه. فصرخ الناجر بالمنصور في طريقه إلى الجامع متظلياً من النسي؛

فَوَكَّلَ بِهِ فِي الْوَقْتِ مَنْ حَمَلَهُ إِلَى الْحَاكِمِ؛ فَأَنْصَفَهُ مِنْهُ، وَصَحَّطَ عَلَيْهِ الْمَنْصُورُ، وَفَضَّ
رِغْمَتَهُ مِنْهُ وَنَقَلَهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ، قِصَّةُ مُحَمَّدٍ، فَصَادَ الْمَنْصُورُ وَخَادِمَهُ وَأَمِنَهُ عَلَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ
الْمَنْصُورَ أَحْتَاجَهُ يَوْمًا إِلَى الْفَقْدِ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّعَهُُّدِ لَهُ؛ فَأَنْذَرَ رَسُولَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ؛
فَأَلْفَاهُ الرَّسُولَ مَحْبُوسًا فِي سِجْنِ الْقَاضِي مُحَمَّدَ بْنِ زَرْبٍ، بِلَحِيفٍ ظَهَرَ مِنْهُ عَلَى
أَمْرَانِهِ، قَدَّرَ أَنْ سَيْلَهُ مِنَ الْخِدْفَةِ يُجْبِيهِ مِنَ الْعَفْوَةِ. فَلَمَّا عَادَ الرَّسُولُ إِلَى
الْمَنْصُورِ بِقِصَّتِهِ، أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ السِّجْنِ مَعَ رَقِيبٍ مِنْ رُقَبَاءِ السِّجْنِ، يُلْزِمُهُ
إِلَى أَنْ يَفْرُغَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ يُعْبِثَ إِلَى مَحْبِسِهِ. فَفَعَلَ ذَلِكَ عَلَى مَا رَسَمَهُ، وَذَهَبَ
الْمُناصِدُ إِلَى شَكْوَى مَا نَالَهُ؛ فَقَطَعَ عَلَيْهِ الْمَنْصُورُ، وَقَالَ لَهُ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُ الْقَاضِي
وَهُوَ فِي عَدْلِهِ، وَلَوْ أَخَذَنِي الْحَقُّ، مَا أَطَقْتُ الِامْتِنَاعَ مِنْهُ؛ عُدَّ إِلَى مَحْبِسِكَ أَوْ
P ٢١٢ اعْتَرَفَ بِالْحَقِّ؛ فَهُوَ الَّذِي يُطْلِقُكَ.» فَانْكَسَرَ الْمُحَاكِمُ، وَزَالَ عَنْهُ رِيحُ الْعَنَابَةِ.
وَبَلَّغَتْ قِصَّتُهُ لِلْقَاضِي؛ فَصَالَحَهُ مَعَ زَوْجِهِ، وَزَادَ الْقَاضِي شِدَّةً فِي أَحْكَامِهِ.

وَمِنْ قِصَّاتِهِ، قَالَ ابْنُ حَبَّانٍ: كَانَ جَالِسًا فِي بَعْضِ اللَّيَالِي، وَكَانَتْ لَيْلَةٌ
شَدِيدَةُ الْبَرْدِ وَالرَّجِّ وَالْمَطَرِ؛ فَدَعَا بِأَحَدِ الْفَرَسَانِ، وَقَالَ لَهُ: «اتَّهَضْ إِلَى فَجٍّ
طَلَبَارِشٍ وَأَرْقُمْ فِيهِ؛ فَأَتَوَلَّ خَاطِرٌ بِخَطَرٍ عَلَيْكَ، سَقَى إِلَيَّ.» قَالَ: فَهَضَّ
الْفَارِسَ، وَنَفَى فِي النَّجْعِ فِي الْبَرْدِ وَالرَّجِّ وَالْمَطَرِ وَاقْتَنَأَ عَلَى فَرَسِهِ، إِذْ وَقَفَ عَلَيْهِ
قُرْبَ النَّجْرِ شَيْخٌ هَرِمٌ عَلَى حِمَارٍ لَهُ، وَمَعَهُ آلَةُ الْخَطْبِ؛ فَقَالَ لَهُ الْفَارِسُ: «إِلَى
أَيْنَ تَذْهَبُ، يَا شَيْخُ؟» فَقَالَ: «وَرَاءَ حَطَبٍ.» فَقَالَ الْفَارِسُ فِي نَفْسِهِ:
«هَذَا شَيْخٌ مُسَكِّنٌ نَهَضَ إِلَى الْجَبَلِ يَسُوقُ حَطَبًا. فَأَعْسَى أَنْ يَرِيدَ الْمَنْصُورُ
مِنْهُ؟» قَالَ: فَتَرَكْنَاهُ. فَسَارَ عَنِّي قَلِيلًا؛ ثُمَّ فَكَّرْتُ فِي قَوْلِ الْمَنْصُورِ، وَرَخِضْتُ
سُطُوتَهُ؛ فَنَهَضْتُ إِلَى الشَّيْخِ، وَقُلْتُ لَهُ: «أَرْجِعْ إِلَى مَوْلَانَا الْمَنْصُورِ.» فَقَالَ:
وَمَا عَسَى أَنْ يَرِيدَ الْمَنْصُورُ مِنْ شَيْخٍ يَشْلُي؟ سَأَلْتُكَ بِاللهِ أَنْ تَتْرَكَنِي لَطَلَبِ
مَعِيشَتِي! فَقَالَ لَهُ الْفَارِسُ: «لَا أَفْعَلُ.» ثُمَّ قَدَّمَ بِهِ عَلَى الْمَنْصُورِ، وَمِثْلُهُ بَيْنَ
يَدَيْهِ، وَهُوَ جَالِسٌ، لَمْ يَتَمَّ لَيْلَتَهُ تِلْكَ. فَقَالَ الْمَنْصُورُ لِلصَّنَائِلَةِ: «قَتِّشُوا!» فَتَنَّتْ؛

فلم يوجد عنه شيء؛ فقال: «فَنَسَلْنَا بِرَدَّةِ حِمَارِهِ!» فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا قد نزعوا إلى المنصور، يحرمون^١ عنه إلى أصحابهم من النصارى ليقبلوا ويضربوا في إحدى النواحي المملوكة. فلما أبلغ الصبح، أمر^٢ بتأجير أولئك النصارى إلى باب الزاهرة، فحُضِرَتْ أعناقهم، وضربت رقبة الشيخ معهم.

ومن ذلك قصة الجوهري^٣ التاجر؛ وذلك أن رجلاً جوهرياً من تجار مصر المشرق قصد المنصور من مدينة عدن جوهر كثير، وأحجار نفيسة؛ فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنه، ودفع إلى الجوهري التاجر صرة، وكانت قطعة يمانية. فأخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على شط النهر؛ فلما توسطها، واليوم قانظ، وعرقه منصّب، دحنته نفسه إلى التردد في النهر؛ فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط؛ فمرت جدّة، فاخففت الصرة، فحسبها لحماً، وصاعدت في الأفق بها ذاهبة؛ فقطعت الأفق الذي تنظر إليه عين التاجر؛ فقامت قيامته، وعلم أنه لا يقدر أن يستدفع ذلك بعدوى ولا بحيلة؛ فأسر الحزن في نفسه، ولحنته لأجل ذلك علة اضطرب فيها. وحضر الدفع إلى التجار؛ فحضر الرجل لذلك بنفسه؛ فاستبان له ما به من المهانة والكآبة، وفقد ما كان عنه من النشاط وشدة العارضة. فسأله المنصور عن شأنه؛ فأعطه بنفسه؛ فقال له: «هَلَا أَتَيْتَ إِلَيْنَا بِجَدَّتَيْنِ وَقُوعِ الْأَمْرِ؟ فَكُنَّا نَنْظُرُ عَلَى الْحِيلَةِ؛ فَهَلْ مُدِيتَ إِلَى النَّاحِيَةِ الَّتِي أَخَذَ الظَّائِرُ إِلَيْهَا؟» قال: «مَرَّ مُشْرِقاً عَلَى سَنَتِ هَذَا الْجَنَانِ الَّذِي يَلِي قَصْرَكَ!» بمعنى الرملة؛ فدعا المنصور شُرَطيَّ الخاص به؛ فقال له: «جَنِّ بِمَشْبَعَةِ أَهْلِ الرَّمْلَةِ السَّاعَةَ»؛ فمضى، وجاء بهم سريعاً؛ فأمرهم بالبحث عن غير حال الإقلال منهم سريعاً، وانتقل عن الإضافة دون تدرج؛ فتناظروا في ذلك، ثم قالوا: «يَا مَوْلَانَا! مَا نَعْلَمُ إِلَّا رَجُلًا مِنْ صُعَفَاءِ كَانْ يَعْمَلُ هُوَ وَأَوْلَادُهُ بِأَيْدِيهِمْ، وَيَتَنَاولُونَ السَّقَى^٤ بِأَقْدَامِهِمْ عِجْزاً عَنْ شَرَاءِ دَابَّةٍ؛ فَابْتِاعَ

١. يتأبون السبق. B. السبق. A. يجدمون. ٢. ١.

٢١٤. اليوم دابة، واكسى هو وولده كسوة متوسطة. « فأمر بإحضاره من الغد، وأمر التاجر بالغدو إلى الباب، فحضر الرجل بعينه بين يدي المنصور، فاستدناه، والتاجر حاضر، وقال له: «سب ضاع منا وسقط إليك: ما فعلت به؟» فقال: «هو ذا يا مولاي؟» وضرب يده إلى حجرة سراويله، فأخرج الصرة بعينها، فصاح التاجر طرباً، وكاد يطير فرحاً، فقال له المنصور: «وصف لي حديثها.» قال: «نعم! بينا أنا أعمل في جناتي تحت نخلة، إذ سقطت أمامي، فأخذتها، وراقى منظرها، فقلت إن الطائر اختلسها من قصرك لترب الجوار، فاحترزت بها، ودعيت فاقى إلى أخذ عشرة مثاقيل عيوناً كانت معها مصرورة، وقلت: أقل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها.» فأعجب المنصور ما كان منه، وقال للتاجر: «خذ صررك، وانظرها، واضدعي عن عديها.» ففعل وقال: «وحق رأسك، يا مولاي، ما ضاع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها، وقد ومبتهما له.» فقال له المنصور: «نحن أولى بذلك منك، ولا تنقص عليك فرحك. ولولا جمعه بين الإقرار والإنكار^١، لكان ثوابه مؤفوفاً عليه.» ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضاً من دنانيره، وللبنان عشرة دنانير ثواباً لنأيتيه عن إفساد ما وقع يده، وقال: «لو بدأنا بالاعتراف قبل البعث، لأوسعناه جزاء!» قال: فأخذ التاجر في الشاء على المنصور، وقد عاوده نشاطه، وقال: «والله! لأبئن في الأقطار عظيم ملكك، ولأبين أنك تملك طير عمالك كما تملك إنسها^٢؛ فلا تعنصم منك ولا تؤذي جارك!» فضحك المنصور، وقال: «أقصد في قولك! يغير الله لك!» فعجب الناس من تلطف المنصور في أمره، وحبه في تزيج كبرته.

٢١٥. وكان المنصور أشد الناس في التغبر على من علم^٣ عنه شيء من الفلسفة والمجدل في الاعتقاد، والتكلم في شيء من قضايا التجويم وأدلتها، والاستخفاف بشيء من أمور الشريعة. وأحرق ما كان في خزائن الحكم من كتب الدهرية

١- الإقرار والإنكار. A. (1-1)

٢- بشرها. B.

٣- Manque dans A.

والفلاسفة، بحضور كبار العلماء، منهم الأصيلي وابن ذكوان والزبيدي وغيرهم؛ واستولى على «أحرق جميعها»^١ يد.

وسمّ أوقع به المنصور في مثل هذه المعاني المستكرة: محمد بن أبي جعفر، بلغه عنه قول من الإزجاف في النطع على انتراض دونه؛ فقطع لسانه، ثم قتله وصلبه؛ فخرست ألسن جميعهم لذلك؛ وكذلك أيضاً عبد العزيز بن الخطيب الشاعر، وكان أرفع أهل هذه الطبقة منزلة؛ وكان مقدماً في أصحاب المنصور، حتى فسد ضميره عنه، وبقي مدة يلتبس غرّة منه، حتى قال في بعض أبيات من شعره أفرط فيها [كامل]:

مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتِ الْأَقْدَارُ فَأَحْكُمُ فَإِنَّتِ الْوَاحِدُ النَّهَارُ
فَكُنَّا أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَكَأَنَّمَا أَلْصَارُكَ الْأَنْصَارُ

فأمر بضربه خمسمائة سوط، ونودي عليه باستغفانه^٢؛ ثم حبسه، ونفاه بعد عن الأندلس.

وفي سنة ٢٨١، رشح المنصور ولده عبد الملك للولاية، وقسم أخاه عبد الرحمن للوزارة. وترك اسم الحجابة، واقتصر على التسمي بالمنصور، وأن يكتب: «من المنصور أبي عامر (وقفه الله) إلى فلان». بحذف اسم الحجابة، ويذكر اسم وله عبد الملك بخط الحجابة والقيادة العليا وسائر خطط المنصور، سلم فيها لابنه عبد الملك، وصحت له الحجابة من يومئذ. وبعد هذا، استبدل المنصور جند الأندلس بالبربر؛ فأقام لنفسه جنداً اختصم باستنصاعه، واسترقهم بإحسانه، نسخ بهم في المدة القريبة جند الخليفة المحكم (رحمه الله)، كما فعله في سائر أموره.

وانفق^٣ في ذلك الوقت أن تحرك بلقين بن زيري الصنهاجي إلى المغرب^٤ في جموعه، وأوقع بقبائل زناتة طالباً ثار آية زيري؛ فهربوا أمامه كلهم إلى سبتة، وضافت عليهم أرض العدو؛ فقبل لابن أبي عامر: «قد أمكنك الله

١- جميع حرقها. ٢- باستغفانه. ٣- أنفق. ٤- إلى المغرب.

من اصطناع قرآن زنانه، واعتقاد اليئة عليهم. فأرجل إليهم، يأتوك سراعا؛
فيجد إحسانك إليهم مكاناً؛» فعمل ابن أبي عامر على ذلك، وأند كتبه إلى
قبائل اليئة يستدعيهم، وينصن الإحسان إليهم، والنويرة عليهم، حتى كثروا
بالأندلس؛ فحسنت أحوالهم، وكثرت أموالهم؛ وما زالوا خاصته ويطانته إلى أن
هلك، وانقرضت الدولة العارضة. وقد صار بالأندلس منهم القبائل يأسرها،
وكانت لهم حتى "نقد فضاء" الله عليهم بأيديهم.

وفي سنة ٢٨٦، عهد المنصور أن يخصص بتسوية من بين سائر الناس كافة
في المخططات، وأن يرفع ذلك عن سائر أهل الدولة مع الاقتصاد في مراتب
الادعية؛ فنقد الكتب بذلك، وجرى العمل عليه بنية حياته؛ وخو طب هذا
الوقت بالملك الكريم؛ واستبليغ في تكرمه وتعظيمه.

غزوة شنت ياقوب على سبيل الاختصار

وعند تباري المنصور ابن أبي عامر في هذا الوقت على الاقتدار، والنصر
على الملوك الطاغية (دمرها الله)، بما إلى مدينة شنت ياقوب قاصية غليسية،
وأعظم مشاهد النصر الكائن ببلاد الأندلس وما يتصل بها من الأرض
الكبيرة. وكانت كبيتها عدم بمنزلة الكعبة عندنا؛ فيها يحلفون وإليها يحجون
من أقصى بلاد رومة وما وراءها؛ ويزعمون أن القبر المروى فيها قبر ياقوب
الخواري أحد الإثنى عشر (رحمهم الله)؛ وكان أخصم يعيسى (عليه السلام)، وهم
يسمونه أخاه لزوروه إياه. وقد زعم جماعة منهم أنه ابن يوسف النجار. وشنت
٢١٧ P ياقوب هي مدقن ياقوب؛ فقيم يسمونه أخا الرب (تعالى الله عن قولهم علوا
كبرا). وياقوب بلسانهم يعقوب؛ وكان أسقفا بيت المقدس؛ فجعل يستقرى
الأرضين داعيا لمن فيها؛ فجار إلى الأندلس حتى انتهى إلى هذه القاصية؛ ثم عاد

الى ارض الشام؛ فقتل بها، وله مائة وعشرون سنة شمسية. فاحمل أصحابه
رسمته، فدفنوها بهذه الكنيسة التي كانت أقصى آثاره. ولم يطمع أحد من ملوك
الإسلام في قصدها، ولا الوصول إليها، لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها،
وبعد شقتها.

فخرج المنصور إليها من قرطبة غازياً بالصائفة يوم السبت لست بنين من
جمادى الآخرة سنة ٢٨٧، وفي غزوه الثامنة والاربعون. ودخل على مدينة
قورية. فلما وصل المنصور الى مدينة غليسة، وإفاء عدد عظيم من الفوامس
المتسكنين بالطاعة، في رجالهم، وعلى أنهم احتفالهم؛ فصاروا في عسكر المسلمين،
وركبوا في المغاورة سيليم. وقد كان المنصور تقدم في إنشاء أطول كبير في
الموضع المعروف بقصر أبي دأيس من ساحل غرب الأندلس، وجهازه برجاله
البحريين وصوف المترجلين، وحمل الأنوار والأطعمة والعدد والأسلحة،
استظهاراً على نفوذ العزيمة، الى أن خرج بموضع يرتفع على نهر قورية؛ فدخل
في النهر الى المكان الذي عمل المنصور على العبور منه؛ ففقد هناك من هذا
الأطول جسراً يقرب الحصن الذي هناك. ووزع المنصور ما كان فيه من
الميرة على الجند؛ فتوسعوا في التزود منه إلى أرض العدو.

ثم نهض يريد شنت ياقوب؛ فقطع أرضين متباعدة الأفطار، وقطع بالعبور
عدة أنهار كبار وخلقجان بسدها البحر الأخضر. ثم أفضى العسكر بعد ذلك الى
بساتط جليلة من بلاد فلطارش ومبايطة^١ والدير وما يتصل بها؛ ثم أفضى
الى جبل شامخ شديد الوعر، لا مسلك فيه، ولا طريق لم يهتد إلا إلى^٢ ٣١٨ ج.
سواه. فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه؛ فقطعه
العسكر وعبروا به وادى منه؛ وانبطح المسلمون بعد ذلك في بساتط عريضة
وأرضين أريضة، وانتهت مغيرتهم الى دبر قنطان وبسط بطنوط^٣ على البحر
المحيط، وفتحوا حصن شنت بلأيه، وغنموه، وعبروا يساجه^٤ الى جزيرة من

١) مبليطة B. ٢) مبلية B.

البحر المحيط لجأ إليها خلق عظيم من أهل تلك النواحي؛ فسموا من فيها من لجأ إليها. وانتهى العسكر إلى جبل مراسية^١ المتصل من أكثر جياته بالبحر المحيط؛ فتخللوا أقطاره، واستخرجوا من كان فيه، وحازوا غنائمه. ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليج لورفي في معبرين أرشد الأدلاء إليها؛ ثم نهر ايله؛ ثم أفضوا إلى بساتط واسعة العبارة، كثيرة الفائدة، منها بسيط أوثة وقرجيطنة وقبر شنت برية^٢. ثم انتهوا إلى خليج ايلياء؛ وهو من مشاهد ياقوب أيضاً صاحب القبر، يلقب مشهد قبره عند النصاري في الفضل، يقصد نسائهم له من قاصي بلادهم ومن بلاد القبط والثوبة وغيرها. فغادره المسلمون قارعاً. وكان التزول بعد على مدينة شنت ياقوب البائسة، وذلك يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شعبان؛ فوجدها المسلمون خالية من أهلها؛ فحاز المسلمون غنائمها، وهدموا مصانعها وأسوارها وكبيستها، وغنوا آثارها. ووكل المنصور بنصر ياقوب من يحفظه ويدفع الأذى عنه؛ وكانت مصانعها بدعة محكمة؛ فقودرت هيباً، كأن لم تكن بالأمس، وذلك يوم الإثنين أو الثلاثاء بعد. وانسفت بوعته بعد ذلك سائر البساتط، وانتهت إلى جزيرة شنت مانكس^٣ متقطع هذا الصفع على البحر المحيط، وهي غاية لم يبلغها قبلهم مسلم، ولا وطئها لغير أهلها. فقام فلم يكن بعدها للغيل مجال، ولا وراءها انتفال.

وانكفا المنصور عن باب شنت ياقوب، وقد بلغ غاية لم يبلغها مسلم قبله. فجعل في طريقه القصد على عمل برمتد بن ثرذون ليستقره عائناً ومقيداً، حتى وقع في عمل القوايس المعاهدن الذين في عسكره؛ فأمر بالكف عنها، ومسر جنازاً حتى خرج إلى حصن مليقه من افتتاحه. فأجاز هناك القوايس مجملتهم على أقدارهم، وكسام، وكسا رجالهم؛ وصرفهم إلى بلادهم. وكتب بالفتح من مليقه. وكان مبلغ من أگسأ ابن أبي طامر في غزاته هذه من ملوك الروم ولبن حسن

1) B. مراسية. 2) Les vocalisations de ces noms géographiques sont reproduites d'après B. 3) B. فائكسر.

عناؤه من المسلمين ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخبز الطرازى،
واحدى وعشرين كساء من صوف البحر، وكسائين عتبرين، وأحد عشر
سفلاطونا، وخمس عشرة مرسات، وسبعة أثمان ديباج، وثوبين ديباج رومي،
وقروني نك. ووفى جميع العسكر قافلا الى قرطبة سالما غانما، وعظمت النعمة
والمنة على المسلمين. والحمد لله.

ولم يجد المنصور شئت ياقوب إلا شيعا من الرهبان جالسا على القبر، فسأله
عن مقامه، فقال: «أوأنس يعقوب». فأمر المنصور بالكفت عنه.

قال الفتح بن خاقان: وقرئ المنصور ببلاد الشرك أعظم قرئس، ومحا من
طواغيتها كل تعجرف وتطرئ، وغادرم صرعى البقاع، وتركهم آذل من وتد
بقاع، وولى على بلادهم الوقائع، وسدد الى أكبادهم سهام النجاس، وأغص
بالحام أرواحهم، ونقص بثلث الآلام بكورهم وزواحمهم. ومن أوضح الأمور
هناك: وأفصح الأخبار فى ذلك: أن أحد رسله كان كثير الاتياب، لذلك P. ٢٢٠
الجناب، فسار فى بعض مسيراته الى غزيرة صاحب البشكيش، فصادقه فى يوم
فصح، فوالى فى إكرامه، وتناهى فى بره وإعظامه، فطالت مدته فلا ينتزه إلا
مر عليه متفرجا، ولا موضع إلا سار إليه معرجا، فحل فى ذلك أكثر الكنائس
هناك، فبينما هو يجرى فى ساحتها، ويحبل العين فى مساحتها، إذ عرضت له امرأة
قديمة الأسر، قوبلة على طول الكسر، فكلمته، وعرفته بنفسها وأعلمته، وقالت
له: «أيرضى المنصور أن ينسى بشعته بوسها، ويستع بلبوس العافية وقد
قصت لبوسها» وزعمت أن لها عدة من البنين بثلث الكيسة مخبئة، وبكل
ذل وصغار ملبسة، وتشدت الله فى إنهاء قصتها، وإبراء غصتها، واستحلفت
بأعظم الأيمان، وأخذت عليه فى ذلك أوكد موافق الرحمان. فلما وصل الى
المنصور، عرفه بما يجب تعريفه به وإعلامه، وهو مضج إليه حتى تم كلامه. فلما
فرغ، قال له المنصور: «هل وفتت هناك على أمر أنكرته، أم لم يفت على
غير ما ذكرته؟» فأعلمه بقصة المرأة، وما خرجت عنه اليه، وبالموافق التى

أخذت عليه؛ فغضب عليه، ولا مَه، على أن لم يبدأ بها كلامه؛ ثم أخذ في الجهاد من
 فوره، وعرض من من الأجناد في قَعْدَه وغَوْرَه؛ وأصبح غازياً على سَرَجِه،
 مابهاً مَرَوَان يَوْمَ مَرَجِه، حتى وافى ابن شاذبَه في جَمْعِه؛ فأخَلَّت مهابتُه ببصره
 وسَمِعَه؛ فبادَرَ بالكتاب إليه ينعرِف ما هي الحِجَّة، ويخلف له بأعظم آيَةٍ، ما جِنا
 ذَنْباً؛ ولا نَبَا عن مَضْجَع الطاعة جَنَباً. فعَفَّ أرساله، وقال لهم: «كان قد
 عاهدني ألا يبقى بأرضه مأسورة ولا مأسور، ولو حَمَلْتَه في حواصِلِها النُصُور؛
 وقد بَلَّغني * بعدُ مَقَامُ قُلَانة السُّلَيْمَةِ¹ تلك الكنيسة. والله! لا أنتهي عن
 أرضه حتى أكتسَحَها!» فأرسل إليه المرأة في إثنين معها، وأقسم له أنه ما
 أبصرهن، ولا سمع بهن، وأعلمه أن الكنيسة التي أشار بعلمها، قد بالغ في هديها،
 تخفيفاً لقوله، وتضرع له في الأخذ بطوله. فاستحي منه، وصرف² الحيوث عنه،
 وأوصل المرأة إلى نبيهِ، وألحقى نوحشها بأنبيهِ، وغير سوء حالها، وعاد
 بسواكب نُعماء على جذبها وإمحائها، وحملها إلى قُومها، وكحلها بما كان شَرَدَ
 من نُومها.

وحدث شُعْلَة، قال: نلتُ للمنصور ليلة طالَ فيها سَوْرَه: «قد أفرطَ
 مولانا في السهر، وبدنه يحتاج إلى أكثر من هذا النوم؛ وهو يعلم ما يحركه عدمُ
 النوم من عِلَّة العَصَب!» فقال لي: «يا شُعْلَة، إنَّ المَلِك لا ينام إذا نامت
 الرعية؛ ولو استوفيتُ نومي، كما كان في دُور هذا البلد العظيم عَيْن نائمة!»
 وكان المنصور يزرع في كل سنة ألف ألف مَدْي من الشعير قِصْباً لدَوَابِه
 الخاصة به؛ إذا قدم من كل غَزْوَة من غَزَوَاتِه، لا يحلُّ عن نفسه حتى يدعو
 صَاحِبَ الخيل، فيُعَلِّيه ما مات منها وما عاش؛ وصَاحِبَ الأَنْبِيَة، فيُعَلِّيه بما
 وقى من أسواره ومبانيه وقصوره ودُورِه. وكان له دَخَالَة في كل يوم إثني عشر
 ألف رطل من اللحم، حاشى الصيد والطير والحيتان. وكان يصنع في كل عام
 إثني عشر ألف تَرْس عامرية لتَصْرِي الزاهرة والزهرام. وإثني المنصور على

1) السُّلَيْمَة.

2) Ici prend fin le ms. A et le texte édité par Dozy.

طريق البهاة والضخامة بمدينة الزاهرة^١ ذات النصور، والمتزهات المقترعة
 كدات الواديين، ومنية السرور، وأرطانية، وغيرها من مشقات الديعة.
 قال ابن حزم: كنا مع المنصور في يوم صلب الحوي في الزورق، في النهر
 الذي بين يدي الزاهرة، في نفر من وزرائه، ومنظر يفتن بآمائه ووزرائه،
 ونحن على موانسة قد امتد طيها، وأزشف بها لمس المسرة وشبهها وانحسر
 إليها لهُو الدنيا ولعبها، وهو يستبج ذلك الشديد، ويتطلع منها إلى المخرق
 والسبد، ويضرب نظره ويصعده في قصوره المشرقة، ومصابيعه الموقنة، وقد
 قبدت الألفاظ جبالاً، وجددت في الحياة آمالاً. فقال المنصور: «وَمَا لَكَ يَا
 زَاهِرَةُ الْحُسْنِ. لَقَدْ حَسُنَ مَرَّةُكَ، وَعَيْنُ ثَرَاكَ، وَرَأَى مَنَظَرُكَ، وَفَاقَ مَخْبَرُكَ،
 وَطَابَ ثَرُوكَ، وَعَذَّبَ شَرُّكَ! فَلَيْتَ يُغْرَى مِنَ الْبَرِيدِ الَّذِي يُعْذِمُكَ، وَيُوهِنُ
 رُكْنَكَ وَيُهْدِسُكَ، وَيُخْلِي مِدَانَكَ، وَيُضْوِي قَصَبَكَ وَأَفْنَانَكَ! فَيُوسَا لَهُ إِذَا
 لَا يَرُوقَ حُسْنُكَ، فَيَكْفُ عَنْ تَغْيِيرِكَ! أَلَا تَسِيهِ بِهَجَةِ مَنَظَرِكَ، فَكَيْفَ عَنْ
 مَحْوِ أَثَرِكَ!» قال: فاستعظمتنا ذلك منه، وأنكرنا ما صدر عنه، وظننا أن
 الراح غلبت عليه، وخيلت ذلك عليه، فأفرط الكل مما في استنكار ما جاء
 به، وفاءً بأمره وسبه، فقال: «والله! كَأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ! نَعَمْ! سَبْطُهَا
 عَلَيْهَا عَدُوْنَا فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ، فَيَهْدِمُ هَذَا كَمْلَهُ وَيُعْدِمُهُ. وَكَأَنِّي بِحِجَارَتِهَا فِي هَذَا
 النَّهْرِ» فأخذنا به طريق التمسكين والتهدين، وعجبنا لما ذكره من ذلك
 النبأ المبين.

وعند فراغه من ابتلاء الزاهرة، غزا غزوة أبعد فيها الإيغال، وغال فيها
 من عظماء الروم من غال، وحل من أرضهم ما لم يُطرق، وراع منهم ما لم يراع
 قط ولم يفرق، وصدر صدرًا تسمى به على كل حناء عقيلة، وجلًا به كل صنعة
 للحسن صيلة، ودخل قرطبة دخولًا لم يعهد، وشهد له فيه يوم لم يشهد. وكان
 ابن شديد متخلفًا عن هذه الغزوة ليفرس عداؤه عائدًا، وحفاه متبعه ورائده.

١) الزهراء.

وَابْنُ شُهَيْدٍ هَذَا أَحَدُ حُجَّابِ النَّاصِرِ، وَلَهُ عَلَى ابْنِ أَبِي عَامِرٍ أَيْدِي مُحْكَمَةِ الْأَوَّلِصِرِ.
وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُتَّعَفُ، وَيَصْلُهُ وَيُلَطْفُهُ. فَلَمَّا صَدَرَ الْمَنْصُورُ مِنْ غَزْوَتِهِ هَذِهِ، نَبَى
مُتَاحَتَهُ، وَأَغْلَلَ مُلَاطَفَتَهُ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ [خفيف]:

أَنَا شُبَيْخٌ وَالشُّبُخُ يَهْوَى الصَّبَابَا بِالنَّفْسِ نَفِيبِكَ صَرَفَ الرِّزَابَا
وَرَسُولُ الْإِلَهِ أَسْتَهَمَ فِي الْقِي لِمَنْ لَمْ يُحِبَّ فِيهَا الْمَطَابَا
فَأَجْعَلْنِي (قَدَيْتُ!) أَنْتَحِكَ مَعْرُو نَكَ وَأَتَعَثَّ بِهَا عَذَابَ الثَّنَابَا
هُوَ عَرَفَ فَإِنْ تَحَوَّلَ صَهْرًا كَانَ وَاللَّهِ آيَةً فِي الْبَرَابَا

فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِعَقِيلَةٍ مِنْ عِفَائِلِ الرُّومِ، يَكْنُفُهَا ثَلَاثُ جَوَارِي كَأَنَّهِنَّ نَحُومُ سَرَايَا،
وَكَتَبَ [خفيف]:

قَدْ بَعَثْنَا بِهَا كَثْمِي النَّهَارِ فِي ثَلَاثٍ مِنَ النِّهْيِ أَنْكَارِ
فَاجْتَهِدْ وَأَشِدْ فَإِنَّكَ شُبَيْخٌ خَفِيَ اللَّيْلُ عَنْ بَيَاضِ النَّهَارِ
صَانِكَ اللَّهُ عَنْ كَلَالِكَ فِيهَا فِيمَنْ الْعَارِ كَلَّةُ الْمِسَارِ

فَاقْتَضَيْنَ جَمِيعًا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ [خفيف]:

قَدْ قَضَضْنَا خِتَامَ ذَلِكَ السَّوَارِ وَاضْطَبَقْنَا مِنَ النَّجِيعِ الْحَارِ
وَتَعْنَا فِي ظِلِّ أَنْعَمِ لَيْلٍ وَلَهْوِنَا بِالْبَدْرِ ثُمَّ الدَّرَارِ
وَقَضَى الشُّبُخُ مَا قَضَى بِحُسَامٍ ذِي مَضَاهِ عَضِبَ الظُّبَى بَنَارِ
فَاضْطَبَقْنِي فَلَسْتُ أَجْرِيكَ كُفْرًا وَأَتَعَذَّنِي سَيْنًا عَلَى الْكُنَارِ

قَالَ حِيَّانُ بْنُ خَلْفٍ: وَجَدَ بِالْمَنْصُورِ عَزْمٌ أَرْجَحَهُ الْغَزْوُ بَعْضَ الْبُرُوجِ
الْمُهَيْمَةِ؛ فَأَبْرَزَ أَمْوَالًا عَظِيمَةً، وَتَقَنَّمَ إِلَى النَّاسِ فِي الْكُورِ لِلزَّاهِرَةِ؛ فَاسْتَبَنُوا،
وَقَدْ طَرَفَ فِي لَيْلِكَ وَجَعَ حِمَاهُ عَنِ الْعَمَضِ؛ فَلَمْ يَنْعَمْ مِنْ إِتْنَادِ عَرَبَتِهِ، وَقَعَدَ
لِلنَّظَرِ فِي شَأْنِهِ بِأَعْلَى مُنْبَتِ الْمُسَامَةِ بِاللُّوْلُوَّةِ، وَقَدْ صَحَّ عَلَى الْكُفَى عَزْمُهُ، وَكَانَ
أَقْرَبَ أَبْوَابِ الرَّاحَةِ مِنْهُ؛ فَاقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَى مَنْ تَحْتَهُ، يَنْقُرُ الْبَرِّيَّ فِي شَأْنِهِمْ؛
وَقَدْ نَاقَلَ الطَّيِّبُ فِي إِحْلَالِ ذَلِكَ رِجْلَيْهِ؛ فَحَمَلَ عَلَيْهَا عِدَّةَ كَيْمَاتٍ، ثُمَّ أَمَالَ

يُشْفَى نَحْوَهُ، وَأَمَكُهُ مِنْ يَدَيْهِ مَعَ وَاحِدَةٍ بَعْدَ أُخْرَى، وَمَا زَوَى وَجْهَهُ، وَلَا فَقَدَ نَصْحاً لَهُ كَلَامُهُ، بَلْ كَانَ يَتَنَاوَلُ أَوْلَامَهُ مِنْ وَعْدِهِ وَوَعْدِهِ بِأَنَّهُ مِنْ الْإِنْسَانِ، وَيَجْعَلُهُمْ مِنْ وَرُودِهِ عَلَى الْأَوْفَى فَالْأَوْفَى، وَإِنْ تَنَزَّحَ لِحَمْدِ الْمَكُونِ لِيَتَبَيَّنَ فِيهِمْ آخِذاً بِخَوَاصِهِمْ، وَمَنْ لَا يَعْلَمُونَ.

وَفِي سَنَةِ ٢٩٢، تُوُفِّيَ الْمَنْصُورُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ) لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ لثَلَاثَ بَقِيْنَ لِرَمَضَانَ الْمُعْظَمِ، وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَعَشْرَةَ أَشْهُرٍ، كَانَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ الذَّكَورِ يَوْمَ وَفَاتِهِ إِثْنَانِ، وَهُمَا عَبْدُ الْمَلِكِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ، فَكَانَتْ مَدَّةَ قِيَامِهِ بِالدَّوْلَةِ مِنْذُ تَقَدَّمَ الْحِجَابَةُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ خَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةً، وَأَرْبَعَةَ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا. وَتَرَكَ مِنَ الْأَمْوَالِ النَّاصِئَةِ بِالزَّاهِرَةِ أَرْبَعَةَ وَخَمْسِينَ يَتِيمًا. وَكَانَ عَدَدُ الدَّرَسَانِ الْمُتَرْفِقِينَ بِحَضْرَتِهِ وَنَوَاحِيهَا، الَّذِينَ حَارَبَ بِهِمُ الْخُرُوبَ، عَشْرَةَ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةٍ، وَأَجْنَادُ النُّفُورِ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ.

وَلِلَّهِ دَرُّ الْفَائِلِ فِيهِ [كَامِلٌ]:

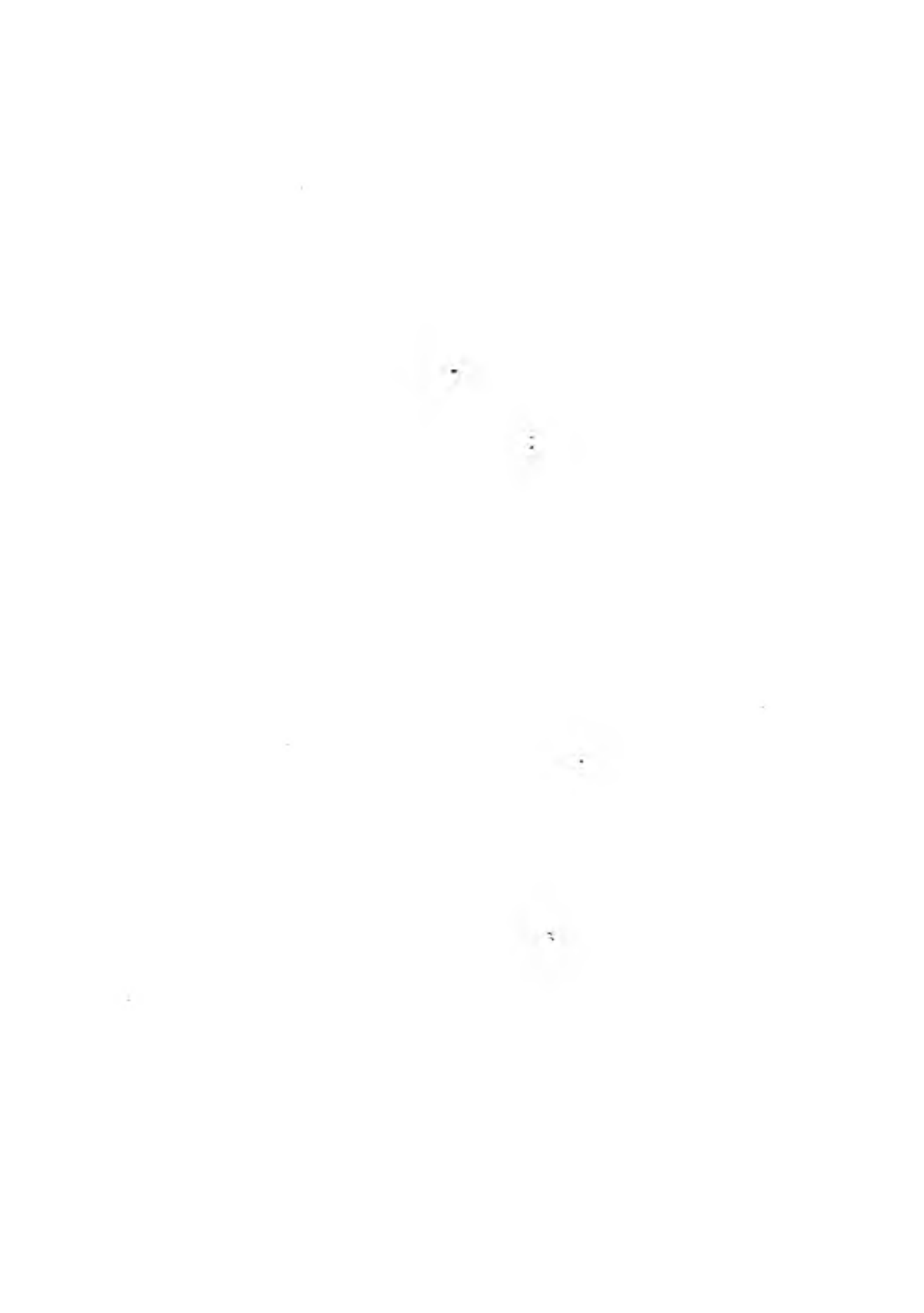
أَنَارَةُ نُبِيِّكَ عَنْ أَخْبَارِهِ حَتَّى كَأَنَّكَ بِالْعُيُونِ تَرَاهُ
تَاللهِ مَا مَلَكَ الْجَزِيرَةَ يَشْلُهُ حَقًّا وَلَا قَادَ الْمَجْبُوشِ يَسَوَاهُ

وَذَكَرَ أَنَّ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ قَدْ تَقَدَّسَا فِي رُحْمَةِ عَلَى قَبْرِهِ (رَحِمَهُ اللَّهُ). وَكَانَتْ عِدَّةُ غَزَوَاتِهِ سَبْعًا وَخَمْسِينَ غَزْوَةً، بَاشَرَهَا كُلُّهَا بِنَفْسِهِ، وَهُوَ فِي أَكْثَرِهَا بِشَكُورَةً الْقُرَيْشِ - عَنَّا اللَّهُ تَعَالَى عَنَّا وَعَنهُ!

كَمَلِ السِّفَرُ الْأَوَّلُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى

وَحُسْنِ عَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَبُشْرَةٍ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ..



HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD
ET DE L'ESPAGNE MUSULMANE

ISITUTEE

KITĀB AL-BAYĀN AL-MUGHĒRIB

HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD
ET DE L'ESPAGNE MUSULMANE

INTITULÉE

KITĀB

AL-BAYĀN AL-MUGHĒRIB

PAR

IBN IDHĀRĪ AL-MARRĀKUSHĪ

ET

FRAGMENTS DE LA CHRONIQUE DE CARIB

NOUVELLE ÉDITION PUBLIÉE

D'APRÈS L'ÉDITION DE 1848—1851 DE

R. DOZY

ET DE NOUVEAUX MANUSCRITS

TOME II

HISTOIRE DE L'ESPAGNE MUSULMANE
DE LA CONQUÊTE AU XI^e SIÈCLE

PAR

G. S. COLIN & É. LÉVI-PROVENÇAL



DAR ASSAKAFA

BEYROUTH - LIBAN.